

www.kotobarabia.com
الإسلام الحنيف
بين التخريف والتحريف
www.kotobarabia.com
نبيل هلال هلال

الإسلام الحنيف
بين التخريف والتحريف

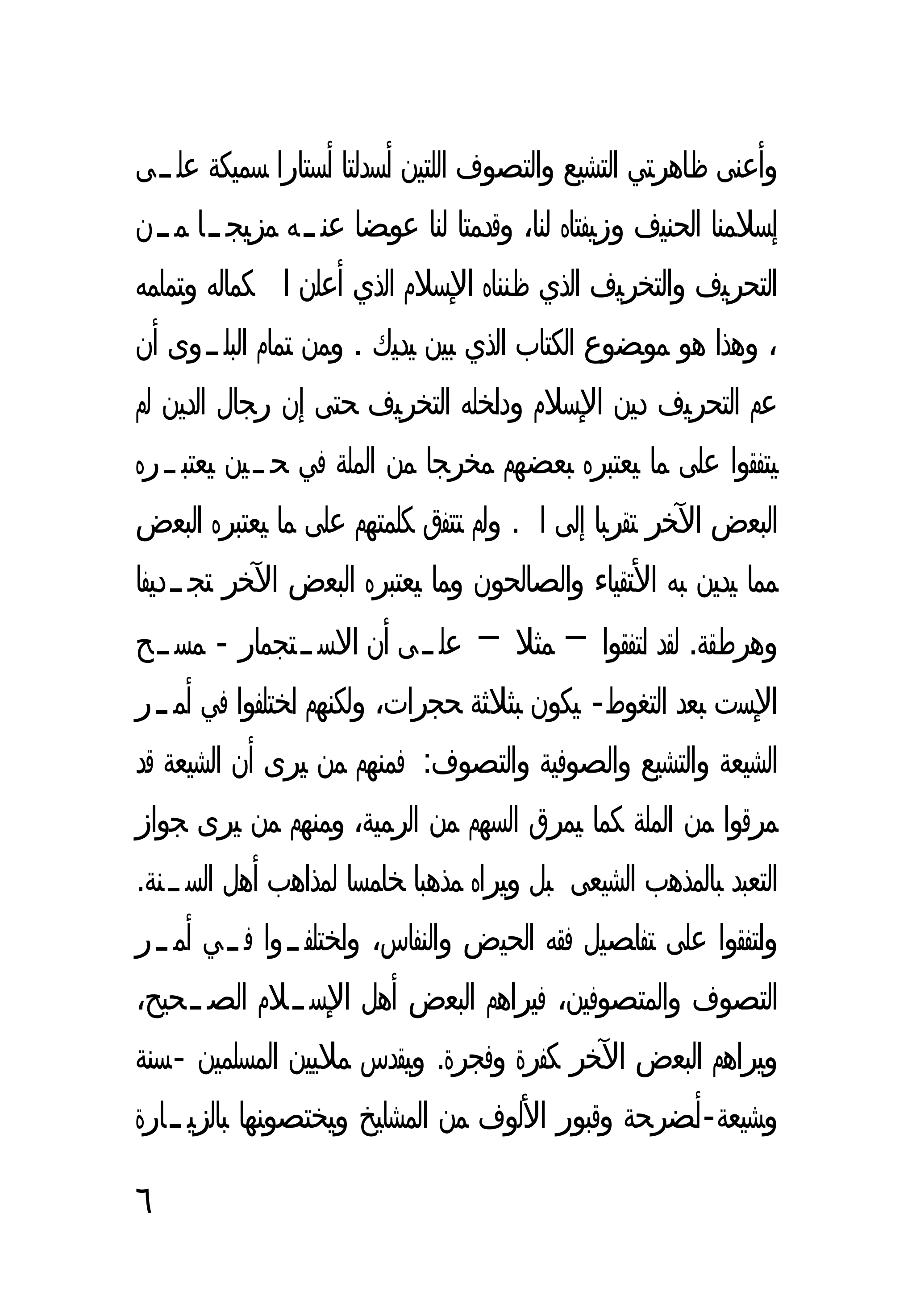
نبيل هلال هلال

فهرس

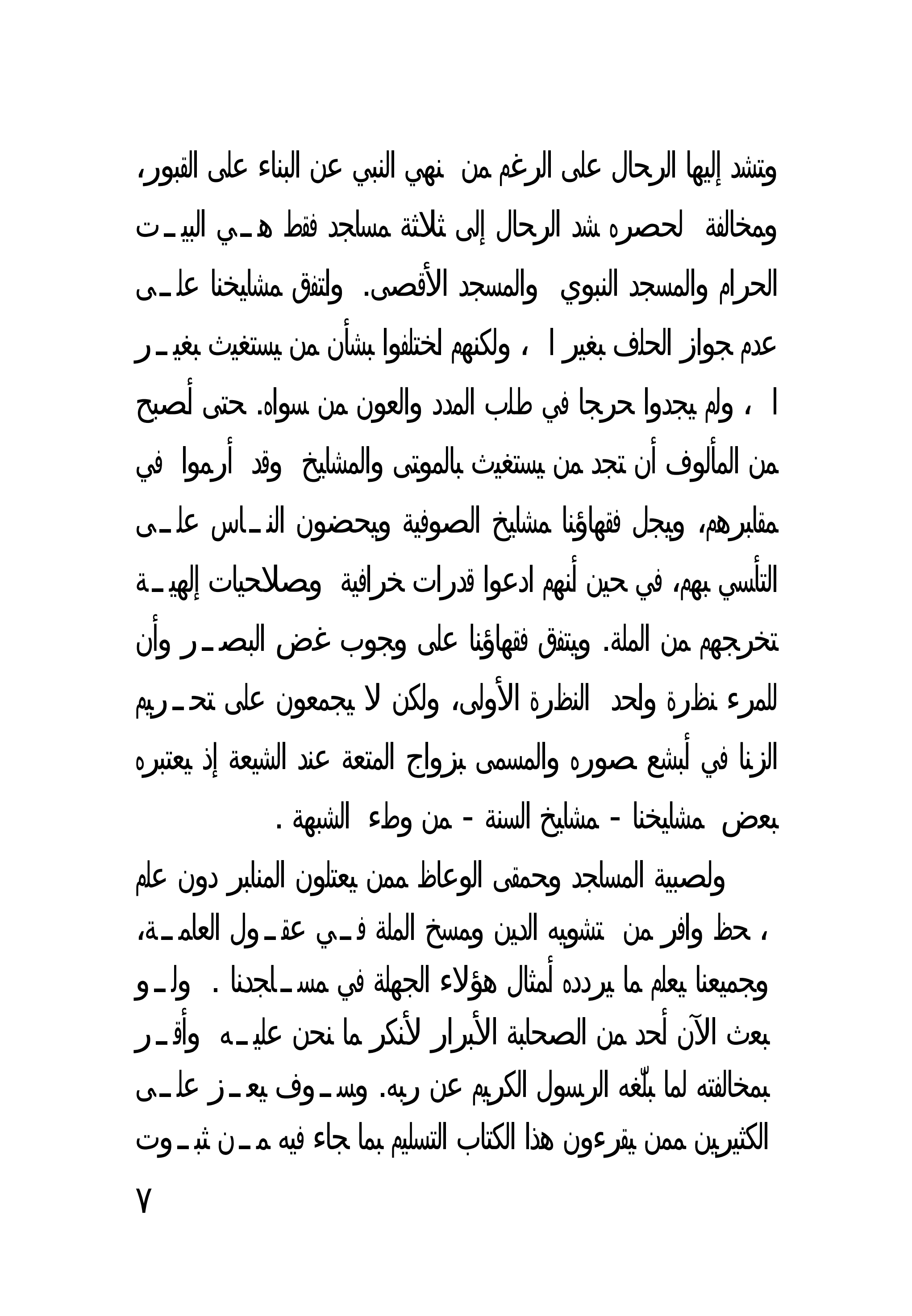
المقدمة

ظننت - وأنا طفل- أن وفاة النبي محمد صلوات ا عليه وسلامه كانت أعظم الكوارث المؤثرة في حياة المسلمين. ولكنني فهمت بعد ذلك أن النبي ميت مثلما نحن ميتون وأنه يموت كسائر الناس، فا تعالى يقول له:"إِنك ميتٌ وإِنهم ميتُون "١، فالموت قدر ولد آدم كلهم جميعا، والنبي الحبيب قد أتم مهمته وأبلغنا رسالة ربه كاملة غير منقوصة. وما كانت محبة الناس للنبي تحول دون وفاته، ولكن هذه المحبة صنعت شيئا من "الاستبعاد" في قلوب الناس فكان منهم من لم يصدق أنه مات . ولما شببت قليلا عن الطوق ظننت أن الفتنة الكبرى التي حدثت بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب وأدت إلى زوال الحكم الشوري واستبداله بالملك العضود، ظننتها أم الكوارث - وهي كذلك - ولكنني أيقنت في نهاية المطاف أن الضربة التي قصمت ظهر الإسلام وأصابت منه النحر والقلب ، كانت "الفتنة العظمى"، وهي أسوأ وأخطر ما أصاب الإسلام وأثر في المسلمين عبر تاريخهم كله

١- الزمر ٣٠

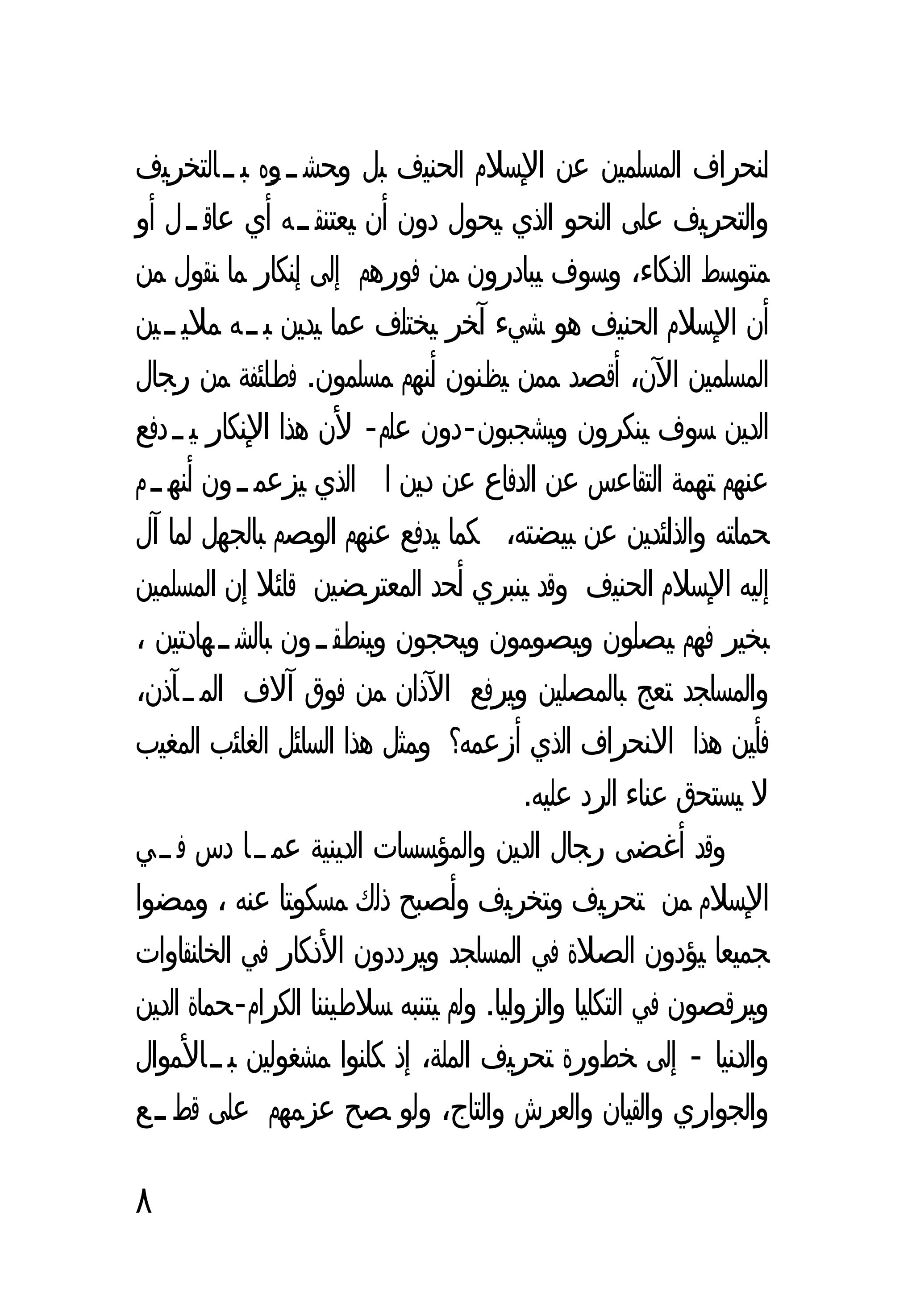


وأعنى ظاهرتي التشيع والتصوف اللتين أسدلتا أستارا سميكة علـى إسلامنا الحنيف وزيفتاه لنا، وقدمتا لنا عوضا عنـه مزيجـا مـن التحريف والتخريف الذي ظنناه الإسلام الذي أعلن ا كماله وتمامه ، وهذا هو موضوع الكتاب الذي بين يديك . ومن تمام البلـوى أن عم التحريف دين الإسلام ودلخله التخريف حتى إن رجال الدين لم يتفقوا على ما يعتبره بعضهم مخرجا من الملة في حـين يعتبـره البعض الآخر تقربا إلى ا . ولم تتفق كلمتهم على ما يعتبره البعض مما يدين به الأتقياء والصالحون وما يعتبره البعض الآخر تجـديفا وهرطقة. لقد لتفقوا – مثلا – علـى أن الاسـتجمار - مسـح الإست بعد التغوط- يكون بثلاثة حجرات، ولكنهم لختلفوا في أمـر الشيعة والتشيع والصوفية والتصوف: فمنهم من يرى أن الشيعة قد مرقوا من الملة كما يمرق السهم من الرمية، ومنهم من يرى جواز التعبد بالمذهب الشيعى بل ويراه مذهبا خامسا لمذاهب أهل السـنة. ولتفقوا على تفاصيل فقه الحيض والنفاس، ولختلفـوا فـي أمـر التصوف والمتصوفين، فيراهم البعض أهل الإسـلام الصـحيح، ويراهم البعض الآخر كفرة وفجرة. ويقدس ملايين المسلمين -سنة وشيعة-أضرحة وقبور الألوف من المشايخ ويختصونها بالزيـارة



وتشد إليها الرحال على الرغم من نهي النبي عن البناء على القبور، ومخالفة لحصره شد الرحال إلى ثلاثة مساجد فقط هـي البيـت الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى. ولتفق مشايخنا علـى عدم جواز الحلف بغير ا ، ولكنهم لختلفوا بشأن من يستغيث بغيـر ا ، ولم يجدوا حرجا في طلب المدد والعون من سواه. حتى لصبح من المألوف أن تجد من يستغيث بالموتى والمشايخ وقد أرموا في مقابرهم، ويجل فقهاؤنا مشايخ الصوفية ويحضون النـاس علـى التأسي بهم، في حين لنهم ادعوا قدرات خرافية وصلاحيات إلهيـة تخرجهم من الملة. ويتفق فقهاؤنا على وجوب غض البصـر وأن للمرء نظرة ولحد النظرة الأولى، ولكن لا يجمعون على تحـريم الزنا في لبشع صوره والمسمى بزواج المتعة عند الشيعة إذ يعتبره بعض مشايخنا - مشايخ السنة - من وطء الشبهة .

ولصبية المساجد وحمقى الوعاظ ممن يعتلون المنابر دون علم ، حظ وافر من تشويه الدين ومسخ الملة فـي عقـول العامـة، وجميعنا يعلم ما يردده لمثال هؤلاء الجهلة في مسـاجدنا . ولـو بعث الآن لحد من الصحابة الأبرار لأنكر ما نحن عليـه وأقـر بمخالفته لما بلّغه الرسول الكريم عن ربه. وسـوف يعـز علـى الكثيرين ممن يقرءون هذا الكتاب التسليم بما جاء فيه مـن ثبـوت



لنحراف المسلمين عن الإسلام الحنيف بل وحشـوه بـالتخريف والتحريف على النحو الذي يحول دون أن يعتنقـه أي عاقـل أو متوسط الذكاء، وسوف يبادرون من فورهم إلى إنكار ما نقول من أن الإسلام الحنيف هو شيء آخر يختلف عما يدين بـه ملايـين المسلمين الآن، أقصد ممن يظنون أنهم مسلمون. فطائفة من رجال الدين سوف ينكرون ويشجبون-دون علم- لأن هذا الإنكار يـدفع عنهم تهمة التقاعس عن الدفاع عن دين ا الذي يزعمـون أنهـم حماته والذائدين عن بيضته، كما يدفع عنهم الوصم بالجهل لما آل إليه الإسلام الحنيف وقد ينبري أحد المعترضين قائلا إن المسلمين بخير فهم يصلون ويصومون ويحجون وينطقـون بالشـهادتين ، والمساجد تعج بالمصلين ويرفع الآذان من فوق آلاف المـآذن، فأين هذا الانحراف الذي أزعمه؟ ومثل هذا السائل الغائب المغيب لا يستحق عناء الرد عليه.

وقد أغضى رجال الدين والمؤسسات الدينية عمـا دس فـي الإسلام من تحريف وتخريف وأصبح ذلك مسكوتا عنه ، ومضوا جميعا يؤدون الصلاة في المساجد ويرددون الأذكار في الخانقاوات ويرقصون في التكايا والزوايا. ولم يتنبه سلاطيننا الكرام-حماة الدين والدنيا - إلى خطورة تحريف الملة، إذ كانوا مشغولين بـالأموال والجواري والقيان والعرش والتاج، ولو صح عزمهم على قطـع

أصول الفتنة وهي ضئيلة قبل أن تغلظ، لكان أحزم فـي الـرأي وأصح في التدبير. والآن من للإسلام الحنيف ينتصر له ويذود عنه بعد أن بعثروا حبات دره؟

والمسلمون الآن في مشـارق الأرض ومغاربهـا هـم الأذل والأضعف، وهم عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم ودفع البلاء الذي يصبه أعداؤهم على رؤوسهم صبا. ومـس المسـلمين البأسـاء والضراء واللأواء ، وأصبحوا لعدوهم أهون الأعداء، ولم يتحقـق لهم وعد ا بالنصر لأنه وعد مشروط،فإن وفينا بحظنا من الشرط لأقبل علينا النصر حتما فا لا يخلف وعده ومستعينه منصـور. وما ذلك إلا لأنه وعد مشروط بنصرنا ، وقد تقاعسنا عن نصرة ا . ومن السذاجة أن يفهم أحد أن نصرتنا تكون بمجـرد أداء الشعائر والعبادات، فالمقصود بهذه النصرة التي تأتي بهـا المنعـة والعزة، هو الأخذ بأسباب القوة على النحو الذي بينه ا لنا في كتابه، فالتدين وحده لا يحقق النصر، وإنما يدرك النصر بطلب أسبابه، ولو كانت النصرة بالتدين وحده بصرف النظر عن الأخذ بأسـبابه لمـا انتصر علينا غير المسلمين ممن انصرفوا عن دينهم وكانت العـزة لهم والخزي لنا. وهذا ما يجب على العقلاء أن يفهمـوه وإلا مـا انتصر مِثل قريش على المسلمين في أُحد وفيهم النبي ، ومثـل جيش يزيد بن معاوية على الحسين بن علي. لقد أغفلنا أسباب السيادة

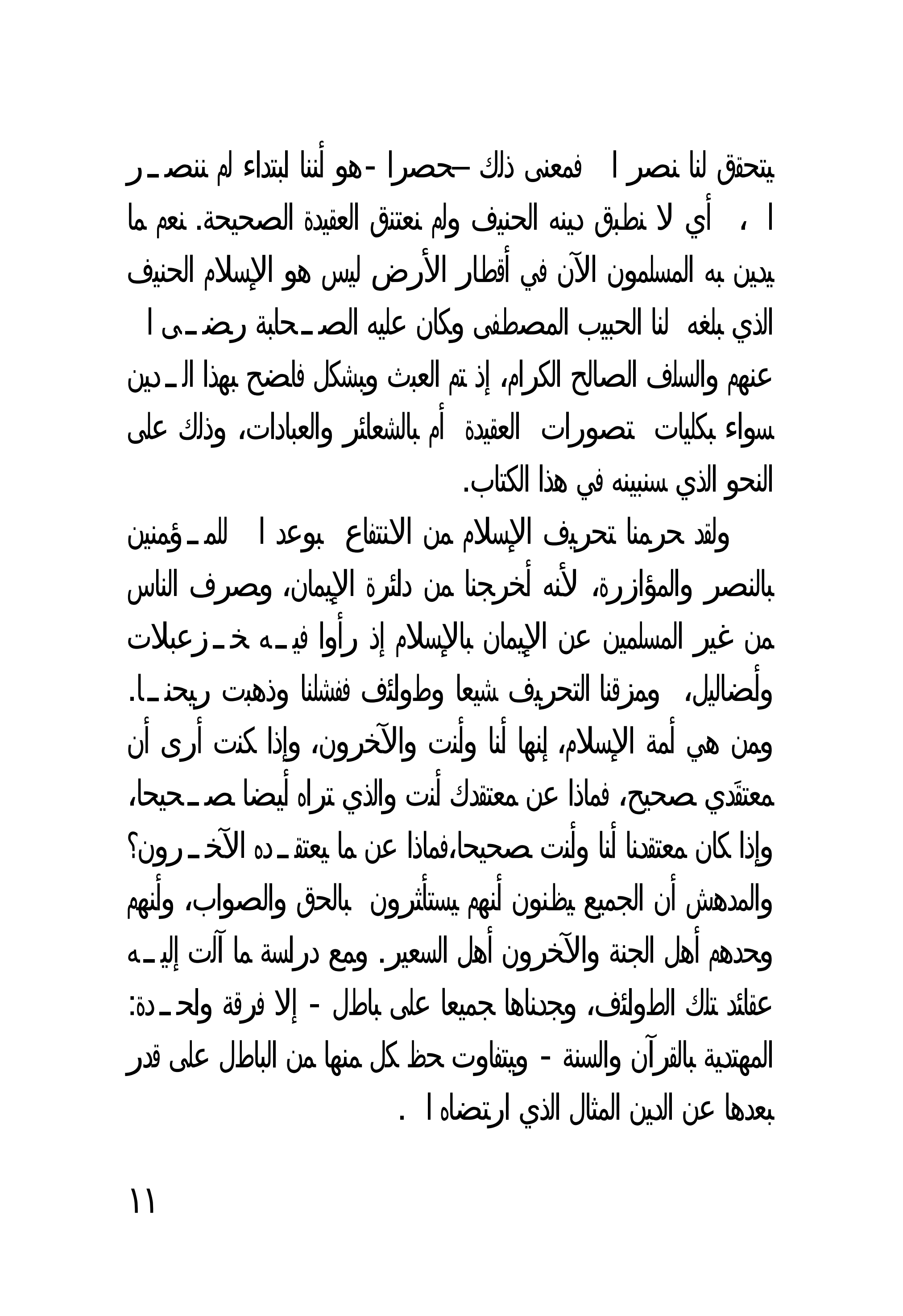
كما وصفها ا لنا في كتابه. وهل ما يدين به المليار ونصف المليار مسلم الآن هو الإسلام الذي بلّغه سيدنا محمد صلى ا عليه وسـلم من أربعة عشر قرنا ؟ الجواب ببساطة: كلا. ما ندين به الآن ليس الإسلام الحنيف الذي ارتضاه لنا رب العزة حينما قال: اليوم أَكْملْتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْممتُ علَيكُم نِعمِتي ورضِيتُ لَكُم الإِسلام دِينًا ٢. نعم قد يؤدى المسلمون - بنفس الطريقة - العبادات والشـعائر الصـلاة والزكاة والصوم والحج ، و ليس ذلك كل الإسلام إنما هو بعضه. أما ما يدين به الآن المسمون بالمسلمين صوفية و شيعة فـأمر آخر. لقد وصفنا رب العزة بأننا خير أمة أُخرجت للنـاس، فمـا الذي عطّل هذه الخيرية التي لختص ا تعالى بها أمة الإسلام بعد أن حولها عن بني إسرائيل؟ومن هي الأمة الموصوفة بأنهـا أمـة الإسلام؟ إننا الآن أهون أمة على الأرض، لماذا لم يتحقق وصف ا لنا بالعلو إذ قال: وَأَنْتُم الأَعلَون إِن كُنْتُم مؤْمِنِين ٣، ولمـاذا لم تتحقق وعود ا تعالى إذ يقول: وكَان حقا علَينَا نَصر المؤْمِنين ٤، ويقول إِن تَنْصروا الله ينْصركُم ويثَبتْ أَقْدامكُم ٥. وإذ لـم

٢-المائدة٣

٣-آل عمران ١٣٩

٤-الروم ٤٧

٥-محمد ٧



يتحقق لنا نصر ا فمعنى ذلك –حصرا - هو أننا ابتداء لم ننتصـر ا ، أي لا نطبق دينه الحنيف ولم نعتنق العقيدة الصحيحة. نعم ما يدين به المسلمون الآن في أقطار الأرض ليس هو الإسلام الحنيف الذي بلغه لنا الحبيب المصطفى وكان عليه الصـحابة رضـى ا عنهم والسلف الصالح الكرام، إذ تم العبث وبشكل فاضح بهذا الـدين سواء بكليات تصورات العقيدة أم بالشعائر والعبادات، وذلك على النحو الذي سنبينه في هذا الكتاب.

ولقد حرمنا تحريف الإسلام من الانتفاع بوعد ا للمـؤمنين بالنصر والمؤازرة، لأنه أخرجنا من دائرة الإيمان، وصرف الناس من غير المسلمين عن الإيمان بالإسلام إذ رأوا فيـه خـزعبلات وأضاليل، ومزقنا التحريف شيعا وطوائف ففشلنا وذهبت ريحنـا. ومن هي أمة الإسلام، إنها أنا وأنت والآخرون، وإذا كنت أرى أن معتقَدي صحيح، فماذا عن معتقدك أنت والذي تراه أيضا صـحيحا، وإذا كان معتقدنا أنا وأنت صحيحا،فماذا عن ما يعتقـده الآخـرون؟ والمدهش أن الجميع يظنون أنهم يستأثرون بالحق والصواب، وأنهم وحدهم أهل الجنة والآخرون أهل السعير. ومع دراسة ما آلت إليـه عقائد تلك الطوائف، وجدناها جميعا على باطل - إلا فرقة واحـدة: المهتدية بالقرآن والسنة - ويتفاوت حظ كل منها من الباطل على قدر بعدها عن الدين المثال الذي ارتضاه ا .

وعند التشكك في هوية شخص ما يكون الفيصل هو الاطلاع على بطاقة هويته وصحيفته الجنائية والأخذ بما فيهما مـن بيانـات بصرف النظر عما يدعيه هذا الشخص. وهذا هو عين ما ينبغـي علينا عمله لمعرفة الشيعة والصوفية، فهما فئتان تزعمان مـزاعم كثيرة تبغيان من ورائها دفع ما هما عليه من باطل. وليس أمامنـا غير أن نطلع على بطاقة هوية كل منهما، ألا وهي الكتب التـي يسجلون فيها أفكارهم ومبادئهم وملتهم المبتدعـة. وكـذلك نطلـع على"الصحيفة الجنائية" لهما: ألا وهي تـاريخ هـاتين الطـائفتين وأفعالهما وممارساتهما طوال أكثر من ألف عام. والتاريخ هو الشاهد الذي لا يكذب، وليس بعد الأحداث من قائل نصدقه. ولأنه لم يـر شيء أحسن من تفنيد دعوى ببرهان، فسوف نسوق في ما يلي أدلة وتفصيل ما أجملناه وعلى ا قصد السبيل.

الباب الأول

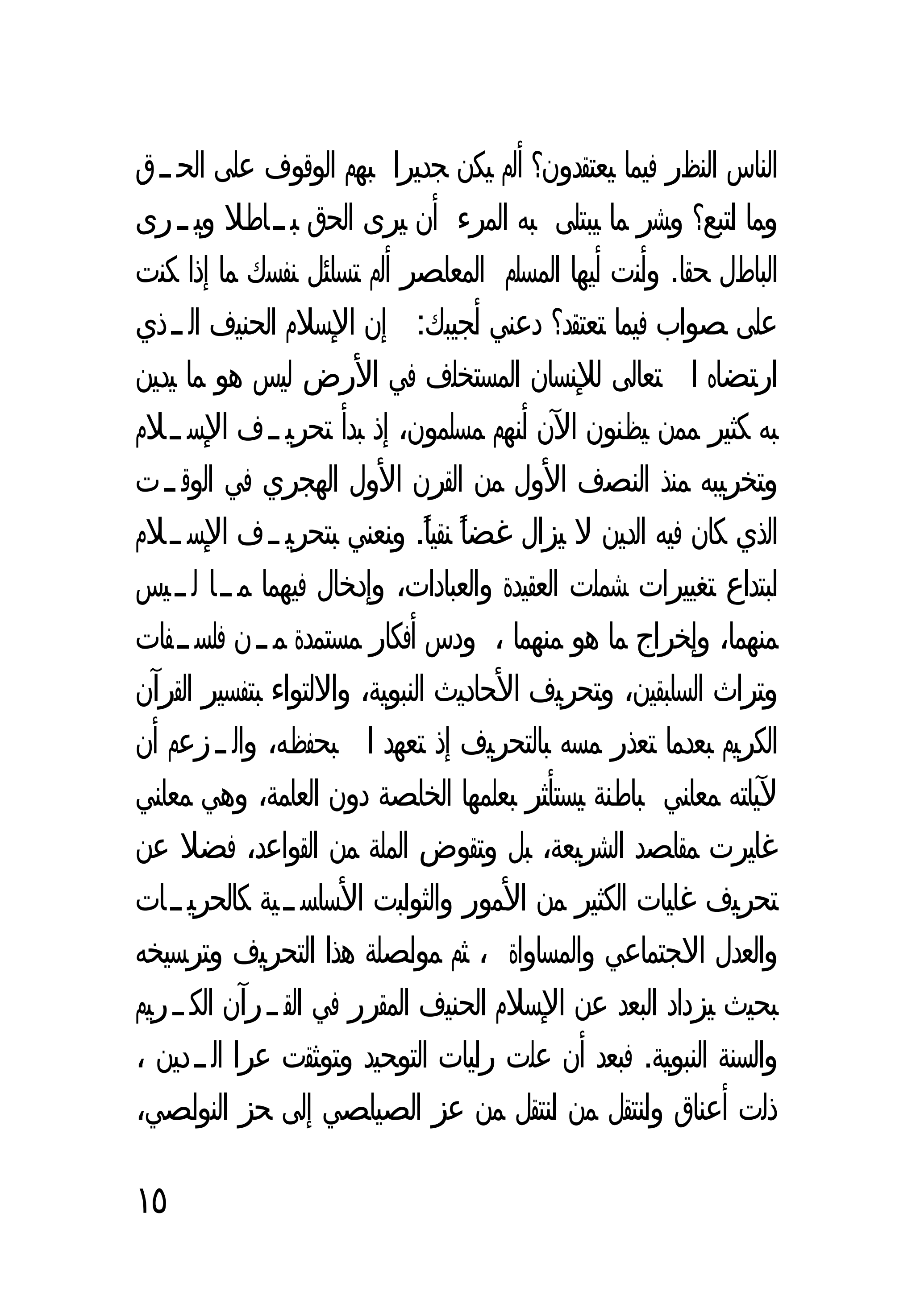
التخريف والتحريف في الإسلام الحنيف

* الفصل الأول: صور من التحريف
* الفصل الثاني: التخريف والتحريف في العقيدة
* الفصل الثالث: التخريف والتحريف في العبادات

صور من التحريف

لقد بلغ التحريف في إسلامنا الحنيف حدا لا يجـوز معـه مواصلة إغضاء الطرف عنه إذ بلغ السيل الزبى ، ولحق التحريف بملتنا إلى درجة يستحيل معها مشابهة دين السابقين بدين اللاحقين. ووقع هذا التحريف في دائرة المسكوت عنه إما جهلا، أو عمالة، أو من باب إيثار السلامة والحفاظ على السلام الاجتمـاعي. وهـان الإسلام على الجميع فقد كان أرخص الضحايا. والاستمرار في هذا التجاهل يعد خيانة عظمى لدين ا الذي نزعم الانتماء إليه، إلى حد أكاد أراه يصل إلى درجة الردة.

ومن المعلوم أن كل من له عقيدة يظن أنها عين الحـق. فعابـد البقرة على يقين من أنها الرب الذي يمنح البركة والحياة. والـوثني الذي يسجد لتمثال من حجر أو طين لا يشك فـي ألوهيـة وثنـه ويلتمس منه الرحمة والغفران، وأصحاب الديانات السماوية كـذلك يفعلون. والجميع ينافحون عما يعتقدون، ويبذلون في سـبيل ملـتهم المال والنفس. ومع أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل إلا أن أحدا لا يفكر في إعادة النظر فيما يعتقد وفيما ورثه عن آبائـه الأولين. وكل واحد من أصحاب هذه الملل يتساءل: ماذا لو أعـاد



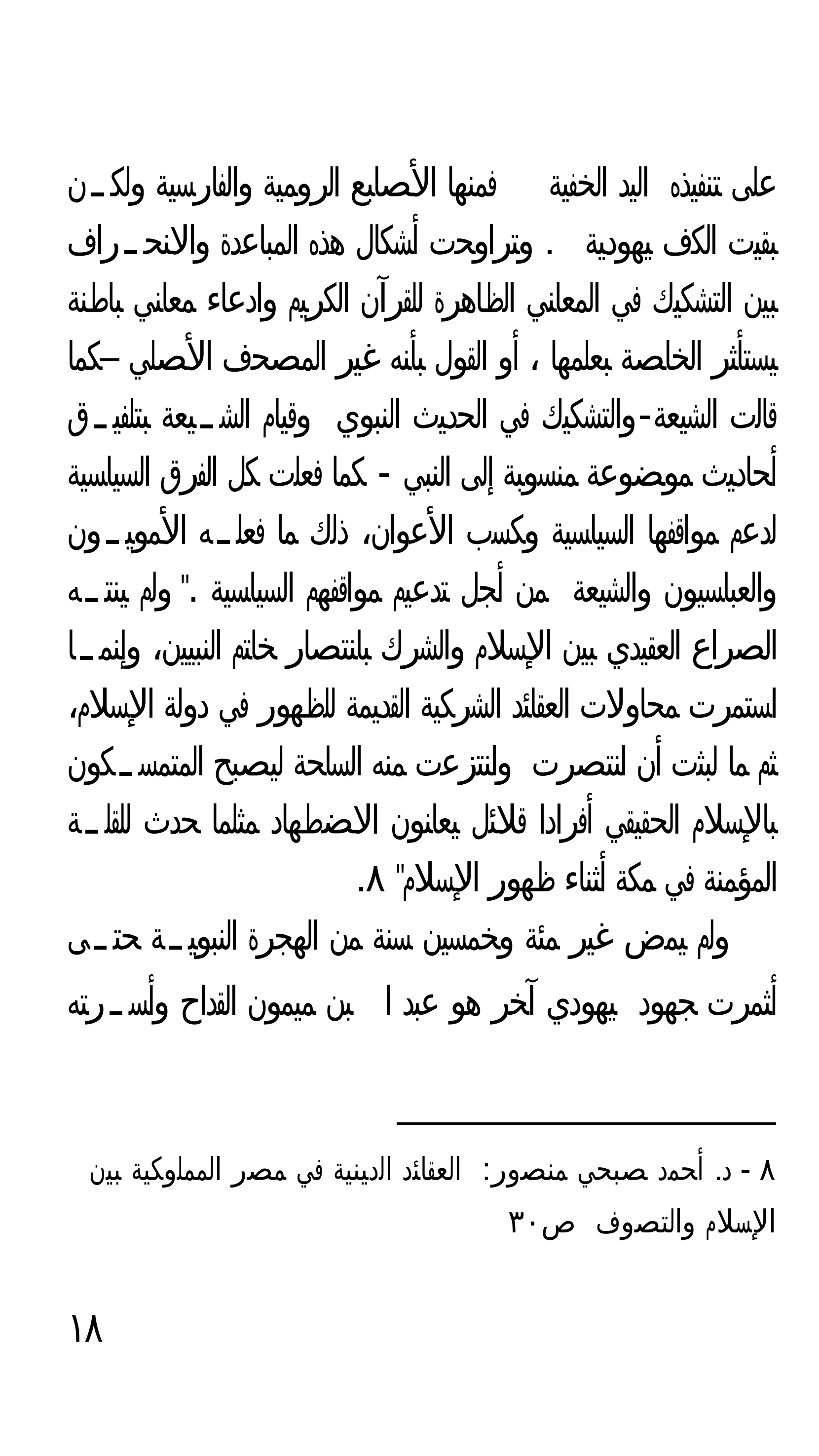
الناس النظر فيما يعتقدون؟ ألم يكن جديرا بهم الوقوف على الحـق وما لتبع؟ وشر ما يبتلى به المرء أن يرى الحق بـاطلا ويـرى الباطل حقا. ولنت أيها المسلم المعاصر ألم تسائل نفسك ما إذا كنت على صواب فيما تعتقد؟ دعني أجيبك: إن الإسلام الحنيف الـذي ارتضاه ا تعالى للإنسان المستخلف في الأرض ليس هو ما يدين به كثير ممن يظنون الآن أنهم مسلمون، إذ بدأ تحريـف الإسـلام وتخريبه منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري في الوقـت الذي كان فيه الدين لا يزال غضاً نقياً. ونعني بتحريـف الإسـلام لبتداع تغييرات شملت العقيدة والعبادات، وإدخال فيهما مـا لـيس منهما، وإخراج ما هو منهما ، ودس أفكار مستمدة مـن فلسـفات وتراث السابقين، وتحريف الأحاديث النبوية، والالتواء بتفسير القرآن الكريم بعدما تعذر مسه بالتحريف إذ تعهد ا بحفظه، والـزعم أن لآياته معاني باطنة يستأثر بعلمها الخاصة دون العامة، وهي معاني غايرت مقاصد الشريعة، بل وتقوض الملة من القواعد، فضلا عن تحريف غايات الكثير من الأمور والثوابت الأساسـية كالحريـات والعدل الاجتماعي والمساواة ، ثم مولصلة هذا التحريف وترسيخه بحيث يزداد البعد عن الإسلام الحنيف المقرر في القـرآن الكـريم والسنة النبوية. فبعد أن علت رايات التوحيد وتوثقت عرا الـدين ، ذلت أعناق ولنتقل من لنتقل من عز الصياصي إلى حز النولصي،

وثقلت على المبطلين وطأة الإسلام بعد أن قلّم منهم الأظفار، فكادوا له وناصبوه كل عداوة . وبدأت المكايدة باحتشاد أعداء هذا الدين الجديد ومناهضته في صورة ادعاءات للنبوة بدأت والنبي الكريم لا يزال حيا، فظهر الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب، وكلاهما من اليمن، وسجاح بنت الحارث، وطليحة الأسدي، وتكررت حوادث ظهور من يدعي النبوة من ذلك العصر مرورا بالعصر العباسي وحتى العصر الحديث ٦. ومثل تلك الدعاوى لا تلقى كبير مقاومة أو إنكار من الدهماء والعوام، فهم يسمعون لكل ناعق، ويتبعون كل مارق. فادعى النبوة في العصر العباسي " المقنع"، و أبو الخطاب الأسدي وغيرهما، وفي سنة ١٤١ هجرية حصلت فتنة الراوندية الذين قالوا بألوهية الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور فحاربهم حتى قتلهم عن آخرهم ، و في المغرب "في منطقة غمارة " سنة ٣١٣ هجرية ظهر مدع للنبوة اسمه "حاميم " وقام بتأليف قرآن . وبعد فشل الصدام العسكري مع المسلمين الأوائل، لم يكن هناك سوى التآمر الذكي بعيدا عن الصدام المباشر، فكان التدبير لتحريف هذا الدين وإفساد عقول أهله . وذلك عين ما أشار به القديس لويس التاسع عندما نصح بني جلدته بمهاجمة الحصن من الداخل، أي العمل على تقويض الإسلام نفسه

٦- مثل مدعي النبوة في طوائف البهائية والقاديانية

وبأيدي أهله، وكان لهم ما أرادوا وصح تدبيرهم. وفي مـا بعـد " أحلوا الجهود التبشيرية التي تستند إلى فهم عميق للعقيدة الإسـلامية واللغات الإسلامية محل المساعي العسكرية، مع استمرار اعتبـار محاربة الإسلام أمرا واجبا... وأدى نمو الإمبراطوريـة العثمانيـة على حساب البلقان المسيحي في نهاية القرن الرابـع عشـر إلـى التساؤل عن مدى فعالية المساعي التبشيرية وعما إذا كانت مفيـدة بشكلها المعتاد. وترجموا القرآن الكريم وراعوا تفادي الأخطاء التي حصلت في ترجمات سابقة لتغيير المعاني الأصلية بملاءمتها مـع المفاهيم اللاتينية ".٧ ونرى أن السعي إلى تدمير الإسلام بتحريفـه إنما كان أيضا ضمن حرب "الاسترداد" التي شنها الغرب فيما بعـد على المسلمين في زمان ضعفهم من أجل استرداد الأراضي التـي كانت للمسيحيين قبل استيلاء المسلمين عليها بالفتح كالأندلس وشمال أفريقيا وغيرهما. وأول من بذل هذه الجهود –أول المعـروفين- اليهودي عبد الله بن سبأ - من اليمن أيضا، الـذي قـال بتأليـه ورجعة سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه. ثـم تضـافرت وتواصلت بعد ذلك محاولات كل كارهي الإسلام وأعدائه من أبناء الأمم الأخرى التي تضررت من الإسلام ـ كاليهود والروم ـ أو دالت على أيدي المسلمين ـ كالفرس ـ وذلك بتدبير محكم قامت

٧- تراث الإسلام – تصنيف شاخت وبوزورث- الجزء الأول- بتصرف



على تنفيذه اليد الخفية فمنها الأصابع الرومية والفارسية ولكـن بقيت الكف يهودية . وتراوحت أشكال هذه المباعدة والانحـراف بين التشكيك في المعاني الظاهرة للقرآن الكريم وادعاء معاني باطنة يستأثر الخاصة بعلمها ، أو القول بأنه غير المصحف الأصلي –كما قالت الشيعة-والتشكيك في الحديث النبوي وقيام الشـيعة بتلفيـق أحاديث موضوعة منسوبة إلى النبي - كما فعلت كل الفرق السياسية لدعم مواقفها السياسية وكسب الأعوان، ذلك ما فعلـه الأمويـون والعباسيون والشيعة من أجل تدعيم مواقفهم السياسية ." ولم ينتـه الصراع العقيدي بين الإسلام والشرك بانتصار خاتم النبيين، وإنمـا استمرت محاولات العقائد الشركية القديمة للظهور في دولة الإسلام، ثم ما لبثت أن انتصرت وانتزعت منه الساحة ليصبح المتمسـكون بالإسلام الحقيقي أفرادا قلائل يعانون الاضطهاد مثلما حدث للقلـة المؤمنة في مكة أثناء ظهور الإسلام" ٨.

ولم يمض غير مئة وخمسين سنة من الهجرة النبويـة حتـى أثمرت جهود يهودي آخر هو عبد ا بن ميمون القداح وأسـرته

---

٨ - د. أحمد صبحي منصور: العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف ص٣٠

من بعده ، وتمكن من توطئة الأمر لعبيد ا المهدى اليهودي الذي زعم أنه من سلالة آل البيت النبوي، وتمكن من تأسـيس الدولـة الإسماعيلية التي تسمت باسم الدولة الفاطمية . واستولى الفـاطميون على المغرب العربي ثم مصر والشام وأرض الحرمين ، ثم حكموا وظلموا وقتلوا ونهبوا مستترين بالدين . وانشق من هـذا المـذهب الإسماعيلي فرقٌ شيعية أخرى كالقرامطـة: وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبـوة زرادشـت ومزدك ، وقد أباحوا شيوع النساء والمال، وهاجموا مكة ونبحـوا الحجاج وانتزعوا الحجر الأسود من الكعبة ولم يردوه إليها إلا بعـد افتدائه بالمال، وهم يزعمون انتسابهم إلى البيت النبوي.

ومن فرق الإسماعيلية الشيعة البهرة والأغاخانيـة الـذين أسقطوا الصوم والصلاة واستعاضوا عنهما بتراتيل يذكرون فيهـا أسماء ٤٨ إماما من أئمتهم الإسماعيلية. وكلها فرق تدعي لحكامهـا العصمة والألوهية. وفى القرن الثالث الهجري ظهر الصـوفيون الذين قالوا بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وزعمـوا لمشـايخهم قدرات إلهية كعلم الغيب والمشاركة في إدارة الكون والتلقي من ا ومقابلة النبي بشخصه.

وأباح الشيعة الاثنا عشرية الزنا - وأسـموه زواج المتعـة-

وأباحوا إعارة الفروج وإتيان الزوجة من الدبر. والتشيع والتصوف وجهان لعملة واحدة ويتشابهان في الوسـائل والغايـات تشـابها عجيبا،فما تجد ضلالة قال بها الشيعة إلا أخذ بها الصوفية، ومـا تجد سبيلا سلكه الشيعة إلا سلكه الصوفية. ويزعم الصوفيون أنهم يتحصلون على العلم اللدني من ا مباشرة دون درس أو تعلـم. يقول أبو الحسن الشاذلي الصوفي الشهير: "إننا ننظر إلى ا ببصر الإيمان، فأغنانا عن الدليل والبرهان، فبالحب تهبط المعرفـة فـي القلب بلا دليل ولا برهان "٩. وتقول الجارودية _ وهي من فرق الشيعة الزيدية - إن الأئمة من آل البيت يملكون العلم اللدني فطرة دون تعلم، ويزعمون أن علم ولد الحسن والحسين كعلـم النبـي، ويحصل لهم هذا العلم فطرة وضرورة، وهو متاح لصغيرهم وهو في المهد وإلى أكبرهم سنا، ولا يحتاج أحد منهم أن يتعلم من أحـد منهم ولا غيرهم، فالعلم ينبت في صدورهم كما ينبـت الـزرع المطر، "ومنهم من ذهب إلى أن عليا أعلم من رسول ا ، وجعلوا الأئمة بعده يرثون ذلك منه إلى يومنا هذا، وأن العلم يولد معـه لا يحتاج إلى تعليم".١٠ "ويروي" الكليني" كبير فقهاء الشيعة ومحدثهم

٩- د. عامر النجار -الطرق الصوفية في مصر –

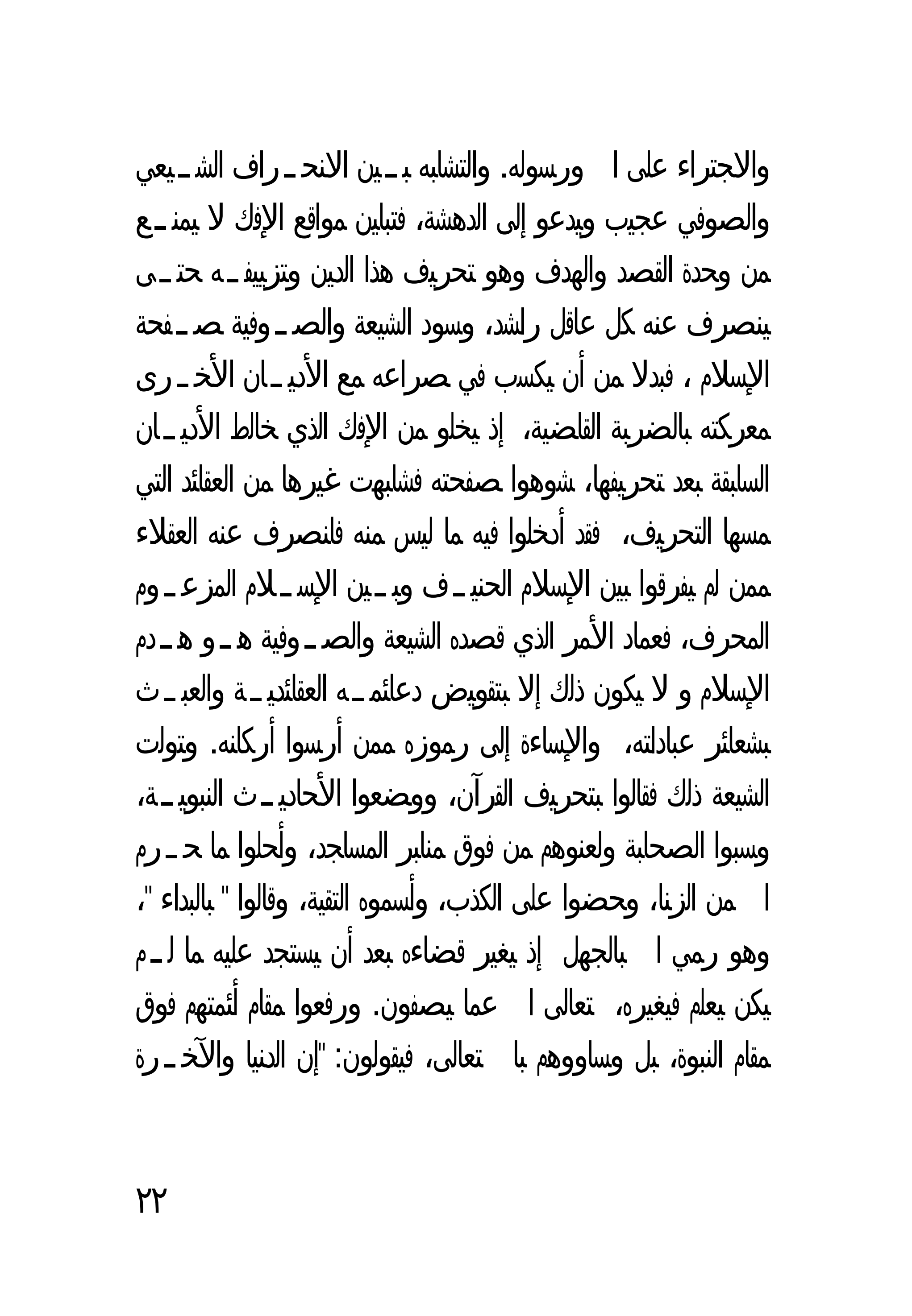
١٠- محمد عبد الرحيم الملطى : التنبيه ص ١٥١ ، نقلا عن الدكتور علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام

في صحيحه "الكافي ": أن الأئمة يعلمون متى يموتـون وأنهـم لا يموتون إلا باختيار منهم"١١. بل ويزعمون أن ا تعالى بنفسه - لا ملك الموت- هو من يقبض روح علي بن أبي طالب، وأن ا تعالى كتب على كل قائمة من العرش أن لا إلـه إلا ا محمـد رسول ا وعلى بن أبي طالب أمير المؤمنين١٢.

ولما كان يستدل على عقل الرجل بقوله، وعلى أصله بفعلـه، وجب على السائل عن الشيعة والصوفية أن يقرأ ما يكتبون، ويشهد ما يفعلون. ولا يستحيي الشيعة من زعم أن عقيدتهم لا تختلف مع ما جاء في القرآن والسنة ويستوون في ذلك مع ما يزعمه الصوفية دائما من أن الأخذ بالقرآن والسنة هو شرط الانخراط في طريقتهم. وبذا أصبح الإسلام بين شقي الرحى: بين فكي الإفك الشيعي من جهة والضلال الصوفي من جهة أخرى. وسرعان مـا تفتتـت التركيبة الدينية ولنحلت إلى تكوين فسيفسائي آخر مكون من مئات المذاهب والفرق والطوائف والملل والنحـل لا يجمـع بينهـا إلا الضلال الذي تراوح بين إبطال أداء الفـروض الدينيـة وإباحـة المحرمات، وبين القول بألوهية أئمة الشيعة وأقطـاب الصـوفية

١١- " الكافي في الأصول" ج١ ط إيران

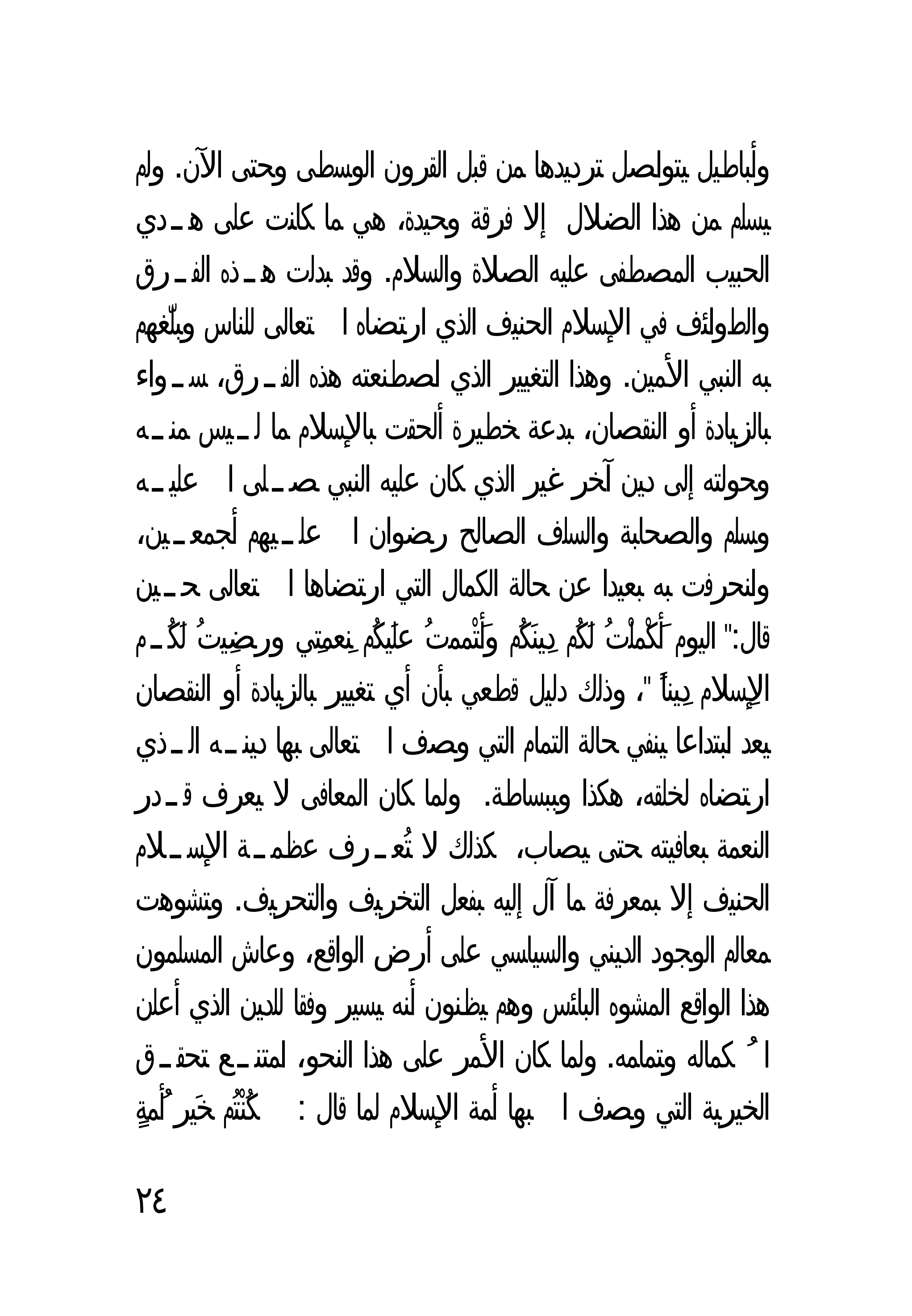
١٢- د. علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام-ج٢



والاجتراء على ا ورسوله. والتشابه بـين الانحـراف الشـيعي والصوفي عجيب ويدعو إلى الدهشة، فتباين مواقع الإفك لا يمنـع من وحدة القصد والهدف وهو تحريف هذا الدين وتزييفـه حتـى ينصرف عنه كل عاقل راشد، وسود الشيعة والصـوفية صـفحة الإسلام ، فبدلا من أن يكسب في صراعه مع الأديـان الأخـرى معركته بالضربة القاضية، إذ يخلو من الإفك الذي خالط الأديـان السابقة بعد تحريفها، شوهوا صفحته فشابهت غيرها من العقائد التي مسها التحريف، فقد أدخلوا فيه ما ليس منه فانصرف عنه العقلاء ممن لم يفرقوا بين الإسلام الحنيـف وبـين الإسـلام المزعـوم المحرف، فعماد الأمر الذي قصده الشيعة والصـوفية هـو هـدم الإسلام و لا يكون ذلك إلا بتقويض دعائمـه العقائديـة والعبـث بشعائر عبادلته، والإساءة إلى رموزه ممن أرسوا أركانه. وتولت الشيعة ذلك فقالوا بتحريف القرآن، ووضعوا الأحاديـث النبويـة، وسبوا الصحابة ولعنوهم من فوق منابر المساجد، وأحلوا ما حـرم ا من الزنا، وحضوا على الكذب، وأسموه التقية، وقالوا " بالبداء "، وهو رمي ا بالجهل إذ يغير قضاءه بعد أن يستجد عليه ما لـم يكن يعلم فيغيره، تعالى ا عما يصفون. ورفعوا مقام أئمتهم فوق مقام النبوة، بل وساووهم با تعالى، فيقولون: "إن الدنيا والآخـرة

للإمام يضعهما حيث يشاء ويدفعهما إلى من يشاء"[13]. وتولوا هـم والصوفية تقويض الملة على مستوى العقيدة والعبادات كما سنبين ذلك في موضع آخر من الكتاب. ويحـاول المضـلون تصـوير التصوف على أنه طور لاحق لمرحلة سابقة، فزعموا أنه تطـور طبيعي للزهد، والأمر على غير ذلك. فالزهـاد آثـروا الآخـرة وانصرفوا عن الدنيا ولم يعبثوا بالملة، وكانت حركة الزهد تعاصر التصوف دون الامتزاج به. وقيل إن التشيع بدأ في شكل الخلاف السياسي وانتهى إلى خلاف سياسي ديني إذ تشيع من تشيع حبا في آل البيت النبوي، حتى إن بعض الباحثين يرى أن التشيع بدأ في اجتماع السقيفة عقب وفاة النبي مباشرة. والحقيقة خلاف ذلـك لأن التشيع بدأ في الأصل ومنذ اللحظة الأولى بقصد تزييـف الملـة وتحريف الإسلام ومناهضته، وإنما كانت الواجهة السياسية مجرد وسيلة لا غاية، وقد يسر ذلك للشيعة الاستفادة مـن إنشـاء دول تناهض المسلمين والإسلام وتعود عليهم بالنفوذ والسلطة والمـال والدينار. والسواد الأعظم من المسلمين الآن إما شيعي أو صوفي، وإن لم يكن كذلك فهو من عامة المسلمين الذين يتولى جهلة الوعاظ وصبية المساجد تعليمهم وتوجيههم وطمس دينهم الحق بخرافـات

١٣- الكافي ٣٣٧/١ كتاب الحجة. باب أن الأرض كلها للإمام



ولأباطيل يتواصل ترديدها من قبل القرون الوسطى وحتى الآن. ولم يسلم من هذا الضلال إلا فرقة وحيدة، هي ما كانت على هـدي الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام. وقد بدلت هـذه الفـرق والطوائف في الإسلام الحنيف الذي ارتضاه ا تعالى للناس وبلّغهم به النبي الأمين. وهذا التغيير الذي اصطنعته هذه الفـرق، سـواء بالزيادة أو النقصان، بدعة خطيرة ألحقت بالإسلام ما لـيس منـه وحولته إلى دين آخر غير الذي كان عليه النبي صـلى ا عليـه وسلم والصحابة والسلف الصالح رضوان ا علـيهم أجمعـين، وانحرفت به بعيدا عن حالة الكمال التي ارتضاها ا تعالى حـين قال:" اليوم أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وأَتْممتُ عليكُم نِعمتِي ورضِيتُ لَكُـم الإِسلام دِيناً "، وذلك دليل قطعي بأن أي تغيير بالزيادة أو النقصان يعد ابتداعا ينفي حالة التمام التي وصف ا تعالى بها دينـه الـذي ارتضاه لخلقه، هكذا وببساطة. ولما كان المعافى لا يعرف قـدر النعمة بعافيته حتى يصاب، كذلك لا تُعـرف عظمـة الإسـلام الحنيف إلا بمعرفة ما آل إليه بفعل التخريف والتحريف. وتشوهت معالم الوجود الديني والسياسي على أرض الواقع، وعاش المسلمون هذا الواقع المشوه البائس وهم يظنون أنه يسير وفقا للدين الذي أعلن ا ُ كماله وتمامه. ولما كان الأمر على هذا النحو، امتنـع تحقـق الخيرية التي وصف ا بها أمة الإسلام لما قال : كُنْتُم خَير أُمةٍ

أُخْرِجتْ لِلناسِ تأْمرون بِالمعروفِ وتَنْهون عن المنْكرِ وتُؤْمِنُــون بِاللهِ ١٤، ولم تتحقق حيازة العلو الموعود وَأَنْتُم الأَعلَون إِن كُنْتُم مؤْمِنِين ١٥، ولم يتحقق ذلك النصر الذي وعدنا ا به لما قــال: إِن تَنْصروا الله ينْصركُم ويثَبت أَقْدامكُم ١٦، لأنها كلها جميعا كانت، ولا تزال، أمورا مشروطة لا تتحقق إلا باستيفاء الشــروط، ولم نعرف بعد أننا قد أخللنا بالشروط من جانبنا، فتعلقت الخيريــة والعلو والنصر إلى أجل غير مسمى، إلى أن نتعرف على سنن ا الفاعلة. ومنذ ذلك الحين مضت تلك العوامل الفاعلة تؤثر سلبياً في الكيان الإسلامي. وفى ظل الضعف الذي حاق بهذا الكيان بفعــل أعداء الإسلام سواء من أبنائه أو غيرهم والطــامعين فــي أرضه، تحولت دولة المسلمين إلى فسيفسائية جغرافية على شكل دول ودويلات وطوائف دينية دائمة التناحر والاقتتال . والمــدهش أن تلك العوامل التي مزقت العالم الإسلامي دينا ودنيا وفتتته على الصعيدين الديني والسياسي ، لا تزال إلى الآن هي الفاعلة والمؤثرة على نحو ما كانت عليه من أكثر من ألف سنة مضت. ويطــرح الغافلون - بغباوة تصل إلى حد البلاهة - سؤالهم الساذج: لماذا لا

١٤-آل عمران ١١٠

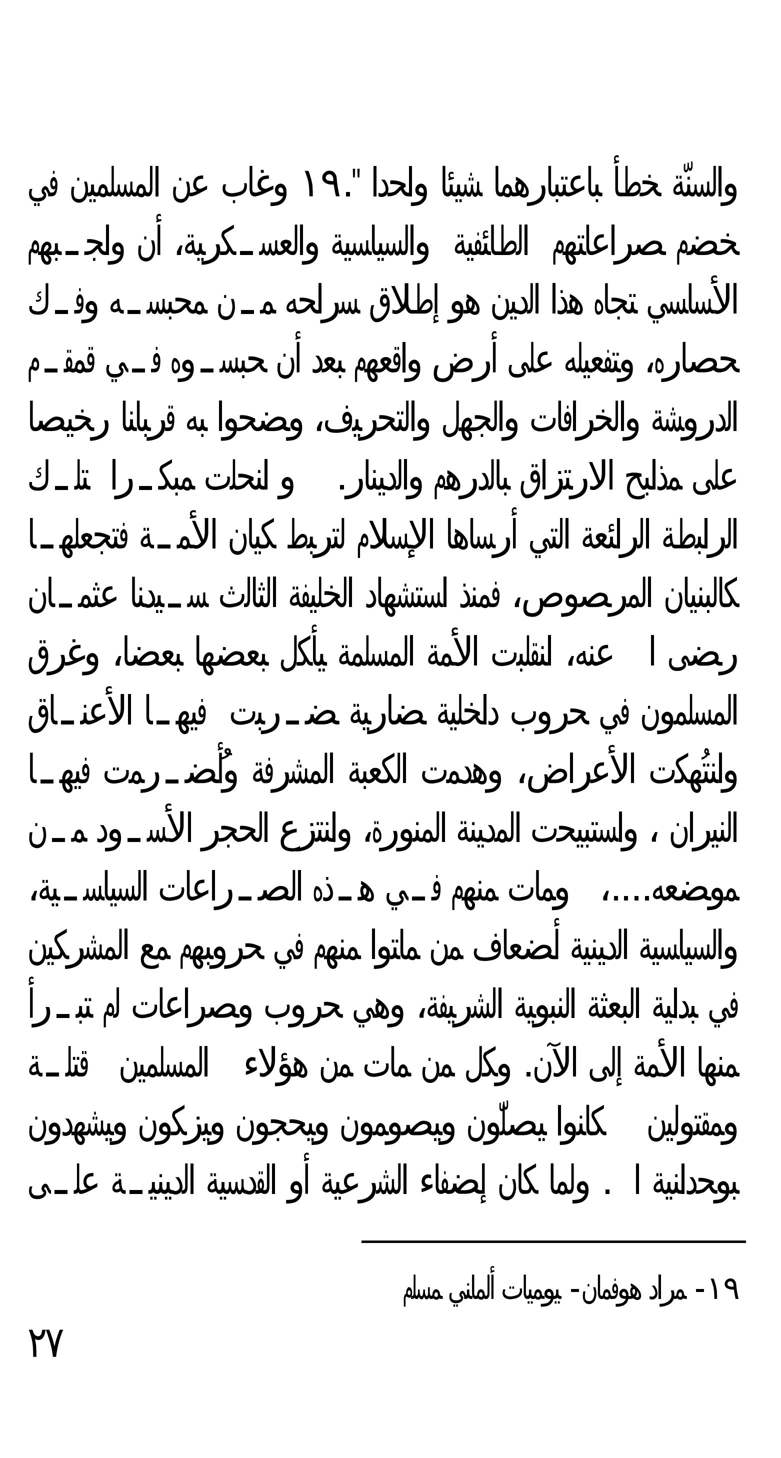
١٥- آل عمران١٣٩

١٦- محمد ٧

يتحقق وعد ا لنا بالنُصرة؟ فيرد مغفل آخر: السبب هـو عـدم معرفتنا حتى الآن كيف نحسن الوضوء، فما زلنا نجهل الطريقـة التي تعمل بها سنن ا في خلقه وكونه. ولكتفى المسلمون من هذا الدين الرائع بالجانب الشعائري، إذ اقتصر حظهم منه على ممارسة الشعائر فقط، وتلاوة الأذكار والأوراد والرقص في حلقات الـذكر والتردد على الأضرحة والموالد، والتوسل بالمقبورين والأولياء كما يفعل الصوفيون، أو ضرب الظهور بالجنـازير والسـيوف فـي لحتفالات عاشوراء في كربلاء مثلما يفعل الشيعة. لذا لم يكن من الغريب أن يتحدث الأدب الشعبي الغربي في القرون الوسطى عن وثنية الإسلام، ويرون " أن الإسلام مليء بالاتجاهات الغنوصـية والمانوية الوثنية التي نشأت في العالم الشرقي، ويفسرون ذلك بأن المسلمين لم تتح لهم رسالة المسيح " ١٧. والنظر إلـى الإسـلام على أنه ما يمارسه الصوفية والشيعة يسيء إليه أيما إساءة. يقول مراد هوفمان ١٨:" يصعب تجاهل حقيقة أن النظرة الغربية لمـا يحدث حاليا في جمهورية إيران الإسلامية تحد كثيرا من فـرص لنتشار الإسلام في الغرب –على الأقل طالما نظر إلـى الشـيعة

١٧- تراث الإسلام – تصنيف شاخت وبوزورث- الجزء الأول

١٨- سفير ألمانيا في المغرب ، اعتنق الإسلام



والسنّة خطأ باعتبارهما شيئا ولحدا ".١٩ وغاب عن المسلمين في
خضم صراعاتهم الطائفية والسياسية والعسـكرية، أن ولجـبهم
الأساسي تجاه هذا الدين هو إطلاق سرلحه مـن محبسـه وفـك
حصاره، وتفعيله على أرض واقعهم بعد أن حبسـوه فـي قمقـم
الدروشة والخرافات والجهل والتحريف، وضحوا به قربانا رخيصا
على مذلبح الارتزاق بالدرهم والدينار. و لنحلت مبكـرا تلـك
الرلبطة الرلئعة التي أرساها الإسلام لتربط كيان الأمـة فتجعلهـا
كالبنيان المرصوص، فمنذ لستشهاد الخليفة الثالث سـيدنا عثمـان
رضى ا عنه، لنقلبت الأمة المسلمة يأكل بعضها بعضا، وغرق
المسلمون في حروب دلخلية ضارية ضـربت فيهـا الأعنـاق
ولنتُهكت الأعراض، وهدمت الكعبة المشرفة وأُضـرمت فيهـا
النيران ، ولستبيحت المدينة المنورة، ولنتزع الحجر الأسـود مـن
موضعه....، ومات منهم فـي هـذه الصـراعات السياسـية،
والسياسية الدينية أضعاف من ماتوا منهم في حروبهم مع المشركين
في بدلية البعثة النبوية الشريفة، وهي حروب وصراعات لم تبـرأ
منها الأمة إلى الآن. وكل من مات من هؤلاء المسلمين قتلـة
ومقتولين كانوا يصلّون ويصومون ويحجون ويزكون ويشهدون
بوحدلنية ا . ولما كان إضفاء الشرعية أو القدسية الدينيـة علـى

١٩- مراد هوفمان- يوميات ألماني مسلم

المواقف والآراء والصراعات هي الآلية الفاعلة في وقت كانت فيه المشاعر الدينية لاتزال متأججة في نفوس المسلمين، لـذا كانـت الفكرة الدينية هي أساس كل دعوة جديدة تظهر في العالم الإسلامي بقصد لنتزاع السلطة السياسية وتحقيق غايات بعيدة كل البعد عـن الدين والعقيدة، وإنما كانت الأهداف هي الارتزاق باسـم الـدين و النصب باسم العقيدة.

أما الشيعة فانحرفوا عن الإسلام وشوهوا العقيدة، ولتخذوا زعم محبة آل البيت ذريعة لمعاداة الدين وتقويضه، وإدخال وثنية جديـدة في الإسلام، فأقحموا عليه كثيرا مـن عقائـد اليهـود و الفـرس والزرادشتية ، وخاضوا في بدع عقائدية، منها تأليه علي بـن أبـي طالب والأئمة الشيعة، وإسباغ العصمة عليهم والقـول بالوصـاية والرجعة والبداء والتقية وكلها معتقدات ذات أصول يهودية. والشيعة الجعفرية يرون أن "الجهاد مع غير الإمام المنتظر حرام، مثل حرمة الميتة والخنزير،ولا شهيد إلا الشيعة، والشيعي شهيد ولو مات على فراشه حتف أنفه، والذين يقاتلون في سبيل ا من غير الشيعة فالويل

يتعجلون"[٢٠]. ومن فرقهم: فرقة الإسماعيلية:ومنهـا "الحشاشـون" والقرامطة، والفاطميون والبهرة والأغاخانية . والبابكية نسبة إلى بابك الجرمي الذي ظهر في أيام المعتصم، و بقي منهم جماعة يقال إنهم يجتمعون في كل سنة ليلة هم ونساؤهم ثم يطفئون المصـباح وينتهبون النساء فمن وقعت في يده لمرأة حلت له ويقولـون هـذا لصطياد مباح . كما يبيح الشيعة الاثنا عشرية الزنا في صورة زواج المتعة . والسبئية - ورلسها عبد ا بن سبأ - يقولون بألوهية علي بن لبي طالب ورجعته. وقالوا بتناسخ الأرواح وإبطـال البعـث والحساب. ومن السبئية فرقة الكيسانية التي تعتقد في إمامة محمد بن علي بن لبي طالب المعروف بمحمد بن الحنفية، و بأنه لـم يمـت ويعيش في جبل رضوى بالحجاز، وعنده عين من اللبن وعين من العسل حيث تؤنسه الملائكة ويحرسه لسدان ونمران. كما يقـول أتباع محمد النفس الزكية بأنه لم يقتل وأنه مقيم بجبل "حاجر" مـن ناحية نجد وسيرجع . "ولنتقلت عقائد طائفة الكريبـة إلـى المدينـة المنورة مركز دولة الإسلام الأولى، وقام بأمر هذه الطائفة حمـزة

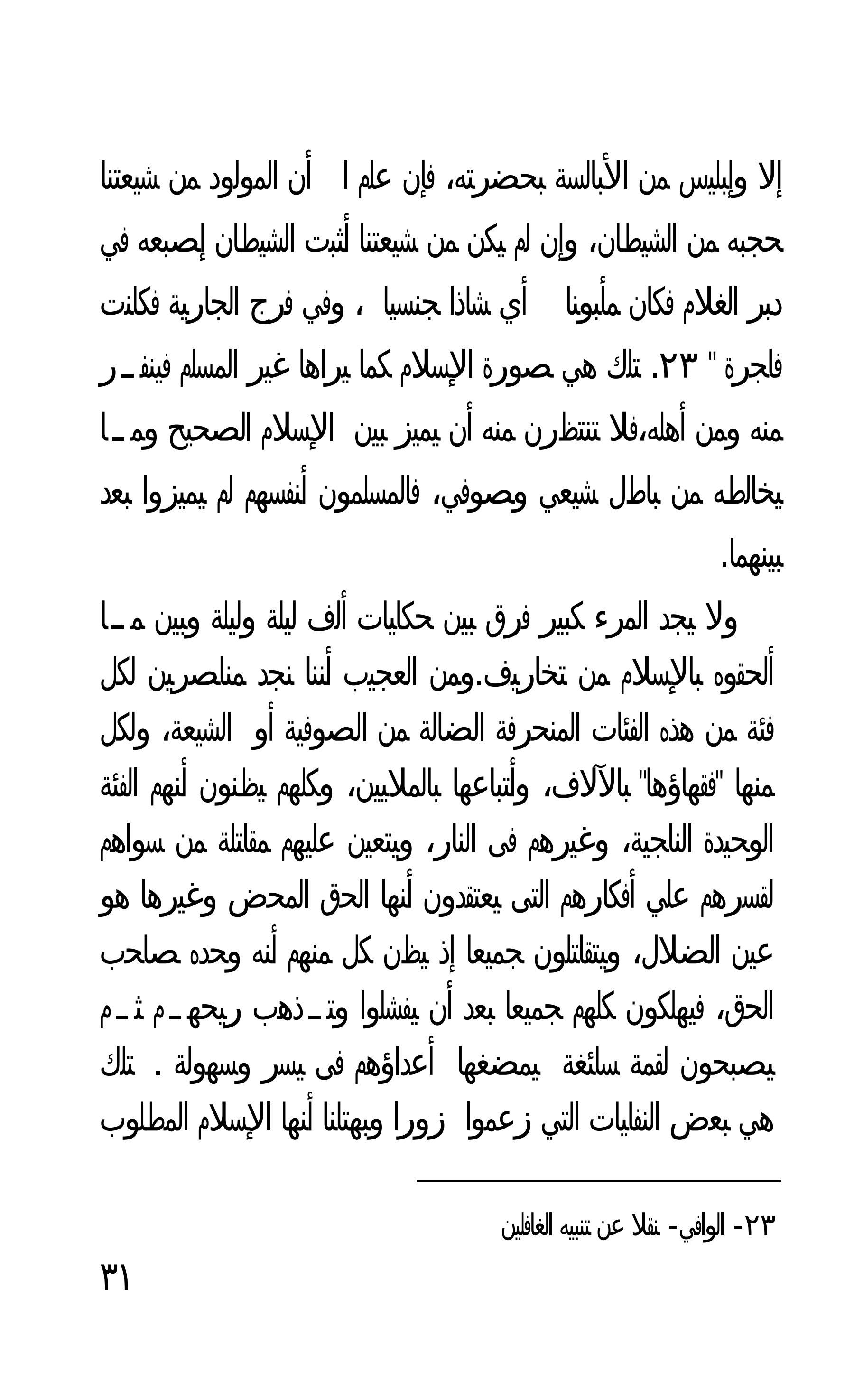
٢٠- الوافي نقلا عن تبديد الظلام وتنبيه النيام- إبراهيم السليمان الجبهان

البربري الذي ادعى النبـوة ونسـخ بعـض أحكـام الشـريعة الإسلامية،فتزوج لبنته، ولحل جميع المحارم، وقد تبعه بعض أهـل المدينة والكوفة"٢١. كما قال بالرجعة طائفة الحربية أتبـاع لبـن حرب الكندي وهو من قال بأن الأئمة أربعة أسباط، رابعهـم لبـن الحنفية الذي "يركب السحاب، وينفخ المد، ويسد باب الروم، ويبلـغ الأرض السابعة"٢٢. ومن فرقهم الخرمدينية التي ألّهت الأئمـة، والهاشمية التي ألّهت بعض الصعاليك، والناووسية التـي قالـت إن جعفر الصادق لم يمت. وتظن فرقة المنصورية أن عليا يعيش في السحاب وإذا ظللتهم سحابة نظروا إليها قائلين: السلام عليـك أبـا الحسن. والاتحادية هم أتباع لبن عربي كبير الصـوفية وإمـامهم الأكبر، ويعظمون فرعون ويدعون أنه مات مؤمنا وأن إغراقه كان بمنزلة غسل الكافر إذا أسلم، ويقولون ليس في القرآن ما يدل علـى كفره . ونسب الشيعة إلي جعفر الصادق قوله:" ما من مولود يولد

---

١ - النوبختي- فرق الشيعة ص٢٨- نقلا عن الدكتور علي سامي النشار- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،الجزء الثاني ص٨٥

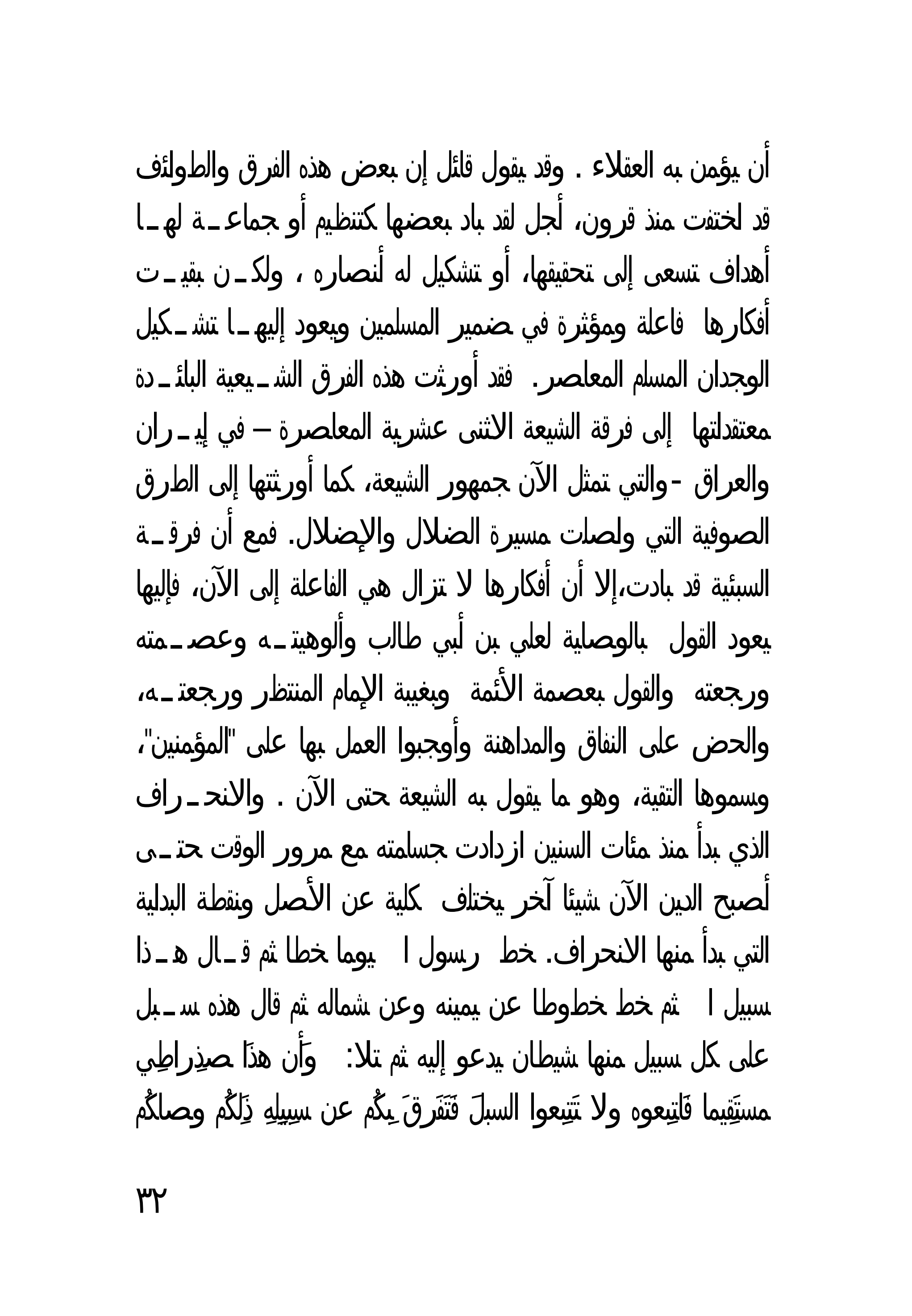
٢٢- الدكتور على سامي النشار- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام- ج٢ ص٧٩



إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم ا أن المولود من شيعتنا حجبه من الشيطان، وإن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه في دبر الغلام فكان مأبونا أي شاذا جنسيا ، وفي فرج الجارية فكانت فاجرة " ٢٣. تلك هي صورة الإسلام كما يراها غير المسلم فينفـر منه ومن أهله،فلا تنتظرن منه أن يميز بين الإسلام الصحيح ومـا يخالطه من باطل شيعي وصوفي، فالمسلمون أنفسهم لم يميزوا بعد بينهما.

ولا يجد المرء كبير فرق بين حكايات ألف ليلة وليلة وبين مـا ألحقوه بالإسلام من تخاريف.ومن العجيب أننا نجد مناصرين لكل فئة من هذه الفئات المنحرفة الضالة من الصوفية أو الشيعة، ولكل منها "فقهاؤها" بالآلاف، وأتباعها بالملايين، وكلهم يظنون أنهم الفئة الوحيدة الناجية، وغيرهم فى النار، ويتعين عليهم مقاتلة من سواهم لقسرهم علي أفكارهم التى يعتقدون أنها الحق المحض وغيرها هو عين الضلال، ويتقاتلون جميعا إذ يظن كل منهم أنه وحده صاحب الحق، فيهلكون كلهم جميعا بعد أن يفشلوا وتـذهب ريحهـم ثـم يصبحون لقمة سائغة يمضغها أعداؤهم فى يسر وسهولة . تلك هي بعض النفايات التي زعموا زورا وبهتانا أنها الإسلام المطلوب

٢٣- الوافي- نقلا عن تنبيه الغافلين

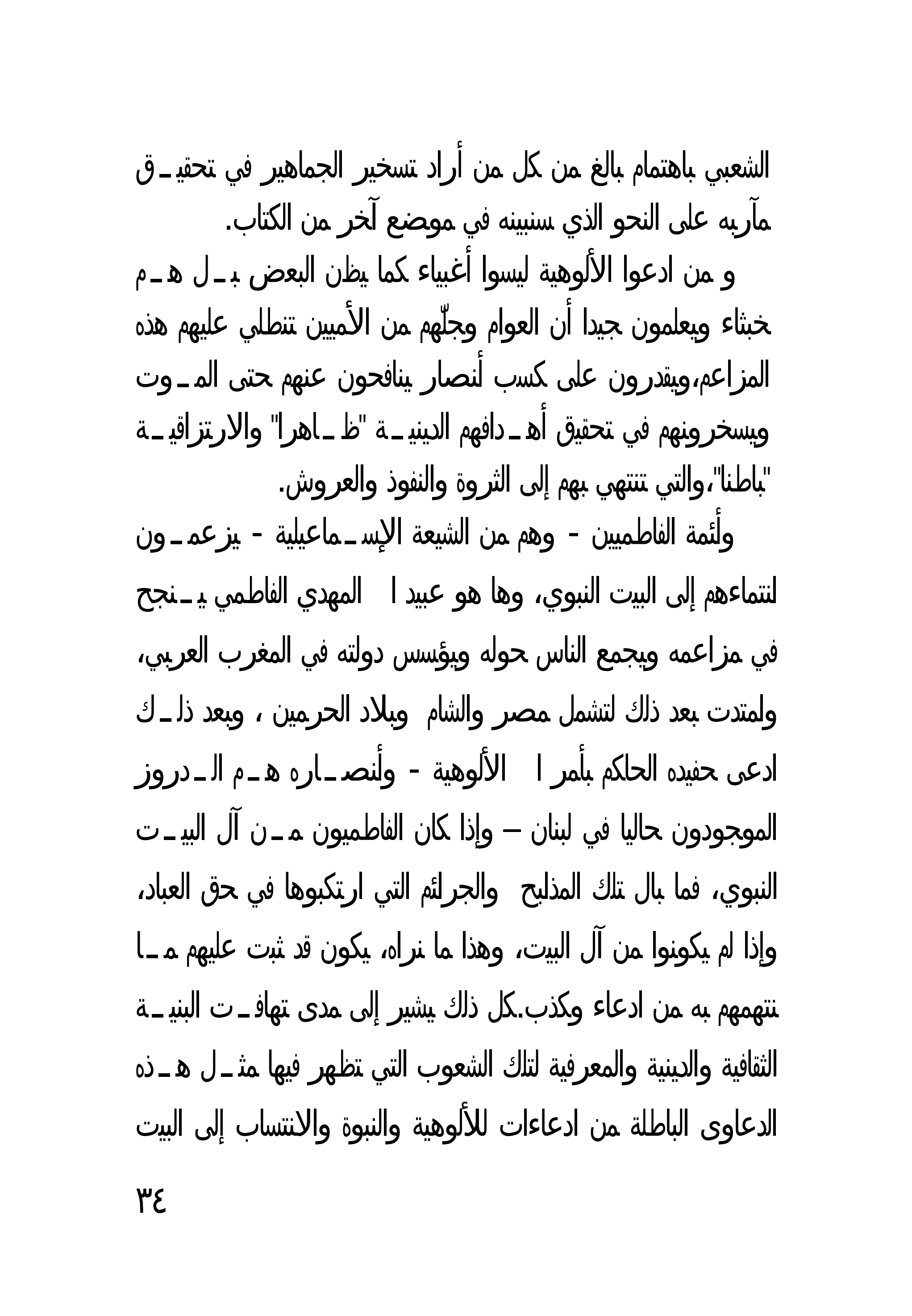

أن يؤمن به العقلاء . وقد يقول قائل إن بعض هذه الفرق والطوائف قد اختفت منذ قرون، أجل لقد باد بعضها كتنظيم أو جماعـة لهـا أهداف تسعى إلى تحقيقها، أو تشكيل له أنصاره ، ولكـن بقيـت أفكارها فاعلة ومؤثرة في ضمير المسلمين ويعود إليهـا تشـكيل الوجدان المسلم المعاصر. فقد أورثت هذه الفرق الشـيعية البائـدة معتقداتها إلى فرقة الشيعة الاثنى عشرية المعاصرة – في إيـران والعراق -والتي تمثل الآن جمهور الشيعة، كما أورثتها إلى الطرق الصوفية التي واصلت مسيرة الضلال والإضلال. فمع أن فرقـة السبئية قد بادت،إلا أن أفكارها لا تزال هي الفاعلة إلى الآن، فإليها يعود القول بالوصاية لعلي بن أبي طالب وألوهيتـه وعصـمته ورجعته والقول بعصمة الأئمة وبغيبة الإمام المنتظر ورجعتـه، والحض على النفاق والمداهنة وأوجبوا العمل بها على "المؤمنين"، وسموها التقية، وهو ما يقول به الشيعة حتى الآن . والانحـراف الذي بدأ منذ مئات السنين ازدادت جسامته مع مرور الوقت حتـى أصبح الدين الآن شيئا آخر يختلف كلية عن الأصل ونقطة البداية التي بدأ منها الانحراف. خط رسول ا يوما خطا ثم قـال هـذا سبيل ا ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سـبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا: وَأن هذَا صِرَاطِي مستَقِيما فَاتبِعوه ولا تَتبِعوا السبلَ فَتَفَرقَ بِكُم عن سبِيلِهِ ذَلِكُم وصاكُم

بِهِ لَعلكُم تَتقُون ٢٤. كما قال صلوات ا وسلامه عليـه:" يـذاد رجال عن حوضي يوم القيامة فأقول يا رب أصحابي أصـحابي فيقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فـأقول كمـا قـال العبـد الصالح وكُنْتُ عليهم شهيدا ما دمتُ فِيهم فلما توفيتَنِي كُنْتَ أَنْـتَ الرقِيب عليهم وَأَنْتَ على كُل شَيءٍ شَهيد ٢٥.

ودائما تجد لكل رأي أنصاره مهما غلا وبدا غريبـا ومغـايرا للمنطق، إذ يعتمد الأمر على مدى يقظة العقول المسـتقبِلة لهـذه الآراء، ودرجة خضوعها أو تحررها من أوهام القدلسة والتقديس، كما يعتمد على رغبة أصحاب هذه العقول في الأخذ بهذه الآراء إذا ما سايرت أهواءهم وأدخلت مصالحهم في دائرة الارتزاق باسـم الدين. فنجد مثلا من يصدق مدعي الألوهية والنبوة والقول بالحلول والاتحاد والتناسخ وعصمة الأئمة، والعمل بالتقية، والقول بالبـداء، وبغيبة الإمام المنتظر ورجعته. وفي ضوء ذلك يمكن فهم الكثيـر حول ظروف نشأة الدول الشيعية في تاريخنا الإسـلامي كدولـة القرامطة والدولة الفاطمية والدولة الصفوية، بل وفهم الكثير مـن آليات صنع هذا التاريخ. ولا تكتسب هذه الآراء الفعالية والتأثير إلا بعد دسها بمهارة في الضمير والعقل الشعبي، ولذا حظي هذا العقل

٢٤- الأنعام ١٥٣

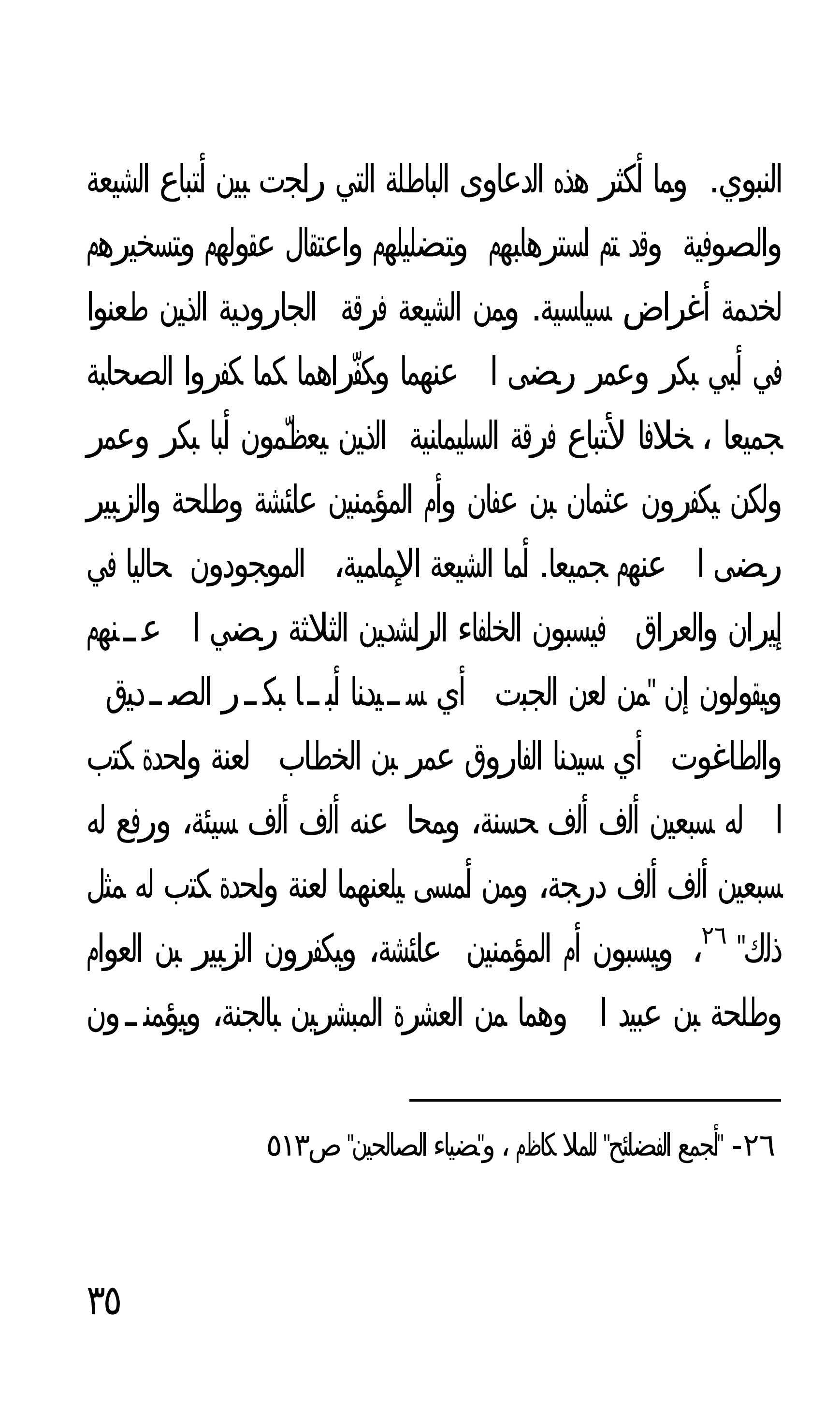
٢٥- المائدة ١١٧



الشعبي باهتمام بالغ من كل من أراد تسخير الجماهير في تحقيـق مآربه على النحو الذي سنبينه في موضع آخر من الكتاب.

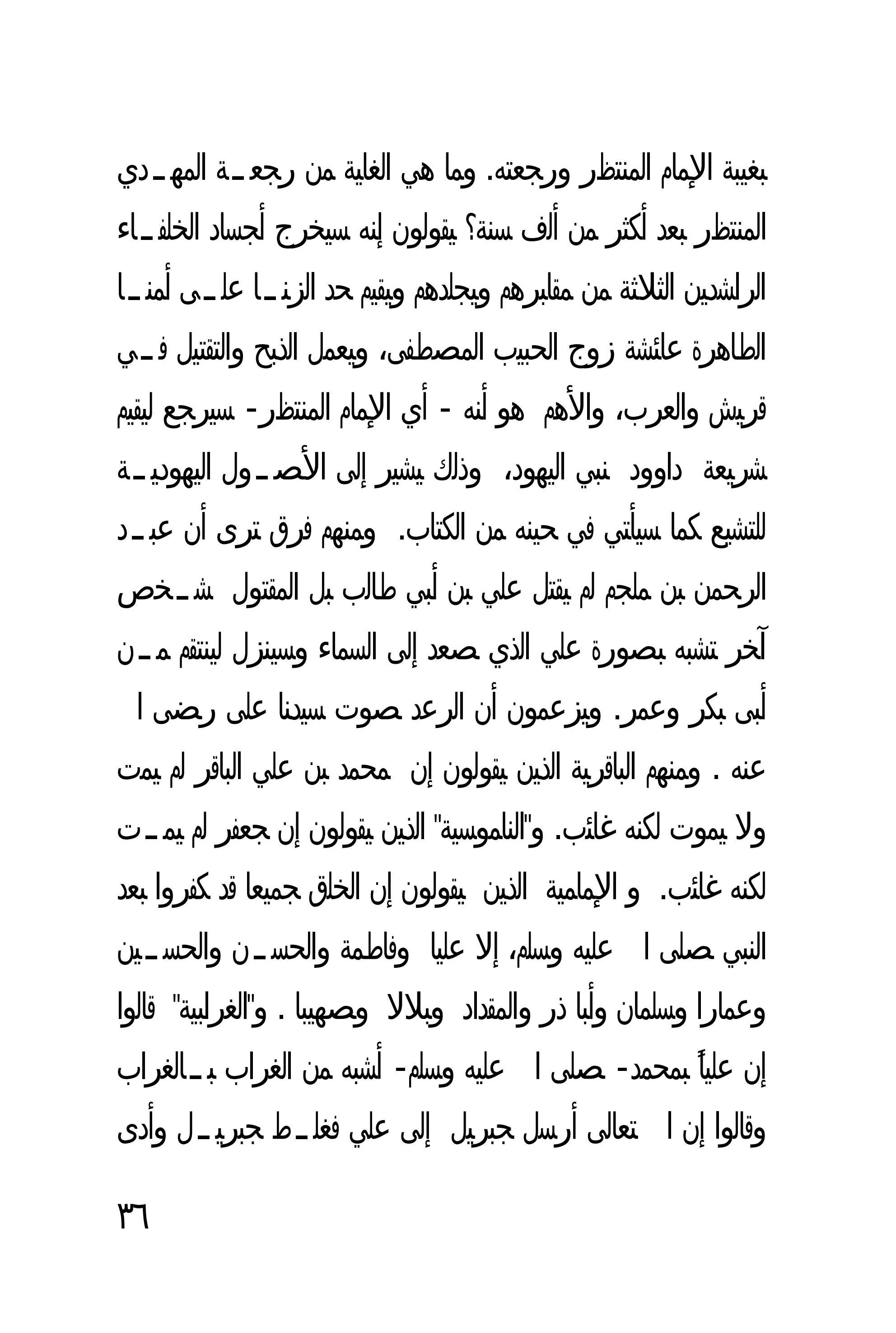
و من ادعوا الألوهية ليسوا أغبياء كما يظن البعض بـل هـم خبثاء ويعلمون جيدا أن العوام وجلّهم من الأميين تنطلي عليهم هذه المزاعم،ويقدرون على كسب أنصار ينافحون عنهم حتى المـوت ويسخرونهم في تحقيق أهـدافهم الدينيـة "ظـاهرا" والارتزاقيـة "باطنا"،والتي تنتهي بهم إلى الثروة والنفوذ والعروش.

ولأئمة الفاطميين - وهم من الشيعة الإسـماعيلية - يزعمـون لنتماءهم إلى البيت النبوي، وها هو عبيد ا المهدي الفاطمي يـنجح في مزاعمه ويجمع الناس حوله ويؤسس دولته في المغرب العربي، ولمتدت بعد ذلك لتشمل مصر والشام وبلاد الحرمين ، وبعد ذلـك ادعى حفيده الحاكم بأمر ا الألوهية - ولأنصـاره هـم الـدروز الموجودون حاليا في لبنان – وإذا كان الفاطميون مـن آل البيـت النبوي، فما بال تلك المذابح والجرائم التي ارتكبوها في حق العباد، وإذا لم يكونوا من آل البيت، وهذا ما نراه، يكون قد ثبت عليهم مـا نتهمهم به من ادعاء وكذب.كل ذلك يشير إلى مدى تهافـت البنيـة الثقافية والدينية والمعرفية لتلك الشعوب التي تظهر فيها مثـل هـذه الدعاوى الباطلة من ادعاءات للألوهية والنبوة والانتساب إلى البيت



النبوي. وما أكثر هذه الدعاوى الباطلة التي راجت بين أتباع الشيعة والصوفية وقد تم استرهابهم وتضليلهم واعتقال عقولهم وتسخيرهم لخدمة أغراض سياسية. ومن الشيعة فرقة الجارودية الذين طعنوا في أبي بكر وعمر رضى ا عنهما وكفّراهما كما كفروا الصحابة جميعا ، خلافا لأتباع فرقة السليمانية الذين يعظّمون أبا بكر وعمر ولكن يكفرون عثمان بن عفان وأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضى ا عنهم جميعا. أما الشيعة الإمامية، الموجودون حاليا في إيران والعراق فيسبون الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي ا عـنهم ويقولون إن "من لعن الجبت أي سـيدنا أبـا بكـر الصـديق والطاغوت أي سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب لعنة واحدة كتب ا له سبعين ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك" [٢٦]، ويسبون أم المؤمنين عائشة، ويكفرون الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد ا وهما من العشرة المبشرين بالجنة، ويؤمنـون

٢٦- "أجمع الفضائح" للملا كاظم ، و"ضياء الصالحين" ص٥١٣



بغيبة الإمام المنتظر ورجعته. وما هي الغاية من رجعـة المهـدي المنتظر بعد أكثر من ألف سنة؟ يقولون إنه سيخرج أجساد الخلفـاء الراشدين الثلاثة من مقابرهم ويجلدهم ويقيم حد الزنـا علـى أمنـا الطاهرة عائشة زوج الحبيب المصطفى، ويعمل الذبح والتقتيل فـي قريش والعرب، والأهم هو أنه - أي الإمام المنتظر- سيرجع ليقيم شريعة داوود نبي اليهود، وذلك يشير إلى الأصـول اليهوديـة للتشيع كما سيأتي في حينه من الكتاب. ومنهم فرق ترى أن عبـد الرحمن بن ملجم لم يقتل علي بن أبي طالب بل المقتول شـخص آخر تشبه بصورة علي الذي صعد إلى السماء وسينزل لينتقم مـن أبى بكر وعمر. ويزعمون أن الرعد صوت سيدنا على رضى ا عنه . ومنهم الباقرية الذين يقولون إن محمد بن علي الباقر لم يمت ولا يموت لكنه غائب. و"الناموسية" الذين يقولون إن جعفر لم يمـت لكنه غائب. و الإمامية الذين يقولون إن الخلق جميعا قد كفروا بعد النبي صلى ا عليه وسلم، إلا عليا وفاطمة والحسـن والحسـين وعمارا وسلمان وأبا ذر والمقداد وبلالا وصهيبا . و"الغرابية" قالوا إن علياً بمحمد- صلى ا عليه وسلم- أشبه من الغراب بـالغراب وقالوا إن ا تعالى أرسل جبريل إلى علي فغلـط جبريـل وأدى

الرسالة إلى محمد لتأكد المشابهة بين علي ومحمد عليـه الصـلاة والسلام، ويزعمون أن جبريل أزاغ الرسالة عن علي إلى محمـد عمدا لا سهوا وهؤلاء يسيئون القول في جبريل عليـه السـلام . وهؤلاء الأفاكون لم يحسنوا الكذب ولم يتحروا الدقة فيه، فـالعقول آنذاك كانت تقبل أي ضلال، فعلي بن أبي طالب وقت البعثة النبوية كان في التاسعة من عمره، أي لم يبلغ سن الرشد فضلا عن سـن التكليف. والكاملية يزعمون أن الصحابة كلهم كفروا لما فوضـوا الخلافة إلى أبي بكر بل وكفّروا علياً أيضا حيث لم يحـارب أبـا بكر.

سفه عقلي وشذوذ لختلقوه لختلاقا وزعموه من الدين ودسوه في عقول وضمائر العامة الذين اعتنقوه ونافحوا عنه ظنا منهم أنه دين ا . تلك كانت عقائد من لستنصروا ا ظنا منهم أنهـم مسـلمون، وطلبوا العزة والغلبة التي وعد ا بها عباده،وفاتهم أن بينهم و بـين الإسلام ما بين المشرق والمغرب، إذ حرفوا دينهم عمدا أو جهـلا على النحو الذي رلينا، وا لا ينصر القوم الكـافرين. وللمـرء أن يعجب من تقبل الناس- أو بعضهم- لمثل هذه الخرافات والأباطيل وهم قريبو عهد من العصر النبوي.

أما الخوارج، وهم من خرجوا على علي بن أبي طالب وكانوا يحاربون إلى جانبه أولا ثم انقلبوا عليه بعـد أن قبـل التحكـيم ، فمتفقون على أن العبد يصير كافرا بالذنب وهم يكفـرون عثمـان وعليا وطلحة والزبير وعائشة، ويعظمون أبا بكر وعمر. ومـنهم فرقة المحكمية الذين كفروا عليا ومعاوية، وفرقة الأزارقة ومن مذهبهم جواز قتل من خالفهم، والنجدات يرون وجوب قتل مـن خالفهم. ومنهم البيهية ومذهبهم أن من لا يعرف ا تعالى وأسـماءه وتفاصيل الشريعة فهو كافر. وفرقة العجاردة وعندهم أن سـورة يوسف ليست من القرآن لأنها في شرح العشق والعاشق والمعشوق ويرون أن مثل هذا لا يجوز أن يكون كلام ا تعـالى. وفرقـة الميمونية الذين يجوزون نكاح بناتهم. وفرقة الحمزية الذين يقطعون بأن أطفال الكفار في النار. وفرقة الأخنسية وهم يتبرؤون من كـل من لا يوافقهم. أما المعلومية فيقولون من لم يعرف ا تعالى بسائر أسمائه فهو كافر.

فرق وطوائف وملل كثيرة، وما أسهل أن تنكر الفئات الضـالة ضلالها بأن تزيح غلوها إلى ثلة منها تصفها بالغلو، فيتحمل البعض جريرة الكل للإيهام بأنهم مجرد فرع فاسد لأصل سليم، وذلك مـا

يقول به غلاة الشيعة والصوفية دائما، إذ يتبرؤون مـن أبـاطيلهم وينسبونها إلى غيرهم.

ترى لو بعث الآن أحد من الصحابة الأطهار فهل سـيتعرف على الإسلام الحنيف بين هذا الركام من التحريف والتخريف؟

ومن غايات ذلك التشرذم الطائفي الديني - وهو من تدبير يـد خفية - التشويش على الملة الحنيفة، وصد الناس عنها، والحيلولـة دون قيام كيان إسلامي موحد ودولة قوية يعيش الإسلام بها وتعيش بالإسلام وتقف بالمرصاد لأعداء الأمة الإسلامية على الأصـعدة الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية. ومـن أجـل ترسـيخ الإدراك الطائفي على حساب الرؤية الشـاملة الموحـدة للعـالم الإسلامي، حرص كل من كانت مقادير أمتنا الإسلامية بيـده فـي أزمنة الضعف والهوان، على الاقتصار علـى تـدريس التـاريخ القومي القطري فقط، وتجاهل التاريخ الإسلامي الشامل لكل الأمـة الإسلامية في كل أقطارها العربية وغير العربية. فيدرس المصري تاريخ بلده وحسب، وكذلك السوري والمغربي .. وهكـذا ، ولا يعلمون شيئا عن سائر مسـلمي العـالم فـي الهنـد والصـين والجمهوريات السوفييتية السابقة وغير ذلك، لذا ينشأ المسلم علـى

إدراك مفتت لا يجمع في ضميره الإقليمي صـورة شـاملة للإسلام . وليس التاريخ وحده هو المسكوت عنه، وإنمـا العقائـد والملل والنحل السائدة في عالمنا الإسلامي، فلا يعلم أحد غير عقيدته والذي يظن أنها هي الحق وعين الحق. فلا يعلم الضال أنه ضـال، لأن وعيه مغيب، ومضروب على عقله حصار محكم بفعل الجهل والأمية اليزيدية يحرمون تعلم القراءة والكتابة ، أو محاصـرون جغرافيا مثل النصيرية الذين يعيشون في عزلة في جبال وعـرة . وكل الطوائف والملل التي مرقت من الإسلام وتزعم انتسـابها إليه ، تلحق به الضرر الشديد إذ تتحدث باسمه ويحسب الجـاهلون باطلها على أنه من الإسلام. وهذه الفرق والملل والنحل المحسـوبة ظلما أنها من الإسلام، هي أعوان وعملاء اليد الخفية أمس واليوم. والعوام والأتباع لهذه الطوائف جهلة حبسـهم المبطلـون داخـل معتقدات قديمة وضربوا عليهم السرية والكتمان. ومن تلك الفرق:

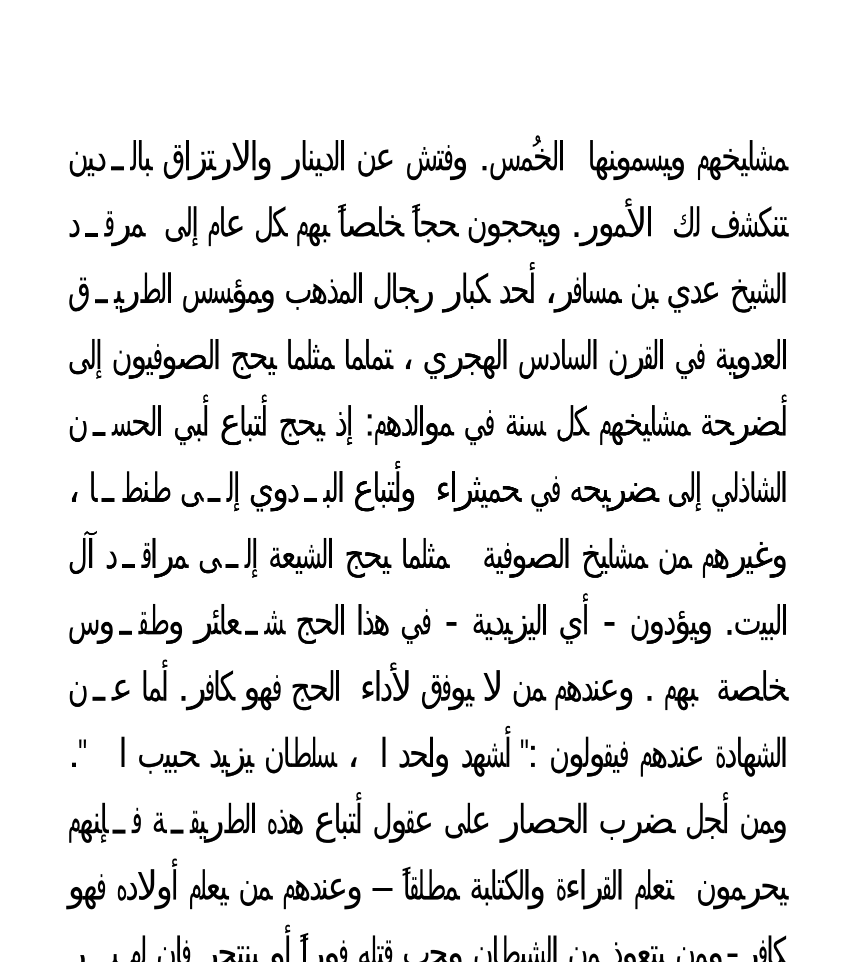
اليزيدية:

وهم جماعة من الغلاة يرجعون إلى أصـل مجوسـي ادعـوا الإسلام ،شأنهم في ذلك شأن كل الفرق المناهضة للإسلام والتـي تزعم انتماءها إليه حتى تتمكن من تقويضه من الداخل، " واليزيديـة

لم يكونوا سوى طائفة من الصوفية من أتباع الشيخ عدي بن مسافر مؤسس طريقتهم "٢٧.واعتقدوا بألوهية يزيد بن معاويـة، وازداد انحرافهم حتى قدسوا كل من يزيد بن معاويـة والشـيطان معـاً. وانتشرت آراء الفرقة ومعتقداتها في الموصل وحلب وعلى الحدود بين العراق وسورية وتركية وفي ديار بكر و وفي البلاد الأرمنيـة الواقعة على الحدود بين تركيا وروسيا والهند وإيران . ومثل كـل الفرق الضالة التي تزعم الإسلام، تحرص عـل أن تتواجـد فـي أوروبا والعالم المسيحي لتكون هي الصورة الشوهاء للإسلام التـي تصد الناس عنه. ولليزيدية جاليات في لبنان وألمانيا الغربية وبلجيكا، مثلما يقيم كبير الطائفة الشيعية الإسماعيلية الأغاخانية في بلجيكـا. وينتمي معظم أتباع اليزيدية إلى الجنس الكردي.ولهذه الفرقة كتابان مقدسان يصفان معتقدات وعبادات الملة اليزيديـة، همـا: كتـاب الجلوة وكتاب مصحف رش . وظهرت هذه الفرقة في بلاد بعيدة عن التحضر والمراكز الدينية والعلمية، ومنشؤها كان فـي كردستان. وتولى قيادة الفرقة زعماء دينيون أضلّوا الناس بالبـدع

٢٧-أحمد تيمور –اليزيدية ومنشأ نحلتهم ، د . سهير محمد علي الفيل : اليزيدية

والخرافات وتظاهروا بالزهد والتعفف وكثرة المجاهدة- تماما مثلما فعل كبار دعاة التصوف والتشيع- فقصدهم الناس وتأثروا بهم حتى لنتشرت معتقدلتهم في الأطراف الحدودية من العراق وإيران وتركية وسورية. وقد تكتموا إظهار معتقدلتهم تكتماً شديداً وأحاطوا ما تهم بالسرية مثل كل ضال مضل ينأى بضلاله بعيدا عن النور فلا يفتضح أمره شأنهم في ذلك شأن فرقة الإسماعيلية الشيعية والتي مازالت معظم كتبها سرية، وكذلك سائر فرق الباطنية . وهم يطمسون ما ورد في القرآن من كلمات لا تناسب معتقدلتهم كالتعوذ واللعنة والشيطان بوضع قطعة شمع عليها. وليس لهم صلاة عامة بل هناك طقوس خاصة بهم يتوجهون فيها إلى مطلع الشمس عند الشروق والى مغربها عند الغروب فيلثمون الأرض ويعفرون وجوههم بالتراب ويقرءون بعض الأدعية وهي خليط من اللغة العربية والفارسية والكردية. و الصوم عندهم ضربان: صوم العامة: ويسمونه صوم يزيد في الثلاثاء والأربعاء والخميس الأول من شهر كانون الأول، وصوم الخاصة: ومدته ثمانون يوماً يصومها رجل الدين. وهم يؤدون الزكاة كل سنة إلى شيخهم – طبعا - وتسمى عندهم الرسوم، كما يؤدي الشيعة الجعفرية زكاة أموالهم إلى



مشايخهم ويسمونها الخُمس. وفتش عن الدينار والارتزاق بالـدين تنكشف اك الأمور. ويحجون حجاً خاصاً بهم كل عام إلى مرقـد الشيخ عدي بن مسافر، أحد كبار رجال المذهب ومؤسس الطريـق العدوية في القرن السادس الهجري ، تماما مثلما يحج الصوفيون إلى أضرحة مشايخهم كل سنة في موالدهم: إذ يحج أتباع أبي الحسـن الشاذلي إلى ضريحه في حميثراء وأتباع البـدوي إلـى طنطـا ، وغيرهم من مشايخ الصوفية مثلما يحج الشيعة إلـى مراقـد آل البيت. ويؤدون - أي اليزيدية - في هذا الحج شـعائر وطقـوس خاصة بهم . وعندهم من لا يوفق لأداء الحج فهو كافر. أما عـن الشهادة عندهم فيقولون :" أشهد واحد ا ، سلطان يزيد حبيب ا ". ومن أجل ضرب الحصار على عقول أتباع هذه الطريقـة فـإنهم يحرمون تعلم القراءة والكتابة مطلقاً – وعندهم من يعلم أولاده فهو كافر- ومن يتعوذ من الشيطان وجب قتله فوراً أو ينتحر فان لم يـر سبيلاً إلى ذلك صام أسبوعا وقدم ضحية للطـاووس. ونظـامهم الاجتماعي طبقي ويتكون من طبقات خمس لا يجوز الزواج بـين أتباع هذه الطبقات ، الاولى: طبقة الروحانـيـين إحداهما خاصة بمن يعود نسبهم الى يزيد بن معاوية ولمن ينتمي إلى سلالة فخـر

الدين ويلقبونه بابا شيخ يعني الشيخ الكبير. والطبقة الثانية هي طبقـة الفقير وهو الناسك المتعبد وله لباس خاص يسمونه خرقة الفقير، مثل خرقة الصوفي المميزة له. ثم طبقة المنشدين، والمنشدون ونـاقرو الدفوف لهم دور هام في الملل الباطلة كالتصـوف وغيـره، ثـم الكولجك: وهم طائفة من العوام يتميزون بلباسهم الأبيض ونطـاقهم الصوفي الأسود أو الأحمر وظيفتهم لكتشاف مصير الموتى إن كان خيراً أو شراً والاتصال بعالم الغيب لمعرفة الحـال والاسـتقبال، ومحرم علي هذه الطبقة النوم على السرير.ثم المريدون: وهم عوام الناس من اليزيدية وقد فرضت عليهم الطاعة العمياء ودفع الزكوات وهولاء يتزاوجون فيما بينهم فقط ولا يحق لهم مصـاهرة الفئـات الأخرى حفاظا على النظام الطبقى الذي يفرض الطاعة والمغـارم على طبقة، ويوفر المكاسب والمغانم لأخرى.

ويقولون بتناسخ الأرواح. ويبيحون الزواج من سـت نسـاء. ويحرمون الزواج في شـهر نيسـان. ويعتقـدون أن الحمـام والمرحاض من ملاجئ الشيطان في نظر المسلمين فـلا يـدخل اليزيدي مرحاضاً ولا يغتسل في حمام. وحرموا على اليزيدي قص أظافره والاغتسال من الجنابة ، أو الاستنجاء بعد قضاء الحاجة ولا

يجوز له أن يبول وهو واقف وألا يلبس سرواله وهو جالس. ويؤثم اليزيدي إذا مد رجله أمام جليسه، مثلما لا يجوز للمريد الصوفي أن يفعل ذلك دون استئذان شيخه. وحرموا الاشتغال يوم الجمعة. مثلما يفعل اليهود يوم السبت، وحرموا على اليزيدي النظر إلى وجه المرأة غير اليزيدية . ولهم ليلة تسمى السوداء حيث تطفأ الأنوار وتستحل المحارم وتستباح الخمور. وينتشر اليزيديون في المناطق الشـمالية الشرقية من الموصل وعلى الحدود العراقية السورية وديار بكـر وبالقرب من حلب حول كلس وعينتاب وفي بعض البلدان الأرمينية على الحدود بين تركية وروسية وينتمي معظمهـم الـى الجـنس الكردي.

وكان اليزيديون يمتنعون عن الخدمة في الجـيش العثمـاني لأسباب دينية تمنعهم من ذلك في اعتقادهم  « منها الاضطرار إلـى لبس الأزرق، والدخول إلى المرحاض » وهما من أشـد مظـاهر الكفر في معتقدهم، والعيش بين جنود مسلمين يتوقع تعـوذهم مـن الشيطان، أو لعنتهم إياه عمداً أو بلا عمد، وغير ذلك من الأعمـال التي ينفرون منها، فكانوا يدفعون بدلاً نقدياً كاليهود والنصارى. وقد جندتهم الحكومة العراقية في عهد صدام حسين واشتركوا اشـتراكاً

فعلياً في الجيش وفي الحروب التي خاضتها القوات العراقيـة فـي إيران والكويت[٢٨].

النصيرية:

"والنصيرية يؤلهون على بن أبي طالب رضـي ا عنـه، إذ يعتقدون أن ا يحل في الأشخاص، وأن آخر حلول له كان فـي علي بن أبي طالب، بل ذهبوا إلى ما يشبه عقيـدة التثليـث عنـد

---

٢٨ - المراجع الخاصة باليزيدية :

١-الامين، شريف يحيى، معجم الفرق الاسلامية، بيروت ـ لبنان، دار الاضواء، ط١، ١٤٠٦ هـ. ق ـ ١٩٨٦ م. ، الحسنى، عبد الرزاق، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، صيدا، لبنان، مطبعة العرفان، ١٩٦٨ م ، أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، القاهرة ـ مصر، المطبعة السلفية، ط١، ١٣٤٧ هـ.

٢ ـ العزاوي، عباس، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم بغداد ـ العراق، ١٩٣٥ م .

٣ ـ الحنبلي، محمد، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر.

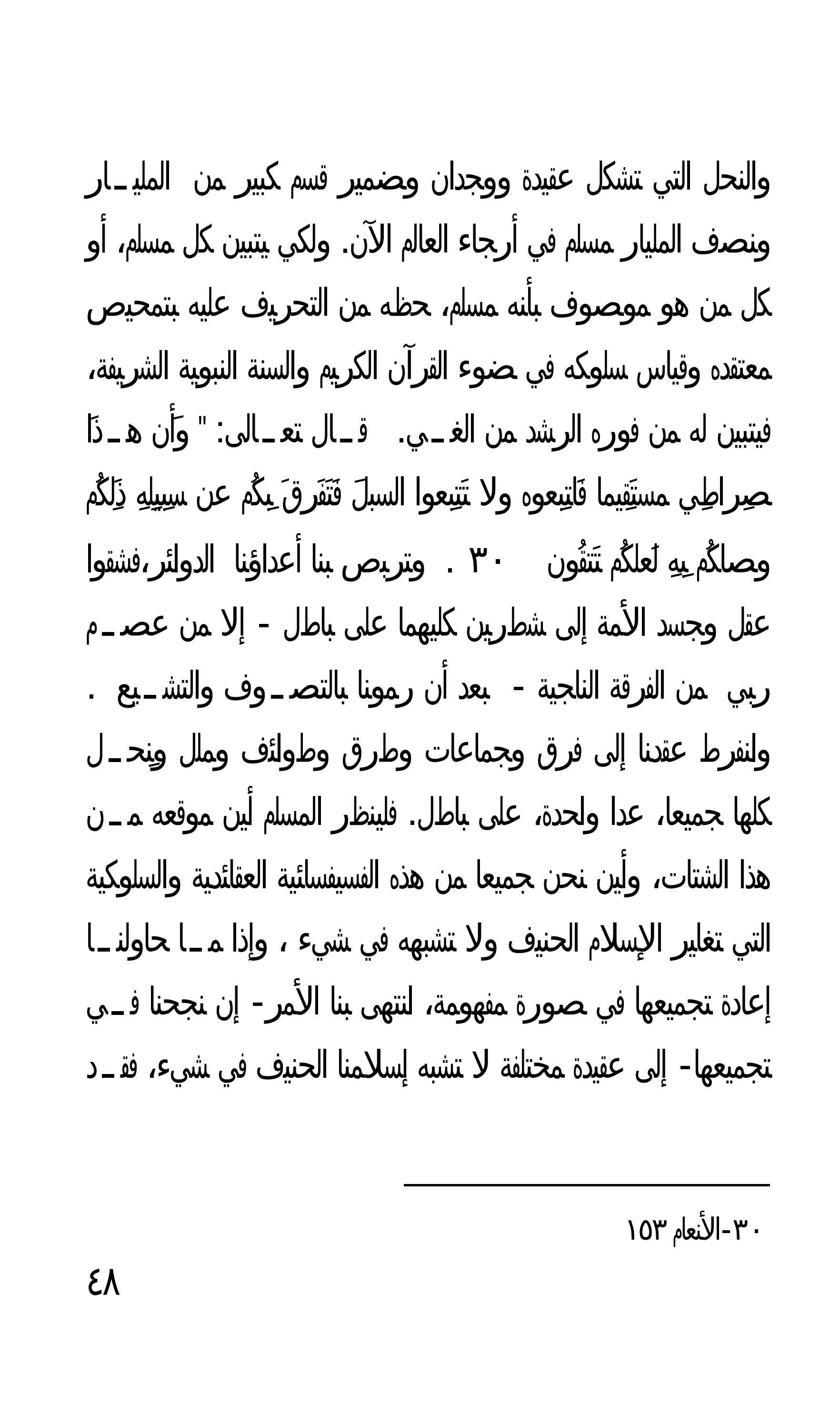
٤ ـ الدملوجي، صديق، اليزيدية، الموصل ـ العراق، ١٩٤٩ م .

٥ ـ جورج حبيب، اليزيدية بقايا دين قديم بغداد ـ العراق، ١٩٧٨ م ، سامي سعيد الاحمد، اليزيدية احوالهم ومعتقداتهم بغداد ـ العراق، كلية الاداب، ١٩٧١ م .

النصارى، إذ أنهم ألفوا ثالوثاً يتكون من سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم،وعلى بن أبي طالب، وسلمان الفارسي، ويزعمون أن العلاقة بين أطراف هذا الثالوث علاقة إيجاد، فعلي خلق محمداً، ومحمـد خلق سلمان، وسلمان خلق الأيتام الخمسة ويقصدون بهم: المقداد بن الأسود، وأبا ذر الغفاري، وعثمان بن مظعـون، وعبـد ا بـن رولحة، وقنبر بن كادان مولى علي، وأكدوا لهؤلاء مسئوليات معينة في تصريف الكون، فالمقداد موكـل إليـه الرعـد والصـواعق والزلازل، وأبو ذر موكل بالرياح وقبض أرواح البشـر، وقنبـر موكل بنفخ الأرواح في الأجسام"٢٩ . ومن يقول مثل هذا الكـلام وجب اتهامه في دينه، ومن يصدقه يجب اتهامه في عقله.

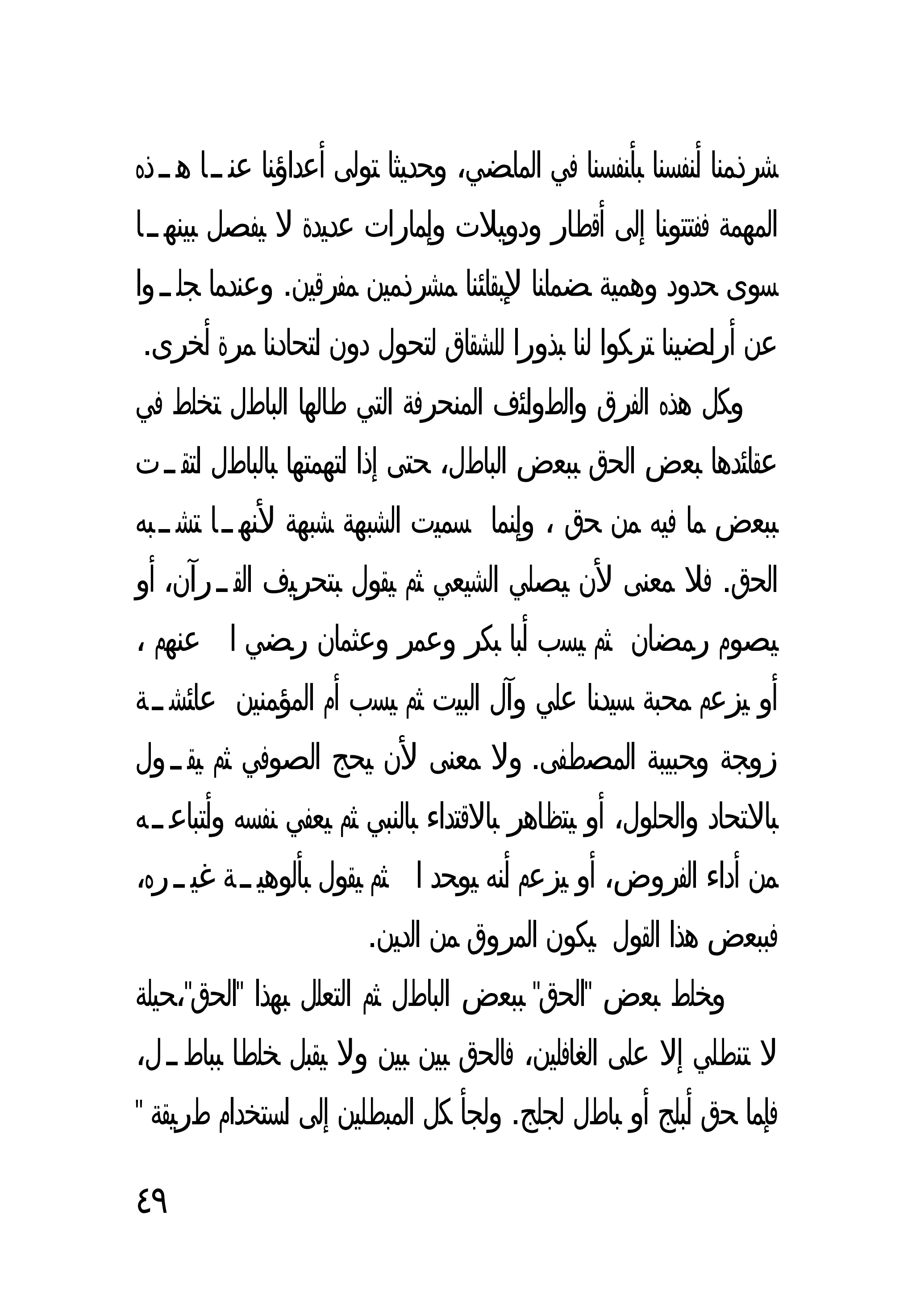
و تعددت الفرق والطوائف "الإسلامية"، وانشق من هذه الفرق فرق، وتفرع من تلك الطوائف طوائف،ومع بعـد الفـروع عـن الأصول يزداد الانحراف، وبمقارنة ما آلت إليه هذه الأصول بعـد مدة يتأكد لنا حدوث تحريف بين يجعل الفروع تناقض الأصـول بوضوح. وللجميع حظ من هذا التحريف الذي طال معظم تلك الملل

١- انظر الباكورة السليمانية ص٢٩، ٣٠، مجموع الفتاوى ٣٥ / ١٤٧، ودراسة عـن الفرق في تاريخ المسلمين، د. أحمد جلي ٣١٦-٣١٨ .



والنحل التي تشكل عقيدة ووجدان وضمير قسم كبير من المليـار ونصف المليار مسلم في أرجاء العالم الآن. ولكي يتبين كل مسلم، أو كل من هو موصوف بأنه مسلم، حظه من التحريف عليه بتمحيص معتقده وقياس سلوكه في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فيتبين له من فوره الرشد من الغـي. قـال تعـالى: " وَأن هـذَا صِراطِي مستَقِيما فَاتبِعوه ولا تَتبِعوا السبلَ فَتَفَرقَ بِكُم عن سبِيلِهِ ذَلِكُم وصاكُم بِهِ لَعلكُم تَتقُون ٣٠ . وتربص بنا أعداؤنا الدوائر،فشقوا عقل وجسد الأمة إلى شطرين كليهما على باطل - إلا من عصـم ربي من الفرقة الناجية - بعد أن رمونا بالتصـوف والتشـيع . ولنفرط عقدنا إلى فرق وجماعات وطرق وطوائف وملل ونحـل كلها جميعا، عدا واحدة، على باطل. فلينظر المسلم أين موقعه مـن هذا الشتات، وأين نحن جميعا من هذه الفسيفسائية العقائدية والسلوكية التي تغاير الإسلام الحنيف ولا تشبهه في شيء ، وإذا مـا حاولنـا إعادة تجميعها في صورة مفهومة، لنتهى بنا الأمر- إن نجحنا فـي تجميعها- إلى عقيدة مختلفة لا تشبه إسلامنا الحنيف في شيء، فقـد

٣٠-الأنعام ١٥٣



شرذمنا أنفسنا بأنفسنا في الماضي، وحديثا تولى أعداؤنا عنـا هـذه المهمة ففتتونا إلى أقطار ودويلات وإمارات عديدة لا يفصل بينهـا سوى حدود وهمية ضمانا لإبقائنا مشرذمين مفرقين. وعندما جلـوا عن أراضينا تركوا لنا بذورا للشقاق لتحول دون اتحادنا مرة أخرى.

وكل هذه الفرق والطوائف المنحرفة التي طالها الباطل تخلط في عقائدها بعض الحق ببعض الباطل، حتى إذا اتهمتها بالباطل اتقـت ببعض ما فيه من حق ، وإنما سميت الشبهة شبهة لأنهـا تشـبه الحق. فلا معنى لأن يصلي الشيعي ثم يقول بتحريف القـرآن، أو يصوم رمضان ثم يسب أبا بكر وعمر وعثمان رضي ا عنهم ، أو يزعم محبة سيدنا علي وآل البيت ثم يسب أم المؤمنين عائشـة زوجة وحبيبة المصطفى. ولا معنى لأن يحج الصوفي ثم يقـول بالاتحاد والحلول، أو يتظاهر بالاقتداء بالنبي ثم يعفي نفسه وأتباعـه من أداء الفروض، أو يزعم أنه يوحد ا ثم يقول بألوهيـة غيـره، فببعض هذا القول يكون المروق من الدين.

وخلط بعض "الحق" ببعض الباطل ثم التعلل بهذا "الحق"،حيلة لا تنطلي إلا على الغافلين، فالحق بين بين ولا يقبل خلطا بباطـل، فإما حق أبلج أو باطل لجلج. ولجأ كل المبطلين إلى استخدام طريقة "

قليل من السم في الكثير من العسل"، لجأ إليها من استشهدوا بالقرآن والسنة،فإذا اطمأن الناس إليهم دسوا خفية بعض إفكهم،ولجأ إليها من تظاهر بالزهد والصلاح حتى إذا وثق فيه البسطاء دسوا في أذهانهم الأباطيل والضلال ولنحرفوا بهم إلى الكفر، ذلك ما فعله المبشرون الأوائل للإسماعيلية والقرمطية والفاطمية والصفوية وكذلك كل الطرق الصوفية. ولما كان كلام المرء ترجمان عقله، فاسمع كلام الصوفية لتقف على مبلغ عقولهم:

يزعم الصوفي الشيخ الميرغني شيخ الطريقة الختمية وأتباعها المنتشرون في مصر والسودان " أن ا كلّمه وقال له: أنت تذكرة لعبادي ومن أراد الوصول إلى فليتخذك سبيلا وأن من أحبك وتعلق بك هو الذي خلد في رحمتي ومن أبغضك وتباعد عنك فهو الظالم المعدود له العذاب الأليم"٣١. كما يزعم " أن رسول ا قال له: من صحبك ثلاثة أيام لا يموت إلا ولياً وأن من قبل جبهتك كأنما قبل جبهتي ومن قبل جبهتي دخل الجنة ومن رآني أو رأى من رآني

٣١- كتاب الطريقة الختمية بعنوان الهبات المقتبسة – تأليف الشريف السيد محمد عثمان ص ٧٦

إلى خمس لم تمسه النار"[32] . و الختمية يزعمون أنه لو كان الله سيبعث نبيا بعد سيدنا محمد لكان هذا النبي هو شيخ الطريقة الختمية محمد عثمان الميرغني"[33]. قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: " لو كان نبي بعدي لكان عمر" ، ولم يقل إنه الشيخ الميرغني.

فسلوكيات المسلمين الآن ترجمة رديئة مشوهة للإسلام الحقيقي، وما ظنك بغير المسلم الذي تعتمد حياته كلها على العقل ومنجزاته،ولكنه يرى المسلمين وقد اعتقلوا هذا العقل وعطلوه، غير المسلم الذي ينتقل بالطائرة ويسافر بالصواريخ، ولكنه يسمع أن شيوخ الصوفية يطيرون في الهواء ويسيرون فوق الماء بلا آلة أو واسطة. وغير المسلم يقضي عمره يحصل العلم في المدرسة والجامعة والمختبرات، ثم نخبره أن المسلمين يتحصلون على

٣٢- كتاب الطريقة الختمية بعنوان مناقب صاحب الراتب تأليف السيد / محمد عثمان الميرغني ص ١٠٢ .

٣٣- الطريقة الختمية بعنوان رسالة الختم تأليف السيد جعفر بن السيد محمد عثمان الميرغني ص ١١٥ – ١١٦

المعارف مباشرة من ا وهم نيام في التكايا والخانقـاوات بعـد أن يغطوا رؤوسهم بجلابيبهم وهم يرددون لفظ الجلالة دون انقطـاع، فتهبط عليهم من السماء العلوم العلوية من ا مباشرة كمـا يـزعم الصوفية، هكذا يقول"حجة الإسلام" أبوحامد الغزالي:"وعند الصوفية أن من لف رأسه بخرقه وجلس في مكان مظلم رأى ا ، وعرف كل شيء وشاهد الكون أعلاه وأسفله "[٣٤]. ومن العجيب أن أحدا لم يفسر لنا علة أن المسلمين الآن هم أجهل أهل الأرض مع أن لديهم مفاتيح العلم الإلهي اللدني لدى "مشايخ الصوفية.

والشيعة يقولون إن هذه العلوم اللدنية العلوية يتحصـل عليهـا أئمتهم بالمولد والميراث، ويؤلهون أئمـتهم ويقولـون بـرجعتهم و بالحلول والاتحاد، وينتظرون عودة إمامهم الساكن في السرداب مع حراسه من النمور والأسود منذ أكثر من ألـف سـنة. إن غيـر المسلمين ينظرون إلينا كما ننظر نحن إلى الأنعام،ولا نلومن غيـر أنفسنا."نشرت الصحف البريطانية طرفا من أخبار الأغاخان -وهو إمام طائفة الأغاخانية إحدى فرق الإسماعيلية الشيعية - بقصد النيل

٣٤- عبد الرحمن عبد الخالق - تفنيد الصوفية

من المسلمين، جاء فيها أن أتباعه " ٢٥ مليون مسلم " يسجدون له من دون ا ، وأنه أكبر مقامر على الخيول في العالم،وأنه يوزن كل عام بالماس والذهب والبلاتين من الهدايا التي يقدمها له أتباعه، غير ما يدفعونه له من الزكاة المفروضة عليهم وقدرها خُمس أمـوالهم. وأنه لما مات لم يعرف أتباعه كيف يصلون عليه لأنهم لا يعرفـون شيئا من دينهم، وأنه يعطي صكوك الغفران ويبيع الجنة لمن يشـاء ويحرمها على من يشاء ٣٥ . "وكان أغاخان الثالـث قـد وزن بالذهب سنة ١٩٣٦ في الهند،ومرة أخرى سنة ١٩٣٧ في شـرق أفريقيا، ووزن بالماس ثلاث مرات سنة ١٩٤٦ لحتفالا بمرور ٦٠ سنة على إمامته، كما وزن بالبلاتين سنة ١٩٥٦ بالقـاهرة " ٣٦. ولما كانت عقول الناس على قدر زمانهم فلا عذر لأهل زمانـنـا - زمن العلم والاستنارة –أن يقبلوا مثل هذه الخرافات.

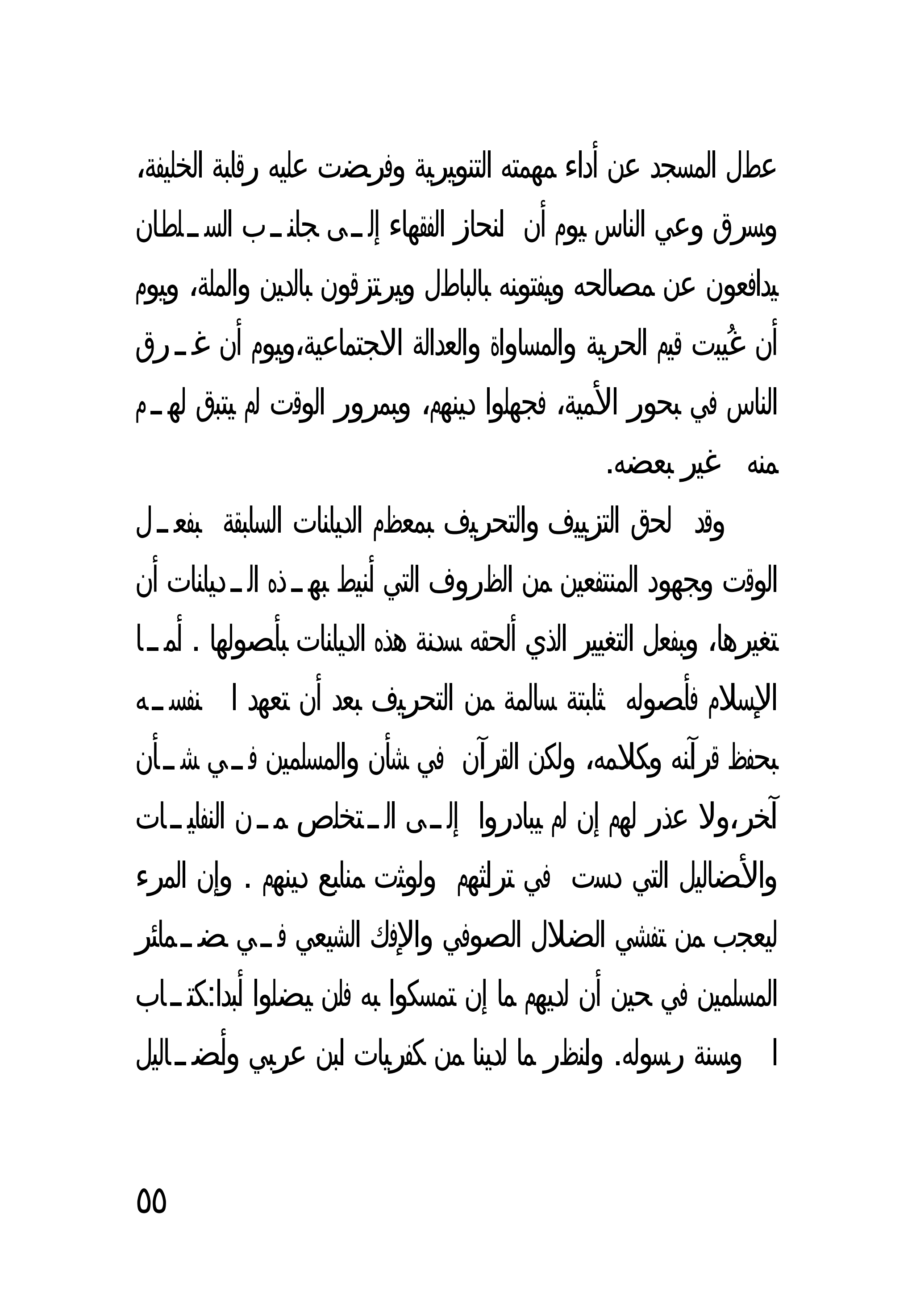
وجموع المضّلّين من الشيعة والصوفية هم من العامة الجهلـة ممن خفت عقولهم وسفهت حلومهم، الذين لا يشكون لحظة ولحـدة في سلامة معتقدلتهم. فيرى الصوفي أن الولي أفضل من النبي و

٣٥-تبديد الظلام وتنبيه النيام – إبراهيم السليمان الجبهان

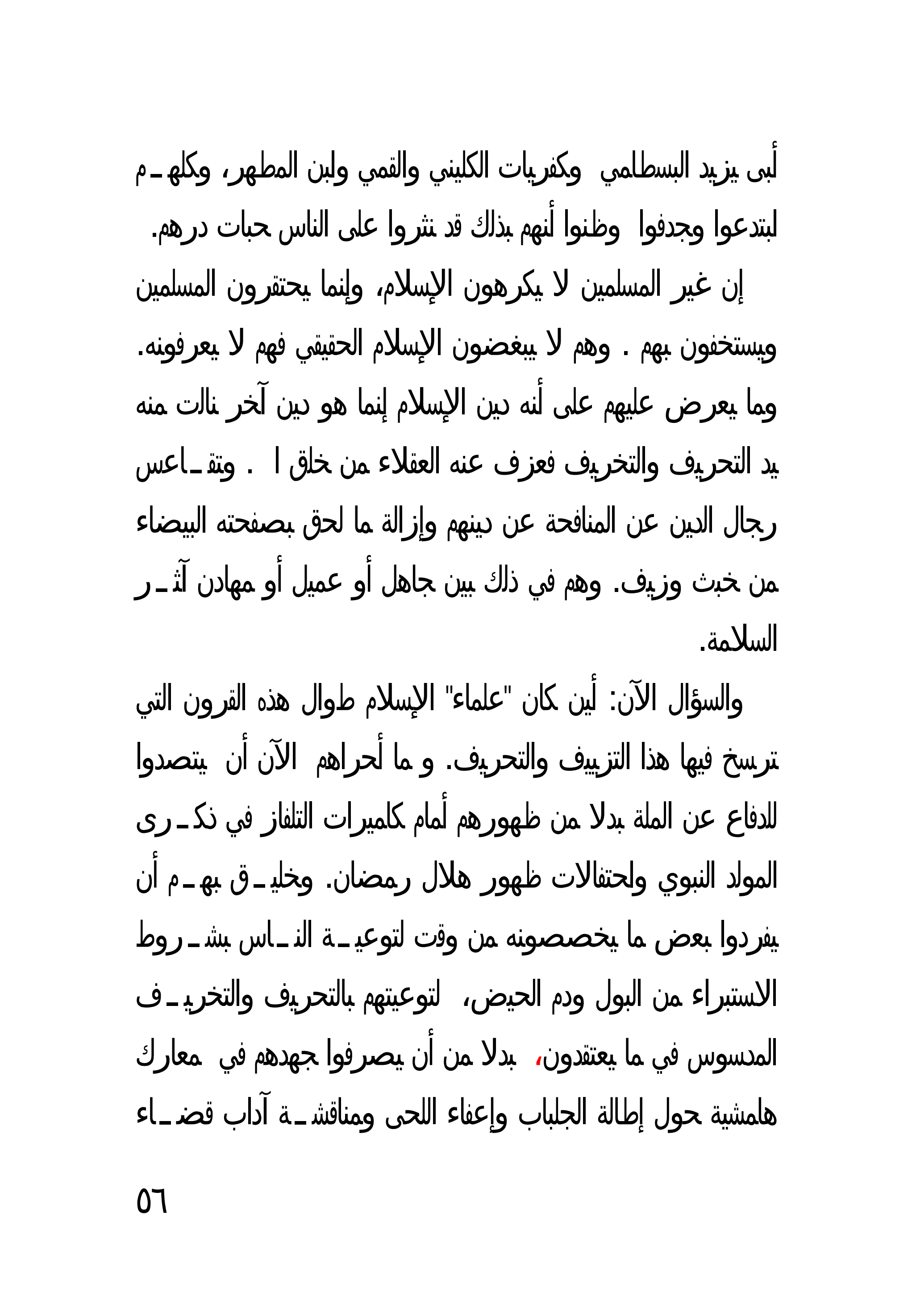
٣٦ - محمود أحمد قناوي- الإسراف-الناشر دار الإيمان

يطلب شفاعة شيوخه ويحج إلى مقابرهم- يحج الصوفية من أتبـاع الشاذلي إلى ضريحه في حميثراء بالصحراء الشرقية _ ويتوجـه بدعائه إلى غير ا ، ويرى أن أقطابه يصرفون شؤون الكون مع ا . هذا الصوفي لا يرى أنه يعبد غير ا ، وهو علـى لاسـتعداد للتضحية بحياته في سبيل شيخه. و الشيعي الذي يـؤمن بـالغلو والباطل، لا يشك في أنه على غير الجادة، ولا يتردد في بذل الغالي والنفيس دفاعا عن إمامه الذي يؤمن بعصمته و غيبتـه ورجعتـه. وكلاهما: الصوفي المضلَّل والشيعي المخدوع، لا يعلمـان أنهمـا أدوات في أيدي الزعماء الدينيين أو القادة السياسيين الذين يعرفـون حق المعرفة أنهم على باطل وإنما يستغلون أتباعهم لتحقيق أهداف سياسية وغايات ارتزاقية ، إذ يجمع شيوخ الصوفية الأموال مـن صناديق النذور في الأضرحة والمساجد ومراقد أوليائهم ومن الهبات والهدايا ومن مخصصات الأوقاف ، ويحصل فقهاء الشيعة علـى خمس أموال الشيعي فقيرا كان أو غنيا ، غير ما يحصلون عليه من أموال نظير إسقاط الفروض والعبادات عن الناس.

ويمكن القول – دون مجانبة للصواب - بسرقة وعي هذه الأمة منذ أن غفل الناس عن تآمر أعدائهم بالإسلام الحنيف ، ويـوم أن


عطل المسجد عن أداء مهمته التنويرية وفرضت عليه رقابة الخليفة، وسرق وعي الناس يوم أن انحاز الفقهاء إلـى جانـب السـلطان يدافعون عن مصالحه ويفتونه بالباطل ويرتزقون بالدين والملة، ويوم أن غُيبت قيم الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية،ويوم أن غـرق الناس في بحور الأمية، فجهلوا دينهم، وبمرور الوقت لم يتبق لهـم منه غير بعضه.

وقد لحق التزييف والتحريف بمعظم الديانات السابقة بفعـل الوقت وجهود المنتفعين من الظروف التي أنيط بهـذه الـديانات أن تغيرها، وبفعل التغيير الذي ألحقه سدنة هذه الديانات بأصولها . أمـا الإسلام فأصوله ثابتة سالمة من التحريف بعد أن تعهد ا نفسـه بحفظ قرآنه وكلامه، ولكن القرآن في شأن والمسلمين فـي شـأن آخر،ولا عذر لهم إن لم يبادروا إلـى الـتخلص مـن النفايـات والأضاليل التي دست في تراثهم ولوثت منابع دينهم . وإن المرء ليعجب من تفشي الضلال الصوفي والإفك الشيعي فـي ضـمائر المسلمين في حين أن لديهم ما إن تمسكوا به فلن يضلوا أبدا:كتـاب ا وسنة رسوله. ولننظر ما لدينا من كفريات ابن عربي وأضـاليل


أبى يزيد البسطامي وكفريات الكليني والقمي وابن المطهر، وكلهـم ابتدعوا وجدفوا وظنوا أنهم بذلك قد نثروا على الناس حبات درهم.

إن غير المسلمين لا يكرهون الإسلام، وإنما يحتقرون المسلمين ويستخفون بهم . وهم لا يبغضون الإسلام الحقيقي فهم لا يعرفونه. وما يعرض عليهم على أنه دين الإسلام إنما هو دين آخر نالت منه يد التحريف والتخريف فعزف عنه العقلاء من خلق ا . وتقـاعس رجال الدين عن المنافحة عن دينهم وإزالة ما لحق بصفحته البيضاء من خبث وزيف. وهم في ذلك بين جاهل أو عميل أو مهادن آثـر السلامة.

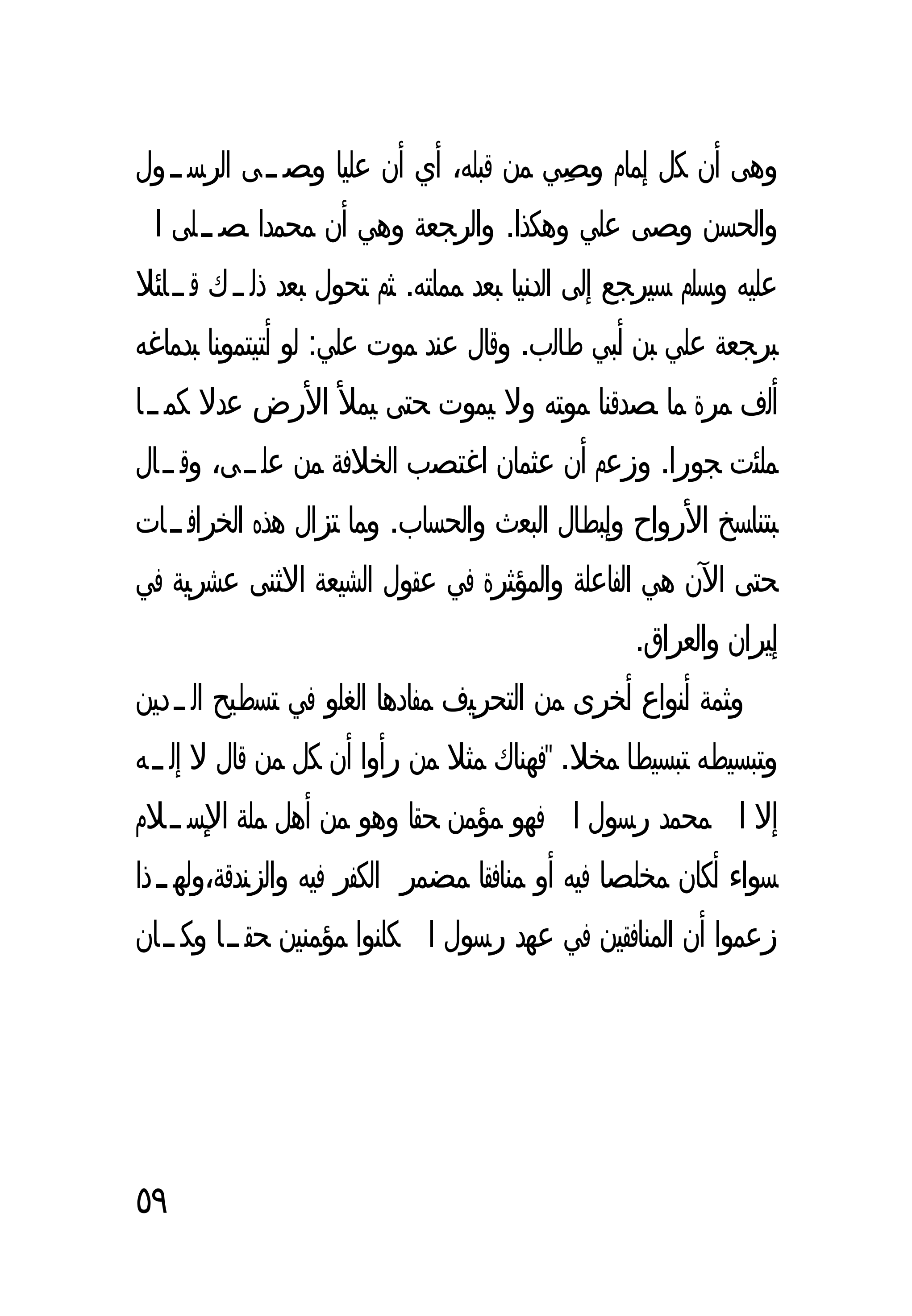
والسؤال الآن: أين كان "علماء" الإسلام طوال هذه القرون التي ترسخ فيها هذا التزييف والتحريف. و ما أحراهم الآن أن يتصدوا للدفاع عن الملة بدلا من ظهورهم أمام كاميرات التلفاز في ذكـرى المولد النبوي واحتفالات ظهور هلال رمضان. وخليـق بهـم أن يفردوا بعض ما يخصصونه من وقت لتوعيـة النـاس بشـروط الاستبراء من البول ودم الحيض، لتوعيتهم بالتحريف والتخريـف المدسوس في ما يعتقدون، بدلا من أن يصرفوا جهدهم في معارك هامشية حول إطالة الجلباب وإعفاء اللحى ومناقشـة آداب قضـاء

الحاجة. فالإسلام يتعرض للكيد من أعدائه منذ البعثة النبوية وإلى الآن. وعليهم التصدي فورا للأمور الجلل والتنبيه إلى المخاطر التي تتهدد عالمنا الإسلامي دينا وشعبا بعد أن أظلنا زمن القصعة. ويتعين تمحيص كتب الشيعة والصوفية بغرض تفنيدها واستخلاص باطلها وعرضها على الناس بدلا من استغراقهم في الخوض في تفاصيل لا قيمة لها عقائديا.وسكوت علمائنا عن هذا الباطل إنما يعد من قبيل كتمان الحق الذي نهانا ا عن كتمانه، وإذ يتقاعس مشايخنا عن أداء هذا الدور، فماذا يتبقى لهم ليفعلوه؟ ولم يقتصر الأمر على تهاونهم في المنافحة عن الحق، وإنما تعدى إلى مناصرتهم للباطل، فمنهم من قال بجواز التعبد بالمذهب الشيعي الجعفري الاثني عشري واعتباره المذهب الخامس لأهل السنة . أما عن التصوف فلم يشر إليه أحد بإصبع الاتهام، بل انخرط مشايخنا في الطرق الصوفية وترأسوا طوائفها، مما يغري العامة والدهماء بتقليدهم دون علم إذ يكفيهم التأسي بمن يحسنون الظن بهم من المشايخ،وإن كان صلاح العامة بالخاصة، فقد ضلت عوام الناس إذ ضل خواصهم وفقهاؤهم.

وقد بدأ هذا التزييف من وقت مبكر فى تاريخنا، بدءاً من دخول أصحاب الديانات الأخرى في الإسلام بعد فـتح بلادهـم وزوال عزهم، فحقدوا على الإسلام وأرادوا النيل منه.

وسنحت الفرصة بعد وفاة النبي الكريم فتكالبت كـل القـوى المعادية للإسلام لتوجيه ضربة قاصمة تجهض هذا الدين في مهده. واليهود كانوا ضالعين بشكل أساسي في هذه المواجهة المستترة بعد أن فشل صدامهم العسكري المباشر مع المسلمين، ولم يبـق لـديهم غير التآمر والمكايدة وهو أمر هم سادته. واليهـود اضـطلعوا بأدوار رئيسية في جميع المؤامرات ضد الإسلام بدءا من حـروبهم المباشرة مع النبي، وتآمرهم مع مشركي قريش،وضـلوعهم فـي حركة الردة وحركات ادعاء النبوة أيام أبي بكر الصديق .وكانت المساندة من جماعات تلمودية تعاونت معها جهات من دولة الـروم المتضررة من الإسلام، وجندت هذه اليد الخفية من يقومون علـى تنفيذ المؤامرة التي قادها اليهودي اليمنى عبد ا بن سبأ وآخـرون معه لم يكشف التاريخ أسماءهم بعد.

وطاف اليهودي عبد ا بن سبأ في الأمصار الإسـلامية ليـروج لفكرة تأليه علي بن أبي طالب وذلك في حياته. وقال بالوصـاية:



وهى أن كل إمام وصِي من قبله، أي أن عليا وصـى الرسـول والحسن وصى علي وهكذا. والرجعة وهي أن محمدا صـلى ا عليه وسلم سيرجع إلى الدنيا بعد مماته. ثم تحول بعد ذلـك قـائلا برجعة علي بن أبي طالب. وقال عند موت علي: لو أتيتمونا بدماغه ألف مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كمـا ملئت جورا. وزعم أن عثمان اغتصب الخلافة من علـى، وقـال بتناسخ الأرواح وإبطال البعث والحساب. وما تزال هذه الخرافـات حتى الآن هي الفاعلة والمؤثرة في عقول الشيعة الاثنى عشرية في إيران والعراق.

وثمة أنواع أخرى من التحريف مفادها الغلو في تسطيح الـدين وتبسيطه تبسيطا مخلا. "فهناك مثلا من رأوا أن كل من قال لا إلـه إلا ا محمد رسول ا فهو مؤمن حقا وهو من أهل ملة الإسـلام سواء أكان مخلصا فيه أو منافقا مضمر الكفر فيه والزندقة،ولهـذا زعموا أن المنافقين في عهد رسول ا كانوا مؤمنين حقـا وكـان

إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل والأنبياء والملائكة مع اعتقادهم النفاق وإظهار الشهادتين "٣٧.

ويزعم "إبراهيم السنغالي أنه صاحب الفيضة التيجانية الـذي بشر به التيجاني مؤسس الطريقة الصوفية المعروفـة،ويـدعي أن أتباعه يدخلون جميعاً الجنة بغير حساب ولو كانوا كفاراً ولو أنهم لم يفعلوا شيئاً قط من الدين، أو لستحلوا كل المحرمات لأن ا لختارهم لذولتهم فقط ، وعلا شأن هذا المحتال وبسط دعوته تلك في أصقاع كبيرة من القارة الأفريقية "[٣٨]. وكان ذلك هو الإسلام المزعوم الذي يباهي محتالو الصوفية بنشره. كذلك يختصر الشيعة الدين كله في محبة على بن أبي طالب ويرون أن دخول الجنة رهن بهذه المحبة فيزعمون "أن محب على وإن كان كافرا يهوديـا أو نصـرانيا أو مشركا لن يدخل النار"[٣٩]. ويرون " أن حب سيدنا علي حسـنة لا تضر معها سيئة". وعمد المبطلون إلى الإساءة إلى النبي بمـدح

---

٣٧ - البغدادي - الفرق بين الفرق

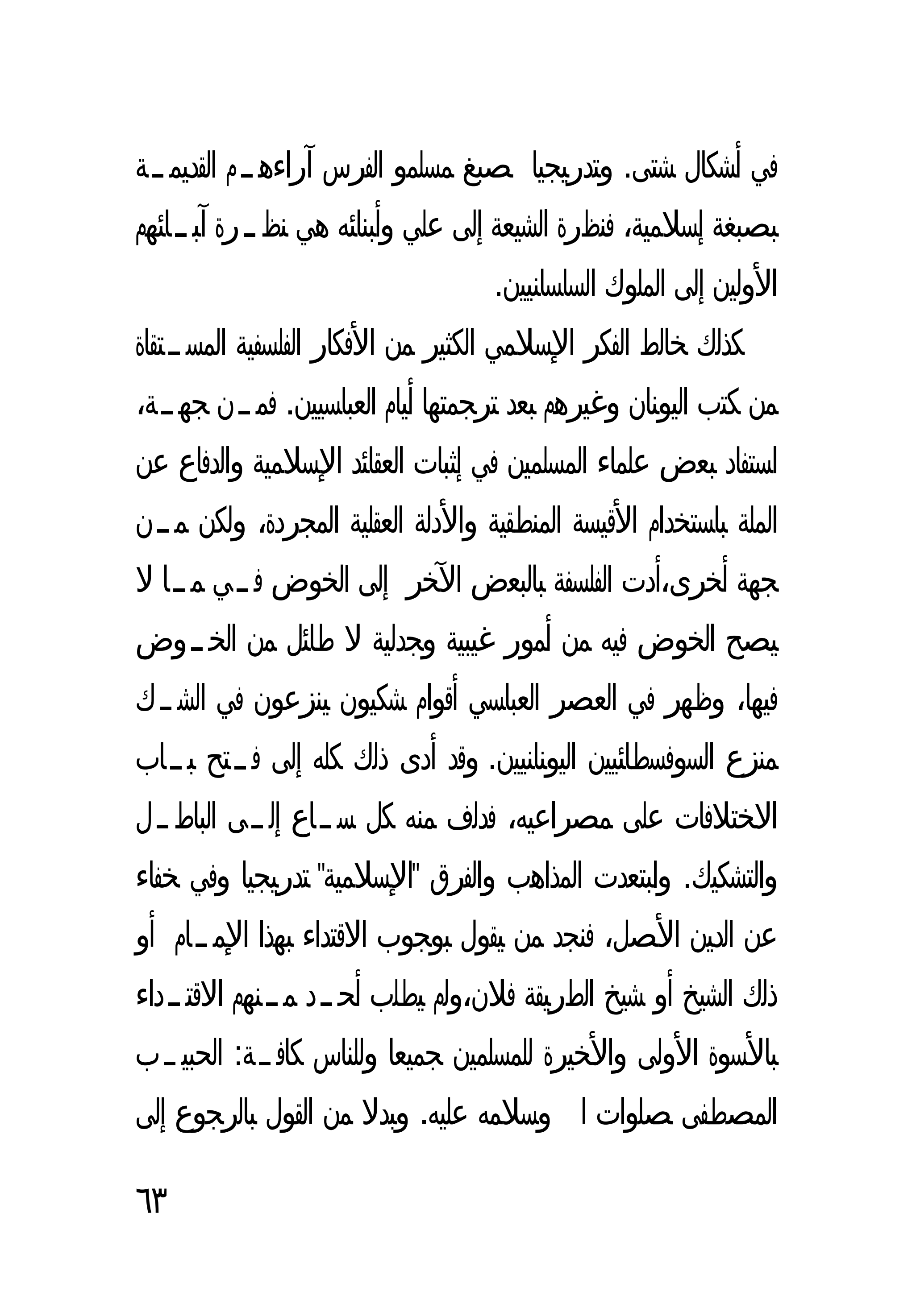
٣٨- عبد الرحمن عبد الخالق - تفنيد الصوفية بتصرف

٣٩- أمالى الطوسى ص ٣١٢ محمد بن الحسن الطوسي – مؤسسة الوفاء ، بيروت الطبعة الثانية

ظاهري يراد به باطل، فالشيعة ينفون الأمية عن النبي بل يزعمون أنه يتحدث بثلاث وسبعين لغة!! ولما كانت معجزة النبي معجـزة عقلية وعلمية،كانت أميته تأكيدا لهذه المعجزة إذ تثبـت أن مصـدر علمه من ا وحده فهو أمي وتعوزه القدرة الذاتية علـى تحصـيل المعارف والمعلومات مالم يمدده ا بها. لذا فالقول بنفي أميته يعني فتح الباب أمام القائلين بأنه تعلم هذه المعارف على يد معلم. ويـزعم الشيعة " أن أبا جعفر محمد بن على الرضا سئل: يا ابن رسول ا لِم سمى النبي بالأمي ألأنه لم يحسن أن يكتب؟ فقال كذبوا عليهم لعنة ا أنّى ذلك وا يقول في كتابه العزيز:﴿ هو الذِي بعثَ فِي الْأُمِيين رسولا منْهم يتْلُو علَيهم آياتِهِ ويزكيهم ويعلمهم الكِتَاب والْحِكْمـةَ ﴾ فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن وا لقد كان رسـول ا ﷺ يقـرأ ويكتب باثنين أو ثلاثة وسبعين لساناً وإنما سمى الأمي، لأنه كان من أهل مكة ومكة من أمهات القرى وذلك قوله تعـالى: ﴿ ولِتُنْـذِر أُم الْقُرى ومن حولَها ﴾ . وا تعالى يفند كذبهم إذ يقول في قرآنـه الكريم :" وما كُنْتَ تَتْلُو مِن قَبلِهِ مِن كِتَابٍ ولا تَخُطـه بِيمِينِـك إِذاً لارتَاب المبطِلُون ". وعز على الشيعة أن يختصوا النبي بمعرفة ٧٣ لغة دون أن يكون لأئمتهم مثل هذا الفضل المزعوم، فادعوا أن

سيدنا الحسن بن علي يعرف ٧٠ مليون لغة، فينسبون إلى الحسن أنه قال:" إن مدينتين، إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، وفيهما سبعون ألف ألف لغة! يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبها. ولأنا أعرف جميع اللغات "[٤٠]. يقول ابن حزم : "والأصل في خروج أكثر هذه الطوائف عن ديانة الإسلام، أن الفرس كانوا من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة النظر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء،وكانوا يعدون جميع الناس عبيدا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب،وكان العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا، تعاظمت الأمور، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات كثيرة،فأظهر قوم منهم الإسلام،واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت،وإنكار ظلم علي رضي ا عنه، حتى أخرجوهم عن الإسلام". ولم ير الفرس الإسلام إلا من منظور فارسي ولم يتخلصوا من كل عقائدهم القديمة المستمدة من تعاليم زرادشت وماني ومزدك فكانت تظهر من حين لآخر بين المسلمين الفرس

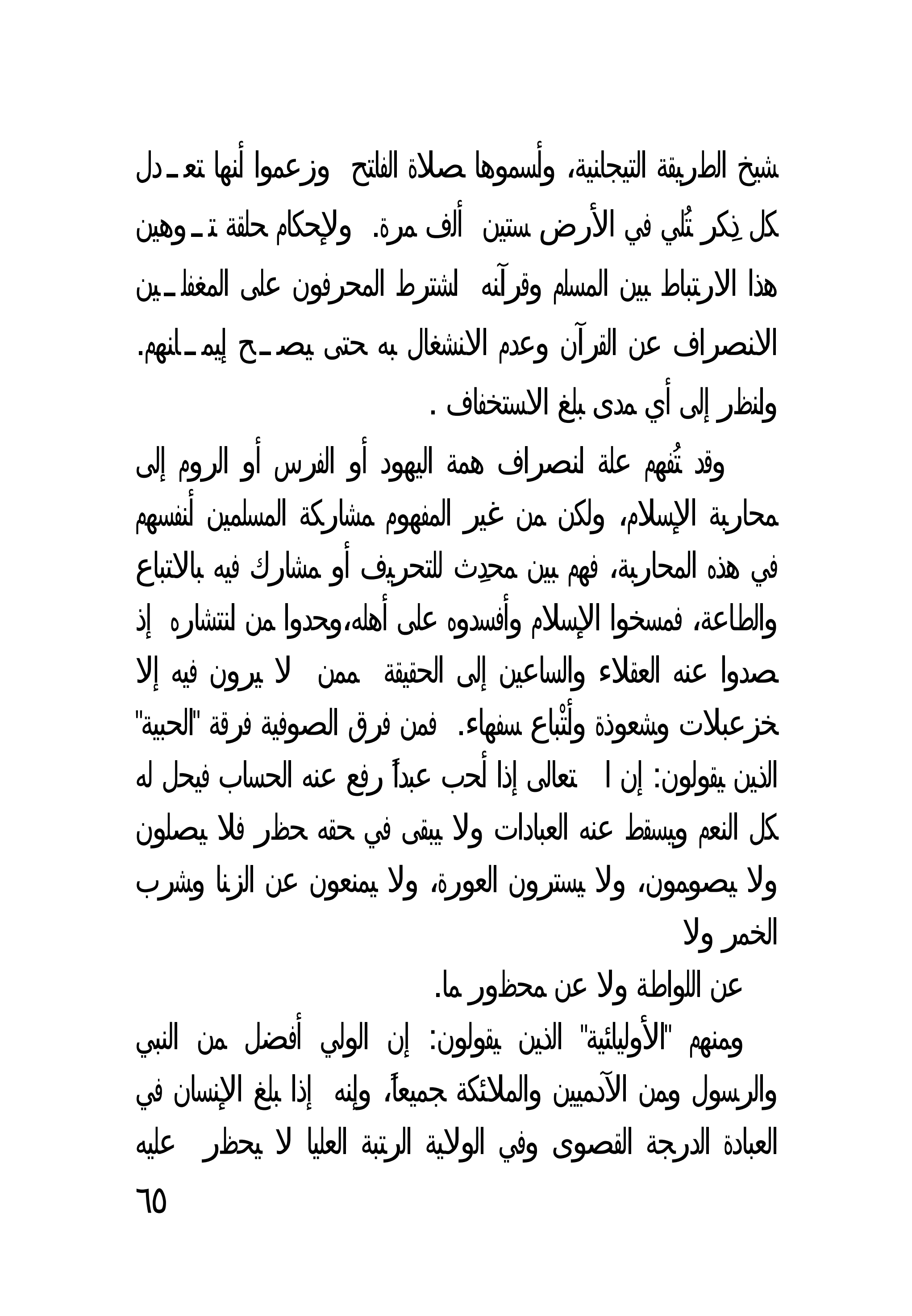
٤٠- الكافي ٣٨٤/١-٣٨٥ كتاب الحجة. باب مولد الحسن بن علي



في أشكال شتى. وتدريجيا صبغ مسلمو الفرس آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة إلى علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين إلى الملوك الساسانيين.

كذلك خالط الفكر الإسلامي الكثير من الأفكار الفلسفية المستقاة من كتب اليونان وغيرهم بعد ترجمتها أيام العباسيين. فمن جهة، استفاد بعض علماء المسلمين في إثبات العقائد الإسلامية والدفاع عن الملة باستخدام الأقيسة المنطقية والأدلة العقلية المجردة، ولكن من جهة أخرى،أدت الفلسفة بالبعض الآخر إلى الخوض في ما لا يصح الخوض فيه من أمور غيبية وجدلية لا طائل من الخوض فيها، وظهر في العصر العباسي أقوام شكيون ينزعون في الشك منزع السوفسطائيين اليونانيين. وقد أدى ذلك كله إلى فتح باب الاختلافات على مصراعيه، فدلف منه كل ساع إلى الباطل والتشكيك. وابتعدت المذاهب والفرق "الإسلامية" تدريجيا وفي خفاء عن الدين الأصل، فنجد من يقول بوجوب الاقتداء بهذا الإمام أو ذلك الشيخ أو شيخ الطريقة فلان،ولم يطلب أحد منهم الاقتداء بالأسوة الأولى والأخيرة للمسلمين جميعا وللناس كافة: الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. وبدلا من القول بالرجوع إلى

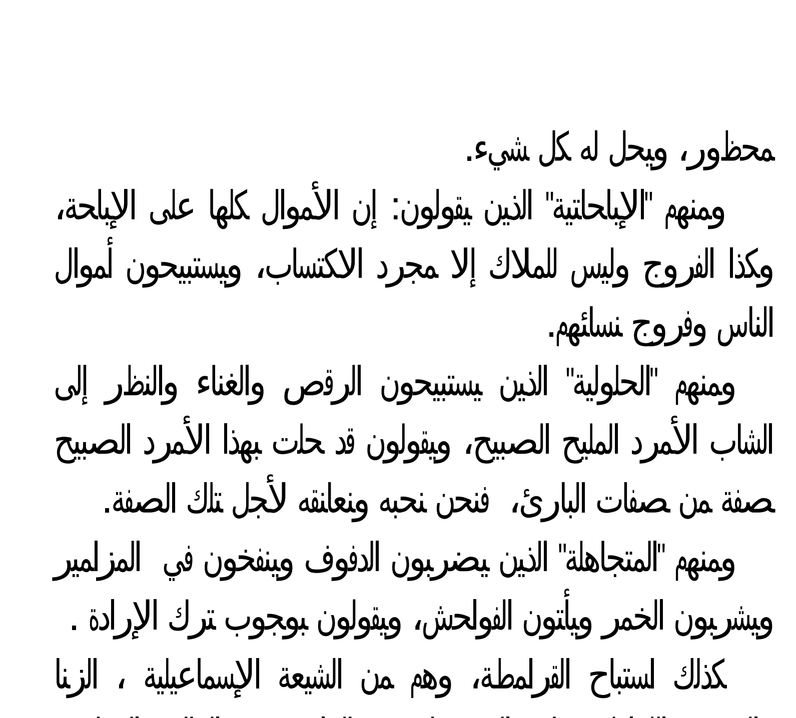
القرآن والسنة وإلى الله ورسوله، يتم إزلحة هذا كله والانحراف إلى بدلئل تبعد بنا عن الأصل الوحيد الحق. من مِن الصـوفية يـدعو مباشرة للتأسى بالنبي بدلا من شيوخهم لصحاب الطرق الشـاذلية والرفاعيــة والقادريــة والأحمديــة والنقشــبندية والتيجانيــة والميرغنية....وغيرهم. وإذا سألتهم: ولماذا التأسي بغير النبي، قالوا من فورهم إنه لسوتهم الحقيقية. وإن كان الأمر كذلك فما جـدوى التأسي بشيوخهم والاعتياض بأورادهم عن سنة نبيهم وقرآن ربه. أليس الأولى الاقتداء بالأصل الذي لا يغني عنه الفرع. ولحلوا التكايا والخانقاوات مكان المسجد، وعكفوا على أورادهم بدلا من القرآن الكريم، ولبتدعوا أنكارا خاصة بهم زعموا أن النبي أملاهـا علـى شيوخهم. والمقصود من هذه الأوراد والأنكار هو فك الارتبـاط بين المسلم والقرآن وصرف الناس عن كلام ربهم . فبـدلا مـن توجه المسلم بعقله ووجدانه إلى كتاب الله يقرأه ويهتدي به،كان هدف محرفي الدين هو توهين عرا هذه العلاقة والزعم أن النبي – بعد مماته!- أعطى هذه الأنكار إلى شيوخهم ومحتاليهم وعكف عليهـا المغفلون من مريديهم بعد أن ظنوا أن ثواب قراءتها يعدل قـراءة القرآن ألوف المرات . ومن هذه الأنكار ما لبتدعه لحمد التيجـاني


شيخ الطريقة التيجانية، وأسموها صلاة الفاتح وزعموا أنها تعـدل كل ذِكر تُلي في الأرض ستين ألف مرة. ولإحكام حلقة تـوهين هذا الارتباط بين المسلم وقرآنه اشترط المحرفون على المغفلـين الانصراف عن القرآن وعدم الانشغال به حتى يصـح إيمـانهم. ولننظر إلى أي مدى بلغ الاستخفاف .

وقد تُفهم علة انصراف همة اليهود أو الفرس أو الروم إلى محاربة الإسلام، ولكن من غير المفهوم مشاركة المسلمين أنفسهم في هذه المحاربة، فهم بين محدِث للتحريف أو مشارك فيه بالاتباع والطاعة، فمسخوا الإسلام وأفسدوه على أهله،وحدوا من انتشاره إذ صدوا عنه العقلاء والساعين إلى الحقيقة ممن لا يرون فيه إلا خزعبلات وشعوذة وأتْباع سفهاء. فمن فرق الصوفية فرقة "الحبية" الذين يقولون: إن ا تعالى إذا أحب عبداً رفع عنه الحساب فيحل له كل النعم ويسقط عنه العبادات ولا يبقى في حقه حظر فلا يصلون ولا يصومون، ولا يسترون العورة، ولا يمنعون عن الزنا وشرب الخمر ولا

عن اللواطة ولا عن محظور ما.

ومنهم "الأوليائية" الذين يقولون: إن الولي أفضل من النبي والرسول ومن الآدميين والملائكة جميعاً، وإنه إذا بلغ الإنسان في العبادة الدرجة القصوى وفي الولاية الرتبة العليا لا يحظر عليه



محظور، ويحل له كل شيء.

ومنهم "الإباحاتية" الذين يقولون: إن الأموال كلها على الإباحة، وكذا الفروج وليس للملاك إلا مجرد الاكتساب، ويستبيحون أموال الناس وفروج نسائهم.

ومنهم "الحلولية" الذين يستبيحون الرقص والغناء والنظر إلى الشاب الأمرد المليح الصبيح، ويقولون قد حلت بهذا الأمرد الصبيح صفة من صفات البارئ، فنحن نحبه ونعانقه لأجل تلك الصفة.

ومنهم "المتجاهلة" الذين يضربون الدفوف وينفخون في المزامير ويشربون الخمر ويأتون الفواحش، ويقولون بوجوب ترك الإرادة .

كذلك استباح القرامطة، وهم من الشيعة الإسماعيلية ، الزنا والخمر واللواط وسائر المحرمات، وقالوا بشيوع المال والنساء ، ولباحوا نكاح المحارم من أخوات وبنات ، فانظر إلى قولهم وكيف كشفوا بهذا الكلام عن ضلالهم . وإن تعجب فاعجب ممن لا يرى في هذا التحريف مفارقة للدين والملة.

وأقوال العلماء في أمور الدين لا تؤخذ قضية مسلمة، بل لا بـد من عرضها على الكتاب والسنة، فما وافقهما أخذ وما خالفهما رد. و الصحابة رضوان ا عليهم كانوا أعبد الناس وقد تحققـوا بهـذين الأصلين: الكتاب والسنة.

ويزعم الشيعة لأئمتهم قدرات خارقة ينازعون فيها ا سلطانه:"

قال أبو عبد ا ٤١: إني لأعلم ما في السماوات وما فـي الأرض وأعلم ما في الجنة والنار وأعلم ما كان وما يكون" [٤٢] ..." وإن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام"[٤٣]. ويقـول:" عندنا خزائن الأرض ومفاتحها وإن شئت أن أقول بإحدى رجلـي: أخرجي ما فيك من الذهب لأخرجت. ثم قال بإحدى رجليه فخطهـا في الأرض خطا، فانفرجت الأرض، ثم قال بيده فـأخرج سـبيكة ذهب وقال: إن ا سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنات النعيم ويدخل عدونا الجحيم "[٤٤]. وينسب الشيعة إلى جعفر الصـادق قوله: " إن ا جعل عليا علما بينه وبين خلقه، ليس بينهم علم غيره!! فمن أقر بولايته كان مؤمنا ومن جحده كان كافرا، ومن جهله كـان

٤١-هو جعفر الصادق ، الإمام السادس في سلسلة الأئمة الاثني عشرية ، وينسب الشيعة إليه معظم الفقه الشيعي

٤٢- الكافي ٢٠٤/١ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء

٤٣-الكافي ٢٢٥/١ كتاب الحجة باب الأمور التـي توجـب حجـة الإمام

٤٤- الكافي ٣٩٤/١-٣٩٥ كتاب الحجة. باب مولد جعفر بن محمد

ضالا ، ومن جاء بولايته دخل الجنة، ومن أنكرها دخل النار "[٤٥].

ومعيار الصلاح والاستقامة لدى الشيعة ليس العمل الصالح وطاعة الله ورسوله، وإنما هي الإقرار بولاية علي بن أبي طالب، فنسـبوا إلى علي قوله:" لو أن عبدا جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا ما قبـل الله ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي"[٤٦] .

ويقول المثل العربي:إذا كنت كذوبا فكن ذكورا. فبينمـا يـزعم الشيعة في أهم كتبهم - وهو الكافي- أن أئمتهم يعلمون الغيب، يعود قائلهم وفي نفس الكتاب، لينفي ذلك:"عن أبي عبد الله قـال: يـا عجباً لقوم يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي

فلانة، فهربت مني فما علمت في أي بيوت الـدار هـي"[٤٧] .

والصوفية يرون أن الاطلاع على الغيب ليس مستغربا فبمقـدور أوليائهم ومشايخهم خرق أستار الغيب. ولما اصطدم زعمهم بقول الله تعالى:" عالِم الْغَيبِ فَلا يظْهر علَى غَيبِهِ أَحدا إلا من ارتَضى مِن رسولٍ "[٤٨]، فلم يستثن أحدا إلا رسول،لم يجدوا غير التأويـل

٤٥-الأصول من الكافي- ج١ص٤٣٧- أمالي الطوسي٤٢٢

٤٦-بحار الأنوار- محمد باقر المجلسي- ج٢٧ص١٧٢

٤٧- الكافي ١/ ٢٠٠ باب نادر فيه ذكر الغيب

٤٨- الجن : ٢٦، ٢٧

بالباطل، فقال لهم الصوفي الشهير أبو العباس المرسـى:" وفـي معناها- أي كلمة رسول، أو صديق أو ولي "[٤٩].

وسيقول لك الشيعة: من قال لك إننا نسلّم بكل ما فـي كتـاب الكافي فإن فيه الصحيح والضعيف، وقال أحـدهم فـي محاولـة للتنصل مما جاء في كتبهم من باطل - وكان قوله كالعذر الأقـبح من الذنب - قال بجواز تخطئة من كتبوا هذه الكتب فهـم بشـر وليسوا بمعصومين، وإن كتبهم ليست فوق مستوى الشبهات ككتاب البخاري عند أهل السنة! وإن تعجب فاعجب من هذا القول، فكيف يأخذ عاقل دينه ممن لا يوثق به وبعلمه. هذه واحـدة، والثانيـة: مادامو قد علموا أن كتب الحديث عند أهل السنة صحيحة وفـوق مستوى الشبهات،فلم طرحوها وراء ظهورهم وانصـرفوا إلـى غيرها مما لا ينزهونها عن الخطأ والباطل؟
وقولهم بعدم نزاهة كتبهم عن الخطأ،إنما يقولون به إذا أُحيط بهـم وعدموا الوسيلة للدفاع عن ما بها من باطل. في حـين أن ذلـك يتعارض مع ما قاله كبار علماء الشيعة من أن نصوص كتـاب الكافي أشهر كتبهم الأربعة المؤسسة لملتهم متواترة مقطـوع بصحتها وهي أحسن الكتب الأربعة وأتقنها. وقد مضى على تأليف هذا الكتاب ما يقارب الألف سنة وبه ما به من الأباطيل،وزعمـوا

٤٩- ابن عطاء ا السكندري- لطائف المنن

أنهم عرضوه على جعفر الصادق فـأقره، ولـم يمحصـوه أو يستخلصوا منه الباطل، لأنهم إن فعلوا لم يبق منه شيء.

ولابد لِفرق الباطل من آليات ووسائل تركـب بهـا الموجـة وتسير بقوة دفعها. فالصوفية مثلا تمسحوا فـي البدايـة -ولا يزالون - في أهل الزهد والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وادعوا الانتساب إليهم. كما زعم الشيعة الانتساب إلى آل البيت النبوي والقول بمناصرتهم . وبعد أن ينخدع النـاس بهـذه الأكاذيب يمضى المضلون صوب الارتزاق باسم الدين والملة.

ولنتحال الأسماء والصفات القديمة وتركيبها على أحوال جديدة وبمعاني مستحدثة، هو إحدى الحيل التي يتخذها الحائدون عـن الحق لتحميل النصوص فوق ما أُريد بها. وهذا الانتحال من نوع لنتحال كلمة"ذرة"، الواردة في القرآن الكريم بالمعنى الذي قصده ا ، ثم تركيب معني حديث لها من تكوين ذري إلكتروني للمادة ، ثـم التهليل بأن القرآن يلاحق علوم العصر. ومثل ذلك كلمة أولياء ا الواردة في القرآن الكريم ، اقتبسها الصوفية وأطلقوها على فساقهم ليكتسبوا المعاني الواردة في القرآن بخصوص أولياء ا . الأمـر الذي دعا بعض المحتالين من تسمية أنفسهم بألفـاظ وردت فـي القرآن حتى يدللوا على أن القرآن بشر بهم، كالمحتـال الـذي ادعى النبوة في المغرب وسمى نفسه حاميم، وآخر سمى نفسـه

كسفا.

ومن أساليب المضلين التنصل من أباطيلهم بنسبتها إلى بعـض طوائفهم ، فيقول بها بعضهم دون البعض من أجل تبرئة الكل. فإذا اتهمت المبطل بما دلّس وافترى، تبرأ وأنكر وأزاح ما افترى إلـى غيره ممن يصفونه بأنه ليس على شيء. وهكذا يتناوبون توزيـع أكاذيبهم ومفترياتهم بينهم، فلا يمكن للمنتقد أن يصيب ضالته فـي الإشارة إلى المبطل بعينه والإمساك به،فيتمكن من الإفلات بفعلته. ويغالي الشيعة في أئمتهم حتى رفعوهم مقاما عاليا يدلني مقـام ا : فيزعمون أن أبا جعفر قال "نحن لسان ا ، ونحن وجه ا ، ونحن عين ا في خلقه" ، وأنه قال: إن ا خلطنا بنفسه فجعـل ظلمنـا ظلمه وولايتنا ولايته"[٥٠] و " نحن وا وجه ا نتقلب في الأرض بين أظهركم ونحن عين ا في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده"[٥١].

وذلك يثبت قول الشيعة بالاتحاد والحلول مثلمـا يقـول بهمـا الصوفية. ويزعمون أن " للإمام عشر علامات: يولـد مطهـرا مختونا وإذا وقع على الأرض وقع على راحتـه رافعـا صـوته بالشهادتين ولا يجنب، وتنام عينه ولا ينام قلبـه، ولا يتثـاءب ولا

٥٠-الكافي ١ص١١٢-١١٣ كتاب التوحيد :باب النوادر

٥١- الكافي ١١١/١ كتاب التوحيد: باب جوامع التوحيد

يتمطى ويرى من خلفه كما يرى من أمامــه، ونجــوه فســاؤه وضراطه وغائطه كريح المسك "[52].

و يقولون:" إن ا خلقنا - أي أئمة الشيعة - من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فأسكن ذلك الروح فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين. وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل ا لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا للأنبياء، ولــذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر الناس همجاً للنار وإلى النــار"[53]. أما قولهم في محمد صلوات ا عليه وسلامه فلا يختلف عمــا يقوله أمثالهم من الصوفية الذين يزعمون أن ا خلق محمــدا مــن نوره وأن هذا النور هو الذي استوى على العرش.

والشيعة يزعمون أن ا قال: يا محمد إني خلقتك وعليا نــورا يعني روحا قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي. ثم جمعت روحيكما وجعلتهما واحدة، ثم قسمتها اثنتين وقسمت اثنتــين اثنتــين فصارت أربعة: محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين اثنتان، ثم خلق ا فاطمة من نور ابتدأها روحا بلا بدن، ثم مسحنا بيمينــه

52- الكافي ٣١٩/١ كتاب الحجة – باب مواليد الأئمة

53- الكافي ٣٢٠/١ باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم

فأفضى نوره فينا "[٥٤]. والحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي هو ا المستوي على العرش كما قال ابن عربي: "الحقيقة المحمدية هي الموصوفة بالاستواء على العرش". "وأهل التصرف في الفكر الصوفي هم أهل الديوان الذين يتحكمون في المقادير وهم الغوث والأقطاب الأربعة" [٥٥]."ويرى إبراهيم الدسوقي الصوفي المعروف أن النبي محمد هو قبضة من نور ا ، فهو جزء من ذات ا تعالى، كان قبل خلق آدم يحيا كملك في عالم الملكوت، فلما خلق ا آدم من تراب حلت فيه تلك الحقيقة المحمدية، ثم انتقلت من نبي إلى نبي، وبعد وفاته، انتقلت إلى علي بن أبي طالب، ثم ابنه الحسن، وهكذا ظلت تنتقل من قطب إلى قطب، حتى ظهر إبراهيم الدسوقي فحل فيه ذلك النور، أو تلك الحقيقة المحمدية ٥٦.

" قال أبو عبد ا ٥٧" نحن وا ِ الأسماء الحسنى التي لا يقبل ا من العباد عملا إلا بمعرفتنا، بنا أثمرت الأشجار وجرت

٥٤- الكافي ٣٦٥/١ كتاب الحجة. باب مولد النبي ﷺ ووفاته

٥٥- عبد الرحمن عبد الخالق _ تفنيد الصوفية

٥٦- الأدب الصوفي في مصر- د. علي صافي حسين، نقلا عن الطرق الصوفية في مصر – الدكتور عامر النجار ص١٥٩ -بتصرف

٥٧- نحن ، وكل مسلم ، ننزه آل البيت النبوي الشريف من أن يقولوا بأي مخالفة للدين ، ولكننا للتسهيل نذكر رواية الشيعة عنهم كما جاءت في كتبهم .

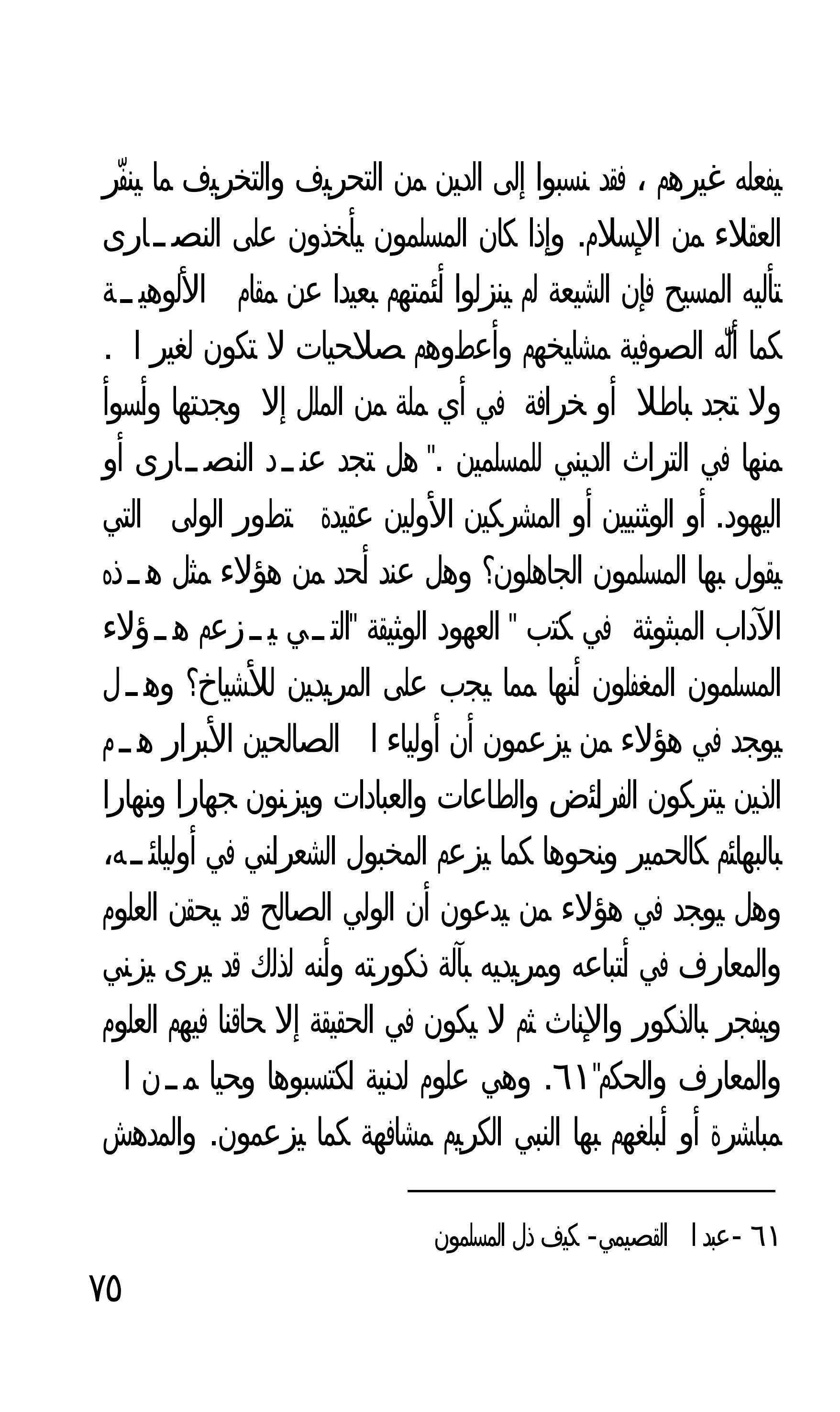
الأنهار، وبنا ينزل غيث

السماء وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عبِد ا ، ولولا نحن ما عبِد" [58]. وقال أحدهم: " دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟ قال نعم بإذن ا "[59]. ويقولون:" إن الدنيا والآخرة للإمام، يضعهما حيث يشاء ويدفعهما إلى من يشاء "٦٠. في حين يقول النبي صلى ا عليه وسلم: " لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول ا ، قال: "ولا أنا ما لم يتغمد ني ا برحمة منه وفضل. والمسلم اليوم يجهل، وإن علم، لا يدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب. فقد تصادمت آراء وفتاوى فقهائه في أمور جلل وقضايا أساسية أجازها فريق وأنكرها آخر. ففي حين يرى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز في فتوى له أن الشيعة أصحاب شرك أكبر، يرى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت جواز تعبد أهل السنة بالمذهب الشيعي الاثنى عشرى الجعفري . لقد فعل الصوفية والشيعة بالإسلام الحنيف ما لم

٥٨- الكافي ١-١١١ كتاب التوحيد : باب النوادر

٥٩- الكافي ٣٩١/١ كتاب الحجة. باب مولد أبي جعفر محمد بن علي

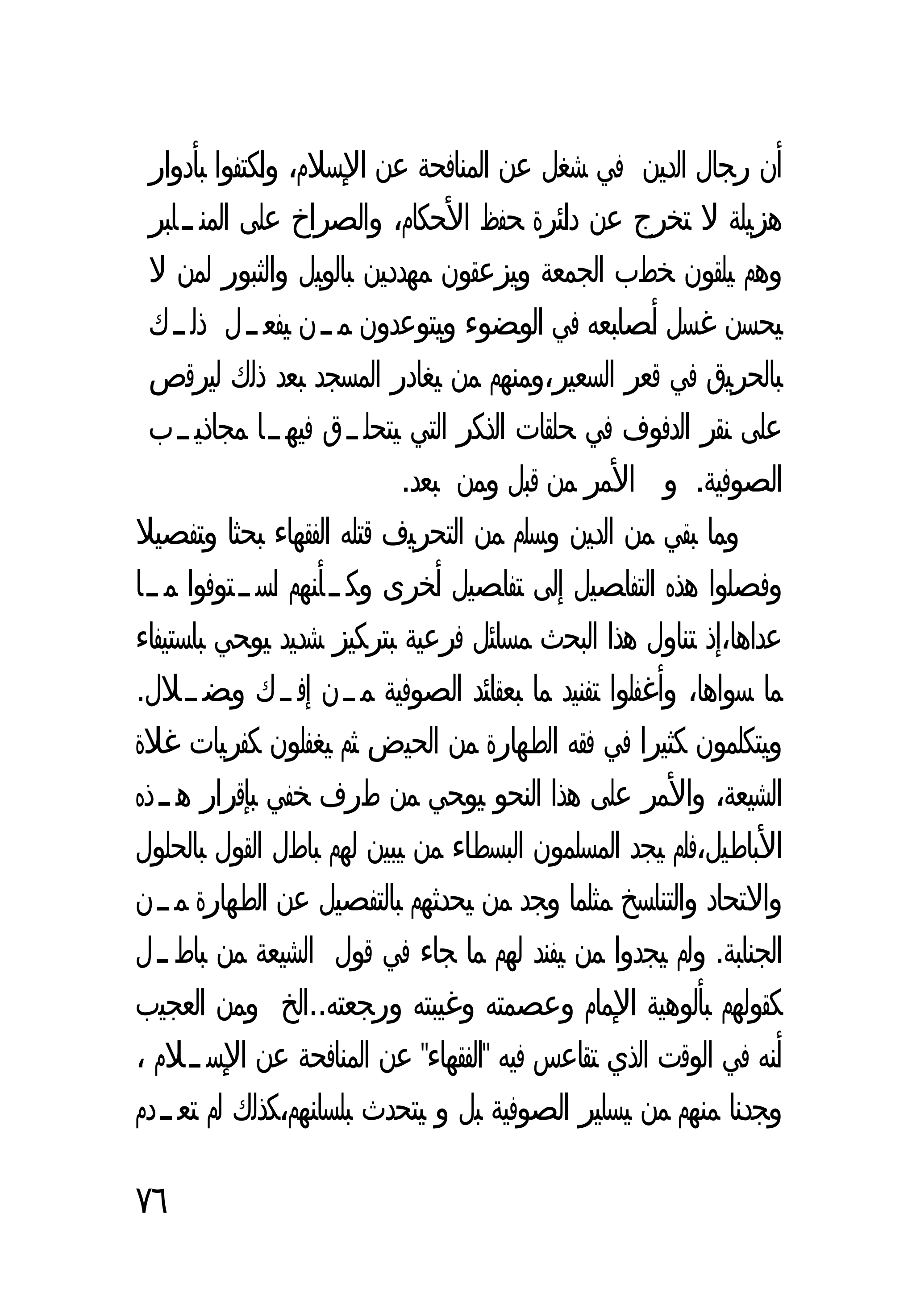
٦٠- الكافي ٣٣٧/١ كتاب الحجة. باب أن الأرض كلها للإمام



يفعله غيرهم ، فقد نسبوا إلى الدين من التحريف والتخريف ما ينفّر العقلاء من الإسلام. وإذا كان المسلمون يأخذون على النصـارى تأليه المسيح فإن الشيعة لم ينزلوا أئمتهم بعيدا عن مقام الألوهيـة كما ألّه الصوفية مشايخهم وأعطوهم صلاحيات لا تكون لغير ا .
ولا تجد باطلا أو خرافة في أي ملة من الملل إلا وجدتها وأسوأ منها في التراث الديني للمسلمين ." هل تجد عنـد النصـارى أو اليهود. أو الوثنيين أو المشركين الأولين عقيدة تطور الولى التي يقول بها المسلمون الجاهلون؟ وهل عند أحد من هؤلاء مثل هـذه الآداب المبثوثة في كتب " العهود الوثيقة "التـي يـزعم هـؤلاء المسلمون المغفلون أنها مما يجب على المريدين للأشياخ؟ وهـل يوجد في هؤلاء من يزعمون أن أولياء ا الصالحين الأبرار هـم الذين يتركون الفرائض والطاعات والعبادات ويزنون جهارا ونهارا بالبهائم كالحمير ونحوها كما يزعم المخبول الشعراني في أوليائـه، وهل يوجد في هؤلاء من يدعون أن الولي الصالح قد يحقن العلوم والمعارف في أتباعه ومريديه بآلة ذكورته ولذلك قد يرى يزني ويفجر بالذكور والإناث ثم لا يكون في الحقيقة إلا حاقنا فيهم العلوم والمعارف والحكم"٦١. وهي علوم لدنية لكتسبوها وحيا مـن ا مباشرة أو لبلغهم بها النبي الكريم مشافهة كما يزعمون. والمدهش

---

٦١ -عبد ا القصيمي- كيف ذل المسلمون



أن رجال الدين في شغل عن المنافحة عن الإسلام، واكتفوا بأدوار هزيلة لا تخرج عن دائرة حفظ الأحكام، والصراخ على المنـابر وهم يلقون خطب الجمعة ويزعقون مهددين بالويل والثبور لمن لا يحسن غسل أصابعه في الوضوء ويتوعدون مـن يفعـل ذلـك بالحريق في قعر السعير،ومنهم من يغادر المسجد بعد ذلك ليرقص على نقر الدفوف في حلقات الذكر التي يتحلـق فيهـا مجانيـب الصوفية. و الأمر من قبل ومن بعد.

وما بقي من الدين وسلم من التحريف قتله الفقهاء بحثا وتفصيلا وفصلوا هذه التفاصيل إلى تفاصيل أخرى وكـأنهم لسـتوفوا مـا عداها،إذ تناول هذا البحث مسائل فرعية بتركيز شديد يوحي باستيفاء ما سواها، وأغفلوا تفنيد ما بعقائد الصوفية مـن إفـك وضـلال. ويتكلمون كثيرا في فقه الطهارة من الحيض ثم يغفلون كفريات غلاة الشيعة، والأمر على هذا النحو يوحي من طرف خفي بإقرار هـذه الأباطيل،فلم يجد المسلمون البسطاء من يبين لهم باطل القول بالحلول والاتحاد والتناسخ مثلما وجد من يحدثهم بالتفصيل عن الطهارة مـن الجنابة. ولم يجدوا من يفند لهم ما جاء في قول الشيعة من باطـل كقولهم بألوهية الإمام وعصمته وغيبته ورجعته..الخ ومن العجيب أنه في الوقت الذي تقاعس فيه "الفقهاء" عن المنافحة عن الإسـلام ، وجدنا منهم من يساير الصوفية بل و يتحدث بلسانهم،كذلك لم تعـدم

الشيعية من يعتنقها من "الفقهاء"،بل ويفتري الأحاديث التي يزعم أنها أحاديث نبوية، ويلتوي بتفسير القرآن الكريم لإقرار الباطل

وكان من هؤلاء "الفقهاء" من يعرف الباطل ويسكت عنه، وبالدينار يجعل من الحق باطلا، ومنهم من هو كثير العلم قليل العقل. ورجل الدين الذي لا ينتقد الأحوال شيطان أخرس، إذ إن السكوت في هذا المقام يعنى إقرار الواقع وإضفاء الشرعية عليه، فيتقبله العوام - وجلّهم من الجهلة - دون إنكار أو تفكير في تغييره إذ برره لهم الفقيه العالم الذي يمثل في وجدانهم الحق والعدل ونظافة اليد والذمة.

وبينما أغلق أهل السنة باب الاجتهاد فتحه الشيعة على مصراعيه حتى دلف منه الباطل الذي ظنوه حقا، وليتهم لم يفعلوا، إذ فهموا أن الاجتهاد هو الشطح بلا ضوابط، والمضي على غير هدى القرآن والسنة، فضلّوا وأضلوا. وقد كان غلق باب الاجتهاد من باب التخوف الشديد من تفكك وحدة العقيدة وعلومها بسبب تيارات الزندقة والتشيع والتصوف التي سادت في القرن الرابع الهجري. في حين كان الدافع إلى فتح باب الاجتهاد عند الشيعة هو تهيئة الوسيلة لتمرير التبريرات والشطحات والمخترعات، فقد أنكروا القياس في حين غالوا في الاجتهاد.أنكر ابن عمر على رجل عطس، فقال: الحمد والصلاة والسلام على رسول ا قائلاً له:

"ما هكذا علمنا رسول ا صلى ا عليه وسلم بل قال إذا عطـس أحدكم فليحمد ا ولم يقل: وليصل على رسوله"!! ٦٢، تلك كانـت حساسية الرعيل الأول من المسلمين لما كان عليه دينهم أيام الإسلام الأولى، ولم يكن ليقبلوا أي لنحراف ولو كان طفيفا يخرج بهم عن دلئرة الأصول المقررة.

٦٢- رواه الترمذي

التخريف والتحريف في العقيدة

اقتضت رحمة ا تعالى مد يد العون إلى الإنسان الذي كان يعوزه فهم عالمه ولا يدري من خلقه ولماذا خلقه وما هو المطلوب منه، وما هي الضوابط الحاكمة لحياته وحياة الآخرين، وما شابه ذلك مـن تسـاؤلات. وبمجيء الإسلام تم إرساء المفاهيم العقائدية والتصـورات الإيمانيـة بشكلها النهائي وبجميع مكوناتها: الألوهية، والنبوة، والغيـب ، واليـوم الآخر، والقضاء والقدر، والملائكة، والجنة والنار والثواب والعقاب. كذلك تم إرساء أسس العبادات الإسلامية: الصلاة والزكاة والصيام والحج. وكل تلك المفردات التي تشكل الإسلام الحنيف قد طالتها يد العبث والعـابثين، وآمن بهذا التحريف والتخريف المغفلون، وسكت عنه المرتزقون. ومـا تقدم من تحريف يصادم في جلاء التصور الإيماني الإسلامي الصحيح وفقا لما جاء في القرآن الكريم. ففي أمر الدين يجب المحاسبة على الفتيـل والنقير، ولا يمكن الإغضاء عن بعضه وإلا جاز التنازل عنه كلـه. ولا قيمة لسلوك المسلم ما لم يكن قائما على التصور الإيماني الصحيح ، فـلا قبول لعبادات من تبطل تصورلته الإيمانية: فلا تصح صلاة من يـرى أن ربه مفرق في مخلوقاته، ولا صيام لمن يعتقد أن الأئمة والأقطـاب

والأغوات يشاركون الله في إدارة شؤون الكون، ولا حرج لمن يطلب الشفاعة من المشايخ والأولياء والمقبورين ، ولا دين البتة لمن يقول بألوهية أئمة الشيعة أو برفع مقامهم فوق مقام النبي، أو القول برفع مقام مشايخ الصوفية فوق مقام النبي أو برفع مقام النبي لرتبة الألوهية، وكلها أباطيل روج لها الشيعة والصوفية. ونظرا للأهمية القصوى للتصور الإيماني الإسلامي، فإن الآيات المكية عنيت بإرسائه وتوضيحه طوال الثلاث عشرة سنة الأولى من البعثة النبوية، وبعد ذلك عني القرآن بالأحكام والتشريعات الحياتية التي تنظم أمور الناس وذلك في عشر سنين بالمدينة المنورة.

الألوهية: الحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

يقول الصوفية بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود: والحلول معناه حلول الله تعالى في مخلوقاته، فتحل الذات الإلهية في الذات الإنسانية، أي حلول اللاهوت في الناسوت ، كما تحل في سائر المخلوقات كالشجر والحجر. والاتحاد هو اتحاد ذواتهم مع الذات الإلهية. أما وحدة الوجود فتعني نفي الإثنينية بين الخلق والخالق والقول بأن الله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته فالله -بزعمهم- موجود فقط في صورة مخلوقاته حتى الخنازير منها والكلاب –تعالى الله علوا كبيرا عما يصفون . ولتدمير الإسلام لجأ المبطلون إلى تقويض تصورالته ومفاهيمه

العقائدية فلا يلبث أن تتهاوى بنيته الإيمانية كلها، كما سبق وحـدث مـع الديانات السماوية السابقة.

ويحاول البعض تبرئة الصوفية من القول بوحدة الوجود مثل ما فـي قول البسطامي: سبحاني، وقول الحلاج: أنا الحق، وما في الجبة غيـر ا ، ويدفعون عن الصوفية هذه التهمة بقولهم إن الوحدة التي يقولون بها هي وحدة شهود وليست وحدة وجود – لنظر التلاعب بالألفاظ – فوحدة الشهود –كما يقولون- هي أن يفنى الصوفي عن كل شيء سوى ا فلا يشاهد غيره في الوجود. ويرى ابن عربي[٦٣] أنه ليس في الوجـود، بما فيه من مخلوقات وموجودات، سوى ا ، ولا معبود في الواقع سوى ا ، حتى وإن كانت المعبودات من الأصنام أو الحيوانات. وأنه لا فـرق بين ا ومخلوقاته، وذلك هو القول بوحدة الوجود، فيقـول إن وجودنـا وجود ا ، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا، وهو مفتقر إلينا مـن حيث ظهوره لنفسه، ولسمعه يقول:

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده

كما يقول:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

٦٣- هو محي الدين بن عربي الصوفي الأشهر المعروف بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ، ولد في مرسية سنة٥٦٠ هجرية

وبيت لأوثان وكعبة طائف   وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أني توجهت   ركائبه فالحب ديني وإيمـاني

لذا لم يكن غريبا أن يجترأ صوفي آخر فيقول:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا   وما ا إلا راهب في كنيسة".[٦٤]

وحرف الصوفية مفهوم الألوهية بقولهم بـالحلول والاتحـاد ونفي الاثنينية بين الخالق والمخلوق والقول بأن ا لا يوجـد إلا في مخلوقاته ، فطال عبثهم مفهوم الألوهية والوحدانية، مثلما طـال مفهوم النبوة، كما صورها القرآن الكريم.

وسبق أن قال بوحدة الوجود كل مـن النصـارى واليهـود والهنود. "وزعم ابن عربي أن موسى علم أن أصحاب العجـل - ممن أطاعوا السامري - ما عبدوا إلا ا ، لأن ا قال: {وقضـى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} ٦٥، فجعل هذا القضاء قضاء كونياً قدرياً، وأن ا ما حكم بشيء إلا وقع، ومعنى هذا عنده أن كل معبود في الأرض إنما هو ا ، وما عبد الإنسان شيئاً حجراً أو غيره إلا عبد ا ، مستدلاً بالآية السالفة بمعنى حكم وأمر "[٦٦]. ولا يتورع ابن عربي أن ينسب ما في الوجود من شر وقبائح وظلم وسفك دم إلى

٦٤-محمد بهاء الدين البيطار"أحد مشايخ الصوفية"- كتاب النفحات القدسية

٦٥- الإسراء:٢٣

٦٦ - عبد الرحمن عبد الخالق - تفنيد الصوفية

ا ، بل يجعل كل ذلك هو ا فيقول: " فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية، حيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى ا خاصة "[67]

. ولم يكتف بهذا القول المجمل، بل فصل ذلك أيضاً حيث جعـل الكبش الذي أنزله ا فداء لإسماعيل من الذبح هو ا ، تعـالى ا علوا كبيرا عما يصفون. يقول ابن عربي:

"فيا ليت شعري كيف ناب بذاته شخيص كبـيش عـن خليفـة رحمان"[68]

فوقتاً يكون العبد رباً بلا شك ووقتاً يكون العبد عبداً بلا إفك

فإن كان عبداً كان بالحق واسعاً وإن كان رباً كان في عيشـة ضنك[69]

"ومع بداية القرن الثالث الهجري ابتدأ المتصوفة بالتصريح بشيء من علومهم الباطنة فأنكر بعضهم على بعض، فهذا الجنيد يقـول للشـبلي –

٦٧- الفصوص ص٧٩. نقلا عن تفنيد الصوفية

٦٨- ابن عربي – فصوص الحكم ص٨٤

٦٩-الفصوص ص٩٠

وكلاهما من مشاهير الصوفية: "نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً، ثم خبأناه في السراديب، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ" فرد عليـه الشـبلي بقوله: "أنا أقول وأنا أسمع فهل في الدارين غيري"[٧٠]. وكان ذلك هو أول القول بوحدة الوجود. وفي نهاية القرن الثالث وأوائل القرن الرابع كـان الصوفيون قد قالوا على الملأ بعلومهم الباطنة الباطلة من الحلول والاتحاد والفناء في ا . وابن عربي كبير الصوفيين وسيدهم وهو القائل بوحـدة الوجود، يجترئ على ا "فيصوره في صورة رجل وامرأة يقترفان الإثم، مؤكداً لأتباعه أن الجسدين الآثمين هما في الحقيقة ذات ا "[٧١]، تعالى ا علوا كبيرا عما يصفون. كما يزعم أن ا خلق الإنسان على صـورته، مع أن ذلك يناقض ما سبق وافتراه من أن جميع المخلوقات هي صورة

ولا تنفرد صورة واحدة بأن تكون مثلاً للخالق، فا عند القائلين بوحدة الوجود هو عين وجود الشياطين والملائكة والإنس والجـن، والحيـوان والنبات. "ويزعم ابن عربي في كتابه "التجليات" أنه التقى برجال التصوف السابقين في البرزخ وناقشهم في عقائد التوحيد هذه، وبين لهـم خطـأهم وعرفهم في النهاية أن لا موجود إلا ا ، وأن ا والعبد شيء واحد، وأنهم

٧٠- محمد الكلاباذي أبو بكر- التعرف على مذاهب أهل التصوف ص١٤٥

٧١- عبد الرحمن عبد الخالق -تفنيد الصوفية

أقروا جميعاً بذلك".[٧٢] وينسب الشيعة إلى جعفر الصادق –وهـو الإمـام السادس في سلسلة الأئمة الاثنى عشرية- أنه قال: " لنا مع الله حـالات، نحن فيها هو، وهو نحن". مما يعني صريح القول بـالحلول والاتحـاد. ويلوون معاني القرآن لتثبت حلول الله في أئمتهم:"عن أبي جعفر قال فـي قول الله تعالى: " وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " ٧٣ قـال: إن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته"[٧٤]، وهو عين القـول بالاتحاد والحلول الذي يقول به أقطاب الصوفية مثل الحلاج وابن عربي. والصوفية الاتحادية الذين يقولون بأن وجود الخالق هو وجـود الخلـق يصرحون بأن "وجود "يغوث" و"يعوق" و"نسرا" وغيرها من الأصنام هو وجود الله ولأنها عبدت بحق وكذلك العجل عبد بحق وأن موسى أنكر على هارون من نهيه عن عبادة العجل وأن فرعون كان صادقا في قوله أنـا ربكم الأعلى وأنه عين الحق وأن العبد إذا دعا الله تعالى فعين الداعي عين المجيب وأن العالم هويته ليس وراء العالم وجود أصلا"[٧٥].

٧٢- تفنيد الصوفية

٧٣- البقرة ٥٧

٧٤- الكافي ١١٣/١ كتاب التوحيد: باب النوادر

٧٥-ابن تيمية- الرد على ابن عربي

وتزعم فرقة "البنانية" من الشيعة أن ا تعالى حل في علي رضى ا عنه وفى أولاده، وأن أعضاء ا تعالى تعدم كلها ما خلا وجهـه لقولـه تعالى: كُل من

علَيها فَانٍ ويبقَى وجه ربك ذُو الجلال والإِكْرامِ٧٦ . وفرقة "الخطابية" يزعمون أن ا تعالى حل في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم فـي زين العابدين ثم في الباقر وفي الصادق. و النصيرية يزعمـون أن ا تعالى كان يحل في علي في بعض الأوقات وفي اليوم الذي قلع علي باب خيبر كان ا تعالى قد حل فيه. و "الأسجافية" وهم على هذه المقالة، وهذه الطائفة باقية في حلب وفي نولحي الشام .و"الأزلية " يزعمون أن عليا قديم أزلي ومعه عمر بن الخطاب. "واليونسية" يزعمون أن النصف الأعلـى من على بن لبي طالب كرم ا وجهه مجـوف وهـو مـن ا ، وأن النصف الأدنى منه مصمت .لنظروا ما آل إليه لمر ديننا العظيم ومـا لطخوا به صفحته من التحريف والتخريف.

ويزعم الشيعة أن لئمتهم قادرون على الإحياء والإماتة ، مع أن ذلك من القدرات الإلهية فقط، ولا يحي ويميت غير ا تعالى، فيقولون عـن لئمتهم :" إنهم يحيون ويميتون "[٧٧]. وسأل لحدهم لبا جعفر: لنتم تقدرون

٧٦- الرحمن-٢٦، ٢٧

٧٧-الكافي ٤٢٦/١

على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه و الأبرص؟ قال نعـم بـإذن ا
".[78]

وكان مشركو قريش يزعمون أن أصنامهم تقربهم إلـى ا ، ولـم يقولوا بأن هذه الأصنام هي ا ذلته، أي قالوا بأن ا واحد ولكـن لـه شركاء: فتلك الأصنام وسائط تقربهم إلى ا زلفى، في حين قال الشيعة والصوفية بأسوأ من ذلك، إذ قالوا بألوهية علي بن أبي طالب والنبي محمد صلى ا عليه وسلم. وادعى الكثيرون مـن اتبـاع الفـرقتين النبـوة والألوهية: فمن الشيعة ادعاها أبو الخطاب الأسدي، ومن الصوفية ادعاها الحلاج والشلمغاني، وغيرهم كثيرون. ومنهم من لم يكتـف بمرتبـة الألوهية بل مضى أبعد من ذلك وزعم أنه كبير الآلهة كما فعل الصوفي ابن عربي الذي يجله الكثيرون من "مثقفي" المسلمين إلى الآن.

ولا تنتهي مزاعم ادعاء الفضل والتميز، فيزعم الشيعة أن عليا قـال -وحاشاه أن يكون قد قال-:" أنا عين ا ، وأنا يد ا ، وأنا جنـب ا "[79]، وأن ا أعطى أئمتهم الأرض وفوضهم في التصرف فيها، فعن أبـي جعفر أنه قال:"....ثم خلق جميع الأشياء وفوض أمورها إلـيهم. فهـم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون. ولن يشاءوا إلا أن يشـاء ا

٧٨- الكافي ١-٣٩١ –كتاب الحجة-باب مولد أبي جعفر محمد بن على

٧٩- الكافي ١١٣/١ كتاب التوحيد- باب النوادر .

وزعموا أن الدنيا والآخرة للإمام يضعهما حيث يشاء ويدفعهما إلى من يشاء "[81]، أي أنهم أعطوا صلاحيات الإله للإمام. ويزعمون أن الأئمة يعلمون الغيب وكل شيء، قال أبو عبد الله: " أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير، فليس ذلك بحجة على خلقه" [82]، وقال:" لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثة" [83].

وكلما أوغل المبطلون في ضلالهم ووجدوا من يصدقهم، ازدادوا عتوا وتجاوزوا حدود الخيال المريض، و إن دل ذلك الإيغال على شيء فإنما يدل على مدى تلطخ العقل المسلم بأوحال الجهل والضلال التي تعجزه عن رفض ما يصور له على أنه الإسلام الحنيف، ولنظر - مثلا- فيما

٨٠- الكافي ٣٦٥/١ كتاب الحجة. باب مولد النبي ﷺ ووفاته.

٨١- الكافي ٣٣٧/١ كتاب الحجة. باب أن الأرض كلها للإمام.

٨٢ - الكافي ٢٠٢/١ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم.

٨٣- الكافي ٢٠٤/١ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء

يزعمونه قول لبي عبد ا :" إنني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة والنار وأعلم ما كان وما يكون"٨٤، "و أن الإمـام لا يخفى عليه كلام لحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام" ٨٥. أي لنه يكتسب جميع صلاحيات ا .

ويزعم بعض المتصوفة أن من كرلمات أوليائهم إحياء الموتى، فهذا أحمد البدوي تستغيث به لمرأة ليحيي ولدها الذي مات " فمد لحمد البدوي يده إليه ودعا له فأحياه ا تعالى "[٨٦]. والبدوي يميت من يتعرض له مـن الأحياء كما فعل مع معارضيه في العراق، فقد قال لهم موتوا فوقعوا على الأرض

قتلى، ثم قال: قوموا بإذن من يحي ويميت الأحياء، فقاموا "[٨٧]. وهـذه الأقوال ممتنعة من الناحية الإيمانية، وكفى بالمرء جهلا أن يصدقها.

٨٤- الكافي ٢٠٤/١ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون ولنه لا يخفى عليهم الشيء

٨٥- الكافي ٢٢٥/١ كتاب الحجة باب الأمور التي توجب حجة الإمام

٤- الجواهر السنية ص ٤٦، نقلاً عن السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة د. أحمـد صبحي منصور ٢٣٣.

١ – المرجع نفسه، نقلاً عن السيد البدوي ...ص ٢٣٤ .

يقول ا تعالى في كتابه العزيز:" وَلِلهِ الأَسماء الحسنَى فَادعوه بِه‍ـا وذَروا الذِين يلْحِدون فِي أَسمائِهِ سيجزون ما كَانُوا يعملُون "٨٨، ويزعم الشيعة أن أبا عبد ا قال: " نحن وا ِ الأسماء الحسنى التي لا يقبل ا من العباد عملا إلا بمعرفتنا، فبنا أثمرت الأشجار وجرت الأنهار، وبن‍ـا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عِبِد ا ، ولولانا م‍ـا عبِد" [٨٩].

ويعتقد الصوفية عقائد شتى في الأولياء ، فمنهم من يفضل ال‍ـولي على النبي ، ومنهم من يجعل الولي مساوياً في كل ص‍ـفاته، فه‍ـو يخلق ويرزق ، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون. ولهم تقسيمات للولاية

: فهناك الغوث، والأقطاب، والأبدال والنجباء حيث يجتمعون في ديوان لهم في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير .

ولأن جذور التشيع والتصوف تعود إلى اليهودية ، لذا يسهل لكتشاف أوجه الشبه بين الباطل اليهودي والصوفي والشيعى. يقول الرابي مناحيم: "إن ا تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة

٨٨- الأعراف ١٨٠

٨٩- الكافي ١١١/١ كتاب التوحيد: باب- النوادر .

لا يمكن حلها في السماء" ٩٠. وهل تجد فرقا بين ما يفتريه اليهود وما يفتريه الشيعة إذ يكذبون على عبد ا بن مسعود أنه قال: أتيت فاطمـة صلوات ا عليها، فقلت لها أين بعلك؟ فقالت:عرج به جبريل عليه السلام إلى السماء، فقلت: فيما ذا؟ فقالت: إن نفرا من الملائكة تشاجروا في شيء فسألوا حكما من الآدميين فأوحى ا تعالى إليهم، أن تخيـروا، فاختـاروا علي بن أبي طالب عليه السلام" [٩١] وقالوا: " إن النبي وعليا وفاطمـة والأئمة الاثني عشر هم العلل الأربع لخلق العالم"[٩٢]. ويقول الشعراني عن الرفاعي، وهما الصوفيان المشهوران: "كان الرفاعي قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السماوات السبع فـي رجله كالخلخال"[٩٣]. في حين أن الحبيب المصطفي سيد ولـد آدم ينهـى الناس أن ينزلوه غير مكانته، عن أنس رضي ا عنه قال: إن أناسـا قالوا: " يا رسول ا ، يا خيرنا وابن خيرنا

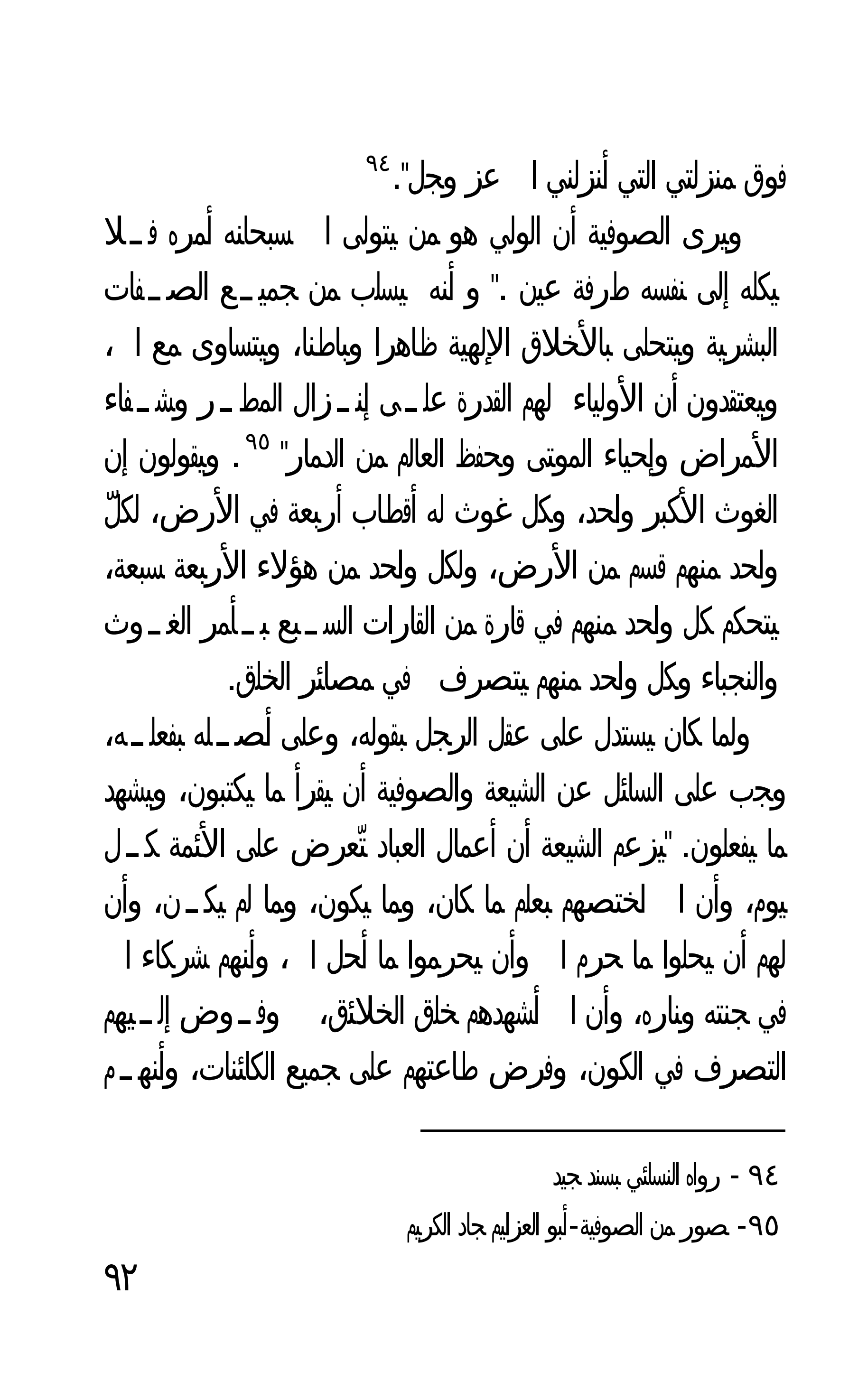
وسيدنا وابن سيدنا، فقال: يا أيها النـاس قولـوا بقـولكم، ولا يستهوينكم الشيطان،أنا محمد عبد ا ورسوله، ما أحب أن ترفعوني

٩٠- د . غازي حسين -العنصرية والإبادة الجماعية في الفكر والممارسة اليهودية

٩١-الشيخ المفيد -الاختصاص-ص٢١٣

٩٢-أحمد الأحسائي-كتاب شرح الزيارة-نقلا من تبديد الظلام

٩٣-الشعراني –لطائف المنن



فوق منزلتي التي أنزلني ا عز وجل".[94]

ويرى الصوفية أن الولي هو من يتولى ا سبحانه أمره فـلا يكله إلى نفسه طرفة عين ." و أنه يساب من جميـع الصـفات البشرية ويتحلى بالأخلاق الإلهية ظاهرا وباطنا، ويتساوى مع ا ، ويعتقدون أن الأولياء لهم القدرة علـى إنـزال المطـر وشـفاء الأمراض وإحياء الموتى وحفظ العالم من الدمار"[95] . ويقولون إن الغوث الأكبر واحد، وكل غوث له أقطاب أربعة في الأرض، لكلّ واحد منهم قسم من الأرض، ولكل واحد من هؤلاء الأربعة سبعة، يتحكم كل واحد منهم في قارة من القارات السـبع بـأمر الغـوث والنجباء وكل واحد منهم يتصرف في مصائر الخلق.

ولما كان يستدل على عقل الرجل بقوله، وعلى أصـله بفعلـه، وجب على السائل عن الشيعة والصوفية أن يقرأ ما يكتبون، ويشهد ما يفعلون. "يزعم الشيعة أن أعمال العباد تّعرض على الأئمة كـل يوم، وأن ا اختصهم بعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكـن، وأن لهم أن يحلوا ما حرم ا وأن يحرموا ما أحل ا ، وأنهم شركاء ا في جنته وناره، وأن ا أشهدهم خلق الخلائق، وفـوض إلـيهم التصرف في الكون، وفرض طاعتهم على جميع الكائنات، وأنهـم

---

٩٤ - رواه النسائي بسند جيد

٩٥- صور من الصوفية-أبو العزايم جاد الكريم

أركان الأرض ولولاهم لساخت بمن فيها "[٩٦]. والشيعة من فرقة "المفوضية" يزعمون أن ا تعـالى خلـق أرواح علـي وأولاده وفوض العالم إليهم فخلقوا هم الأرضين والسماوات.

و يزعم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن علي بن أبي طالب قال:

" لنتقل النور إلى غرلئزنا ولمع في لئمتنا، فنحن أنوار السـماء ولنوار الأرض، فبنا النجاة ومنا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور، وبمهدينا تنقطع الحجج"٩٧ ،... " ونحن الذين بنا تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا

تمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنـا ينـزل الغيـث، وتنشـر الرحمة٩٨. يقول الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية : " إن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية، وخلافه تكوينية تخضـع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون "[٩٩]. فالكون بذلك خاضع لولايتهم وسيطرتهم وتصرفهم ، وماذا بقي بعد ذلـك مـن

٩٦- إبراهيم السليمان الجبهان- تبديد الظلام وتنبيه النيام – ص ١٨٧

٩٧- مروج الذهب للمسعودي ٣٣/١ /

٩٨- لنظر نشأة الفكر الفلسفي النشار ٢٩٧/٢ .

٩٩- الحكومة الإسلامية للخميني ٥٢ .

صلاحيات إلهية لم يدعوها لأئمتهم؟

وقضية الحلول تكاد تكون متطابقة عند كل من الحلاج الصوفي وغلاة الشيعة. فقد كان الحلاج يقول في دعائه: "يا إله الآلهـة ويـا رب الأرباب، ويا من لا تأخذه سنة ولا نوم رد إلي نفسي لئلا يفتن بي عبادك، يا من هو أنا، وأنا هو لا فرق بين آنيتي وهويتـك، إلا الحدث والقدم" .

والحلاج هو الذي وجدت عنده ورقة مكتوب فيها "من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلان". و يزعم أبو الخطاب الأسدي الشـيعي أن ا خلق روح علي وأولاده وأسند إليهم أمر العالم فخلقوا هـم السماوات والأرض. لذا فإن منهج الصوفية وغلاة الشيعة فـي القرن الثالث الهجري كان منهجاً واحداً وعقيدة واحدة، فالحلاج كان صاحباً لكبار رجال التصوف المشهورين كالجنيد البغدادي والشبلي وذلك في القرن الثالث الهجري وقت ميلاد التصوف مـن رحـم التشيع، والجنيد نفسه قد أرسل إليه عندما حكم عليه بالقتل والصلب يقول: " إنك أفشيت أسرار الربوبية فأذاقك ا طعم الحديد"! وأمـا الشبلي فيقول: "كنت أنا والحسن بن منصور الحلاج شيئاً واحداً غير أنه تكلم وسكت أنا". فالصوفية كانوا مع غلاة الشـيعة شـيئاً واحداً عقيدة وهدفاً.. عقيدة في الحلول، وإن اختلف المحلول فيـه، وهدفاً واحداً في العمل على تحريف دين الإسلام.

وكما طال الانحرافُ العبادات كذلك طال التصورات العقائدية: فالتوحيد هو الإقرار بوحدانية الله وإفراده بالعبادة، لكـن الشـيعة يرون أن التوحيد هو الإيمان بالإمامة والولاية: أي إمامة على بـن أبي طالب والأئمة من بعده، وأن إنكارها هو الكفر والشرك.ولمـا حددوا أركان الإسلام الخمسة استبدلوا الولاية بشهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا رسول الله . أي أنهم أحلوا مبدءا دنيويا يتعلق بالحكم - وهو الولاية- مكان أهم مبدأ عقيدي أرساه الإسلام وهو التوحيد الذي استغرق إرساؤه في الضمير المسلم ثلاث عشرة سـنة مـن الدعوة في مكة المكرمة، فنسبوا إلى أبي جعفر قوله: " بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكـاة، والحـج، والصـوم، والولاية. ولما سئل: وأي شيء من ذلك أفضـل، فقـال الولايـة أفضل"[١٠٠]، أي أن الشهادة بولاية على بن أبي طاب أهـم مـن الإقرار بوحدانية الله وأن محمدا رسوله. وقالوا: "من أشرك مـع إمام إمامته من عند الله مع من ليست إمامته من الله كان مشـركا بالله"[١٠١].. ويرى الصوفيةُ أن شهادة " لا إله إلا الله " هي توحيـد العامة والدهماء ممن ينقصهم العلم، ويقولون بتوحيد الخاصة ممـن يعلمون ويعقلون علومهم العلوية فيزعمون أن " لا موجود غير الله

١٠٠- الكافي في الأصول" ص١٨ ج٢ ط إيران

١٠١- الكافي ٣٠٥/١ كتاب الحجة: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل

" بمعنى أن الكون كله مظـاهر ويبنفـون الإثنينيـة بـين ا ومخلوقاته وذلك هو القول بوحدة الوجود. كما يقولون:من أشرك بشيخه شيخاً آخر فقد أشرك با .فالشرك في نظرهم ليس عـدم إفراد ا تعالى بالألوهية، وإنما هو عدم إفراد شـيوخهم بالطاعـة والتبعية والاتباع. وإذا اختل معيار التوحيد انحلت بنية العقيدة كلها.

ومن مكائد أعداء الإسلام - الصوفية والشيعة - النيل من مكانة النبي الكريم إما بالغلو فيه وتقريبه من مقام الألوهية، أو وضعه في مرتبة أدنى من مشايخهم وأئمتهم، وذلك برفع مقام أوليائهم وأئمتهم فوق مكانته، وتركيز الأضواء وهالات التقديس على هؤلاء الأولياء والمشايخ والأئمة ، بل يصل الأمر أحيانا إلى سب النبـي الكـريم، فيرمي الصوفي الشهير ابن سبعين[١٠٢] النبي صلى ا عليه وسـلم بالكذب فيقول:" لقد كذب ابن أبي كبشة- يقصد به النبـي الكـريم- حين قال لا نبي بعدي ". وتراوح منهج تحريف الإسلام الحنيـف بين الطرح الخرافي والطرح الهزلي إن صح التعبير، واقرأ كتـب الشيعة لتعرف كيف يسـخرون مـن النبـي بتصـويره بشـكل كاريكاتوري "هزلي" فيقولون: "لما ولد النبي مكث أياما ليس لـه لبن. فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه، فأنزل ا فيه لبنا فرضع منـه

---

١٠٢ - وهو عبد الحق بن محمد بن نصر الاشبيلي المرسى القرمطي ، ولد سنة ٦١٤ وتوفى سنـة٦٦٩ هجريـاً

أياما حتى وقع أبو طالب على حليمة السعدية فدفعـه إليهـا" [١٠٣].
وقالوا:" إن النبي كان يؤتى به الحسين فيلقمه لسانه فيمصه فيجتزئ به. ولم يرضع من أنثى" [١٠٤]. ويزعم الصـوفية أن النبـي يـأتيهم شخصيا أو مناما لتبليغهم الأخبار والأذكار والأوراد،بـل ويملـيهم الكتب التي يستكملون بها العقيدة. والقول بأن النبي يبلغ أمتـه بعـد مماته إنما يعني تقصيره –حاشاه- في تبليغ الرسالة في حياته، وهو أمر يصادم الحقيقة وتنفيه شهادة ا تعالى بكمال الدين وتمامه. ولو كان النبي يأتي الناس بعد مماته فهو إذن يخرق سنة ا التي سـنها لعباده إذ قضى بموتهم جميعا وبعثهم يوم القيامة، وإن يخرق النبـي هذه السنة فهو إذن إله وليس ببشر. وإن كان بوسعه العودة إلى الدنيا لتعليم شيوخ الصوفية الأذكار والأوراد، فما كان أحراه أن يظهر في مواطن كثيرة كان ظهوره فيها أهم من مقابلة محتـالي الصـوفية، مثلا: لحل نزاع المسلمين في حروب الجمل وصـفين ، وهـي حروب مات من جرائها عشرات الألوف من المسلمين، أو مساعدة المسلمين أيام هزائمهم على أيدي الصليبيين والتتار، أو لدرء استباحة المدينة المنورة في موقعة الحرة وغير ذلك. وممـا لا أسـتطيع فهمه، قول البعض إن النبي أتاه في المنام وأخبره أنه سيعبر مـع

١٠٣- عن أبي عبد ا الكافي ٣٧٣/١ كتاب الحجة. باب مولد النبي ووفاته .
١٠٤- عن أبي الحسن الكافي ٣٨٧/١ كتاب الحجة. باب مولد الحسين

الجيش في حرب أكتوبر ٧٣، وأنه شوهد فعلا – أي النبي- مع العابرين لقناة السويس! والنبي الحبيب غير مستطيع بذاته، فهو لا يقدر أن يبعث نفسه من الموت ويعود إلى الحياة الدنيا وقد قال عن نفسه إنه لا يعلم ما يصنع به غدا، فقدرته بشرية وتسري عليه القوانين البشرية، فقد مات ولن يعود إلى الحياة الدنيا وإلا كان إلها. وإذا أراد الله له أن يعود إلى الحياة الدنيا-خرقا للناموس-الذي وضعه للناس من الأزل وللأبد وهو عدم عودة الموتى إلى الحياة، فلابد - جدلا- أن تكون الغاية من هذا البعث جليلة وضرورية، فلا تكون لمثل مقابلة شيوخ الصوفية ، أو مشاركة الجنود عبور القناة. والزعم بمشاركة النبي للجنود في حرب أكتوبر يسئ إليه ولا يمتدحه إذ أفسحوا المجال لمن يقول: أين كان النبي عندما حدثت الثغرة ولماذا لم يسترد سيناء أو لماذا لم يحرز نصرا حاسما. ويحدثنا التاريخ أن المسلمين هزموا في أُحد وكادت تحيق بهم الهزيمة في حنين مع أن النبي كان معهم . ولكن المبطلين يريدون ترويج القول بعودة النبي إلى الدنيا حتى لا يكون مستغربا قولهم بعودة أمثال البدوي للحياة ليصنع الحلوى للصوفي عبد الوهاب الشعراني احتفالا بفض بكارة زوجته.

يقول ابن عربي كبير الصوفية: إن ذات محمد صلى الله عليه وسلم هي أول ذات تكونت من الهباء وهي التي استوت على

العرش الإلهي، ومن نور هذه الذات خلق ا الخلق جميعاً بعد ذلك فالملائكة والسماوات والأرض كل ذلك قد خلق من نـور الـذات الأولى وهي الذات المحمدية . ويواصل ابن عربـي افتراءاتـه فيزعم أن النبي أعطاه كتابا وأمره بتبليغه للنـاس، وهـو كتـاب "فصوص الحكم" وهو الكتاب الذي جعله خاتمة لأعمالـه جامعـاً لعقيدته،يقول فيه: " أما بعد فإني رأيت رسول ا صلى ا عليـه وسلم في مبشرة أريتها في العشر الآخر من المحرم سـنة سـبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده صلى ا عليه وسـلم كتاب، فقال لي: هذا "كتاب فصوص الحكم خذه واخرج بـه إلـى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة ولرسوله وأولي الأمـر منا كما أمرنا" ثم يقول: فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجـردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما خطه لي الرسول صلى ا عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان"[١٠٥]. والغلو في مقـام النبـي الكريم وإعطائه صلاحيات إلهية إنما هو كفر بواح لا يراد به في الواقع سوى تشويه مقام النبي والنبوة.وها هو البوصـيرى أحـد مشاهير الصوفية يقول في قصيدته الشهيرة " البردة":

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عنـد حلـول

١٠٥-الفصوص، ص٤٧، طبع بيروت. تحقيق: أبو العلاء عفيفي

الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضـلا وإلا فقـل يازلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علـم اللوح والقلم

كما يقول في همزيته "قصيدة أخرى":

هذه علتي وأنت طبيب ليس يخفى عليك في القلب داء

والملاذ لا يكون إلى غير ا ، والنبي لا يعلم علم اللوح والقلم،ولا يعلم الغيب، وهو القائل:لا تطروني كما أطرت النصارى لبن مريم، إنما أنا عبد ا فقولوا عبد ا ورسوله. ويقول ا تعالى:" قُـل لا َأملِك ِلنَفْسِي نَفْعا ولا ضرا ِإلا ما شَاء الله ولَو كُنْتُ َأعلَـم الغَيـب لاستَكْثَرتُ مِن الخَيرِ وما مسنِي السوء ِإن َأنَا ِإلا نَذِير وبشِير لقَـومٍ يؤْمِنُون" ١٠٦.

ويزعم الشيعة والصوفية علو مكانة أئمتهم وشيوخهم فوق مكانة

١٠٦- الأعراف١١٨

النبي صلى ا   عليه وسلم. فالصوفية يرون أن الولي منهم يأخذ العلم اللدني مباشرة من ا   دون واسطة أو وحي، وهو دائم الإضافة إلى الدين في حين أن إضافات النبي امتنعت بوفاته وانقطاع الوحي،لـذا ينزلون أولياءهم منزلة أعلى من منزلة النبي، باعتبار أن النبوة تنقطع والولاية لا تنقطع.ويرون أن النبي هو خاتم الأنبياء في حين أنـه لا خاتم للأولياء. وادعى ابن عربي أنه خاتم الأولياء، وكذلك فعل أحمد التيجاني وغيرهما. وافتراض إمكان أن يضيف الأولياء إلى ديـن ا ،من شانه أن ينسف من القواعد كمال الدين وتمامه علي الصورة التي وصفه ا   بها عندما قال:" اليوم أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْممتُ عَلَيكُم نِعمتِي ورضِيتُ لَكُم الإِسلام دِينًا "١٠٧. لـذا رأوا أن يرتفعـوا بمكانة النبي إلى آفاق بعيدة ضلوا معها وقاربوا بين النبي وا . "ذكر المستشرق نيكلسون: إن الفارق شاسع بين صورة النبي في القرآن وصورته عند الشيعة إذ جعلوا للولي ولإمامهم المعصوم صـورة أكبر من صورة النبي، ووصفوه بكل الصفات الإلهية، بينمـا فـي المقابل أعلوا من صورة النبي وجعلوه مرجع كل الأنبياء والأوليـاء والحقيقة الإلهية السارية في كل الوجود،وراحوا يلحون دوما على أن العالم ليس سوى صورة الحقيقة المحمدية، وأن الحقيقـة المحمديـة

١٠٧- المائدة٣

ليست سوى صورة ا ."١٠٨. ولما ادعى الشيعة والصوفية علـو مقام لئمتهم وأوليائهم فوق مقام الأنبياء والرسل،أعوزهم الدليل ولـم يجدوا خيرا من قصة الخضر مع النبي موسى - إذ علم مالم يعلمه موسى - وبها جوزوا أن يعلو غير النبي على مقام النبي. "ويـذكر الشعرلني الصوفي الشهير لنه رأى الخضر عليه السلام، ولجتمـع معه على سطح جامع الغمري حيث لخذ الخضر بيده وأوقفه علـى عين الشريعة١٠٩، مع ملاحظة أن الفارق الزمني بين الخضـر والشعرلني حوالى ثلاثة آلاف سنة! وخلع الصوفية على شـيوخهم قدرات خارقة: يحكون عن عبد الوهاب الشعرلني الموصوف بأنـه إمام القرن العاشر الهجري، لنه " تمكن من الطيران في الهواء،فكان يطير من صحن الجامع إلى السطح أو المنارة.....، فيقبـل عليـه الناس من كل فج ،ويقدمون إليه الهدليا والأموال "١١٠. وإن كـان الصوفي يبلغ المراقي بحسن تدينه ويطير بلا لجنحة، فما بال النبي لم يطر مع كمال إيمانه، وقد قطع عند هجرته من مكة إلى المدينـة الطريق راكبا الجمل ويهديه الدليل، تُرى لكان الصوفي أكمل إيمانا

١٠٨-د.عبد المنعم الحفني- الموسوعة الصوفية ص٩٤٥

١٠٩-عبد الحفيظ فرغلى-عبد الوهاب الشعرلني-ص55

١١٠-عبد الحفيظ فرغلي علي القرني-عبد الوهاب الشعرلني_أعلام العرب-الهيئة العلمة للكتاب

من النبي؟ وإن كان الصوفي مستطيعا بنفسه،فما أجـدر النبـي أن يستطيع ذلك أيضا.وإن كان مستطيعا با لكرامة الصوفي عنـده – كما يزعمون، فالنبي عند ا أكرم. أما عن العلم فيتحصلون عليه وهم أطفال." فقد ظفر الشعراني بإجازة جلال السيوطي-أي إجازة الرواية عنه- وهو في العاشرة من عمره، علما بأن السيوطي لـم يكن قد التقى بالشعراني قـط، ولكنـه تنبـأ بقـدرات الشـعراني فأجازه.[111]وانظر إلى هذا الخلط واعجب من درجة تغييب العقل المسلم حتى أمكن خداعه وتضليله فقبل هذه الخرافات.

وفي كتاب بصائر الدرجات يزعمون قول جعفر الصادق :" إن ١٢٠٠٠عالم، كل عالم أكبـر مـن سـبع سـماوات وسـبع أرضين،وأنا الحجة عليهم". ولم يكتف الشيعة بزعم قدرات خارقة للكبار منهم، بل زعموها أيضا لأطفالهم الرضـع: فيـروي لنـا الطوسي في كتابه " الغيبة " ما حـدث عنـد ولادة المهـدي[112] مباشرة . فعندما سقط من بطن أمه كان يقـرأ القـرآن بصـوت مسموع، وأنه كان متلقيا الأرض ساجدا، وأن والده أمره أن يـتكلم فاستعاذ با من الشيطان الرجيم، ثم استفتح فقال: أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمدا رسول ا ، ثم صلى على أمير المؤمنين: علي

١١١-المرجع السابق - بتصرف

١١٢- هو إمامهم المنتظر محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر

بن أبي طالب، وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم تلا قول ا تعالى ونُريد أن نمن علَى الَذين استُضعِفُوا فِي الأَرضِ ونَجعلَهـم أَئِمةً ونَجعلَهم الوارِثين ١١٣ ، وأنه حينما ولد كانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليه وتتبرك به، وأن روح القدس طار بـه ليعلمـه العلم مدة أربعين يوماً، وأنه حينما ولد كان مكتوباً على ذراعه الأيمن جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " ١١٤.

وفي حين أن النبي صلى ا عليه وسـلم أمـي لا يقـرأ ولا يكتب،فإن الشيعة يزعمون أن أئمتهم يجيدون اللغات الأجنبية ، بـل ويتسع علمهم فيشمل كل العلوم، وبذلك يتفوقون على النبي وسـائر الأنبياء، بل ويطاولون ا نفسه فيحيون ويميتون. ويزعم الشـيعة أن الحسن رضي ا عنه كان يعرف سبعين مليون لغة١١٥، وأن ا يعطي الإمام جميع اللغات ومعرفة الأنساب والآجال والحوادث.

والغلو في الأقطاب والأئمة ضربان: أولهما يقصد بـه إثبـات الفضل والتمايز للإمام الشيعي أو القطب الصوفي، فتُنسـب إليـه

١١٣- القصص ٥

١١٤- كتاب الغيبة ٢٤٠

١١٥- الكليني في الكافي ٣٨٥/١

المعجزات والمخاريق حتى ينزلوه مقاما رفيعا يطاول - أو يكـاد- مقام العزة الإلهية، والضرب الآخر غلو يقصـد بـه الإضـرار والبخس، تماما مثلما يقولون في الحبيب المصطفى مقالا يرفعه فوق مصاف البشر بل وينسبون الألوهية إليه. والمبطلون إنما يلجأون إلى ذلك لتعذر النيل المباشر من رسول ا ، فيغالون في تعظيمه علـى النحو الذي ينفي عنه البشرية، " فمنهم من يعتقد أن محمدا صلى ا عليه وسلم هو قبة الكون، وهو ا المستوي علـى العـرش وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خُلقت مـن نوره، وأنه أول موجود،وهذه عقيدة ابن عربي ومن تبعه "[116]. في حين أن النبي الكريم يحكى عن نفسه مبينا أن قدرتـه بشـرية ولا يغني عن آل بيته شيئا، إنما يتفاضل الناس بالعمل والتقوى ، فيقول: " يا فاطمة ابنة محمد سليني ما شئت من مالي لا أغنى عنك من ا شيئاً، يا عباس عم رسول ا لا أغنى عنك من ا شيئاً، يا صـفية عمة رسول ا لا أغنى عنك من ا شيئاً، لا يأتيني الناس بالأفعال وتأتوني بالأنساب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بـالتقوى أو عمل صالح ويردد الآية الكريمة : قُلْ إِني لا َأملِك لَكُم ضراً ولا رشَداً .

116- أبو العزايم جاد الكريم - طلائع الصوفية

ومن الصوفية من يرمي الأنبياء جميعا بالجهل بعلوم رجـال التصوف،يقول البسطامي: "خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله"، ثـم يقسم على علو مكانته فوق مقام الحبيب المصطفى فيقـول – أي البسطامي-: "تا إن لوائي أعظم من لواء محمد". ويـرى ابـن عربي "أن النبوة مغلقة والولاية مفتوحة وخاتم الأنبياء هـو واحـد بعينه: محمد،وخاتم الأولياء ليس واحدا . ويزعم الشيعة أن على بن أبي طالب يسبق النبي دخولا إلى الجنة، فيزعمون أنه قال: قال لي رسول ا ﷺ أنت أول من يدخل الجنة فقلت: يا رسول ا أدخلها قبلك قال: نعم إنك صاحب لوائي في الآخرة كما أنـك صـاحب لوائي في الدنيا وحامل اللواء هو المتقدم ثم قال ﷺ يا على كأني بك وقد دخلت الجنة وبيدك لوائي هو لواء الحمد تحته آدم فمن دونـه. يقول النبي: " أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا سيد الأولين والآخـرين ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأنا أول مـن تفتح له أبواب الجنة ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامـة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع" . ولما قال النبي: مثلي ومثـل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارا إلا موضع لبنة فأخذ النـاس يتعجبون ويقولون لولا هذه اللبنة فأنا اللبنة "[117]، يقول ابن عربي: " غير أن رسول ا لا يراها إلا لبنة واحدة، أما خاتم الأولياء فيراها

١- انظر صحيح الجامع الصغير للألباني

لبنتين: لبنة من فضة وأخرى من ذهب ولبنة الفضة هو خاتم الأنبياء بينما لبنة الذهب هو خاتم الأولياء ". ومعنى هذا أن دين الله لم يكتمل إلا على يد خاتم الأولياء" [118].

ويزعم الشيعة أن الأئمة مخلوقات نورانية فينسبون إلى عبد الله أن الله قال: يا محمد إني خلقتك وعليا نورا يعني روحا قبـل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي، ثم جمعت روحيكما وجعلتهمـا واحدة، ثم قسمتها اثنتين وقسمت اثنتين اثنتين فصارت أربعة: محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين اثنتان. ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحا بلا بدن، ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا١١٩.

وعن أبي عبد الله قال: إن الأئمة مخلوقون من نور خلق الله منـه محمدا ١٢٠ . وفي حين أن الإسلام قد جاء ليقوض العنصرية بجميع أشكالها ورد تفاضل الناس إلى التقوى والعمل الصالح، إلا أنهم نسبوا إلى أبي عبد الله قوله: " نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر النـاس غثاء" ١٢١.

---

١١٨ - التصوف عرض ونقد . أ د / عبد الفتاح الفاوي ١١

١١٩- الكافي ٣٦٥/١ كتاب الحجة. باب مولد النبي ووفاته

١٢٠- الكافي ٣٣١/١ كتاب الحجة. باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب

١٢١- الكافي ٢٦/١ كتاب فضل العلم - باب: أصناف الناس .

وممن ادعى ختم الولاية لنفسه محمـد عثمـان الميرغنـي السودلني المتوفى سنة ١٢٦٨هجرية، وسمى نفسه خاتم الأولياء، ولسس طريقة صوفية خاصة به لسماها الطريقة الختميـة أي خاتمة الطرق جميعاً. ويدعي لنه أفضل من لشرف على لمـر الدين بعد النبي الكريم ، بما في ذلك لبو بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة والتابعين والأمة جمعاء .

ولم يترك الصوفية مأثرة كانت للنبي إلا ادعوها، فمنهم مـن زعم لنه عرج به كما عرج بالنبي، فصعد إلى السماوات والتقـى بالأنبياء والملائكة على غرار عروج النبي . وقد سجل الصـوفي عبد الكريم الجيلي تفاصيل رحلته إلى السماوات العلي فـي كتابـه الذي لسماه " الإنسان الكامل[122] " حيث صور فيه كيف قابل الأنبياء والأولياء والفلاسفة وناقشهم وعلموه وعلّمهم!! وكيف وصل إلى الكرسي وعرش ا تعالى. وقد حذر هذا الضال كل مـن يكذبـه ورمى المتشككين في ضلاله بالكفر . "ويأتي صوفي آخـر هـو إسماعيل بن عبد ا السودلني ويكتب كتابـاً [123] يصـف فيـه

١٢٢- كتاب يقع في ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط

١٢٣- كتاب مشارق شموس الأنوار ومقارب حسها في معنى عيون العلوم والأسرار- سنة١٢٦٢ هجرية

مشاهدته الحسية -في زعمه- للسماوات السبع، وللأرضين السبع وسدرة المنتهى، حيث التقى بالأنبياء والملائكة ولحتفلوا به ‘ ويقول: "ولجتمعت في هذه السماء بنبي ا سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فوجدته جالساً على منبر من نور أحمر متكئ على نمارق من نور أخضر لائحة على وجهه أنوار المعارف والكمال متوجهاً بتاج أسرار النبوة والإجلال بيده قضيب من سر علوم الكنوز معتقلاً سيف فتق طلاسم الرموز مسنداً ظهره إلى البيت المعمور مشاهداً ما هو له من حضرة الغفور ؟ ، فلما وصلت إليه وسلمت عليه، رد علي السلام وأكرمني بالقيام إكراماً لنبينا أشرف الأنام فعرفني ورحب بي وبشرني ببلوغ مطلبي"[124]. تلك هي المهاوي التي لنزلق إليها العقل المسلم في عصور الظلام ، فغاب في غفلة لم يستيقظ منها بعد، و الأمر من قبل ومن بعد.

الجنة والنار

يقول الصوفي إبراهيم الدسوقي :" أنا بيدي أبواب النار أغلقتها، وبيدي جنة الفردوس فتحتها، ومن زارني أسكنته جنة الفردوس"[125].

١٢٤- كتاب مشارق شموس الأنوار – صفحة ١٣٥

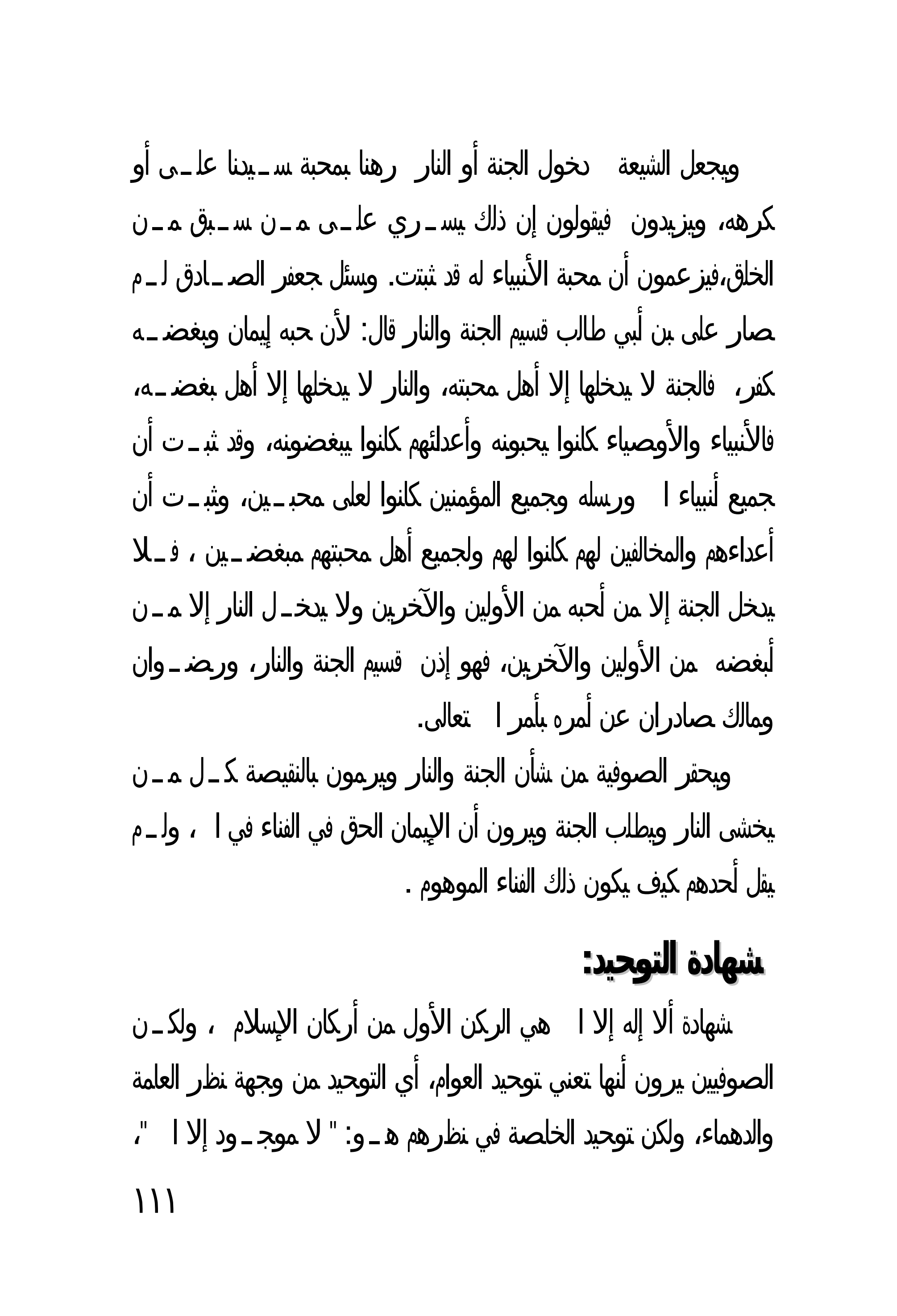
١٢٥ - الشعراني الطبقات الكبرى-١- ١٥٧،١٥٣

وينسب الشيعة إلى أبي عبد ا قوله:" عندنا خـزائن الأرض ومفاتحها وإن شئت أن أقول بإحدى رجليّ: أخرجي ما فيك مـن الذهب لأخرجت. ثم خط بإحـدى رجليـه خطـا فـي الأرض فانفرجت الأرض، ثم أشار بيده فأخرج سبيكة ذهب وقال: إن ا سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنات النعـيم ويـدخل عدونا الجحيم "١٢٦. ولم يقل لنا أحد من الشيعة ما سـبب هـذا الفضل والتمييز من ا تعالى للشيعة وهو العدل الـذي لا يحـابي أحدا، والذي قال في محكم آياته إن التقوى هي أساس التكـريم، لا القربى من النبي.

وينسبون إلى جعفر الصادق أنه قال:" من بكى أو أبكى أو تباكى في يوم عاشوراء، فقد وجبت له الجنة. وأنه قال: من زار الحسين في قبـره فكأنما زار ا في عرشه"، وقال: من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا _ أي الإمام المنتظر- أعطاه ا أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأُحد" وا لم يوجب الجنة لمن بكى على النبي، فكيف يوجبها لمـن بكـى علـى الحسين؟ "[١٢٧].

١٢٦- الكافي ١/٣٩٤-٣٩٥ كتاب الحجة. باب مولد جعفر بن محمد

١٢٧- إبراهيم السليمان الجبهان-تبديد الظلام وتنبيه النيام- ص ١٢٨



ويجعل الشيعة دخول الجنة أو النار رهنا بمحبة سـيدنا علـى أو كرهه، ويزيدون فيقولون إن ذلك يسـري علـى مـن سـبق مـن الخلق،فيزعمون أن محبة الأنبياء له قد ثبتت. وسئل جعفر الصـادق لـم صار على بن أبي طالب قسيم الجنة والنار قال: لأن حبه إيمان وبغضـه كفر، فالجنة لا يدخلها إلا أهل محبته، والنار لا يدخلها إلا أهل بغضـه، فالأنبياء والأوصياء كانوا يحبونه وأعدائهم كانوا يبغضونه، وقد ثبـت أن جميع أنبياء ا ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلى محبـين، وثبـت أن أعداءهم والمخالفين لهم كانوا لهم ولجميع أهل محبتهم مبغضـين ، فـلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين ولا يدخـل النار إلا مـن أبغضه من الأولين والآخرين، فهو إذن قسيم الجنة والنار، ورضـوان ومالك صادران عن أمره بأمر ا تعالى.

ويحقر الصوفية من شأن الجنة والنار ويرمون بالنقيصة كـل مـن يخشى النار ويطلب الجنة ويرون أن الإيمان الحق في الفناء في ا ، ولـم يقل أحدهم كيف يكون ذلك الفناء الموهوم .

شهادة التوحيد:

شهادة ألا إله إلا ا هي الركن الأول من أركان الإسلام ، ولكـن الصوفيين يرون أنها تعني توحيد العوام، أي التوحيد من وجهة نظر العامة والدهماء، ولكن توحيد الخاصة في نظرهم هـو: " لا موجـود إلا ا "،

وهو القول بوحدة الوجود ونفي الإثنينية بين الخلق والخـالق. ولســتبدل الشيعة الاعتقاد" بالإمامة" بشهادة ألا إله إلا ا ، فعن أبي جعفر قال: " بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قيل: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، أما لو أن رجـلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعـرف ولاية ا فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على ا جل وعز حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان " ١٢٨. وذلك يعني فيمـا يعنى تكفير من عداهم من أهل السنة والجماعة. وهم يقولون بـالتحريف في القرآن لأغراض منها إثبات مسألة الإمامة والولاية التي جعلوها أساس الدين وأصله،كما نقلوا عن الرضا أنه قام خطيباً وقـال: إن الإمامـة أس الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة، والزكاة، والصـيام، والحج" [١٢٩] وهذا لا يستقيم إلا بادعاء التغيير والتبديل في القرآن.

أما عن شهادة التوحيد عند اليزيدية فيقولـون :" أشـهد واحـد ا ، سلطان يزيد حبيب ا "، وهذا اليزيد هو ربهم الذي يعبدون من دون ا .

١٢٨- الكافي ١٦/٢ كتاب الإيمان والكفر باب دعائم الإسلام

١٢٩- "كتاب الحجة من الكافي" باب النوادر ص٢٠٠ ج١ ط طهران

القرآن: الزعم بتحريفه،وتأويله،وظاهره وباطنه

أ - التأويل الباطني للقرآن

لما تعذر على أعداء الإسلام تحريف القرآن الكريم كما فعل المبطلون مع سائر الكتب السماوية، لم يكن أمامهم غير الالتواء بمعانيه والقول بأن له معاني ظاهرة تناسب أفهام العامة، ومعاني باطنة لا يفهمها إلا الخاصة. ويزعم الشيعة الاثنا عشرية اختصاصهم بعلم المعاني الحقيقية للقرآن والأحاديث النبوية وأن هذا العلم كان في حوزة أشخاص من خواص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن المقربين إليه وبخاصة سيدنا علي بن أبي طالب،وانتقل هذا العلم عن طريقه إلى أعقابه من الذكور وهم أحد عشر إماما. وإذا كان الشيعة فقط من يختصون بالمعاني الحقيقية للدين القرآن والسنة، لانتفى علم غيرهم به ولكان إيمان السابقين ناقصا إذ خلا من العلم الحقيقي للدين، وهذا ما لا يقول به عاقل. والتاريخ،وهو الشاهد الذي لا يكذب، يحكي لنا عن الخلفاء الشيعة ما يخرجهم من الدين كما يخرج السهم من الرمية،وما حديث القرامطة والحاكم بأمر الله والفاطميين بخاف على أحد.

و الصوفية يفسرون القرآن والسنة تفسيراً باطنياً يسمونه تفسير الإشارة ومعاني الحروف ويزعمون أن لكل حرف في القرآن معنى لا يدركه إلا الصوفي المكشوف عن قلبه، ولذا كان لهم دينهم الخاص

الذي يختلف في أصوله وفروعه عن إسلامنا الحنيف. ويستدلون بقصة الخضر عليه السلام التي وردت في القرآن في سورة الكهف، علـى أن لكل ظاهر باطنا، وأن الشريعة غير الحقيقة، وجعلوها برهانا أكيدا علـى المعتقد الصوفي في القول بمغايرة الظاهر للباطن. ولم يتورعـوا عـن الادعاء بتلقي الكثير من " علومهم " عن الخضر، ومنهم من زعم الالتقاء به والتلقي عنه إذ يزعمون أنه خالد وباق ويجتمـع بـالنبي والأوليـاء. ولتعظيم الانتفاع بفرية الخضر بعد أن نسبوا إليه قدرات وهمية، زعموا أنه ولي وليس بنبي، لكي يسهل قبول فكرة التفوق الموهوم للولي الصـوفي على النبي، وسمو علوم الأولياء على علوم الأنبياء، إذ توفر للخضـر من العلم مالم يعرفه نبي ا موسى. فعلوم الأولياء من ا مباشـرة دون وحي أو واسطة خلافا للعلم النبوي الذي كان جبريل واسطته. لذا فـإنهم يستدلون بذلك على أن الأولياء من الصوفية أعلم من محمد صـلى ا عليه وسلم لأن علمه يقتصر على الشريعة الظاهرة فقط، والولي عـالم بالحقيقة الصوفية وعلم الباطن، وعلماء الحقيقة أعلم من علماء الشـريعة، والحقيقة غير الشريعة: فما تراه منكرا من منظور الشريعة، لا يكون كذلك من منظور الحقيقة، تماما كما كان الأمر ملتبسا على نبي ا موسى فـي قصة نبي ا الخضر الذي خرق السفينة وقتل الغلام وهي أمور ظاهرها الباطل و الإثم وباطنها الحق والصواب. وقياسا علـى ذلـك لا تكـون

المعاصي في "الشريعة" -كشرب الخمر ومقارفة الزنا واللـواط مـن الآثام، وإنما هي من الفضائل بحسب "الحقيقة" الصوفية. ولكـل ولـي شريعته الخاصة المغايرة للملة والدين ولكنهم يزعمون أنها على غير مـا يراه غير الصوفية. وماذا عن علوم الباطن التي زعموا تلقيها عن نبي ا الخضر ؟ لسمع ولحكم: " ومن هذا الدين الباطن الذي زعموا لخذه عن الخضر إتيان الحمارة والزنا، وشرب الخمـر واللـواط، والتعـري، والصراخ في الطرقات، وسب المؤذنين للصلاة، وسب الأنبياء والإدعاء بأن كل مخلوق هو ا وإلقاء السلام على الكلاب والخنـازير، والتـرحم على إبليس ومحاولة الوصول إلى مقامه، وجعل فرعون أعلم من موسى با وتبرئة قوم نوح من الشرك، وجعل الرسول محمد هو ا المستوي على العرش..، وما عليك إذا أردت لقاء الخضر إلا أن تذكر مجموعـة من الأذكار فيأتيك الخضر في الحال، ويبشرك بما تشاء من البشـارات، ويجعلك ولياً من الأولياء، ويعطيك علوماً لدنية لم يعلمها الرسل لأنفسهم ولا خطرت لهم على بال "[١٣٠].

ولما كانت تلك مكانة الخضر في التراث الصوفي ، رأى الشـيعة ألا يفوقهم أحد في زعم المقدرات والصلاحيات الإلهية لأئمتهم، فنسبوا إلـى أبي عبد ا أنه قال " لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم

١٣٠- عبد الرحمن عبد الخالق- تفنيد الصوفية

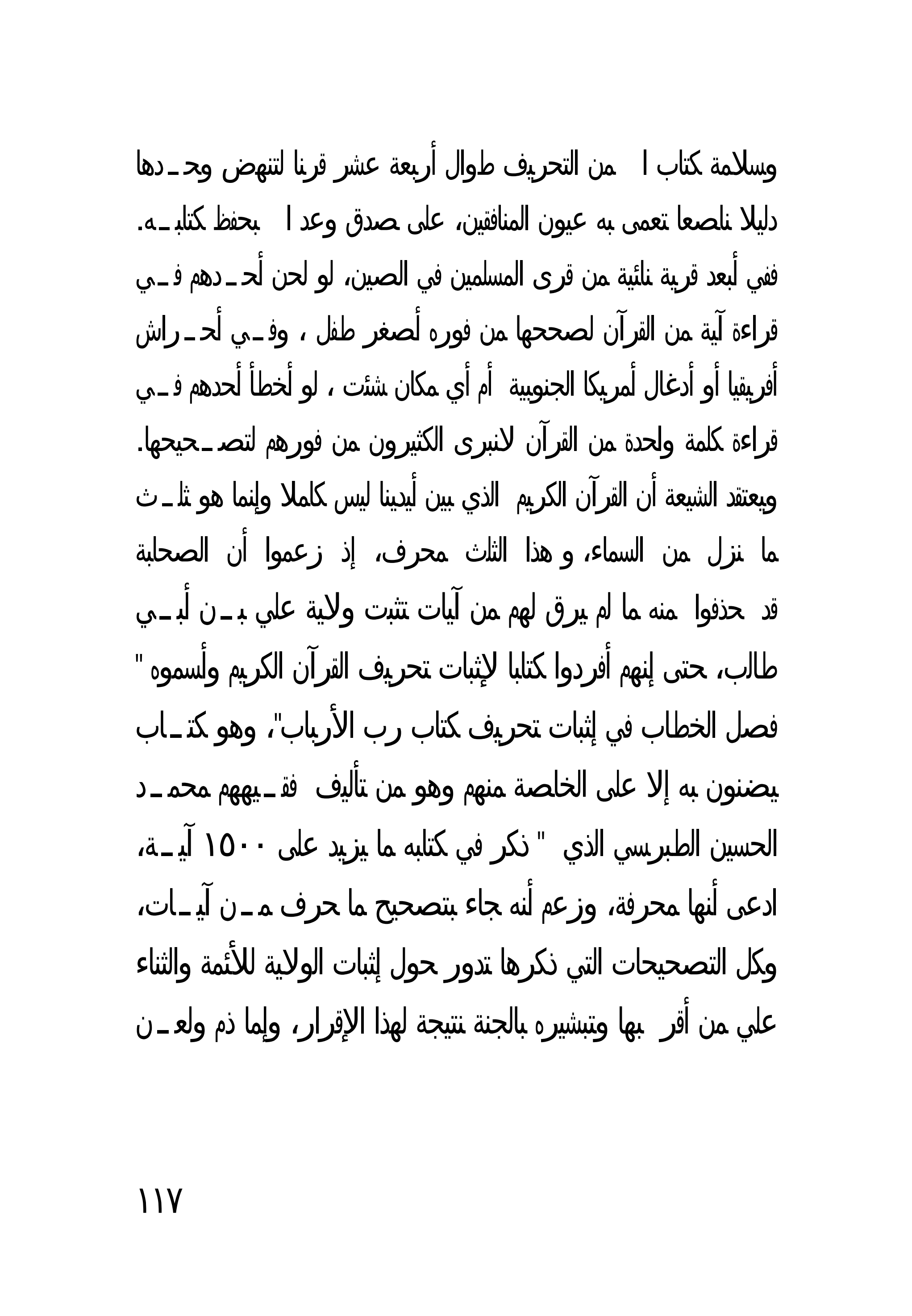
منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر أعطيا علم مـا كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثنـاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثة"[131].

ب - الزعم بتحريف القرآن:

القول بأن الله تعالى قد حفظ القرآن من التحريف لا يمنع الحمقى من ادعاء تحريفه بالزيادة فيه أو النقصان منه[132]. ومثل هذه الدعاوى السانجة لا تنفي حفظ الله تعالى لكتابه، فالله قادر على إمضاء أمره، ومثـل تلـك المحاولات لا يصدقها عاقل ولا تثبت شيئا غير حمق قائلها، وإنما يثبـت التحريف على أي كتاب إذا أصبح ما به من المعاني المحرفـة هـي وحدها المقررة والمقبولة من الناس بعد ثبوت عجزهم عن القطع بتزييفها أو الجزم بصحتها. فمثلا يصح القول بتحريف الكتب السماوية السـابقة لأن ما بها من معاني محرفة أصبحت هي الأصول المقبولة من النـاس والأوساط الدينية، وضاعت المعاني الحقيقية بضياع أصول هذه الكتـب.

١٣١- الكافي ٢٠٤/١ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون علم مـا كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء .

١٣٢- انظر الملحق رقم ٢ وبه ٦٣ مرجعا شيعيا يقـول بتحريـف القرآن



وسلامة كتاب الله من التحريف طوال أربعة عشر قرنا لتنهض وحـدها دليلا ناصعا تعمى به عيون المنافقين، على صدق وعد الله بحفظ كتابـه. ففي أبعد قرية نائية من قرى المسلمين في الصين، لو لحن أحـدهم فـي قراءة آية من القرآن لصححها من فوره أصغر طفل ، وفـي أحـراش أفريقيا أو أدغال أمريكا الجنوبية أم أي مكان شئت ، لو أخطأ أحدهم فـي قراءة كلمة واحدة من القرآن لانبرى الكثيرون من فورهم لتصـحيحها. ويعتقد الشيعة أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا ليس كاملا وإنما هو ثلـث ما نزل من السماء، و هذا الثلث محرف، إذ زعموا أن الصحابة قد حذفوا منه ما لم يرق لهم من آيات تثبت ولاية علي بـن أبـي طالب، حتى إنهم أفردوا كتابا لإثبات تحريف القرآن الكريم وأسموه " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، وهو كتـاب يضنون به إلا على الخاصة منهم وهو من تأليف فقـيههم محمـد الحسين الطبرسي الذي " ذكر في كتابه ما يزيد على ١٥٠٠ آيـة، ادعى أنها محرفة، وزعم أنه جاء بتصحيح ما حرف مـن آيـات، وكل التصحيحات التي ذكرها تدور حول إثبات الولاية للأئمة والثناء علي من أقر بها وتبشيره بالجنة نتيجة لهذا الإقرار، وإما ذم ولعـن

وسب وشتم أحد المخالفين للشيعة وخاصة مـن الصـحابة"[133].

ونسبوا إلى أبي جعفر أنه قال: لولا أنه زيد في كتاب ا ونقـص منه، ما خفي حقنا على ذي حجي" ١٣٤.

وكانت الأسس التي قام عليها المذهب الشيعي تدور كلها حول مزاعم الولاية والوصاية والعصمة والتقية والحق الإلهي لعلي بن أبـي طالـب ولأبنائه من بعده ولاختصاصهم بالملك والحكم والاستئثار بالنفوذ وزكوات "المؤمنين"، بل ولاستمرار هذا النفوذ وهذه الامتيازات حتى بعد الممـات ، وزعموا تمتع آل البيت بالرجعة بعد الموت ولانخرا ق نواميس الطبيعـة لعلي بن أبي طالب وأبنائه من بعده، وهي التي لم تنخرق لنبي ا صلى ا عليه وسلم. ولما زعموا قدرات خرافية لعلي والأئمة - قدرات تفـوق كل قدرات البشر و لا يماثلها سوى قدرات ا نفسـه وهـي مـزاعم ولضحة البطلان -لم يكن أمام الشيعة من سبيل سوى القـول بتحريـف

١٣٣- إبراهيم بن عثمان بن محمد الفارس –مفهوم الموالاة والمعاداة بين أهل السنة والمبتدعة

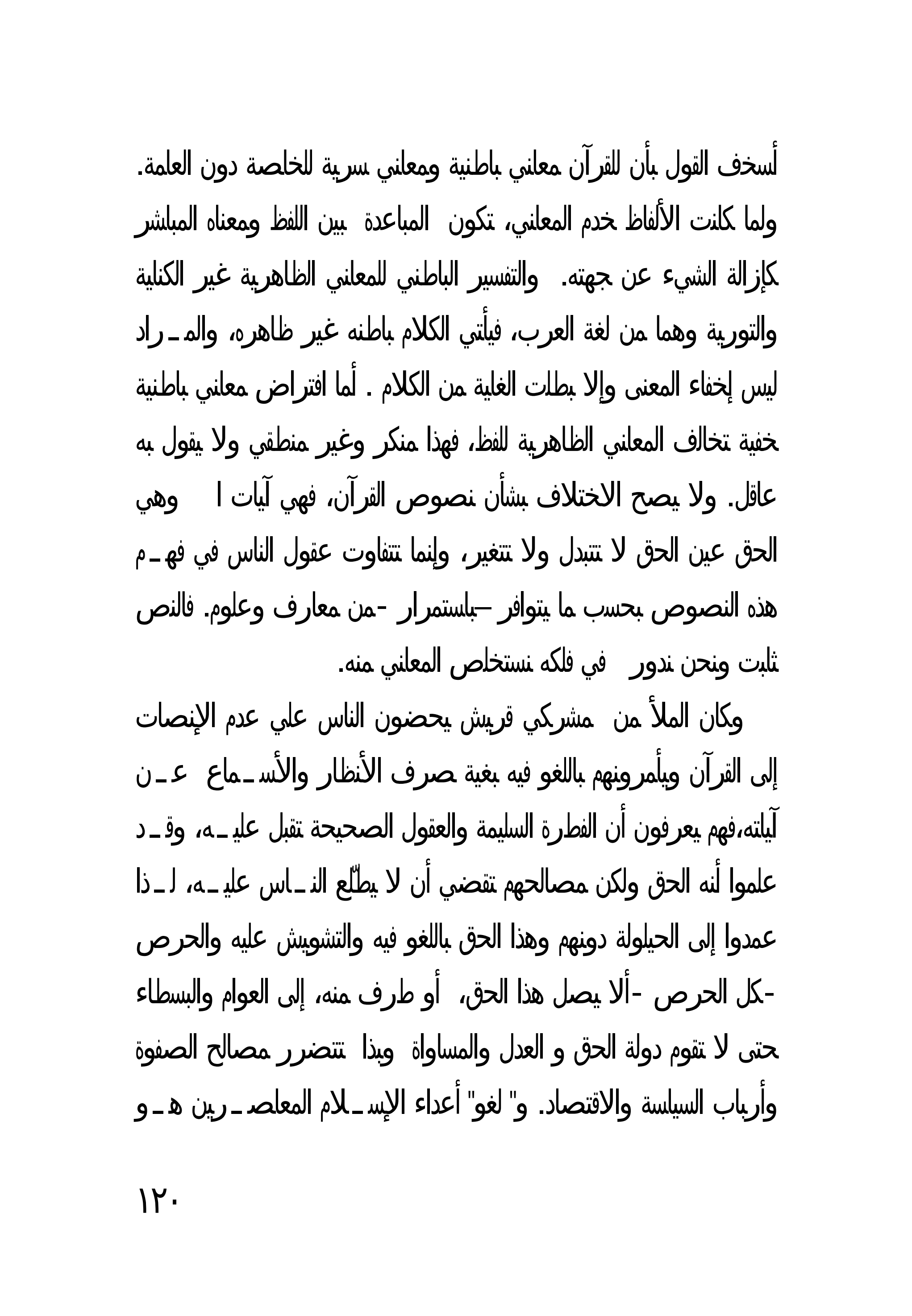
١٣٤- "البرهان" مقدمة ص٣٧، وورد هذا الحـديث فـي "البحـار" ج١٩ ص٣٠، و"إثبـات الهـدى" ج٣ ص٤٣، ٤٤] .

القرآن، ولتهام الصحابة الأطهار رضي ا عنهم جميعا بحذف ما جـاء به بخصوص ما زعموه ، ولضاف الشيعة إلى القرآن ما يرونه مناسـبا لتأكيد هذه المزاعم . ومما أثبتوه في كتبهم من آيات محرفة بقصد إثبـات ولاية علي بن لبي طالب قولهم الذي نسبوه إلي رب العزة: " كبر على المشركين بولاية على ما تدعوهم إليه يا محمد من ولاية علي هكذا فـي الكتب مخطوطة "**١٣٥**، وقالوا "سأل سائل بعذاب واقع للكافرين بولايـة على ليس له دافع. ثم قال الراوي: هكذا وا نزل بها جبريل على محمد صلى ا عليه وسلم "**١٣٦**. ولم يكتف الشيعة بذلك بل قالوا إن للقـرآن معاني باطنة تغاير المعاني المفهومة من النص القرآني المباشـر ولنهـم وحدهم يستأثرون بعلمها وذلك على النحو الذي يخـرج الآيـات مـن مقاصدها ويلتوي بها لتعني مزاعمهم بغية إثبات الولاية لآل البيت.

وما تكلم الناس بالكلام إلا ليفهم، فالكلام وسيلة حمل المعاني، و يستخدم الناس المجاز والكناية لزيادة تبيان هذه المعاني. هذا ما يحسـنه النـاس أفيعجز ا - سبحانه - أن يصنع صنيع الناس فيحسن تحميل ألفاظ كتابه ما يعنيه من معاني مباشرة ولضحة جلية، وما دام ذلك ممكنا عقـلا فمـا

١٣٥-الكليني- الأصول من الكافي-كتاب الحجة-باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية –جزء١ص٤١٨

١٣٦-الكليني-الأصول من الكافي ١



أسخف القول بأن للقرآن معاني باطنية ومعاني سرية للخاصة دون العامة. ولما كانت الألفاظ خدم المعاني، تكون المباعدة بين اللفظ ومعناه المباشر كإزالة الشيء عن جهته. والتفسير الباطني للمعاني الظاهرية غير الكناية والتورية وهما من لغة العرب، فيأتي الكلام باطنه غير ظاهره، والمـراد ليس إخفاء المعنى وإلا بطلت الغاية من الكلام . أما افتراض معاني باطنية خفية تخالف المعاني الظاهرية للفظ، فهذا منكر وغير منطقي ولا يقول به عاقل. ولا يصح الاختلاف بشأن نصوص القرآن، فهي آيات ا وهي الحق عين الحق لا تتبدل ولا تتغير، وإنما تتفاوت عقول الناس في فهـم هذه النصوص بحسب ما يتوافر –باستمرار -من معارف وعلوم. فالنص ثابت ونحن ندور في فلكه نستخلص المعاني منه.

وكان الملأ من مشركي قريش يحضون الناس علي عدم الإنصات إلى القرآن ويأمرونهم باللغو فيه بغية صرف الأنظار والأسـماع عـن آياته،فهم يعرفون أن الفطرة السليمة والعقول الصحيحة تقبل عليـه، وقـد علموا أنه الحق ولكن مصالحهم تقضي أن لا يطّلع النـاس عليـه، لـذا عمدوا إلى الحيلولة دونهم وهذا الحق باللغو فيه والتشويش عليه والحرص -كل الحرص -ألا يصل هذا الحق، أو طرف منه، إلى العوام والبسطاء حتى لا تقوم دولة الحق و العدل والمساواة وبذا تتضرر مصالح الصفوة وأرباب السياسة والاقتصاد. و" لغو" أعداء الإسـلام المعاصـرين هـو

الحجاب الذي يحول دون الناس والإسلام الحنيف: إنه حجـاب التشـيع والتصوف، فهما آليتا التحريف والتخريف اللتان تؤديان –على أفضل وجه ممكن – مهمة" اللغو " فيه. ولنظر ما يفعله الشيعة ، إنهـم يزعمـون تحريف القرآن وينسبون إليه ما ليس فيه ويزيدون إليه وينقصـون منـه، وذلك كله يؤدى مهمة " والغوا فيه ".

والقرآن الكريم يعنى عند معظم الشيعة " مصحف فاطمـة " الـذي يزعمون أنه بحوزة الإمام الغائب المختفي منذ أكثر من ألف سـنة فـي سرداب بمدينة سامراء، وأنه- أي مصحف فاطمة - يبلغ ثلاثـة أمثـال المصحف الذي بين أيدي المسلمين الآن، ولم يخبرنا أحد عـن سـبب الاحتفاظ بكتاب ا مخفيا في سرداب. وجاء في كتاب الكليني علـى لسان أئمتهم في كتابه الكافي[137]: "وإن عِنْدنَا لَمصحف فَاطِمة وما يدريهم ما مصحف فاطِمة : مصحف فِيهِ مِثْل قرآنِكم هذاَ ثلَاثَ مراتٍ، واللهِ مـا فِيهِ مِن قرآنِكم حرف واحِد". فهل علم النبي والصـحابة بـأمر هـذا المصحف؟ وهل أخفاه عن أمته ولم يبلغه للناس انصياعا لأمر ا بالبلاغ؟ فا يقول: { يا أَيها الرسولُ بلغْ ما أُنزِلَ إِلَيك مِن ربك وإِن لم تَفْعلْ فَمـا بلغْتَ رِسالَتَه }١٣٨، وإن لم يكن يعلم بأمره فكيف عرف به آل بيتـه؟

---

١٣٧ - انظر: «أصول الكافي» للكليني ٢٣٩/١ .

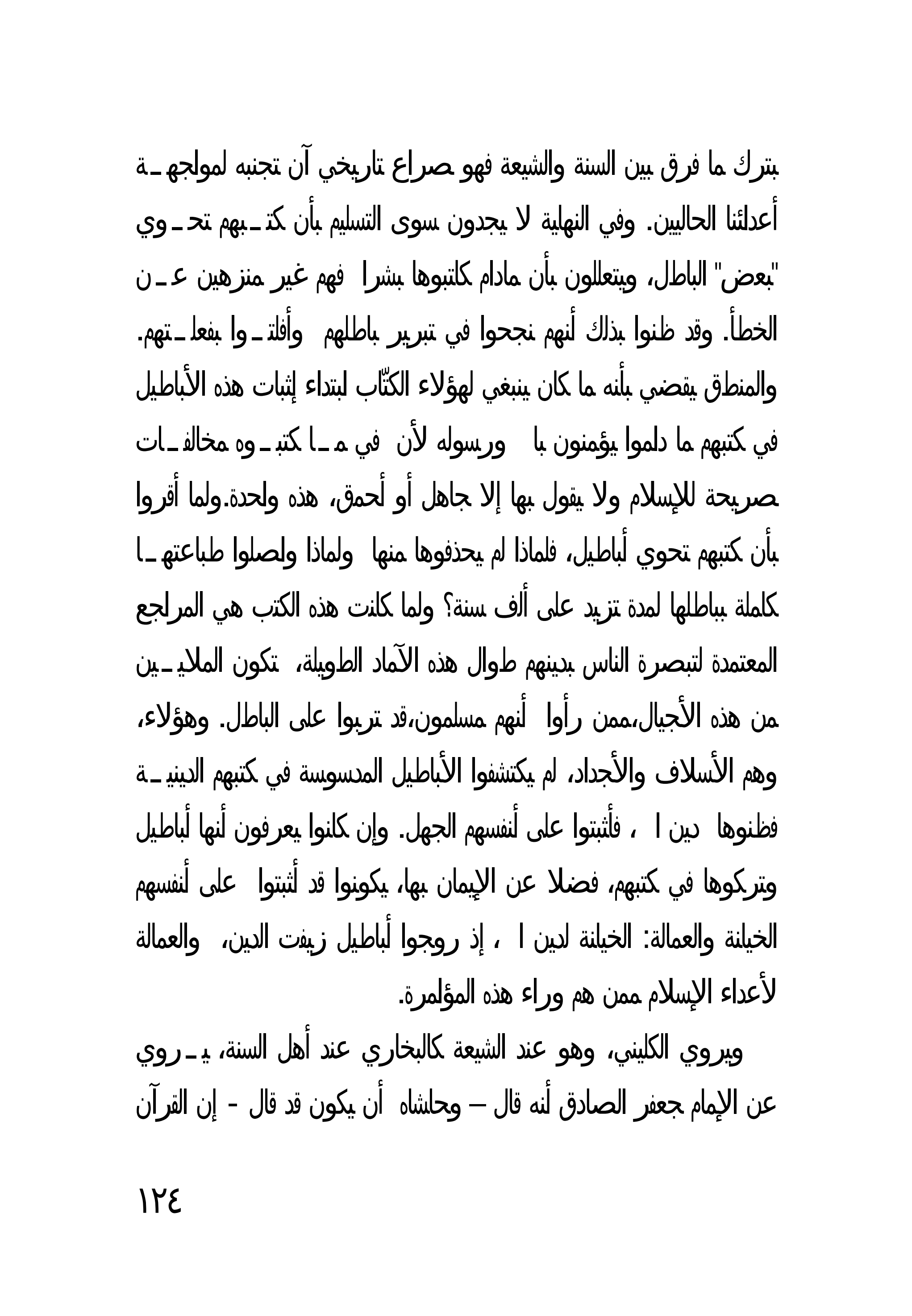
١٣٨- المائدة:٦٧-٧٧

وإذا كان القرآن الحقيقي -كما يزعمون- مع المهدي المنتظر، فما هـي الحكمة من إخفائه في السرداب حتى يحين ظهوره مع الإمام المنتظر في نهاية العالم وهو - أي القرآن - دستور لضبط حياة الناس في الدنيا وليس الآخرة. وكيف يصح القول بسلامة إيمان الصحابة والسلف الصالح وقـد فاتهم المصحف الصحيح؟ ولم يسأل أحدهم نفسه ما الغاية مـن احتفـاظ الإمام الغائب- على فرض وجوده - بالقرآن في السرداب، وهو كتـاب ا وما نزل إلا لهداية الناس والعمل به.

ويسخّر الشيعة،شأنهم في ذلك شأن الصوفية، نصوص القرآن في ما يتلاءم مع أهوائهم،ويحاولون لي معاني الآيات لتوازي ـ ولو ظاهريا ـ ما يفترونه من إفك بحيث ينتهي الأمر إلى اختلاق تأويلات فاسدة تخرج الآيات عن مقاصدها. فالشيعة يختلقون رؤى خاصة بهم من آيات القرآن –وما زعموه من السنة -لتبرر أفكار الوصاية والإمامة وعصمة الأئمـة والمهدي المنتظر والغيبة والرجعة والتقية وهي أفكار ما أنزل ا بها مـن سلطان وإنما تعود إلى أصول يهودية. ولا يخدعنك إقرار بعض الشـيعة بتنزيه القرآن عن التحريف،فهذا لا يعني سلامة آرائهم الأخرى التـي استمدوها من مصنفاتهم المشحونة بالتزوير والهراء. وإقرار بعضهم-من باب التقية- بعدم تحريف القرآن لا يعني شيئا طالما أنهم يؤمنـون بمـا يخالف هذا القرآن مخالفة صريحة،وكتبهم حافلة بالضلال والأباطيل التي

ما كان لهم أن يدونوها في هذه الكتب طوال ألف سنة أو يزيد إذا كـانوا فعلا يؤمنون بالقرآن، وسلوكياتهم تؤكد بما لا يدع مجـالا للشـك أنهـم يعيشون وفقا لتلك التصورات المغلوطة. قال ا تعالى في سورة البقـرة: {إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولـئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ١٧٤ أولـئك الذين اشتروا الضـلالة بالهـدى والعـذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ١٧٥ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ١٧٦ } و قال: {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فـي الكتـاب أولـئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ١٥٩ } صدق ا العظيم.

وإذا ضيقت على الشيعة _ أو الصوفية فهما في غيهما سواء _ وأثبت لهم باطلهم من كتبهم، تراوح منهجهم في ستر باطلهم بين المبادرة بسؤالك منكرين: من أين أتيت بهذا الكلام؟ فإن دللتهم على مصادرهم الموثوقـة عندهم ، صاحوا بك: أنت لم تدرس فقهنا، وما إن يتبينوا أنك على علـم بما في كتبهم، قالوا متنصلين: من قـال لـك أن مراجعنـا ومفكرينـا معصومون؟ فإن قلت لهم إن ما جاء في كتبهم منسوب إلى أئمتهم الذين يدعون لهم العصمة والاطلاع على العلوم الإلهيـة ومعرفـة الغيـب، فيتهمونك ، وقد ضيقت عليهم الخناق، بأنك من دعاة الفتنة، وينصـحون


بترك ما فرق بين السنة والشيعة فهو صراع تاريخي آن تجنبه لمواجهـة أعدائنا الحاليين. وفي النهاية لا يجدون سوى التسليم بأن كتـبهم تحـوي "بعض" الباطل، ويتعللون بأن مادام كاتبوها بشرا فهم غير منزهين عـن الخطأ. وقد ظنوا بذلك أنهم نجحوا في تبرير باطلهم وأفلتـوا بفعلـتهم. والمنطق يقضي بأنه ما كان ينبغي لهؤلاء الكتّاب ابتداء إثبات هذه الأباطيل في كتبهم ما داموا يؤمنون با ورسوله لأن في مـا كتبـوه مخالفـات صريحة للإسلام ولا يقول بها إلا جاهل أو أحمق، هذه واحدة.ولما أقروا بأن كتبهم تحوي أباطيل، فلماذا لم يحذفوها منها ولماذا واصلوا طباعتهـا كاملة بباطلها لمدة تزيد على ألف سنة؟ ولما كانت هذه الكتب هي المراجع المعتمدة لتبصرة الناس بدينهم طوال هذه الآماد الطويلة، تكون الملايـين من هذه الأجيال،ممن رأوا أنهم مسلمون،قد تربوا على الباطل. وهؤلاء، وهم الأسلاف والأجداد، لم يكتشفوا الأباطيل المدسوسة في كتبهم الدينيـة فظنوها دين ا ، فأثبتوا على أنفسهم الجهل. وإن كانوا يعرفون أنها أباطيل وتركوها في كتبهم، فضلا عن الإيمان بها، يكونوا قد أثبتوا على أنفسهم الخيانة والعمالة: الخيانة لدين ا ، إذ روجوا أباطيل زيفت الدين، والعمالة لأعداء الإسلام ممن هم وراء هذه المؤامرة.

ويروي الكليني، وهو عند الشيعة كالبخاري عند أهل السنة، يـروي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال – وحاشاه أن يكون قد قال - إن القرآن

الذي نزل به الوحي علي محمد صلى ا عليه وسلم ، سبعة آلاف آيـة، والآيات التي نتلوها الآن هي ثلاث وستين ومئتين وستة آلاف آيـة،أمـا الفرق بين العددين فهو مخزون عند أهل البيت، ... ولنه قال في القـرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب:هو مثل قرآنكم ثلاث مرات،وا ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

وإذا قال فريق منهم بسلامة القرآن من التحريف- وهو فعلا كذلك - إنما يعنون في أفضل الأحوال، سلامته من التحريف اللفظي، أما عـن تفسيره وتأويله وفق ضلالهم وغاياتهم فحدث ولا حرج. ويزعم الشيعة أن أئمتهم ضروريون لكشف غوامض القرآن، فالقرآن وحده دونهم لا يكفي على حمل الناس على الطريق السوي. وكما يعرف أي مسلم فإن الدعوة إلى تدبر القرآن تناقض القول بضرورة أئمة الشيعة لتفسير غوامضه.

وا يقول : أَفَلا يَتَدبرون القُرآن ١٣٩، ويقول: كِتَاب أَنْزَلْنَاه إِلَيك مبارك ليَدبروا آياتِهِ ١٤٠ وما كان ا يكلف عباده تدبر آيـات غامضة لا يفقهونها.وكيف يصح، بهذا المعنى، إيمان الصـحابة وكـل المسلمين قبل الأئمة الشيعة،إذ تعبدوا بقرآن لم يفهموا غوامضه. "وقسموا فهم القرآن إلى أربع مراتب : فهم العبارة، وهو للعامة وفهم الإشارة، وهو

١٣٩- النساء ٨٢

١٤٠- ص ٢٩

للخاصة من العلماء، وإدراك اللطائف الدقيقة،وهو للخاصة من الأوليـاء الذين لازموا الأوصياء وإدراك الحقائق-أي مـراد ا تعـالى- وهـو للأوصياء خاصة"[141]. وذلك تصنيف يخلق نوعا من الطبقية في الدين، إذ يتيح بعض ما أنزل ا للبعض دون البعض،ويحجب البعض منه على البعض،وهذا يتعارض مع الآية الكريمة. وكل فرقة من الفرق التي تسمي نفسها "إسلامية"،فسرت آيات القرآن وفقا لأهوائها ، وما داموا قد اجترءوا على تحريف القرآن وهان عليهم كلام ا ، فتحريفهم للأحاديث ونسـبتها إلى النبي،كان عليهم أهون .

ولولا أن " فقهاء" الفرق الباطنية التي تخفى كتبها وتـزعم أنهـا للخاصة، مثل فرق الإسماعيلية، والقرامطة،واليزيدية وغيـرهم ، لولا تأكدهم من احتوائها على باطل يمكن للعقلاء تفنيده، لما أخفـوا هـذه الكتب. وليس هناك مبرر واحد يقضى بإخفاء كتب يزعم أصحابها أنهـا كتب دين وعقيدة. فما أُنزلت الديانات وفُرضت العقائد إلا ليعتنقها النـاس، العامة منهم والخاصة، وهذا يزيد الأمر غرابة بحبس هذه الكتـب عـن الناس المفترض أنها تتضمن دينهم. وواقع الأمر أنهم يخفونها لستر ما بها من باطل ومن وقوعها في أيدي العقلاء فينتقدونها ويسلطون الضـوء علي ما بها من زيف ، الأمر الذي يحول دون تحقيق المرامي والغايات

---

١٤١ - تبديد الظلام وتنبيه النيام – إبراهيم سليمان الجبهان

التي تكون في معظمها سياسية وارتزاقية. والقائلون بالمعـاني الباطنـة للقرآن هم من أرادوا الانحراف بمعانيه إذ يعلمون أن ا تعهد بحفظـه، فسلّموا بحفظه نصا وشطوا في تفسير معانيه، وكل من ابتغى الفتنة مـن أعداء الإسلام –وهم كُثر- عمد إلى متشابه الآيات .ولمـا عـز علـيهم تحريف القرآن إذ تعهد ا بحفظه، عمدوا في اجتراء وبلاهة إلى لـي معانيه لتؤدي غير المقصود منها.

فمثلا يقولون في الآية"والشمس وضحاها"يعني رسول ا "، والقمر إذا تلاها"يعني علي "، والنهار إذا جلاها "يعني الوصية"، والليـل إذا يغشـاها "يعني خلافة أبي بكر وعمر. جاء ذلك في كتاب إثبات الوصـية لابـن المطهر أحد كبار أئمتهم ممن يكاد يبلغ عندهم درجة العصمة"[١٤٢].

ودرج الشيعة على التنصل من أباطيلهم بنسبتها إلى بعض طوائفهم دون البعض. فإذا اتهمت المبطل بما افترى، تبرأ وأنكر التبعة بإزاحتها إلى غيره. وهكذا يتناوبون توزيع أكاذيبهم ومفتريـاتهم بيـنهم ، فيـتمكن المبطل من الإفلات بفعلته.فبينما يزعم الشيعة أن القـرآن الـذي يقـرأه المسلمون الآن ليس كاملا، يقول البعض - من بـاب ذر الرمـاد فـي العيون- إن من يقول بذلك كافر. ويقول القمي، في معرض نفيه لتحر يف القرآن: "اعتقدنا أن القرآن الذي أنزل ا تعالى على نبيه محمد هو ما بين

١٤٢- إبراهيم السليمان الجبهان - تبديد الظلام وتنبيه النيام

الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، إلى أن قال: ومـن نسب إلينا أنا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب"[١٤٣]. وهو بذلك يرمي نفسـه بالكذب فها هو ذا يعود قائلا، أي القمي، في مقدمة تفسيره: "فالقرآن منه ناسخ ومنسوخ، ومنه ومنه محكم ومنه متشابه، ومنه عام ومنه خـاص، ومنه تقديم ومنه تأخير، ومنه منقطع ومنه معطوف، ومنه حرف مكـان حرف، ومنه على خلاف ما أنزل ا " ١٤٤. ويقـول أبـو جعفـر الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هجرية في تفسيره "التبيان": أما الكلام فـي زيادته ونقصانه فمما لا يليق به - إلى أن قال: "وقد ورد عن النبي صلى ا عليه وآله رواية لا يدفعها أحد أنه قال: إني مخاف فيكم الثقلين مـا إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب ا وعترتي، أهل بيتي. وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدر التمسك به"١٤٥.

ومن أجل إثبات فضل العترة آل البيت على الأمة، يحاول الشيعة تحريف القرآن، فيزعمون أنه جاء بأحقية علي بن أبي طالـب فـي الولاية ومن أجل هذه الولاية غيروا في كتاب ا ، ونسبوا إلى أبـي

١٤٣- اعتقادات لابن بابويه القمي باب الأعتقاد في مبلغ القرآن ط إيران ١٢٢٤

١٤٤ - "تفسير القمي" ج١ ص٥

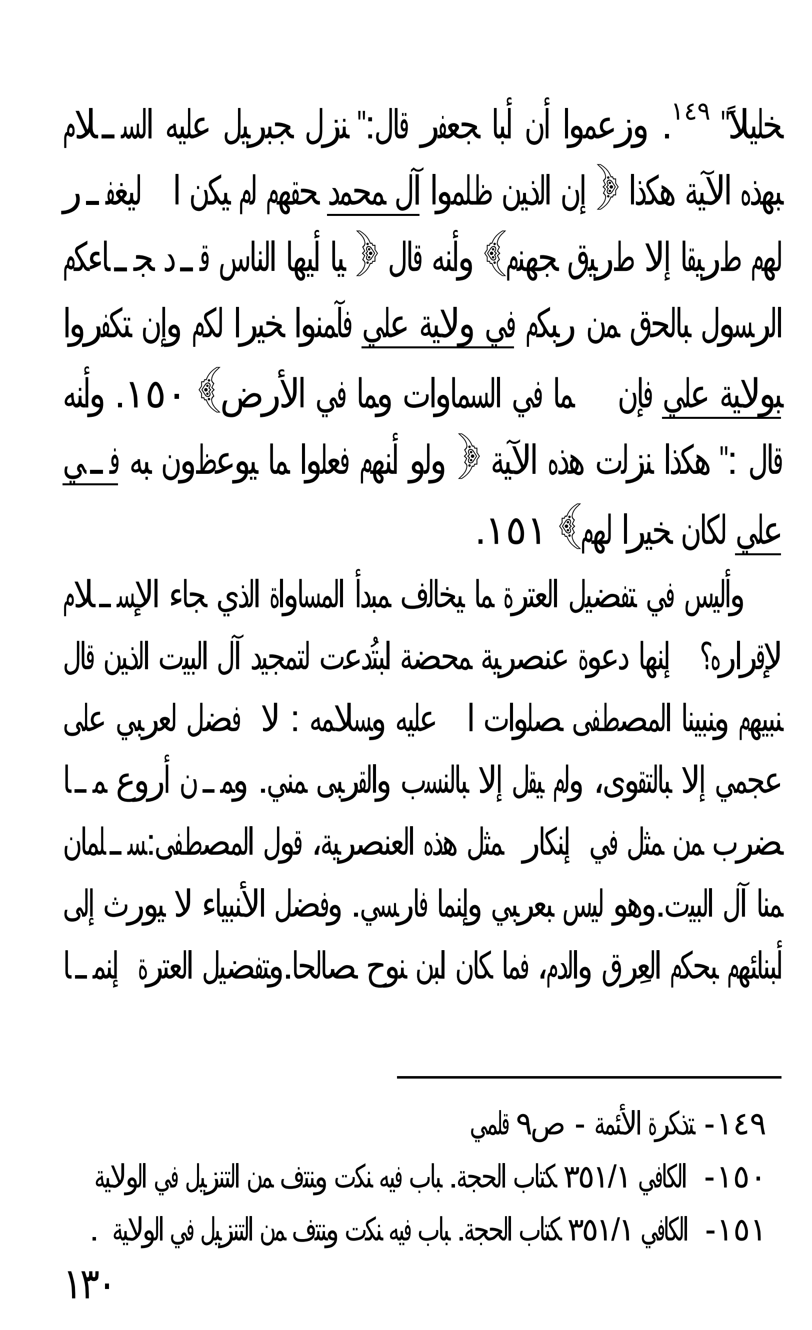
١٤٥- "التبيان" ص٣ ج١ ط نجف، وتفسير الصافي ص١٥

جعفر قوله إن ا هو الذي سمى عليا بأمير المؤمنين وأنه "أنزل في كتابه "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشـهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمدا رسـولي وأن عليـا أميـر المؤمنين"[١٤٦]، وأن "جبريل عليه السلام نزل بهذه الآية على محمد هكذا:"وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله"[١٤٧].وزعموا أن جبريل عليه السلام نزل على محمد صلى ا عليه بهذه الآية هكذا: يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنـا في علي نوراً مبيناً"[١٤٨]. ويقول أحد أعلام الشيعة الذي يلقبونه بشيخ الإسلام وخاتمة المجتهدين الملا محمد باقر المجلسي: "إن عثمـان حذف من هذا القرآن ثلاثة أشياء: مناقب أمير المؤمنين علي، وأهل البيت، وذم قريش والخلفاء الثلاثة مثل آية: يا ليتني لم أتخذ أبا بكـر

١٤٦- الكافي ٣٤٠/١ كتاب الحجة. باب نادر   ، كتاب الحجة من الكافي" باب النوادر ص٤١٢ ج١ ط طهران وص٢٦١ ط الهند

١٤٧-"كتاب الحجة من الكافي" باب فيه نكت ونتف من التنزيل، ص٤١٧ ج١ ط طهران ص٢٦٣ ط الهند

١٤٨-"كتاب الحجة من الكافي" ٤١٧ ج١ ط طهران ص٢٦٤ ط الهند



خليلاً"[149]. وزعموا أن أبا جعفر قال:" نزل جبريل عليه السـلام بهذه الآية هكذا ﴿ إن الذين ظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفـر لهم طريقا إلا طريق جهنم﴾ وأنه قال ﴿ يا أيها الناس قـد جـاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا بولاية علي فإن لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ ١٥٠. وأنه قال :" هكذا نزلت هذه الآية ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به فـي علي لكان خيرا لهم﴾ ١٥١.

وأليس في تفضيل العترة ما يخالف مبدأ المساواة الذي جاء الإسـلام لإقراره؟ إنها دعوة عنصرية محضة ابتُدعت لتمجيد آل البيت الذين قال نبيهم ونبينا المصطفى صلوات الله عليه وسلامه : لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، ولم يقل إلا بالنسب والقربى مني. ومـن أروع مـا ضرب من مثل في إنكار مثل هذه العنصرية، قول المصطفى:سـلمان منا آل البيت.وهو ليس بعربي وإنما فارسي. وفضل الأنبياء لا يورث إلى أبنائهم بحكم العِرق والدم، فما كان ابن نوح صالحا.وتفضيل العترة إنمـا

١٤٩- تذكرة الأئمة - ص٩ قلمي

١٥٠- الكافي ٣٥١/١ كتاب الحجة. باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية

١٥١- الكافي ٣٥١/١ كتاب الحجة. باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية .

يمثل نوعا من الطبقية الدينية التي ما جاء الإسلام إلا ليناهضها ويبطلهـا، والكل يعلم ما قاله الحبيب المصطفى: وا لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. وذلك في تأكيد تام للمساواة بين المسلمين،ونفي قاطع للطبقية الدينية، أو التميز بالعرق أو العنصر. وما أفسد رأي من قال بأن القرابة من النبي تمنح ضمانات ما، أو تضع أصحابها في مكانة أعلى من بـاقي المؤمنين. فالمعيار الوحيد الذي أرساه ا للمفاضلة بين الناس هو التقوى لا القرابة، إذ يقول:"إِن أَكْرمكُم عِنْد اللهِ أَتْقَاكُم "١٥٢ هكذا وببسـاطة. ولو كانت القربى هي المعيار فما كان ا ليسب أبا لهب عم النبـي . وإذا صح حديث العترة، فأي عترة يقصدون؟ أهم الإثني عشر إماما أم أئمـة الإسماعيلية والقرامطة والصفويين. و لماذا لا يكون ضمن هـذه العتـرة فرع بني العباس - أي العباسيين- أليسوا من آل البيـت النبـوي؟ إذ إن العم- العباس- أولى من ابن العم- على بن أبي طالب.

ولإثبات التقية والبحث لها عن سند من القرآن ، ينسبون إلى أبـي عبد ا تفسير الآية الكريمة: " ولا تَستَوي الحسنَةُ ولا السـيِّئةُ "١٥٣ أن الحسنة هي التقية، والسيئة هي الإذاعة، وقوله تعالى: " ادفَع بـالِتي هِـي أَحسن فَإِذَا الِذي بينك وبينَه عداوةٌ كأنه ولي حمِيم " أن المقصود بالتي هي

١٥٢- الحجرات ١٣

١٥٣-فصلت ٣٤

أحسن التقية "[١٥٤]، "ويرون أن مصحف فاطمة من كتبهم التي اختصوا بها وعلى هوامشه علم ما كان وما هو كائن وما سـيكون،وإذا ضـيقت عليهم في النقاش عادوا فقالوا إنه قرآن عادي غير أنهـا كانـت تكتـب الشروح والتفاسير في الهوامش. وأي تفاسير إضافية كتبت وأي معـاني لاحت لها وخفيت على الصحابة وكيف كان يتسع لها الوقت لكتابة قرآن ثلاثة أمثال قرآن السنّة،ولا سيما أنها ماتت في سن الثالثـة والعشـرين و وقتُها - رضي ا عنها-كان يضيق على أداء شؤونها المنزلية مما حـدا بها أن تطلب خادما لتعينها على أعمال المنزل.

وفي" اعتقاد الشيعة الإسماعيلية أن القرآن الكريم كتاب العامـة، أمـا رسائل إخوان الصفا – وهي مجموعة رسائل فلسفية مجهولة المؤلف - فهو كتاب الأئمة والطبقة العارفة الخلصة "١٥٥.

والسنة المطهرة عند الشيعة هي أحاديث الأئمة المعصومين من أولاد علي بن أبي طالب كرم ا وجهه بشرط أن يكون المحدثون من الشيعة ومن حاكاهم ممن يطلقون على أنفسهم الرواة عن العترة آل البيت. "وقـد

١٥٤- الكافي ١٧٣/٢ كتاب الإيمان والكفر باب التقية

١٥٥- د . مصطفى غالب – إخوان الصفا – دار مكتبة الهلال-بيروت

رووا عن علي بن أبي طالب ٦٨٦ حديثا مسندا إلى النبي لم يصح منهـا إلا نحو خمسين"[١٥٦].

"ويذكر الشيعة في كتب حديثهم وكلامهم أن عثمان - رضي ا عنه - نقص من آيات القرآن - بزعمهم - و مما قالوه في القرآن : إنه كـان في سورة الشرح بعد قوله سبحانه: {ورفَعنَا لَكَ ذِكْرك} كان بعدها - كما يفترون – "وعلياً صهرك"١٥٧ . وقال الشيخ محب الـدين الخطيـب: «وهم لا يخجلون من هذا الزعم مع علمهم بأن سورة ﴿ الشرح ﴾ مكيـة وإنما كان صهره الوحيد العاصي بن الربيع الأموي» ١٥٨. وسئل أبـو جعفر: لم سمي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين؟ قال: ا سماه وأنـزل في كتابه:"وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علـى أنفسهم ألست بربكم وأن محمداً رسولي وأن علياً أمير المـؤمنين".١٥٩ وقال: نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: "وإن كنتم في

---

١٥٦ - الفصل في الملل والنحل لابن حزم

١٥٧ -النواقض/ الورقة ١٠٣ مخطوط

١٥٨ - الشيخ السيد محب الدين الخطيب -الخطوط العريضة: ص ١٥....

١٥٩ - محمد بن يعقوب الكليني "كتاب الحجة من الكافي" باب النـوادر ص٤١٢ ج١ ط طهران وص٢٦١ ط الهند

ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله"١٦٠. و قالوا: نزل جبريل عليه السلام على محمد صلى ا عليه وآله بهذه الآية هكذا: يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في علـي نـوراً مبينـاً".١٦١ وزعموا نزول جبريل عليه السلام بآية هكذا :"يا أيها الناس قـد جـاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي، فآمنوا خيراً لكـم وإن تكفـروا بولاية علي فإن ما في السماوات والأرض" ١٦٢. وأما الرواية فـي الوصاية فيحرفون قول ا عز وجل في سورة الرحمن ويقولون: فبأي آلاء ربكما تكذبان أبالنبي أم بالوصي ".١٦٣

وصرف الشيعة آيات توحيد ا إلى ولاية علي، فنسبوا إلى أبـي عبد ا أنه قال في الآية: ﴿ ولَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِـكَ لَـئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ ١٦٤يعني إن أشركت في الولاية غيره. وفي

---

١٦٠ -"كتاب الحجة من الكافي" باب فيه نكت ونتف من التنزيـل، ص٤١٧ ج١ ط طهران ص٢٦٣ ط الهند

١٦١ -"كتاب الحجة من الكافي" ٤١٧ ج١ ط طهران ص٢٦٤ ط الهند

١٦٢ -"كتاب الحجة من الكافي ط ٤٢٤ ج١ ط طهران ص٢٦٧ ط الهند

١٦٣ -"الكافي في الصول" باب أن النعمة التي ذكرها ا ص٢١٧ ج١ ط طهران

١٦٤-الزمر٦٥

الآية:﴿ بَلْ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ ١٦٥﴾ يعني بـل ا فاعبـد بالطاعة وكن من الشاكرين أن عضدتك بأخيك وابن عمك" ١٦٦.

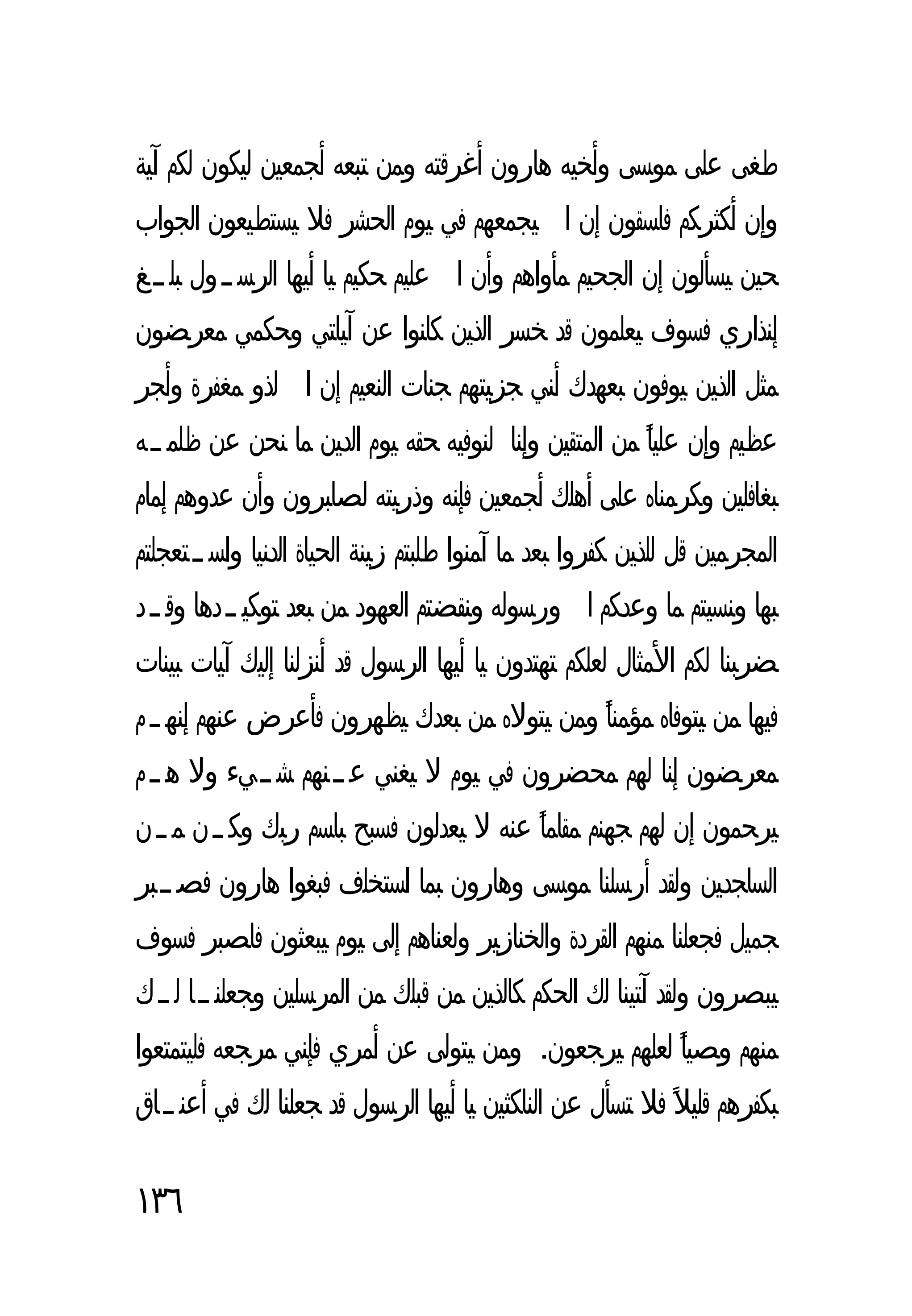
أما عما يزعمه الشيعة من نقص في القرآن، فقـد ادعـوا أن ثمـة سورتين كاملتين محذوفتان، هما سورة النورين وسورة الولايـة، واقـرأ معي إفكهم:

١ - سورة " النورين":

{يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان علـيكم آيـاتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم نوران بعضهما من بعض وأنـا السـميع العليم إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حمـيم إن ا الذي نور السماوات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه يفعل ا ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم إن ا قد أهلك عاداً وثمود بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون وفرعـون بمـا

١٦٥-الزمر ٦٦

١٦٦- الكافي ٣٥٣/١ كتاب الحجة. باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية



طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون إن ا يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون إن الجحيم مأواهم وأن ا عليم حكيم يا أيها الرسـول بلـغ إنذاري فسوف يعلمون قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون مثل الذين يوفون بعهدك أني جزيتهم جنات النعيم إن ا لذو مغفرة وأجر عظيم وإن علياً من المتقين وإنا لنوفيه حقه يوم الدين ما نحن عن ظلمـه بغافلين وكرمناه على أهلك أجمعين فإنه وذريته لصابرون وأن عدوهم إمام المجرمين قل للذين كفروا بعد ما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واسـتعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم ا ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيـدها وقـد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمناً ومن يتولاه من بعدك يظهرون فأعرض عنهم إنهـم معرضون إنا لهم محضرون في يوم لا يغني عـنهم شـيء ولا هـم يرحمون إن لهم جهنم مقاماً عنه لا يعدلون فسبح باسم ربك وكـن مـن الساجدين ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصـبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون فاصبر فسوف يبصرون ولقد آتينا لك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين وجعلنـا لـك منهم وصياً لعلهم يرجعون. ومن يتولى عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعنـاق

الذين آمنوا عهداً فخذه وكن من الشاكرين إن علياً قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون إنا بشرناك بذريته الصالحين وإنهم لأمرنا لا يخلفون فعليهم مني صلوات ورحمـة أحيـاء وأمواتاً يوم يبعثون وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قـوم سوء خاسرين وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفـات آمنون والحمد لله رب العالمين [١٦٧] .

٢- سورة الولاية:

{ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهـديانكم إلـى صراط مستقيم نبي وولي بعضهما من بعض، وأنا العليم الخبير، إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم، فالذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنـا

١٦٧- ذكر هذه السورة : أ العلامة النوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ص ١٨٠ .

ب العلامة محمد باقر المجلسي في كتابه تـذكرة الأئمـة ص ١٨ ، ١٩ باللغـة الفارسية منشورات مولانا

جـ كتاب دبستان مذاهب باللغة الفارسية .

د العلامة المحقق ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي في كتابه منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة جـ٢ ص ٢١٧.

مكذبين، إن لهم في جهنم مقام عظيم، نودي لهم يوم القيامة أين الضـالون المكذبون للمرسلين، ما خلقهم المرسلين إلا بالحق، وما كان ا لنظـرهم إلى أجل قريب فسبح بحمد ربك وعلي من الشاهدين }[١٦٨] .

وقد يقول قائل: ما بال المبطلون يحرفون القرآن بالزيادة أو النقصان، بل ويبتدعون ما يشابه آيات القرآن مع أن ا قد تعهـد بحفظـه مـن التحريف. ونرد بأن بوسع أي أحمق أن يقول كلاما ويزعم أنه من كلام ا تعالى. ولا يعتبر الأمر تحريفا مادام مفضوحا وواضحا ومن السهل كشفه مادام هذا التحريف غير راسخ أو ناسخ للحق والصحيح كما هـو الحال مع الكتب السماوية السابقة التي طالها التحريف وتم استبدالها بحيـث حل المحرف مكان الصحيح. قال الفخر الرازي عند قوله سبحانه: {إنـا نَحن نَزلْنَا الذكْر وإِنا لَه لَحافِظُون }١٦٩، وإنا نحفظ ذلك الـذكر مـن

١٦٨- ذكر هذه السورة : أ العلامة المحقق ميرزا حبيب ا الهاشمي الخوئي في كتابه منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة جـ٢ ص ٢١٧..

ب العلامة محمد باقر المجلسي في كتابه تذكرة الأئمة ص ١٩ ، ٢٠ باللغة الفارسية منشورات مولانا ، إيران .

١٦٩-الحجر ٩

التحريف والزيادة والنقصان - إلى أن قال: إن أحداً لو حـاول تغييـر حرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذب وتغيير لكلام الله حتى أن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة في حرف من كتاب الله تعالى لقـال لـه الصبيان أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا.. واعلم أنه لم يتفق لشـيء من الكتب مثل هذا الحفظ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير إما في الكثير منه أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصوناً من جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات [١٧٠]. ولما قال الشيعة بتحريـف القرآن الكريم احتجت النصارى بهذا القول وروجوا أن المسلمين يقولـون بتحريف قرآنهم، ويقول ابن حزم: ولما قولهم- أي النصـارى- فـي دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض أي الشيعة ليسـوا مـن المسلمين [١٧١]. وإنكار بعض الشيعة للتحريف إنما هو مـن بـاب التقية فهم لم يردوا على من قال بالتحريف، ولا تزال كتبهم تقـول بـه، ويعظمون القائلين به من "فقهائهم".

والقول بتحريف القرآن بل حتى الزعم بتأليف قرآن أمر يلقى هـوى لدى الحمقى من المبطلين، ففي سنة ٣١٣هجرية زعم أحد حمقى ادعـاء

---

١٧٠ - "مفاتيح الغيب": ١٩/١٦٠-١٦١.

١٧١ - "الفصل" ٢/٨٠.

النبوة في المغرب، واسمه "حاميم " أنه تنزل عليه قرآن باللهجة البربريـة، جاء فيه:" يا من يخلي البصر ينظر في الدنيا، خلني من الذنوب، يا مـن أخرج موسى من البحر آمنت بحاميم وبأبيه أبي خلـف مـن ا .....، وآمنت بتايغيت عمة حاميم وأخت أبي خاف من ا "١٧٢. ومن العجيب أن حاميم وجد من يناصره ويؤمن به وبقرآنه، و في خلقـه شـؤون. وللشيعة مراجع كثيرة تناولت موضوع تحريف القرآن يحـاولون فيهـا تأكيد مزاعمهم بالتحريف١٧٣.

قال الشيعي نعمة ا الجزائري: " روي في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان فيرتفع هذا القرآن من أيـدي الناس إلى السماء ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين فيقرأ ويعمـل بأحكامه ١٧٤ . وقال أبو الحسن العاملي: " إن القرآن المحفوظ الموافق لما أنزله ا تعالى، ما جمعه علي بن أبي طالب وحفظه إلى أن وصل

١٧٢-العبر ج٦ ، ص ٢٨٨ ، نقلا عن الإسلام السري في المغرب العربي-د . إبراهيم القادري

١٧٣- انظر الملحق الثاني في الصفحة ٤٧٠ حيث أوردنا أسماء ٦٣ مرجعا شيعيا تتناول موضوع تحريف القرآن

١٧٤ - الأنوار النعمانية ج٢ ص ٣٦٠ .

إلى لبنه الحسن وهكذا إلى أن وصل إلى القائم " المهدي" وهو اليوم عنده " ١٧٥ . ويقولون: إن الإمام المهدي بعد ظهوره يتلو القرآن، فيقول: أيها المسلمون هذا وا هو القرآن الحقيقي الذي أنزله ا علـى محمـد والذي حرف وبدل " [١٧٦]. ويقولون: الولجب أن نعتقد أن القرآن الأصلي لم يقع فيه تغيير وتبديل مع أنه وقع التحريف والحذف في القرآن الذي ألفه بعض المنافقين، والقرآن الأصلي الحقيقي موجود عند إمام العصر عجل ا فرجه" [١٧٧].

وينسبون إلى أبي عبد ا قوله: " إن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أُدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل. قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه لَعِلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة، وما يدريهم ما مصحف فاطمة. قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيـه مثـل

١٧٥- المقدمة الثانية لتفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص٣٦ وطبعت كمقدمه لتفسير البرهان للبحراني .

١٧٦- إرشاد العوام ص ١٢١ ج٣ فارسي نقلا عن كتاب الشيعة والسنة ص ١١٥ لإحسان إلهي ظهير

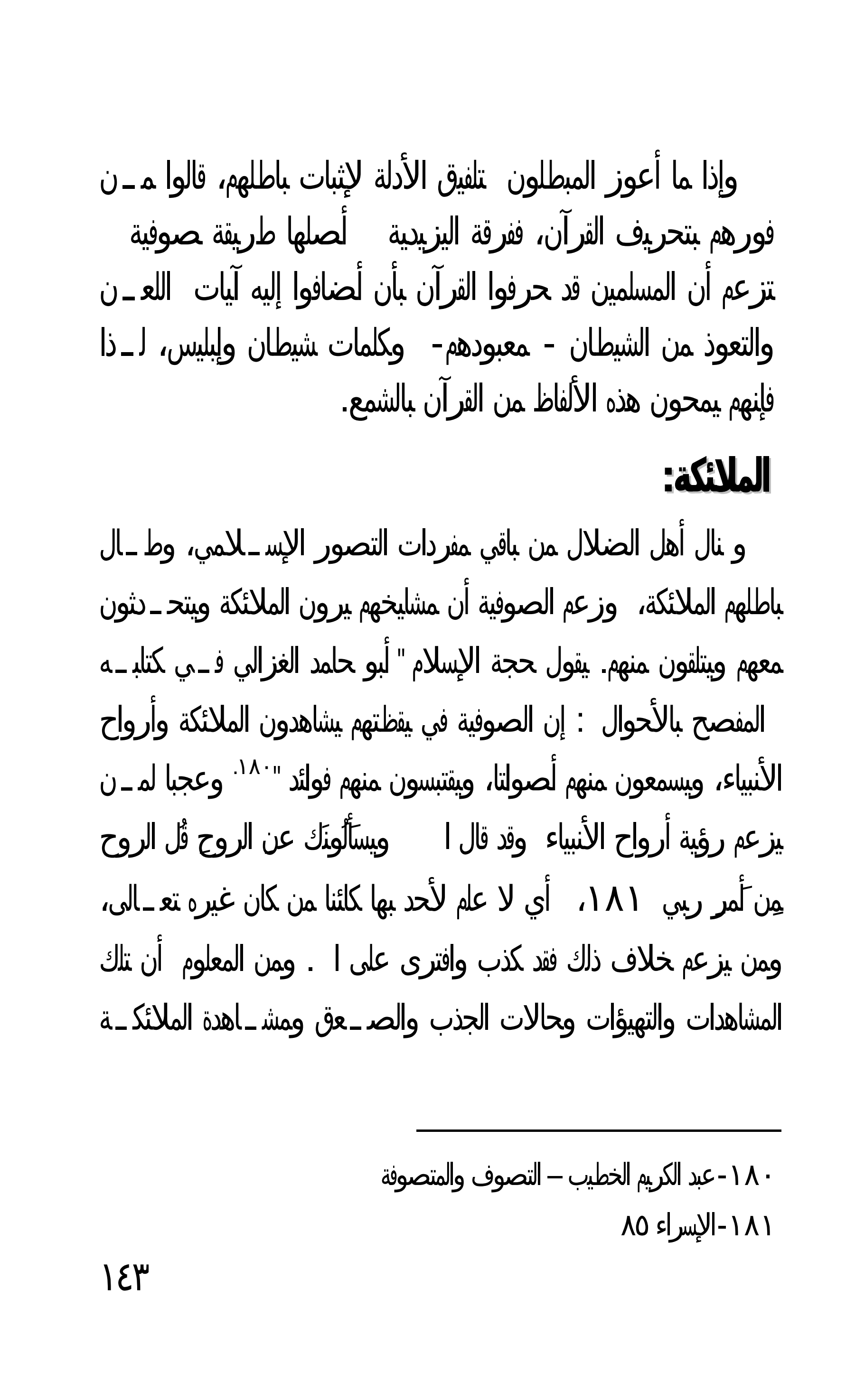
١٧٧- عقائد الشيعة على البرجردي ص ٢٧ فارسي نقلا عن كتاب الشيعة والسنه لإحسان إلهي ظهير ص ١١٥ .

قرآنكم هذا ثلاث مرات، وا   ما فيه من قرآنكم حرف واحد. قلت: هـذا وا   العلم، قال: إنه العلم وليس بذاك، ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ما يحدث بالليل والنهـار: الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء" ١٧٨.

وكان القرآن - وسيبقى إلى أن يرث ا   الأرض ومن عليها - هـو كلمة ا ، وعين الحق، كل الحق، المنزه عن التحريف الذي لم تسلم منه سائر الكتب السماوية ، لذا فقد رآه أعداء الملة والدين، هو العدو الأ ـد. " اعتبر مردخاي الياهو، الحاخام الشرقي الأكبر الأسبق لإسرائيل أن القرآن أكبر عدو يواجه إسرائيل وقال في خطاب أمام مجموعة مـن منتسـبي المدارس الدينية إن "لنا أعداء كثيرين، وهناك من يتربص بنـا وينتظـر الفرصة للانقضاض علينا، وهؤلاء بإمكاننا عبر الإجراءات العسكرية أن نواجههم، لكن ما لا نستطيع مواجهته هو ذلك الكتاب الذي يسمونه القرآن، هذا عدونا الأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسـائلنا العسـكرية المباشـرة مواجهته" ١٧٩.

١٧٨- الكافي ١٨٤/١ كتاب الحجة : باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة

١٧٩- كتاب العنصرية والإبادة الجماعية فـي الفكـر والممارسـة الصهيونية-د. غازي حسين



وإذا ما أعوز المبطلون تلفيق الأدلة لإثبات باطلهم، قالوا من فورهم بتحريف القرآن، ففرقة اليزيدية أصلها طريقة صوفية تزعم أن المسلمين قد حرفوا القرآن بأن أضافوا إليه آيات اللعن والتعوذ من الشيطان - معبودهم- وكلمات شيطان وإبليس، لذا فإنهم يمحون هذه الألفاظ من القرآن بالشمع.

الملائكة:

و نال أهل الضلال من باقي مفردات التصور الإسلامي، وطال باطلهم الملائكة، وزعم الصوفية أن مشايخهم يرون الملائكة ويتحدثون معهم ويتلقون منهم. يقول حجة الإسلام " أبو حامد الغزالي في كتابه المفصح بالأحوال : إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد "[١٨٠]. وعجبا لمن يزعم رؤية أرواح الأنبياء وقد قال ا ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ١٨١، أي لا علم لأحد بها كائنا من كان غيره تعالى، ومن يزعم خلاف ذلك فقد كذب وافترى على ا . ومن المعلوم أن تلك المشاهدات والتهيؤات وحالات الجذب والصعق ومشاهدة الملائكة

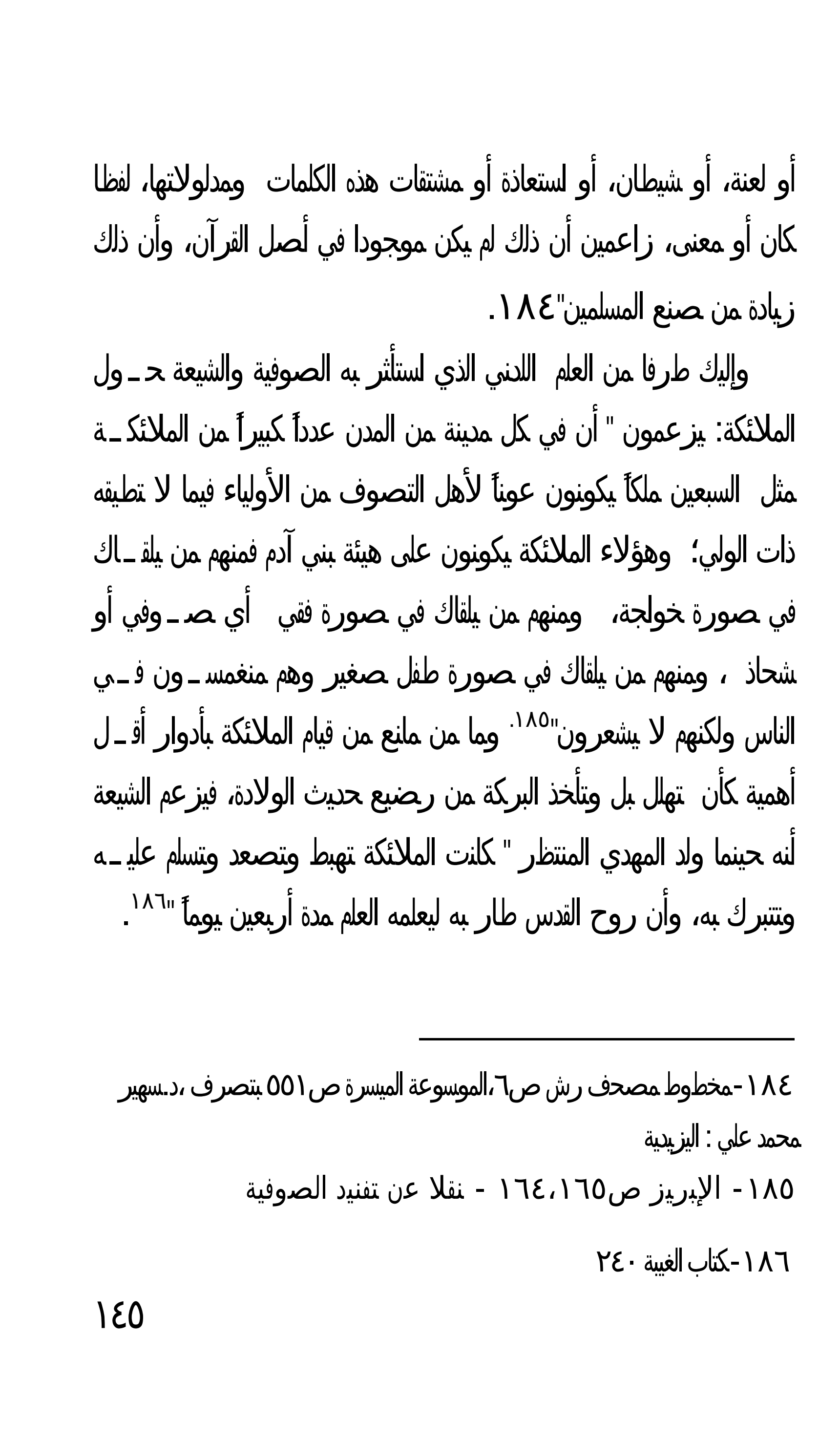
١٨٠-عبد الكريم الخطيب – التصوف والمتصوفة

١٨١-الإسراء ٨٥

والأرواح التي يزعمها الصوفيون إنما هي من قبيل الهلاوس البصـرية والسمعية التي تعن لغير الأسوياء من المرضى النفسيين والذهانيين بسبب تأثر العقل بخرف الشيخوخة أو بسبب معـاقرة الخمـر أو الحشـيش. والصوفية هم أول من تعاطى الحشيش ونصحهم به شيوخهم للاسـتعانة به في التعبد. والعجب فيما رواه الصوفية عن إبليس، فشيخهم الحـلاج مدح إبليس مدحا لم يقله أحد منهم في جبريل؛ إذ جعله سـيد الملائكـة أجمعين لأنه أبى أن يسجد لغير ا ولذلك كان - في نظـره- أعظـم الموحدين، فيقول الحلاج عن إبليس:" كان أعلمهم بالسجود، وأقربهم إلى الموجود، وأوفاهم بالعهود، وأدناهم للمعبود، سجدوا لآدم، وإبليس جحـد السجود ١٨٢. كذلك قال أحمد الغزالي أخو الصوفي الشهير أبو حامـد الغزالي صاحب الإحياء :" إن إبليس سيد الموحدين، وأنه من لم يـتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق، أمر أن يسجد لغيـر ا فـأبى" ١٨٣ ، ولذلك فإن اليزيدية عبدة الشيطان " استنكروا لعن إبليس فـي القـرآن الكريم، ومن ثم عكفوا على كتاب ا يطمسون بالشمع كل كلمة فيها لعن،

١٨٢-أبو منصور الحلاج : الطواسين ، طاسين الأبد والالتباس ، نشرة لويس ماسنيون : آلام الحلاج

١٨٣-انظر ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة نقلا عن الدملوجي : اليزيدية ، د. سهير محمد علي الفيل : اليزيدية



أو لعنة، أو شيطان، أو استعاذة أو مشتقات هذه الكلمات ومدلولاتها، لفظا كان أو معنى، زاعمين أن ذلك لم يكن موجودا في أصل القرآن، وأن ذلك زيادة من صنع المسلمين"١٨٤.

وإليك طرفا من العلم اللدني الذي استأثر به الصوفية والشيعة حـول الملائكة: يزعمون " أن في كل مدينة من المدن عدداً كبيراً من الملائكـة مثل السبعين ملكاً يكونون عوناً لأهل التصوف من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الولي؛ وهؤلاء الملائكة يكونون على هيئة بني آدم فمنهم من يلقـاك في صورة خولجة، ومنهم من يلقاك في صورة فقي أي صـوفي أو شحاذ ، ومنهم من يلقاك في صورة طفل صغير وهم منغمسـون فـي الناس ولكنهم لا يشعرون"[١٨٥]. وما من مانع من قيام الملائكة بأدوار أقـل أهمية كأن تهلل بل وتأخذ البركة من رضيع حديث الولادة، فيزعم الشيعة أنه حينما ولد المهدي المنتظر " كانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليـه وتتبرك به، وأن روح القدس طار به ليعلمه العلم مدة أربعين يوماً "[١٨٦].

١٨٤-مخطوط مصحف رش ص٦،الموسوعة الميسرة ص٥٥١ بتصرف ،د.سهير محمد علي : اليزيدية

١٨٥- الإبريز ص١٦٤،١٦٥ - نقلا عن تفنيد الصوفية

١٨٦-كتاب الغيبة ٢٤٠

ويزعمون أنه: " بينما رسول ا ﷺ جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجها، فقال له رسول ا ﷺ: حبيبي جبريل لم أرك في مثـل هذه الصورة، قال الملك: لست بجبريل يا محمد، لقد بعثني ا عز وجل لكي أزوج النور من النور. قال: من ممن؟ قال: فاطمة من علي. قال: فلما ولى الملك إذا بين كتفيه مكتوب: محمد رسول ا وعلي وصيه. فقـال رسول ا ﷺ منذ كم كُتِب هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق ا آدم باثنين وعشرين ألف عام" ١٨٧.

والعلم اللدني لدى الصوفية - الذين يفاخرون بالحصول عليه مـن ا مباشرة دون وحي أو وساطة - خير دليل على ما كان عليه الناس مـن جهل وأمية، لنسمع ما يقوله الصوفي الجيلي وهو يتحـدث عـن عـين الحياة:" إنها في جانب المغرب، ومن شرب منها لا يموت، ومن سبح فيها أكل من كبد البهموت، والبهموت حوت في البحر المـالح جعلـه ا ليحمل الدنيا وما فيها، فإن ا لما بسط الأرض جعلها على قرنـي ثـور يسمى البرهوت، وجعل الثور على ظهر حوت في هذا البحـر يسـمى

١٨٧- الكافي ٣٨٣/١ كتاب الحجة. باب مولد الزهراء عليها السلام .

البهموت، وهو الذي أشار إليه الحق تعالى بقوله: " وما تحـت الثـرى "
١٨٨. وطوبى لمن احترم عقله.

١٨٨- الجيلي- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ٢-٧٢ ، نقلا من كتاب عقائد الصوفية – محمود المراكبي بتصرف

التخريف والتحريف في العبادات

لا يستقيم السلوك إلا باستقامة المعتقد، فظل العود لا يســتقيم والعــود أعوج، فبعد أن عبث الشيعة والصوفية في الأصول العقائدية للإســلام، كان عليهم مواصلة العبث بالعبادات والشعائر، فطال عبــثهم الصــلاة والصيام والزكاة والحج. وابتداء يسقط الصوفية أداء العبادات عمن بلــغ درجة ما من التصوف والاتصال بالله – في زعمهم – فيعفون أنفسهم من أداء تلك الفروض ويستحلون الحرام، شأنهم في ذلك شــأن البراهمــة الذين عرفوا من قديم إسقاط التكاليف حيث يقول البرهمي: "حيث أكون متحداً مع برهما لا أكون مكلفاً بعمل أو فريضة" .

و يعتقد "الجناحية" الشيعة أن المعرفة إذا حصلت لم يبق شيء مــن الطاعات واجبة ويتفقون في ذلك مع الصوفية ممن يتساهلون في الالتزام بالعبادات ويترخصون في إباحة المحرمات كالزنا واللواط مثلما أباحتهما فرقة "المنصورية" الشيعية ، مثلما أباح القرامطة شيوع النساء، وكــذلك الشيعة الاثنا عشرية يبيحون الزنا ويسمونه نكاح المتعة. وإذا لم يكن إسقاط العبادات بالكلية، فالانحراف بها عن مقاصدها .

ويرى البعض – ولا أرى ما يرون - أن البدعــة مقبولــة إن

كانت من الدين، ولا نعرف كيف تكون البدعة من الدين، ما دامت في اتجاه إثراء العبادات والفضيلة، وهو أمر محفوف بالمخاطر لأن العبادات توقيفية، ولـو تركـت المسـألة لمـن يـرى إثـراء الفضائل،لانتهى الأمر إلى فوضى، ولوجب علينا - أخذا بالمبـدأ نفسه- التماس العذر لمن كذبوا علي النبي بالأحاديث الموضـوعة مادامت في دائرة الحض علـى مكـارم الأخـلاق والترغيـب والترهيب. والحق الذي نرى،هو الوقوف عند حدود العبادات التي كان عليها الصحابة والسلف الصالح، وإلا سيأتي اليوم الذي يصلي فيه المبتدعون الصبح أربع ركعات ويكون صومهم شهرين والحج على غير القادر المستطيع، وذلك بدعوى الإخلاص في التعبد.

وكانت حساسية المسلمين الأوائل شديدة تجاه أي ابتداع في الدين وإن كان يسيرا، وكانوا حراساً للإسلام الحنيف، فما شاهدوا انحرافاً ولو يسيراً إلا شددوا نكيرهم على فاعليه . وقد أنكر ابن عمر على رجل عطـس، فقال: الحمد والصلاة والسلام على رسول ا قائلاً له: "ما هكذا علمنا رسول ا صلى ا عليه وسلم بل قال: إذا عطس أحدكم فليحمد ا ولم يقل: وليصل على رسوله"!![189] ذلك كان فهم الصحابة رضـوان ا عليهم للدين. وذات يوم دخل عبد ا بن مسـعود رضـي ا عنـه

١٨٩- رواه بنحوه الترمذي

المسجد في الكوفة فرأى حلقاً، وفي وسط كل حلقة أكوام من الحصى، ورأى رجلا قائما على كل حلقة يقول لهم: سبحوا مئة فيسبحون مئة، احمدوا مئة فيحمدون مئة، كبروا مئة، فيكبرون مئة؛ فقال لهم ابن مسعود رضي الله عنه: يا قوم! والله لأنتم على ملة هي أهدى من ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مفتحمو باب ضلالة [190]. وبالنظر إلى ما آل إليه حال ملتنا الحنيفة، يمكن القطع بحجم ما أصابها من تحريف وتخريف. ولننظر في ما يلي إلى بعض ما آل إليه حال العبادات على أيدي بعض الفرق والطوائف "الإسلامية" :

الحج:

لا يحج "اليزيدية" إلى بيت الله الحرام ولكن يحجون إلى مرقد شيخهم مؤسس طريقتهم " عدي بن مسافر" بلواء الموصل بالعراق، ويحجون سنويا في المدة من ١٢ إلى ٢٠ سبتمبر، ويسمون هذا الحج عيد القربان أو عيد الضحية . ويعتقدون أن جبل "لالش" الذي يقع فيه المرقد المذكور مثل مكة التي يحج إليها المسلمون، بل هو في زعمهم أفضل منها ومن الكعبة ذاتها، وأنه لا فائدة من زيارة مكة والكعبة لمن يقدر على زيارة

---

١٩٠ - رواه الدارمي ٦٨/١ بتمامه مع بعض اختلاف، وإسناده جيد،

مرقد الشيخ عدي في جبل "لالش" الذي يسمونه جبل عرفـات ، ويرون أن الغرض من الحج إلى بيت ا الحرام قد لتتفى بالحج إلى زاوية الشيخ عدي المتصوف "١٩١. ومن أوسعها البـدع لنتشـاراً بـين مسلمي البوسنة و الهرسك ما يعرف عند البشانقة-أهل البوسنة- باسم الحج الأصغر [١٩٢]، حيث يتوجه البوسنيون المسـلمون بمختلـف طبقاتهم الاجتماعية إلى بلدة "آيفاتوفيتسا" ، قرب مدينة آقحصار الشـهيرة، في يومٍ محددٍ من كلّ عام تحت تغطية إعلامية واسعة، وتشجيع كبيـرٍ من المشيخة الإسلامية! و رئاسة العلماء، و السلطات الرسمية في البلاد. و يتوافد عشرات الآلاف من الساسة، و رجال المشيخة الإسلامية علماء و أئمة مساجد و طلبةً في الكليات والمعاهد العليا و المدارس الإسـلامية، من أقطار البوسنة و بلدان مجاورة منها صربيا، و كرواتيا، و ألبانيـا، و غيرها لحضور هذه المناسبة، التي يطلقون عليها أسماء من قبيل: يـوم الدعاء المقدس، و الاجتماع الديني و يتجرأ بعضـهم فيسـمي المكـان الكعبةً المصغرةً ، فضلاً عن تسمية المناسبة عنـد العامـة بـالحج الأصغر، ويتوجه جل الحضور إلى القبور بالدعاء و التبرك و التوسل،

١٩١-الأمير جول : اليزيدية قديما وحديثا ص٨٣،تيمور : اليزيدية ومنشأ نحلتهم ص٢٧ ، هاشم البنا : اليزيديون ، د. سهير محمد علي : اليزيدية-بتصرف

١٩٢-انظر : مجلة الصف ، العددان ٨ و ١٩ .

بينما ينزع بعضهم من حجارة الجبل، و يغترفون من تربته ما يقوون على حمله، التماساً للبركة و إبراء المرضى، و قضاء الحوائج، مثلمـا يفعـل الشيعة بطينة كربلاء. ويجري ذلك كله باختلاطٍ الرجال بالنساء وتبرج الفتيات، مما يجرد المناسبة من صفتها الدينية المبتدعة . وما أشـبه ذلك بالحج إلى حميثراء بصحراء عيذاب بالصحراء الشرقية بمصر، إذ يشد الرحال مئات الألوف من أتباع الحسن الشاذلي الصوفي المعـروف إلى ضريحه سنويا. ويتراوح الأمر بين تجريد الفرض الديني من غايته، وبين إنكاره وإلغائه واستبداله بطقس بديل . وكانت إحدى التهم التي قتل الحلاج من أجلها هي إنكاره الحج إلى مكة بالذات، ودعوته إلى الحج القائم على النية الخالصة والتوجه القلبي. وكان يقول ببديل للحج يمكن إتمامـه في بيت المسلم دون الحاجة إلى تجشم مصاعب السفر والطواف حـول الكعبة. كذلك ينسب الشيعة إلى النبي قوله:"من زار قبر ولدي الحسـين كان له عند ا كسبعين حجة،قال الراوي سبعين حجة،قال نعم وسـبعمئة حجة،قال الراوي وسبعمئة حجة،قال نعم وسبعين ألف حجة قال الـراوي وسبعين ألف حجة،قال نعم،ومن زار الحسين في قبره فكأنما زار ا في عرشه. وما أسهل الدس في الحديث والكذب على النبي الكريم ، فمن هان عليه القرآن كان الحديث النبوي عليه أهون.وعندما اقتيد عبد الكريم بن أبي العوجاء لضرب عنقه،قال لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها

ولحلل. وكتاب البخاري به نحو سبعة آلاف حديث، منها نحو ثلاثة آلاف حديث مكرر وصحت عنده من ستمئة ألف حديث كانت متداولة فـي عصره.

ويشهد شاهد من أهلها فيقول الإمام الشيعي محب الـدين عبـاس الكاظمي، في كتابه سياحة في عالم الشيعة والتشيع الحوزة العلميـة.... أسرار وخفايا ": إن هذه العقائد- يقصد الاعتقاد في الحج إلى كـربلاء وما يصاحب ذلك من طقوس- ليست من دين ا في شيء ولا يمكن أن تكون على منهاج أهل البيت إنها هي من صنع أياد خفية أراد أصـحابها لمراقد الأئمة الأطهار أن تكون بدائل يضاهون بها الكعبة ليصرفوا قلوب الناس عنها إلى تلك القباب والمشاهد، وتأمل كيف أنهم في الوقـت الـذي هونوا فيه من شأن الحج عظموا في مقابله من شأن المـزارات تعظيمـا شديدا جعلوا به الناس إليها يحجون وعندها يلبون ويدعون ويبكون بل ويضحكون ويستغيثون وما بينها يهرولون ويسعون وحولها يطوفون وبها يتمسحون وأعتابها يقبلون وبها يقدمون القرابين ويوفون بالنذر ويـذبحون كأنهم في الكعبة المشرفة ومن أراد أن يدرك معنى ذلك فليـذهب إلـى كربلاء في يوم عرفة!! إن أكثرية عوامنا اليوم يعتقدون بأن صحة الحـج معلقة بزيارة الأئمة وإلا فالحج باطل والعكس غير صحيح!!" . وحرص الشيعة شديد على اختلاق عبادات بديلة للحج ليست من الحج في شـيء،

وزعموا لها ثوابا عظيما يفضل ثواب الحج مرات ومرات ، فيقولـون: "إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين يوم عرفة واغتسل من الفرات ثم توجـه إليه كتب ا له بكل خطوة حجة بمناسكها- أو قـال- وغـزوة "[193].

وعن الصادق: "من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب ا له ألف ألـف حجة مع القائم " أي الإمام المنتظر" وألف ألف عمرة مـع رسـول ا صلى ا عليه وسلم "[194]. والشيعة يرون علو مقام كربلاء وضـريح علي فوق مقام الكعبة وحجتهم في ذلك أن المسجد النبوي خيـر مـن المسجد الحرام لأن النبي مدفون فيه أما المسجد الحرام فليس فيه أحـد، وبما أن الحسين ابن بنت النبي صلى ا عليه وسلم، إذن فقبره خير مـن الكعبة، وبما أن الإمام علي كرم ا وجهه أفضل مـن الحسـين ، إذن فضريحه أفضل فهو أفضل من الكعبة!! . ويروى عن أبي عبد ا أنـه أنكر على رجل جاءه ولم يزر قبر أمير المؤمنين فقال: بئس ما صنعت!! لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره ا مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون[195]. ولمن استطاع سبيلا إلى الحـج

---

١٩٣ - فروع الكافى للكلينى ٥٨٠/٤

٢- الفيض الكاشاني : "الوافي" : المجلد ١٤ جـ٨ ص ١٤٧٧

١٩٥ - فروع الكافي ٤/ ٥٨٠

ولم يفعل، يمكنه دفع بدل أو تعويض أو قل رشوة تدفع لأحـد الفقهـاء، فيسقط عنه فرض الحج ولا يسأل عن عدم أدائه.

الصلاة والصيام :

"الصلاة عند اليزيدية لا يشترط لها طهارة ولا وضوء وليس فيهـا قيام وركوع. ويرون أن لا فائدة منها، ولا بأس من تركها، وهي ليسـت واجبة، بل الواجب هو طهارة القلب لا غير. وهم لا يلتزمون فيها بشيء مطلقا، فهم يأكلون ويشربون ويدخنون، وقد ينامون ويتغوطون، كل ذلك أثناء هذه الصلاة " ١٩٦. ومحرم عليهم استخدام الحمام والمرحـاض، ويتغوطون - رجالا ونساء - في الأرض المكشوفة ويغتسلون بالميـاه الجارية. أما صيامهم فصيامان: صيام العامة ويسمونه صيام يزيد، ومدته ثلاثة أيام تقع في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس الأولى من شهر ديسمبر سنويا وهي أقصر أيام السنة ،وهي تجزئ عن ثلاثين يوما طبقا للآية الكريمة:"من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ". ويفطر فيها الصائم بشـرب الخمر المقدس. وصيام رجال الدين ومدته ثمانون يوما. و في المـذهب

١٩٦- أحمد تيمور : اليزيدية ومنشأ نحلتهم ، د . سهير محمد علي : اليزيدية

اليزيدي يمكن إسقاط الصيام والصلاة عمن يتقرب إلى شخص أو مكان من مقدسا تهم[197].

أما الشيعة فلهم تأويل باطني للعبادات: "فالصلاة هي الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والوضوء هو موالاة الإمام وطاعته، والزكاة بتزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين، والكعبة بالنبي، والباب بعلي، والميقات والتلبية بإجابة المدعو، والطواف بالبيت سبعاً بموالاة الأئمة السبعة - أئمة الشيعة الإسماعيلية - والجنة براحة الأبدان عن التكاليف، والنار بمشقتها بمزاولة التكاليف، وأن الدين طاعة رجل وأن الصلاة والزكاة وغيرهما إنما هي كنايات عن رجال" [198]· ذلك ما آل إليه إسلامنا الحنيف عند بعض الطوائف التي لا تزال تعيش بين ظهرانينا حتى الآن ويرى الشيعة أن مشاهد أئمتهم خير من المساجد، والصلاة فيها أفضل من الصلاة في المساجد" [199]. وقد ورد أن الصلاة عند ضريح علي كرم ا وجهه أفضل بمائتي ألف صلاة " [200]، أي أفضل من الصلاة عند النبي

197- د. سهير محمد على : اليزيدية -بتصرف

198- الخولنساري -روضات الجنات ص731

199 - منهاج الصالحين للخوئى 1/147

200 - منهاج الصالحين للخوئى 1/147

بعشرين مرة!! "و اختصر الشيعة الصلاة من خمس إلى ثلاث مـرات في اليوم، ولا يؤذن لها ولا تؤدى في غير هذه الأوقـات. ومـنهج " التيسير" وإسقاط العبادات نهج يأخذ به الصوفية أيضا حتى أنهم يسقطون العبادات بالكلية لمن يبلغ درجة ما من التصوف. أما عن صلاة الجمعـة "فقد حذفها الشيعة أو عطلوها منذ القرن الخامس الهجري وإذا أصدر فقيه فتوى بإقامتها فلا يقيمها إلا مقلدوه فإن مات أو قتل انقلبوا إلى فتوى فقيـه آخر قد يفتي باستحبابها أو بطلانها بعد أن كان سلفه يقول بوجوبها والكل يدعي أن الدليل معه وأنه جعفري المذهب!! "٢٠١. وليس يخفي حرص اليد الخفية على إبطال الجمعة، فهي اجتماع أسبوعي تعليمـي تـوجيهي للناس وخصوصا العوام الذين يحرص المبطلون على إبقائهم في جهـل وغفلة. "وصلاة الجماعة محذوفة أو مهملة لا يهتم بها إلا قليلا أو علـى سبيل الاستحباب وتجد لإقامتها شروطا صعبة أو تعجيزية مثـل وجـود الغائب أو نائبه، أو من تتوفر فيه شروط العدالة والسلامة مـن كـل عيب أو نقص بالنسبة للمصلى، وإذا أقيمت أحيانا فبلا نظـام أو تسـوية صفوف " ٢٠٢."كما حذفت صلاة العيد أو أهملت واستبدلت بها زيارة

٢٠١-سياحة في عالم الشيعة والتشيع ، الحوزة العلمية ...أسرار وخفايا –الإمام الشيعي محب الدين عباس الكاظمي

٢٠٢-سياحة في عالم التشيع

المقابر إذ يهرع إليها الناس منذ منتصف الليل وبأعداد غفيـرة يسـابقون الفجر أو الشمس وإلا فإن ميتهم لن يراهم! أما عن النوافل فمحذوفة مـن المنهاج العملي وإن كانت موجودة نظريا وقيام رمضان معطل بالكلية في المساجد !!ويسع تارك الصلاة أن يدفع مبلغا من المال إلى "السيد" كـي يؤديها عنه"[٢٠٣].

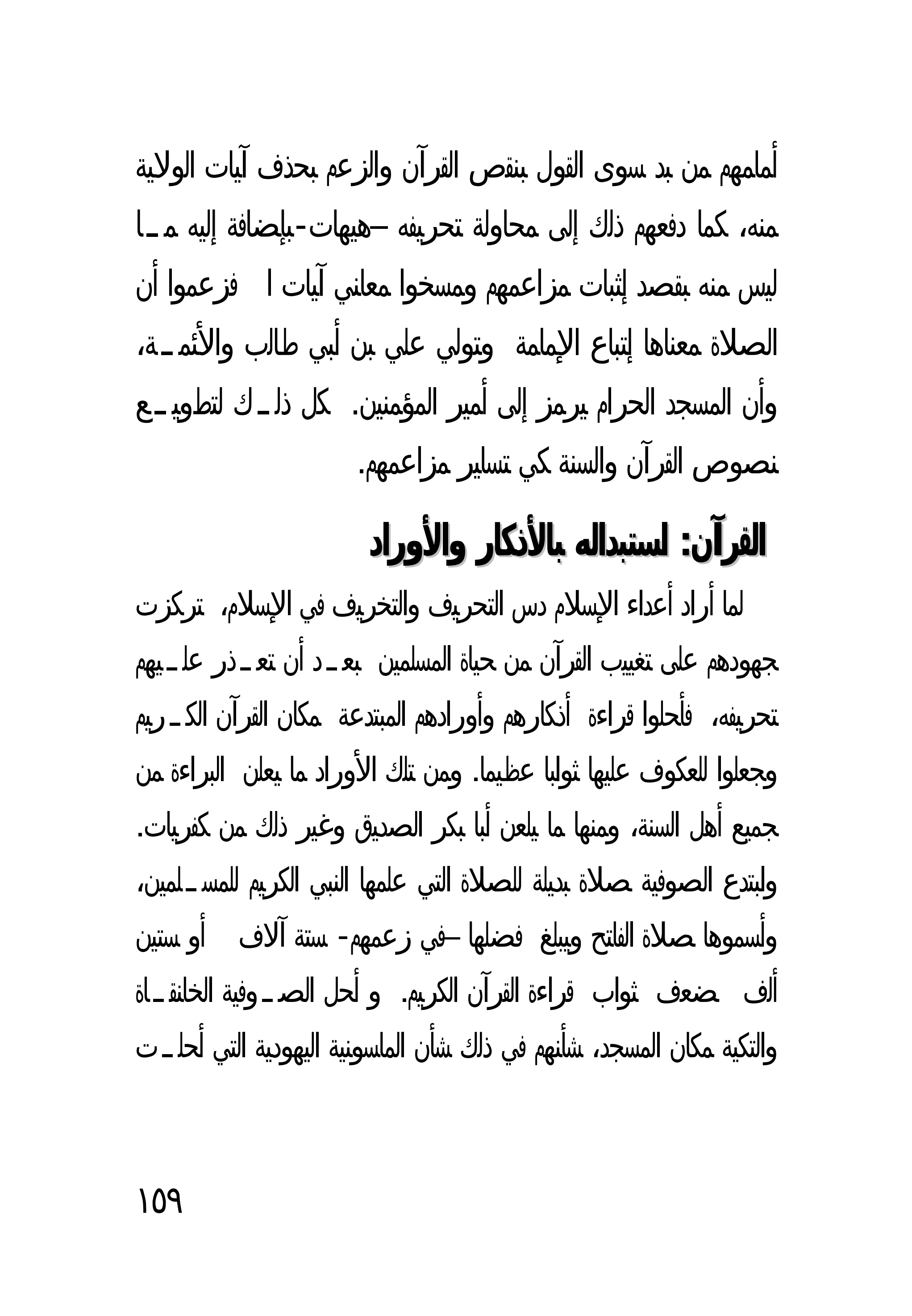
ويزعم الشيعة أن الصلاة يقصد بها الولاية، ويفسـرون قـول ا تعالى:

" ما سلَكَكُم فِي سقَر قَالُوا لَم نَك مِن المصلين "[٢٠٤]، بمعنى لم نتـول وصي محمد- أي علي بن أبي طالب - والأوصياء من بعده"[٢٠٥]. ولأن العقيدة الشيعية تدور كلها في فلك أساسي هو ولاية علي بن أبي طالـب وأبنائه من بعده، لذا كان حرصهم محموما على تأكيد هذه الكذبة، وراحوا يصطنعون لها الأسانيد والأدلة مهما بلغ بهم الشطط ومهما كانت حججهم واهية. ولم يسأل أحدهم نفسه: مادامت الولاية بهـذه الأهميـة، والتـي اعتبروها ركنا أساسيا من أركان الإسلام الخمسة ، فلماذا ذُكـرت هـذه الأركان في القرآن دون ذكر الولاية تصريحا أو تلميحا؟ لذلك لم يكن

٢٠٣-سياحة في عالم التشيع

٢٠٤-المدثر٤٢، ٤٣

٢٠٥- الكافي ٣٦٠/١ كتاب الحجة. باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية



أمامهم من بد سوى القول بنقص القرآن والزعم بحذف آيات الولاية منه، كما دفعهم ذلك إلى محاولة تحريفه –هيهات- بإضافة إليه مـا ليس منه بقصد إثبات مزاعمهم ومسخوا معاني آيات ا فزعموا أن الصلاة معناها إتباع الإمامة وتولي علي بن أبي طالب والأئمـة، وأن المسجد الحرام يرمز إلى أمير المؤمنين. كل ذلـك لتطويـع نصوص القرآن والسنة كي تساير مزاعمهم.

القرآن: استبداله بالأذكار والأوراد

لما أراد أعداء الإسلام دس التحريف والتخريف في الإسلام، تركزت جهودهم على تغييب القرآن من حياة المسلمين بعـد أن تعـذر علـيهم تحريفه، فأحلوا قراءة أذكارهم وأورادهم المبتدعة مكان القرآن الكـريم وجعلوا للعكوف عليها ثوابا عظيما. ومن تلك الأوراد ما يعلن البراءة من جميع أهل السنة، ومنها ما يلعن أبا بكر الصديق وغير ذلك من كفريات. وابتدع الصوفية صلاة بديلة للصلاة التي علمها النبي الكريم للمسـلمين، وأسموها صلاة الفاتح ويبلغ فضلها –في زعمهم- ستة آلاف أو ستين ألف ضعف ثواب قراءة القرآن الكريم. و أحل الصـوفية الخانقـاة والتكية مكان المسجد، شأنهم في ذلك شأن الماسونية اليهودية التي أحلـت

المحافل الماسونية مكان دور العبادة في سعيها إلى إحلال الماسونية محل الأديان.

واهتمام الشيعة بقراءة القرآن أو حفظه أو تحفيظه على غرار ما يفعله أهل السنة والجماعة، اهتمام ضئيل، ومعدوم في بعض الأحايين، ولا يتلوه غير بعض المعوقين والعميان في المقابر على الموتى لقاء دراهم معدودات. وصرف أرباب الباطل الناس عن القرآن بدعوى صعوبة فهمه وازدواج معانيه بظاهر وباطن، ورموه بالتحريف والنقصان، فانصرف الناس عنه إذ قال لهم أربابهم من أئمة " الدين" بأنهم وحدهم ينفردون بفهم المرامي الخفية لآياته، في حين أن ا يقول:" كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"٢٠٦. واستبدل الشيعة كتب الأدعية والزيارات بالقرآن الكريم، تماما مثلما عكف الصوفية على الأذكار والأوراد وهجروه. واليد الخفية عمدت من قديم إلى اصطناع جفوة بين المسلمين وقرآنهم، ونجحت في ذلك إذ هو مهجور إلا في المقابر والإذاعات، وتم تنحيته عن أن يكون هو الدستور الهادي لهم. وما تحقق رشد هذه الأمة إلا بقرآنها، لذا ستبقى في زمان الغي والجهالة طالما هجرت كتابها، وتكون بذلك مقضيا عليها ألا تشب عن الطوق أبدا.

٢٠٦- ص ٢٩

- الوثنية البديلة: تقديس القبور وزيـارة المشـاهد والأضرحة، والاستغاثة بغير ا :

قال النبي صلى ا عليه وسلم: "لعن ا اليهود والنصـارى لتخـذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد "[207]. والشيعة - وهم مـن يـدعون لنتماءهم إلى البيت النبوي - كانوا أول من خالف النبي فكانوا رواد بناء الأضرحة والمشاهد فوق قبور أئمتهم منذ بداية القرن الثالـث الهجـري، وتبعهم بعد ذلك الصوفية، ولما أرسل علي بن أبي طالب رضـي ا أبا الهياج الأسدي إلى اليمن قال له: ألا أبعثك على ما بعثني به رسول ا صلى ا عليه وسلم: أن لا تدع قبراً مشرفاً أي ظاهراً بارزاً عالياً عن الأرض إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته[208]، ولما شاع أيام العباسيين بناء الأضرحة والمشاهد، قام الخليفة العباسي المتوكل في سنة ٢٣٦هـ بهدم القبر المنسوب إلى الحسين بن علي رضي ا عنهما وما حولـه مـن المنازل ونودي في الناس أن من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهب به إلـى

٢٠٧- متفق عليه .

٢٠٨- صحيح مسلم

المطبق ، فلم يبق هناك بشر، واتخذ ذلك الموضـع مزرعـة تحـرث وتستغل"[٢٠٩] .

واعتبر الشيعة أماكن قبور أئمتهم المزعومة أو الحقيقية "حرماً" مقدساً: فالكوفة حرم، وكربلاء حرم، وقم حرم - عندهم - وغيرها. و جاء في "الوافي" أن الكوفة حرم ا وحرم رسوله صلى ا عليه وآله وحـرم أمير المؤمنين وأن الصلاة فيها بألف صلاة والدرهم أي زكاة بـألف درهم ٢١٠ . ويروون عن الصادق أنه قال: إن حرماً هو مكـة ولرسوله حرماً وهو المدينة ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ولنا حرماً وهو قم ستدفن فيه امرأة من ولدي تسمى فاطمة من زارها وجبت لـه الجنة ٢١١ وكربلاء عندهم أفضل من الكعبـة، يقولـون: إن ا أوحى إلى الكعبة لولا تربة كربلاء ما فضلتك ولولا من تضـمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقـري واسـتقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مسـتنكف ولا مسـتكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم ٢١٢ . وزيارة قبور

٢٠٩- ابن كثير - البداية والنهاية ص٣١٥ ج١

٢١٠ - "الوافي" ، باب فضل الكوفة ومساجدها المجلد ١٤ جـ ٨ ص ١٤٣٩.

٢١١ - "البحار" : جـ ٩٩ ص ٢٦٧ ط احياء التراث العربي - بيروت .

٢١٢ - "البحار" : جـ ٩٨ ص ١٠٧ .

الأئمة والدعاء والصلاة عندها والتوسل والاستشفاع بهم كل ذلك عندهم أفضل من الحج إلى بيت ا ، يقولون: إن ا يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف، لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا ٢١٣ . وفي " الـوافي " قـال الصادق: من عرف عند قبر الحسين فقد شهد عرفة ٢١٤ . وعن الصادق: من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب ا له ألف ألف حجـة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول ا صلى ا عليه وآله ، وعتـق ألف ألف نسمة ، وحمل ألف ألف فرس في سبيل ا ، وسماه ا عـز وجل عبدي الصديق آمن بوعدي وقالت الملائكة فلان الصديق وزكاه ا من فوق عرشه ٢١٥ . والصلاة عند القبور تعد عندهم من القربات المضاعفة.ويرون أن " ثواب الصلاة ركعة واحدة في حـرم الحسـين كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة وكأنمـا وقف في سبيل ا ألف ألف مرة مع نبي مرسل" [٢١٦]. وليس هذا خاصاً بحرم الحسين، وإنما هذا الفضل لأضرحة كل أئمـتهم، ففـي "البحـار"

---

٢١٣ - الفيض الكاشاني : "الوافي" : المجلد ١٤ جـ٨ ص ١٤٦١ .

٢١٤ - الفيض الكاشاني : "الوافي" : المجلد ١٤ جـ٨ ص ١٤٧٦ .

٢١٥ - نفس المصدر السابق ص ١٤٧٧ .

٢١٦ - المصدر السابق : ص ١٤٧٨ .

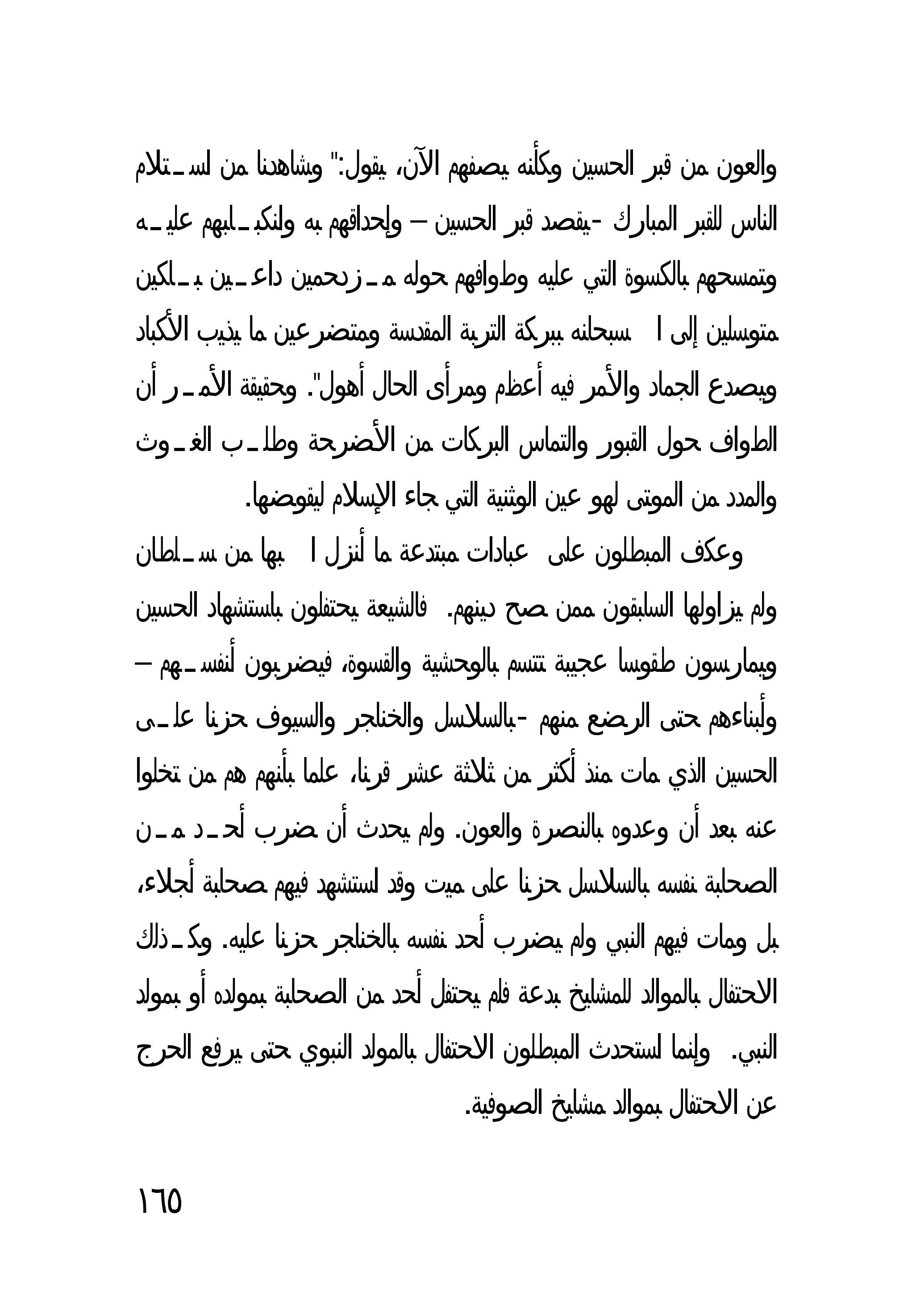
للمجلسي: من زار الرضا أو واحدا من الأئمة فصلى عنده، فإنه يكتب له - ثم ذكر ما جاء في النص السابق وزاد - وله بكل خطوة مائة حجة ومائة عمرة وعتق مائة رقبة في سبيل ا وكتب له مائة حسنة وحط عنه مائة سيئة [٢١٧]. بل ومضوا في غيهم فقالوا إن الأنبياء والملائكة تـزور قبور أئمتهم، ولما لم يجدوا منكِرا لهذا التخريف، اجترءوا على ا وقالوا إنه –جل جلاله- يزور قبور أئمتهم، ففي "البحار" للمجلسي: أن قبـر أمير المؤمنين يزوره ا مـع الملائكـة ويـزوره الأنبيـاء ويـزوره المؤمنون [٢١٨]. وللزيارة عندهم مناسك وطقوس : فيغتسـلون قبـل دخول المشهد ، ولابد للزائر من استقبال الضريح وإن اضطره ذلك إلى استدبار القبلة ، ثم يتكئ على الضريح ويقبله ، ويصلى ركعتين! أي يعتبر قبر الإمام قبلته وإن كانت الكعبة خلفه . وهم يجعلون من هذه المشـاهد والمزارات وسيلة للتكسب والعيش. واسمع ما شهدوا به على أنفسـهم: جاء في رسائل إخوان الصفا – وهي من تأليف الشيعة الإسماعيلية - أن "من الشيعة من جعل التشيع مكسباً، وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور " [٢١٩]. ويصف لنا ابن جبير الرحالة الشهير التماس النـاس المـدد

---

٢١٧ - المجلسي : "البحار" : ١٣٨-١٣٧/٩٧ .

٢١٨ - المجلسي : "البحار" : ٢٥٨/٩٧ .

٢١٩- رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص١٩٩ .



والعون من قبر الحسين وكأنه يصفهم الآن، يقول:" وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك -يقصد قبر الحسين – وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى ا سبحانه ببركة التربة المقدسة ومتضرعين ما يذيب الأكباد ويصدع الجماد والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول". وحقيقة الأمر أن الطواف حول القبور والتماس البركات من الأضرحة وطلب الغوث والمدد من الموتى لهو عين الوثنية التي جاء الإسلام ليقوضها.

وعكف المبطلون على عبادات مبتدعة ما أنزل ا بها من سلطان ولم يزاولها السابقون ممن صح دينهم. فالشيعة يحتفلون باستشهاد الحسين ويمارسون طقوسا عجيبة تتسم بالوحشية والقسوة، فيضربون أنفسهم – وأبناءهم حتى الرضع منهم -بالسلاسل والخناجر والسيوف حزنا على الحسين الذي مات منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، علما بأنهم هم من تخلوا عنه بعد أن وعدوه بالنصرة والعون. ولم يحدث أن ضرب أحد من الصحابة نفسه بالسلاسل حزنا على ميت وقد استشهد فيهم صحابة أجلاء، بل ومات فيهم النبي ولم يضرب أحد نفسه بالخناجر حزنا عليه. وكذلك الاحتفال بالموالد للمشايخ بدعة فلم يحتفل أحد من الصحابة بمولده أو بمولد النبي. وإنما استحدث المبطلون الاحتفال بالمولد النبوي حتى يرفع الحرج عن الاحتفال بموالد مشايخ الصوفية.

أما عن تقديس الأموات في الفكر الصوفي فحدث ولا حرج، فيبنـون المشاهد فوق قبور مشايخهم ويتخذونها مساجد تُشد إليه الرحال ويتوجـه إليها الناس من كل حدب وصوب. ولننظر كيف يحج مئات الألوف مـن الصوفية إلى أضرحة أحمد البدوي وأبي الحسن الشاذلي وعبـد القـادر الجيلاني وغيرهم. وشاع بين المسلمين اتخاذ قبور مشايخهم مسـاجد ، وساقهم ذلك إلى ما يمكن اعتباره شركا با إذ يتوجهون بالدعاء للمقبورين ويستغيثون بهم ويطلبون منهم قضاء حوائجهم بدلا من ا تعالى، وهـل يختلف ذلك عن شرك الجاهلية عندما كان المشركون يتوجهـون إلـى أوثانهم بالدعاء والاستغاثة وطلب قضاء حـوائجهم. ولننظـر المنـافع المزعومة لزيارة قبر الحسين، يقولون: أيما مؤمن أتى قبـر الحسـين عارفا بحقه في غير يوم عيد كتب له عشرين حجة وعشـرين عمـرة مبرورات مقبولات، وعشرين حجة وعمرة مع نبي مرسل أو إمام عادل. ومن أتاه في يوم عيد كتب له مائة حجة وعمرة ومائة غزوة مـع نبـي مرسل أو إمام عادل!! [٢٢٠] . واستبدل الشيعة الحسينيات بالمساجد، وهي أماكن لإقامة التعازي والنياحة على الموتى واللطم في بعـض المواسـم، وهي للسمر وتناول الطعام والشراب والتدخين.

---

٢٢٠ - فروع الكافى ٤/٥٨٠ –٥٨١ باب فضل زيارة الحسين عليه السلام

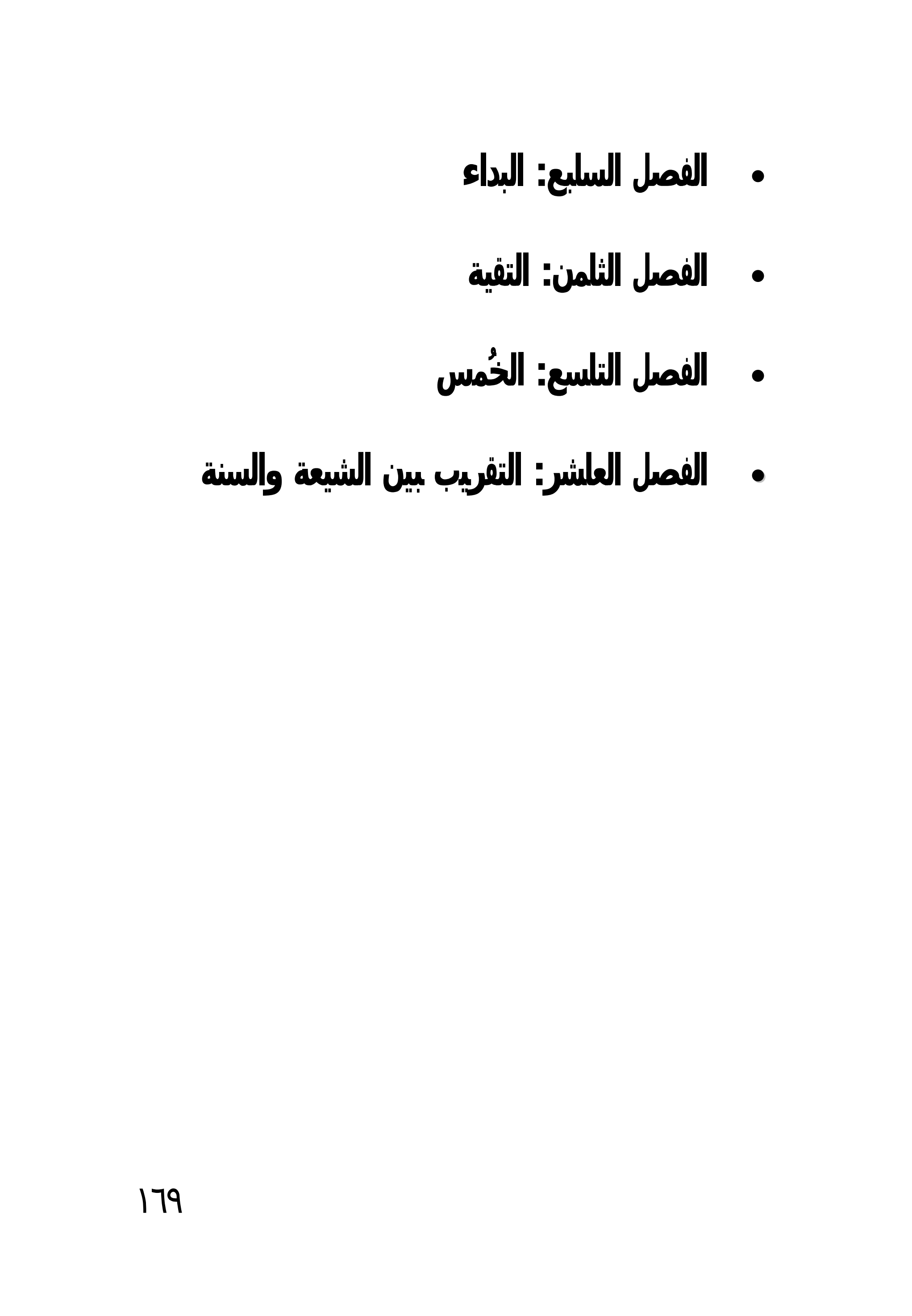
أما المساجد فمهجورة إذ لا يقيمون فيها الجمع أو الجماعات، في حين يتوسعون في بناء المزارات والمراقد والمقامات.

ولما كانت المزارات والأضرحة وسائل للارتزاق، لم يتورعوا عن اختلاق أضرحة وهمية: فتجد ضريحا لجعفر الطيار الذي لم يزر العراق قط وقد استشهد في معركة مؤتة . واختلقوا مرقدا للإمام الباقر والمعروف أنه مدفون في المدينة المنورة، وغير ذلك من المراقد الموهومة كمرقد النبي شعيب وقد مات في مدين في الشام .

الباب الثاني

الشيعة والانحراف العقائدي والسلوكي

- الفصل الأول: كلام عن الشيعة
- الفصل الثاني : الولاية والوصاية
- الفصل الثالث: العصمة
- الفصل الرابع :حكاية الإمام المنتظر: مولده وغيبته ورجعته
- الفصل الخامس: سب الصحابة ولعن أم المؤمنين
- الفصل السادس: نكاح المتعة



- **الفصل السابع: البداء**
- **الفصل الثامن: التقية**
- **الفصل التاسع: الخُمس**
- **الفصل العاشر: التقريب بين الشيعة والسنة**

كلام عن الشيعة

هل الشيعة مسلمون أم كفرة؟ وإن كانوا مسلمين فما هو وجه مخالفتهم أهل السنة والجماعة؟ وهل هذه المخالفة في مسائل فقهية تتعلق بالنظر في التفاصيل التي يجوز الاختلاف بشـأنها أم تتعلـق بأمهـات التصـور الإسلامي؟ وإن كانوا على غير الإسلام فما هي أدلة مفارقتهم للدين؟ وما علاقتهم الحقيقية بالإسلام والمسلمين على مر التاريخ، وهل كانوا عونا للدين أم حجر عثرة في طريق المد الإسلامي إلى أوروبا والعالم؟ وهـل التشيع ملة إسلامية أم أنها كما يقول البعض من أن " الحركة الشـيعية تفسر عادة كرد فعل للروح الفارسية الآرية ضد الإسلام السامي "[٢٢١]. وهل بدأ الخلاف السني الشيعي خلافا سياسيا ثم انقلب مصادمة عقائديـة كما يظن البعض؟ أم أنه خلاف ديني في المبتدأ وإلى يوم الدين؟

وهل الشيعة يؤلهون أئمتهم ويرون في زيارة أضرحتهم ثوابا يفـوق أجر الحج إلى بيت ا الحرام ويرون الطواف حول قبورهم كالطواف

٢٢١- تراث الإسلام- تصنيف شاخت وبوزورث – الجزء الأول

حول الكعبة[٢٢٢]. وهل يأكلون الطين المأخوذ من مشاهد أئمتهم بغـرض العلاج؟ وهل يبيحون الزنا ويسمونه " نكاح المتعة " ويرون الإيمان بـه ومقارفته أصلا من أصول الدين ومنكره منكر للدين، وأن ممارسة هذا الزنا يطفئ غضب الرب، وأن المتمتعة من النساء - الزانية - مغفـور لها، وأن نكاح المتعة من أعظم أسباب دخول الجنة ومجاورة الأنبياء فيها، ومن لا يقترف هذا الزنا يأتي يوم القيامة مقطوع العضو. وهل يبيحـون اللواط ومضاجعة الرضيعة والبكر والمتزوجة وإعـارة الفـروج [٢٢٣]، وهل لا يصلون الجمع والجماعات، وهل يحرمون الجهاد حتى يظهـر إمامهم الغائب، وهل يؤمنون بتحريف كتاب ا ويزعمون تنزيل كتب إلهية على أئمتهم بعد القرآن الكريم، و هل يرون أن الإمامة أعلى مقامـا من النبوة والأئمة عندهم كالأنبياء ولهم صلاحيات إلهية ، وهل يفسرون عبادة ا بأنها طاعة الأئمة وأن الشرك با طاعة غيرهم معهم، وهـل يكفّرون الصحابة الأطهار ويرمونهم بالردة عن الإسلام ، وهل يلعنـون أمنا عائشة زوج الحبيب المصطفى، وهل لهم اعتقادات فـي الإمامـة والعصمة والتقية والرجعة والغيبة والبداء؟ وكلها اعتقادات مغايرة للملـة

٢٢٢- الكافي ٢٨٧/١ كتاب الحجة باب:ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل

٢٢٣- أنظر فصل زواج المتعة للرجوع إلى المراجع الشيعية

والدين . الجواب عن كل ما تقدم هو: نعم، وهذا ما سنفصله في الصفحات التالية مشفوعا بالحجج والأدلة بإذن ا تعالى.

والشيعة - ابتداء - صرحون بأنهم لا يعبدون رب أهل السنّة، ولا يؤمنون بنبوة محمد ، واقرأ ما يقوله أحد كبار علمائهم وهـو يقول: " إننا لم نجتمع معهم - أي مع أهل السنة - علـى ا و لا على نبي و لا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الـذي كان محمد نبيه، و خليفته بعده أبا بكر، ونحن - أي الرافضة - لا نؤمن بهذا الرب و لا بذاك النبي، إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر، ليس ربنا و لا ذاك النبي نبينا [٢٢٤].

ولما كان المعتقد الشيعي يدور كله حول فكرة انفراد علي بن أبي طالب وأبنائه بحكم المسلمين، اقتضى الأمر بالضرورة إضفاء صفات ربانية وقدرات إلهية عليه وآله، وغالوا كثيرا في تصـوير تلك القدرات حتى ساووا بين الأئمـة وبـين ا ، فيقولـون إن :"الحسن رضي ا عنه كان يعرف سبعين مليون لغة [٢٢٥] ، وإن ا يعطي الإمام جميع اللغـات ومعرفـة الأنسـاب والآجـال والحوادث. وأن للأئمة علم ما كان وعلم ما يكون وأنه لا يخفـى

٢٢٤- نعمة ا الجزائري – الأنوار النعمانية

٢٢٥- الكليني - الكافي ٣٨٥/١

عليهم شيء، ولأنهم يحيون ويميتون[226].

يقول ا تعالى: "وَلِلهِ الأَسماء الحسنَى فَادعوه بِها " ٢٢٧، فيـزعم الشيعة أن أئمتهم يقولون: " نحن وا ـِ الأسماء الحسنى التي لا يقبـل ا من العباد عملا إلا بمعرفتنا، بنا أثمرت الأشجار وجرت الأنهـار، وبنـا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عِبد ا ، ولولانا مـا عِبد" [228]، وقولهم، أي الأئمة،:" نحن لسان ا ، ونحن وجه ا ، ونحـن عين ا في خلقه[229]. ويزعمون أن ا خلق جميع الأشياء وفـوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشـاءون، ولـن يشاءوا إلا أن يشاء ا [230]. و أن الدنيا والآخرة للإمام، يضـعهما حيث يشاء ويدفعهما إلى من يشاء " [231]. وقالوا: إن ا سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنات النعيم ويدخل عدونا الجحـيم [232].

٢٢٦-الكافي ٤٢٦/١ كذلك انظر في المجلد نفسه ٢٠٤ و٢١٧ و٢٢٥

٢٢٧-الأعراف ١٨٠

٢٢٨-الكافي ١١١/١ كتاب التوحيد: باب- النوادر

٢٢٩- الكافي ١١٢/١ كتاب التوحيد: باب النوادر

٢٣٠-الكافي ٣٦٥/١ كتاب الحجة. باب مولد النبي ﷺ ووفاته

٢٣١- الكافي ٣٣٧/١ كتاب الحجة. باب أن الأرض كلها للإمام

٢٣٢- الكافي ٣٩٤/١-٣٩٥ كتاب الحجة. باب مولد جعفر بن محمد

وقالوا: " أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير، فليس ذلك بحجـة على خلقه" [٢٣٣].

ويرى الشيعة أن أكبر آيات هذا الكون - على اتساعه وعظمته - هي علي بن أبي طالب فزعموا أن عليا قال في تفسير الآية الكريمـة:" عـم يتَسَاءلُون عن النبإ الْعظِيمِ "٢٣٤. قال: ما عز وجل آية هـي أكبـر مني، ولا من نبأ

أعظم مني " [٢٣٥]. لذا كان عليهم الزعم بأن الملائكة فـي السـماوات العلى تدين بولاية علي بن أبي طالب : فنسبوا إلى أبي جعفر قوله « وا إن في السماء لسبعين صفا من الملائكة وإنهم ليدينون بولايتنا» [٢٣٦]. وإذ يرى الشيعة أن الأئمة ضروريون لتعليم الناس دينهم ، فما القول في مـا يدين به الناس منذ اختفاء آخر هؤلاء الأئمة في السرداب منذ أحد عشـر

---

٢٣٣ - الكافي ٢٠٢/١ كتاب الحجة باب أن الأئمـة يعلمـون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم -ص٢١

٢٣٤- النبأ ١ ، ٢

٢٣٥- الكافي ١٦١/١ كتاب الحجة ← باب أن الآيات التي ذكرها ا في كتابه هم الأئمة

٢٣٦-الكافي ٣٦٢/١ كتاب الحجة. باب فيه نتـف وجوامـع مـن الرواية في الولاية

قرننا، أضل الناس خلال هذه المدة إذ غاب عنهم الإمام الـذي يعلمهـم دينهم؟ وبعد أن علّمنا النبي الإسلام، هل من معلم آخر يأتينا بجديد؟ وهل يحتاج النهار إلى شاهد بعد طلوع شمسه؟ ومختصر أصل عقيدة التشيع هي الاعتقاد بإمامة علي بن أبي طالب بالنص الجلـي أو الخفـي، وأن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده، وإن خرجت فبظلم أو تقية منه ومن أولاده.ويرون أن الإمامة لا تناط باختيار العامة بل هي من أركان الدين، لذا فإنهم يعتبرون منكر الإمامة كافرا! وإيمان المرء أو كفره منـوط، لا بمعرفة ا ، وإنما بمعرفة علي بن أبي طالب، فيقولـون: "إن ا عـز وجل نصب عليا عليه السلام علما بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا ومن أنكره كان كافرا"[237]. ويفسرون قوله تعالى "من جاء بِالحسنَةِ فلَه خَير منْها "[238]، أن " الحسنة هي معرفة الولاية"، ويفسـرون الآيـة:" ومن جاء بِالسيئَةِ فَكُبتْ وجوههم فِي النار " [239]، بأن السيئة هي إنكـار الولاية وبغضنا أهل البيت"[240]. ولما أخذ ا الميثاق علـى بنـي آدم:

---

٢٣٧ -الكافي ٣٦٣/١ كتاب الحجة. باب فيه نتـف وجوامـع مـن الرواية في الولاية

٢٣٨-النمل ٨٩

٢٣٩- النمل ٩٠

٢٤٠ - الكافي ١٤٢/١ كتاب الحجة باب معرفة الإمام والرد إليه

"ألست بربكم"؟ كان هذا الميثاق بشأن ربوبية ا للعالمين ، والشيعة يرون أن ا أخذ ميثاقا مثله على الناس منذ الأزل حول تسليم بنـي الإنسـان بولاية أئمة الشيعة، فيقولون: " إن ا أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخـذ على بني آدم ألست بربكم ؟ فمن وفّى لنا وفّى ا بالجنـة، ومـن أبغضنا ولم يؤد إلينا حقنا ففي النار خالدا مخلدا "[241]. وتطور هذا الاعتقاد تبعا للتداعيات السياسية وأطماع الطامعين بين مجموعات متباينـة مـن الفرق والمذاهب تستّر وراءها كل من أراد الكيد للإسـلام، أو سـعى للنفوذ السياسي أو العسكري لإنشاء دولة، وكل من أراد الارتزاق باسـم الملة والدين. " وأضفى الشيعة جميعا على علي بن أبي طالـب قداسـة خاصة تأرجحت بين كونه وصيا ووليا وإماما ومهديا ونبيا وإلها"[242]. قال الحبيب المصطفى لعلي بن أبي طالب:" يهلك فيك اثنان : محـب غـال ومبغض قال " وبدأ في الكوفة ظهور الشيعة بعد مقتل الحسين كفرقة دينية تضع أصول التشيع، ولم يتبلور مذهبهم النهائي إلا في عهد إمامة جعفـر الصادق. وأفتى فقهاء الشيعة بوجوب أن يدفع الشيعي خمس مكاسبه إلى

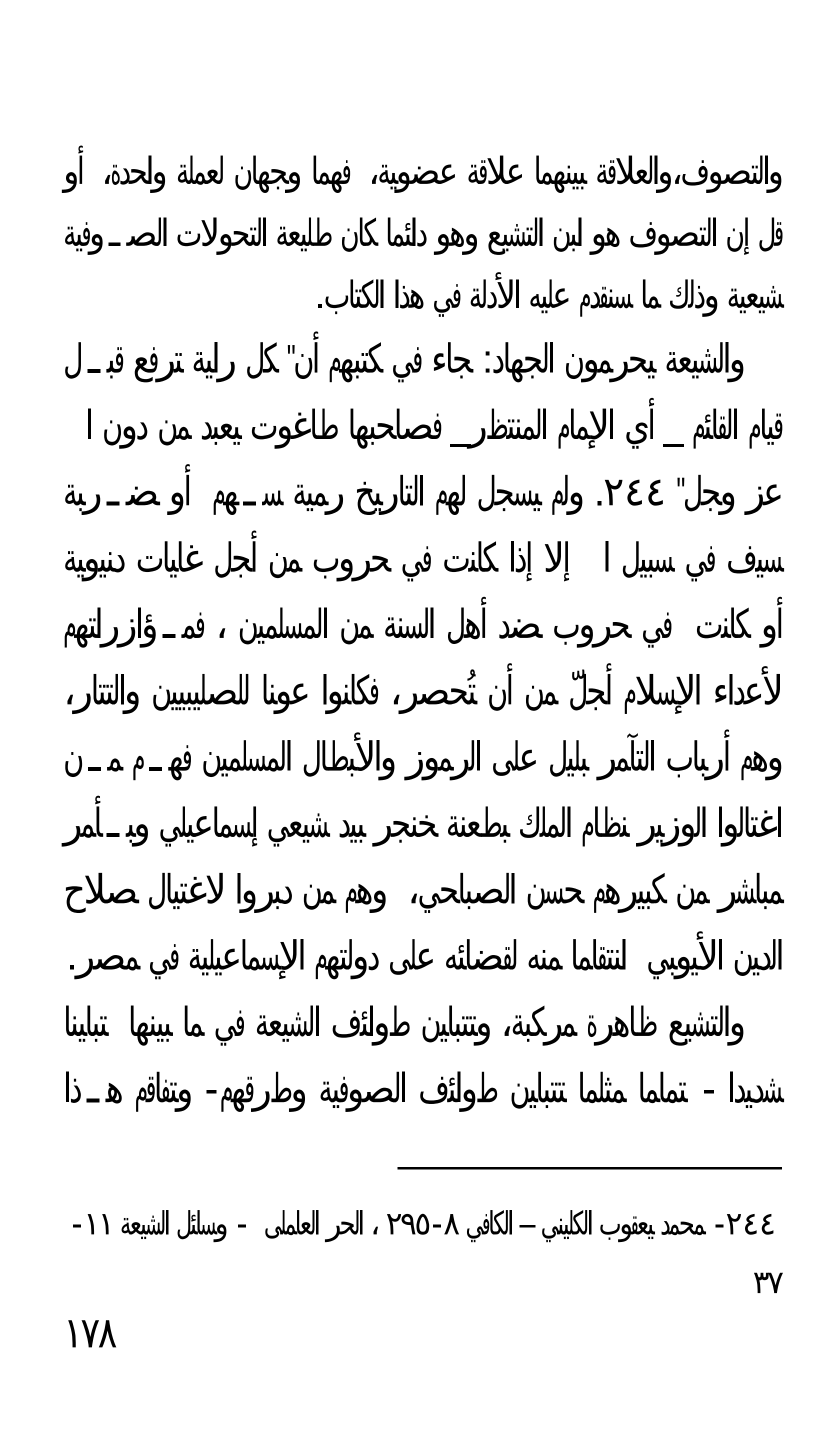
---

٢٤١ - الكافي ٣٣١/١ كتاب الحجة. باب فيما جـاء أن حديثهم صعب مستصعب

٢٤٢- د. علي سامي النشار-نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام –الجزء الثاني الطبعة الثالثة-ص٢٣

الإمام، ولما كان الإمام غائبا، فقالوا بولاية الفقيه، أي أن الفقيه الشيعي لـه صلاحيات الإمام، فصارت الأموال تدفع إلى فقهائهم. وولاية الفقيه بدعة أُضيفت إلى الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى وأخذت طابعا عقائديا، فهـي بالمعنى الدقيق فكرة حلولية دخيلة على الفكر الإسلامي وإنما أصولها تعود إلى الفكر المسيحي الذي يرى أن ا تجسد في المسيح، والمسيح تجسـد في الحبر الأعظم، لذا فإن سلطات الولي الفقيه سلطات مطلقة لأنه يمثل الإمام الغائب. ولم تجد هذه البدعة فرصة التطبيق إلا بعـد أن تـولى السلطة في إيران الشاه إسماعيل الصفوي،" وهو من أسرة صوفية وكان ثمة قيادات صوفية قوية توجهه إلى مآربها، وتحركت جحافل الصـوفيين بين المدائن الإيرانية تنشد الأشعار والمدائح - وهي من أدوات الصـوفية حتى الآن- في محبة آل البيت حثا للناس على اعتناق الملة الشيعية، وتم إعمال السيوف في رقاب من رفض التشيع"[٢٤٣]، حتى استتب الأمر للشاه إسماعيل الصفوى وتحولت إيران قسرا إلى الملة الشيعية بآليـة التحـول الصوفي - الشيعي . وللصوفية دوما دور بارز في نشر التشيع، فالتشيع هو الوعاء الذي استقبل عناصر التحريف والتخريف،وتم فيه إعادة إنتـاج هذه العناصر لتخرج على الناس في صورتين أساسيتين همـا: التشـيع

٢٤٣-العلامة الدكتور موسى الموسوي – الشيعة والتشيع ، وهو عالم شيعي آب إلى الإسلام الحنيف



والتصوف،والعلاقة بينهما علاقة عضوية، فهما وجهان لعملة واحدة، أو قل إن التصوف هو ابن التشيع وهو دائما كان طليعة التحولات الصـوفية شيعية وذلك ما سنقدم عليه الأدلة في هذا الكتاب.

والشيعة يحرمون الجهاد: جاء في كتبهم أن" كل راية ترفع قبـل قيام القائم _ أي الإمام المنتظر_ فصاحبها طاغوت يعبد من دون ا عز وجل" ٢٤٤. ولم يسجل لهم التاريخ رمية سـهم أو ضـربة سيف في سبيل ا إلا إذا كانت في حروب من أجل غايات دنيوية أو كانت في حروب ضد أهل السنة من المسلمين ، فمـؤازرلتهم لأعداء الإسلام أجلّ من أن تُحصر، فكانوا عونا للصليبيين والتتار، وهم أرباب التآمر بليل على الرموز والأبطال المسلمين فهـم مـن اغتالوا الوزير نظام الملك بطعنة خنجر بيد شيعي إسماعيلي وبـأمر مباشر من كبيرهم حسن الصباحي، وهم من دبروا لاغتيال صلاح الدين الأيوبي انتقاما منه لقضائه على دولتهم الإسماعيلية في مصر.

والتشيع ظاهرة مركبة، وتتباين طوائف الشيعة في ما بينها تباينا شديدا - تماما مثلما تتباين طوائف الصوفية وطرقهم- وتفاقم هـذا

٢٤٤- محمد يعقوب الكليني – الكافي ٨-٢٩٥ ، الحر العاملى - وسائل الشيعة ١١-٣٧

التباين بمرور الوقت بدءا من عصر الإسلام الأول وحتى الآن، لذا يجوز القول بأن لكل عصر نوعا من التشيع، ويختلف هذا التشـيع بحسب كل طائفة. وأهم طوائف الشيعة في وقتنا الحاضر هم الشيعة الاثنا عشرية،وهم من يقولون بإمامة لثني عشرة إماما أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم محمد بن الحسن العسكري وهو شـخص موهوم لم يوجد قط إلا في خيالهم، ويؤمنون بغيبته في سرداب في سامراء منذ كان طفلا في الخامسة من عمره، وينتظرون رجعتـه منذ حوالي أحد عشر قرنا ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا. وعدد أتباع هذه الفرقة يزيد على ثمانين مليونا، ويعيشون في العراق وإيران والهند وباكستان،كما يوجدون بأعداد أقل في سوريا ولبنـان والكويت والبحرين والقوقاز. أما الشيعة الإسماعيلية، وهم من قـالوا بإمامة سبعة أئمة،أولهم علي وآخـرهم إسـماعيل بـن جعفـر الصادق،فيبلغ عددهم حوالي ١٧ مليونا، وهم طوائف عدة، منهـا: البوهرة وتوجد في الهند واليمن، وطائفة النزارية وتوجد في الهنـد وباكستان وشرق أفريقيا وسوريا، والأغاخانية . أما ثالـث فـرق الشيعة المعاصرة،فهي فرقة الزيدية وتوجد في اليمن.كما توجد فرق

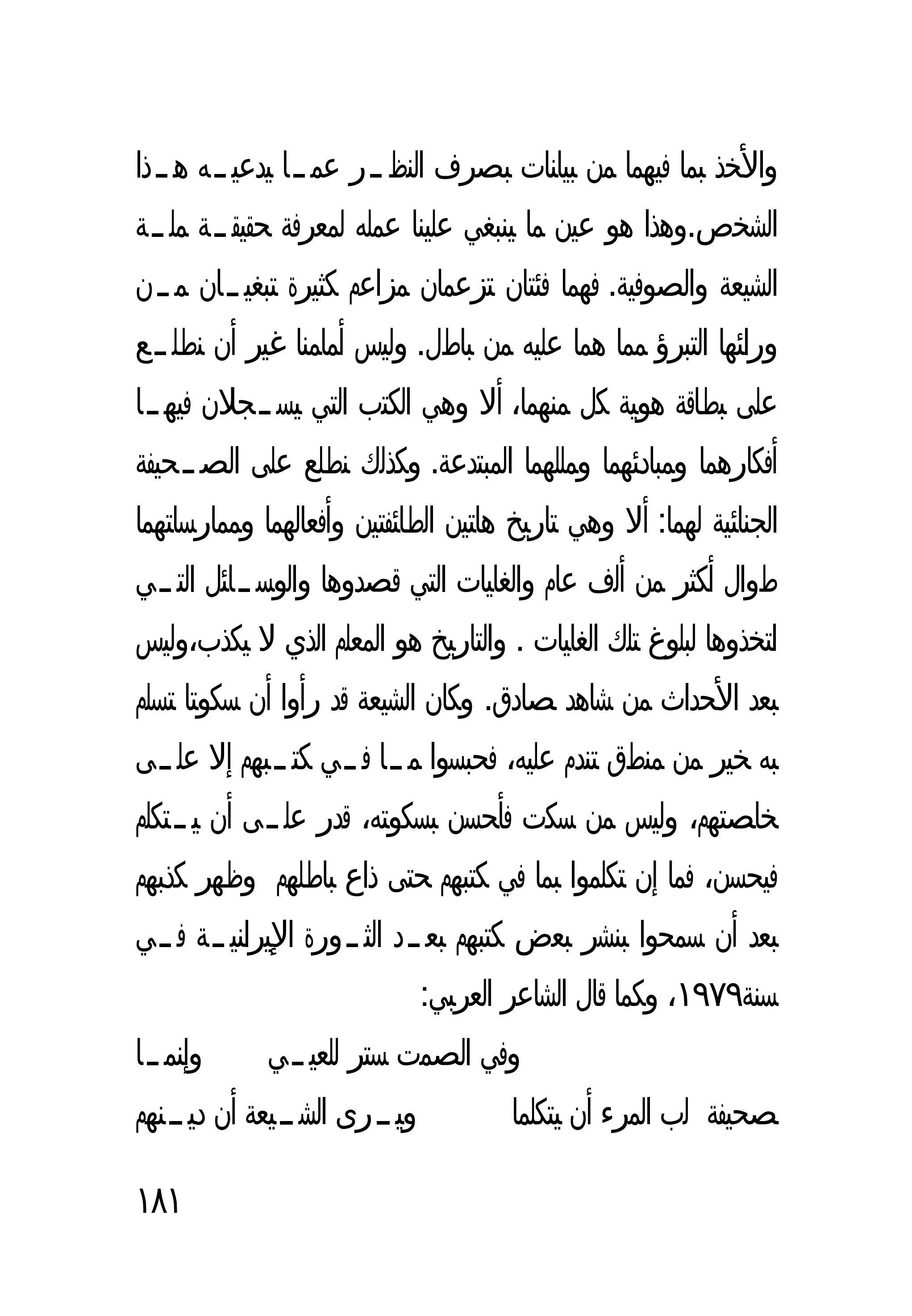
شيعية غالية أخرى في لبنان وسوريا وشمال فلسـطين والعـراق وإيران.

وكانت مصر خالية تقريبا من الشيعة، وكذلك شمال أفريقيـا، لولا أن ثمة مدا شيعيا يزحف في خفاء إليها مرة أخـرى بعـون ومباركة من دوائر خارجية٢٤٥

والكثيرون من الشيعة يخلعون على أنفسهم لقب"سـيد" إثباتـا لانتسابهم إلى آل البيت، وكل من يولد منهم فـي عاشـوراء أو يموت من جراء إحدى الممارسات العاشورية فهو "سيد" ويـرث أبناؤه هذا اللقب من بعده، تماما مثل ما يدعي الصوفية لانتسـابهم إلى آل البيت ويسمون أنفسهم "الأشراف"، وهان النسب النبـوي الشريف حتى ادعاه مثل أبي يزيد البسطامي.

و عند التشكك في هوية شخص ما ، يكون الفيصل هو الاطلاع على بطاقة هويته وصحيفته الجنائية التي تسجل سـابقة أعمالـه،

٢٤٥-للشيعة الآن في مصر دعاة وأتباع يحاولون تشكيل حزب سياسي وأعلنوا أنهم ممثلون في الطرق الصوفية بمصر!!! ويمكن مراجعة التفاصيل في جريدة "الغد" ، العدد ٣١ بتاريخ ٢ نوفمبر ٢٠٠٥ ، وجريدة حديث المدينة العدد الصادر في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٥


والأخذ بما فيهما من بيانات بصرف النظـر عمـا يدعيـه هـذا الشخص.وهذا هو عين ما ينبغي علينا عمله لمعرفة حقيقـة ملـة الشيعة والصوفية. فهما فئتان تزعمان مزاعم كثيرة تبغيـان مـن ورائها التبرؤ مما هما عليه من باطل. وليس أمامنا غير أن نطلـع على بطاقة هوية كل منهما، ألا وهي الكتب التي يسـجلان فيهـا أفكارهما ومبادئهما ومللهما المبتدعة. وكذلك نطلع على الصـحيفة الجنائية لهما: ألا وهي تاريخ هاتين الطائفتين وأفعالهما وممارساتهما طوال أكثر من ألف عام والغايات التي قصدوها والوسـائل التـي اتخذوها لبلوغ تلك الغايات . والتاريخ هو المعلم الذي لا يكذب،وليس بعد الأحداث من شاهد صادق. وكان الشيعة قد رأوا أن سكوتا تسلم به خير من منطق تندم عليه، فحبسوا مـا فـي كتـبهم إلا علـى خاصتهم، وليس من سكت فأحسن بسكوته، قدر علـى أن يـتكلم فيحسن، فما إن تكلموا بما في كتبهم حتى ذاع باطلهم وظهر كذبهم بعد أن سمحوا بنشر بعض كتبهم بعـد الثـورة الإيرانيـة فـي سنة١٩٧٩، وكما قال الشاعر العربي:

وفي الصمت ستر للعيـي وإنمـا

صحيفة لب المرء أن يتكلما ويـرى الشـيعة أن ديـنهم

وعقيدتهم قوامها على أربعة كتب أولها كتاب "الكافي"لمحمد يعقوب الكليني ، والثاني كتاب "من لا يحضره الفقيه" للصدوق،ثـم كتـاب "التهذيب" للطوسي، وكتاب" الاستبصار" للطوسى أيضا. وهذه الكتب الأربعة هي الصحاح عندهم التي تحوى ملتهم وأصولهم الفكريـة، وقد مرت على تلك الأصول الأربعة أكثر من تسعة قرون والفقهاء وغيرهم يتلقونها بالقبول والاعتناء بحيث لا يطعـن فيهـا طـاعن ويعتبرونها فوق مستوى الشبهات. ويرون أن " أحسن ما جمع منها الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم مـن الصدر الأول إلى هذا الزمان ، وهي متواترة ومضامينها مقطـوع بصحتها والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنهـا "٢٤٦. ولهـم أيضا بعض الكتب الأخرى الهامة منها: "علل الشرائع" للصـدوق، وغير ذلك. ويزعم الشيعة أن بحوزتهم كتبا ورثوها عن أئمتهم وبها علم الأولين والآخرين، منها: الجامعة، وهي صـحيفة طولهـا سبعون ذارعاً بذراع رسول ا صلى ا عليه وسلم ، فيها كـل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش"

---

٢٤٦ - عبد الحسين شرف الدين- المراجعات ٣٣٥ مراجعة رقم ١١٠. طبع دار صادق ببيروت.

. ولديهم الجفر، وهو جلد ثور مملوء علما، وهـو "طبعتـان: الجفر الأبيض والأحمر، الأبيض به زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم عليهم السلام والحلال والحرام. و الجفر الأحمر وبه أخبار السلاح، فهو وعاء فيه سلاح رسـول ا صلى ا عليه وآله، ولن يخرج حتى يقوم قائمهم و إنما يفتح للـدم يفتحه صاحب السيف للقتل . وكذلك لديهم "صحيفة ذؤلبة السيف" وهي صحيفة صغيرة كانت في ذؤلبة سيف رسول ا صـلى ا عليه وآله!فيها الأحرف التي يفتح كل حرف منها ألف حرف. وقال أبو عبد ا : فما خرج منها إلا حرفان حتى الساعة[248].[247]

و غالى الشيعة في محبة آل البيت النبوي تسترا ونفاقـا، إذ لـم يخذل آل البيت غير هؤلاء الشيعة، فقد سبق لهم أن وعدوا علي بن أبي طالب بالنصرة والمؤازرة ولكنهم تخلوا عنه، مثلما تخلوا عـن ابنه الحسين، وكذلك خذلوا زيد بن علي زين العابدين، وكذلك فعلوا مع ابنه يحيى، ووصفهم الشاعر في ذلك بقوله: قلـوبهم معـك

---

٢٤٧ - انظر: «الكافي» ٢٣٩/١

٢٤٨ - «بحار الأنوار» ٥٦/٢٦

وسيوفهم عليك. وقالوا لكل من وعـدوه بالنصـرة مثـل قـول المعاصرين لنا من العوام، إذ يعدون بالقول:" بالروح والدم نفديك يا فلان، وما إن يحين وقت التضحية والوفاء بالوعد، حتى ينفضـوا من حول هذا "الفلان". وكما كذبوا في محبة آل البيت، فإنهم صدقوا في كراهية المسلمين وسموهم " الناصبة " وهو وصف لكل من رضى ببيعة الخلفاء الراشدين قبل على رضـوان ا علـيهم أجمعين، ويعتبرون الناصبة ألعن الكفار على الإطلاق. وألزم الشيعة أنفسهم بقاعدة شرعية أصلية في دينهم تقول الرشد في خلافهـم أي في خلاف الأمة الملعونة أي أهل السنة والجماعة. بل إنهـم يعتبرون السني " الناصبي" نجسا يجب التطهر منه بعد ملامسـته! عن خالد القلانسي قال "قلت لأبي عبد ا : ألقى الذمي فيصـافحني. قال: امسح يدك بالتراب وبالحائط. قلت: فالناصبي؟ قال: اغسـلها"[٢٤٩]. بل يرون أن الناصبي مخلوق أدنى بحكم مادة خلقه. عن أبي عبد ا أنه قال: "الطينات ثلاث: طينة أنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبياء هم من صفوتها، هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون

---

٢٤٩ - الكافي ٤٧٥/٢ كتاب العشرة: باب التسليم على أهل الملل

الفــرع مــن طــين لازب. وطينــة الناصــب مــن حمــأ مسنون". ٢٥٠وتشبه هذه العنصرية ما يزعمه اليهود لأنفسهم مـن تفوق وتفاضل للعرق اليهودي، والخسة والدناءة لغيرهم ، فيصـف التلمود غير اليهود بأنهم "حيوانات في صورة إنسان، وهـم حميـر وكلاب، بل الكلاب أفضل منهم، لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس مصرحاً لـه أن يطعم الأجنبـي". وتميـز اليهودية أرواح اليهود عن سائر الأرواح بأنها جزء من العزة الإلهية عزيزة عند يهوه - اسم ا عندهم- بينما الأرواح غير اليهوديـة تشبه أرواح الحيوانات، وأن اليهودي عند" يهوه" أهم من الملائكـة، وينص التلمود على " أن ا خلق الأجنبي على هيئة إنسـان فقـط ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا ومن فيها مـن أجلهـم" ٢٥١. والعنصرية وزعم التفوق العرقي يقول به المبطلون ممـن يغررون بأتباعهم بدعوى هذا التفوق المزعوم، حتى إن الشيخ حسن أحد أبناء مؤسس الطريقة الصوفية العدوية، أوهم أتباعه أنهم مـن

---

٢٥٠ - الكافي ٢/٢ كتاب الإيمان والكفر باب طينة المؤمن

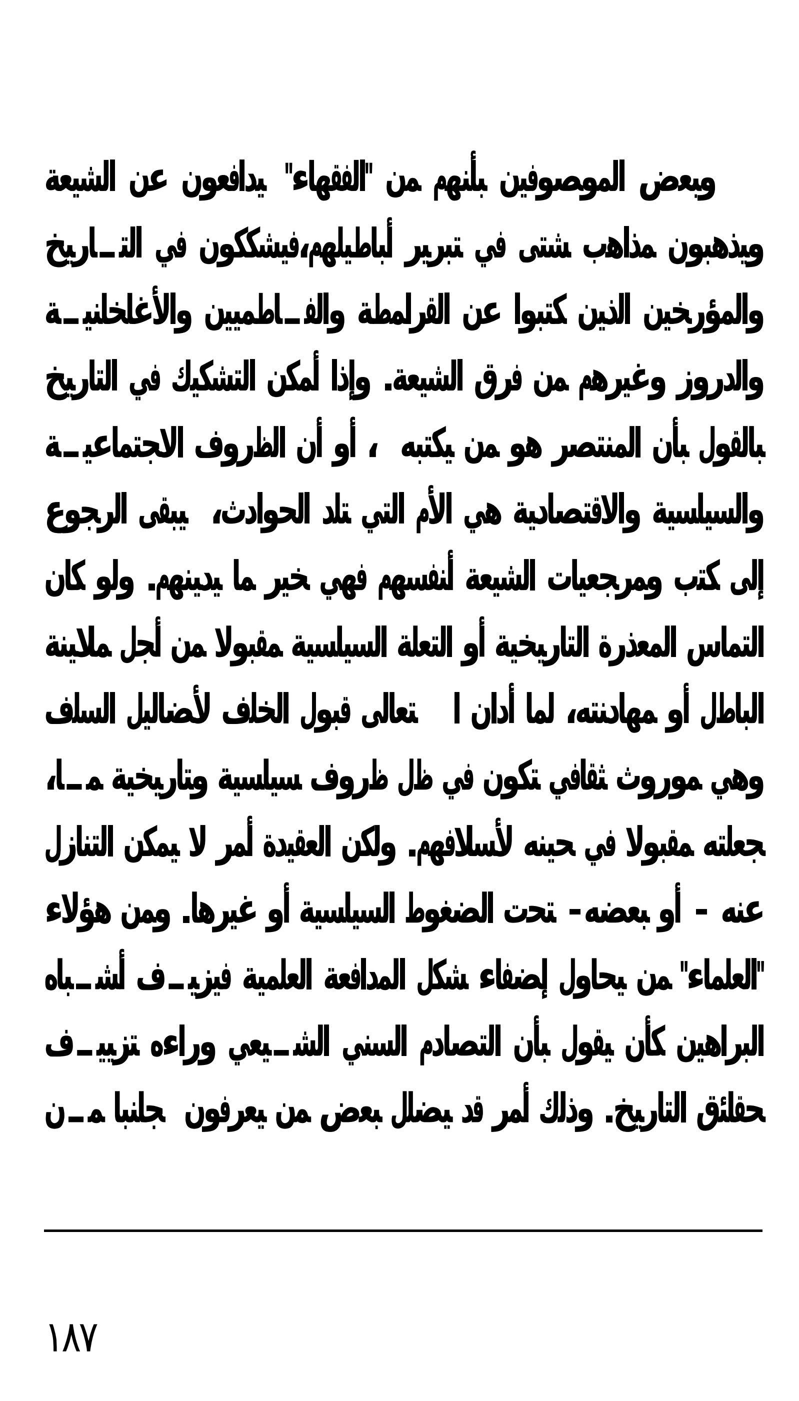
٢٥١ - كتاب العنصرية والإبادة الجماعية في الفكـر والممارسـة الصهيونية-د. غازي حسين

عنصر خاص مغاير لبقية البشر وأنهم يمتازون بنبـل أرومـتهم، وأفهمهم أن بقية البشر أنجاس قذرون لا يجوز لهـم مخـالطتهم "٢٥٢، في حين أن أتباعه من اليزيدية كانوا لا يغتسلون ومحـرم عليهم استخدام الحمامات والمراحيض، وإذا لم تستحي فافعـل مـا شئت.

ويرى الشيعة أن أداء فريضة الحج لا تتم بغير زيارة أضـرحة أئمة الشيعة، فينسبون إلى الإمام جعفر الصادق أنه قال: " إذا حـج أحدكم فليختم حجة بزيارتنا لأن ذلك من تمام الحج، وعـن الإمـام محمد الباقر أنه قال: تمام الحج لقاء الإمام ،.... وإنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتوا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم ". فالشيعة ترى أن الدين كله يتمحور حول الإقـرار بالولاية للأئمة ، حتى إنهم يزعمون أن "تعيين" سيدنا على جاء من السماء، قال أبو عبد ا :" وا ما جاءت ولاية علي مـن الأرض ولكن جاءت من السماء مشافهة " [٢٥٣].

٢٥٢-د. سهير محمد علي : اليزيدية

٢٥٣- الكافي ٣٦٨/١ كتاب الحجة. بـاب مولـد النبي ﷺ ووفاته



وبعض الموصوفين بأنهم من "الفقهاء" يدافعون عن الشيعة ويذهبون مذاهب شتى في تبرير أباطيلهم،فيشككون في التاريخ والمؤرخين الذين كتبوا عن القرامطة والفاطميين والأغاخانية والدروز وغيرهم من فرق الشيعة. وإذا أمكن التشكيك في التاريخ بالقول بأن المنتصر هو من يكتبه ، أو أن الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هي الأم التي تلد الحوادث، يبقى الرجوع إلى كتب ومرجعيات الشيعة أنفسهم فهي خير ما يدينهم. ولو كان التماس المعذرة التاريخية أو التعلة السياسية مقبولا من أجل ملاينة الباطل أو مهادنته، لما أدان الله تعالى قبول الخلف لأضاليل السلف وهي موروث ثقافي تكون في ظل ظروف سياسية وتاريخية ما، جعلته مقبولا في حينه لأسلافهم. ولكن العقيدة أمر لا يمكن التنازل عنه - أو بعضه- تحت الضغوط السياسية أو غيرها. ومن هؤلاء "العلماء" من يحاول إضفاء شكل المدافعة العلمية فيزيف أشباه البراهين كأن يقول بأن التصادم السني الشيعي وراءه تزييف حقائق التاريخ. وذلك أمر قد يضلل بعض من يعرفون جانبا من

الحقيقة دون سواه. وسيبقى الباطل يناطح الحق ما دامت هنـاك مصالح ومرتزقة. وإذا ما رأى الناس أن "علماءهم" قد انتهوا إلى نتائج ما، اعتبروها نتائج نهائية لا يجوز المساس بهـا أو حتـى إعادة النظر فيها إذ يظنون أنه تم بلوغ سقف المعرفة فيتم كـبح الفضول المعرفي وهو المعبر الوحيد للتوصل إلى الحقيقة، فتكسد معارفهم وتتعطل عقولهم. وعند التضييق على الشيعة عند مناقشة أباطيلهم يحاذرون الاستدلال بكتبهم لعلمهم ببطلانهـا وتهافـت حججها، فيعمدون إلى كتب أهل السنة للإيهام بأنهم يرجعون إليها، ولكن غايتهم الحقيقية هي صرف أهل السنة عن إلجائهم إلى كتب الشيعة .

قال حذيفة بن اليمان: كان الناس يسألون رسول ا صـلى ا عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عـن الشـر مخافـة أن يدركني، فقلت: يا رسول ا إنا كنا أهل جاهلية وشر فقد جاء ا بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم. قال فقلت: فهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم. قال قلت:فهل بعد ذلك الشر من خيـر قال:نعم وفيه دخن. قلت:وما دخنه؟ قال قوم يستنون بغير سـنتي ويهتدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير

من شر قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليهـا قـذفوه فيها. قال قلت: صفهم لي يا رسول ا قال هـم مـن جلـدتنا ويتكلمون بألسنتنا [٢٥٤]. ويقول الشيعة:" إن ا خلق محمدا صلى ا علي وسلم، وعليا وأحد عشر من ولده من نـور عظمتـه، فأقامهم أشباحا في ضياء نورهم يعبدونـه قبـل خلـق الخلـق ويسبحون ا ويقدسونه" [٢٥٥]. ولا شك أن هذا يـدق أبـواب عقيدة الحلول في ا . ويقولون :" إن الأئمة مخلوقون من نور خلق ا منه محمدا" [٢٥٦].

والشيعة يستغيثون بغير ا - شأنهم في ذلك شأن الصـوفية- ولا يستحون من طلب العون من سواه حتى أثنـاء أداء الصـلاة ، فيأمرهم علماؤهم أن: " قل في آخر سجودك:يا جبرائيل يا محمد يا جبرائيل يا محمد اكفياني ما أنا فيه" [٢٥٧]. وإن لم ير بعض فقهائنا أن

---

٢٥٤ - الفتن – نعيم المروزي

٢٥٥- الكافي٤٤٦/١ كتاب الحجة. باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم

٢٥٦- الكافي ٣٣١/١ كتاب الحجة. باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب

٢٥٧ -الكافي ٤٠٦/٢

ذلك شرك، فما في الدنيا شرك. وأما عن العـلاج بطينـة القبـر المعجونة فمن خبايا علومهم الغريبة ولا عجب أن يتخذ المستشرقون والمنصرون وأعداء الإسلام من مثل هذا الهراء مجـالاً فسـيحاً لتشويه وجه الإسلام على المستوى العالمي ووصمه بكل نقيصـة.

أما عن غرام الشيعة والصوفية بالطين المأخوذ من مقابر مشايخهم وأئمتهم فحدث ولا حرج: فاليزيدية مـن- الصـوفية – يصنعون من تراب جدران مرقد شيخهم "الشـيخ عـدي" كـرات صغيرة في حجم البندقة يبتلعها العروسان لضمان ديمومة الـزواج. والشيعة يعتقدون أن طينة قبر الحسين تشفي من كـل داء٢٥٨ ! يقول أبو عبد ا : "حنكوا أولادكم بتربة الحسين".كما يقول : فـإذا تناولت - من الطين _ فقل: اللهم إني أسألك بحق الملـك الـذي قبضها، وأسألك بحق النبي الذي خزنها، وبحق الوصي الذي حـل فيها أن تصلي على محمد، وعلى آل محمد، وأن تجعله شفاء مـن كل داء، وأماناً من كل خوف، وحفظاً من كل سوء.

٢٥٨- نقل محمد النعمان الحارثي الملقب بالشيخ المفيد في كتابه المزار عن أبي عبد ا

وسئل أبو عبد ا عن المفاضلة بين طين قبر حمزة وطين قبر الحسين ، فقال: " المسبحة التي من طين قبر الحسين تسـبح بيـد صاحبها من غير أن يسبح " ٢٥٩. ذلك هو مـا آل إليـه حـال إسلامنا الحنيف الذي يعد فيه أكل الوحل وطين الأرض –وهو ما تعافه الكلاب - قربى إلى ا ، و الأمر من قبل ومن بعد.

وتناوب الشيعة- وهم محسوبون زورا وبهتانا مـن أحبـة آل البيت، والصوفيون - وهم محسوبون زورا وبهتانا من أهل السنة - تناوبوا تشويه صورة الإسلام الحنيف بأن دسوا فيـه الخرافـات والأباطيل حتى نفر منه كل عاقل. وتشـويه الإسـلام بالباطـل والخزعبلات هدف أساسي لكل من عادى الإسلام فقصدوا كلهـم جميعا إلى أن يكون "التخريف" مكونا أساسيا في التـراث الـديني الإسلامي حتى يفسدوه على أهله ويصدوا باقي طلاب الهدى عنه.

والشيعة يقيمون لحتفالات سنوية في العشر الأوائل من محرم للنياحة ولطم الوجوه وشق الجيوب وضرب الصـدور والظهـور بالجنازير والسيوف ، ويلبسون السواد ويذرفون غزير الدمع حزناً

٢٥٩- كتاب المزار، للشيخ المفيد، ص: ١٢٥

على استشهاد الحسين. وإن تعجب فاعجب لمن يجزع على هـذا النحو لمن مات منذ أكثر من ألف سنة وهو الآن في جنة الخلد منعم مع الشهداء ولن يجديه نفعا ما يفعلون. وإن كان الحزن لموته مقتولا ، فهم من خذلوه وانفضوا عنه بعد أن وعدوه بالنصرة والمؤازرة، وقد سبق و قُتل أبوه غيلة ، بل إن معظم الطالبيين ماتوا بالسيف أو السم ولم يجزع عليهم أحد مثل هذا الجزع . وإن كـان الحـزن لفراقه، فقد فارقنا من هو عندنا أعز وأكرم من الحسين : إنه الحبيب المصطفي صلى ا عليه وسلم. و البويهيون الشيعة هم أول مـن أشاعوا اللطم في عاشوراء وابتدعوا مواكب العزاء عام ٣٥٢ هـ . ولن تعدم من ينبهك إلى أن هـؤلاء الشـيعة يشـهدون بالشهادتين و يصلون و يحجون ويحذرك من رميهم بالكفر، مع أن أبا بكر الصديق قد حارب المرتدين لمنعهم الزكاة مع أنهم كـانوا يشهدون أن لا إله إلا ا و أن محمداً رسول ا ، ويؤدون الصلوات و يصومون و يحجون إلى بيت ا الحرام.

ومن حين لآخر يمن ا علـى بعـض الشـيعة بالهدايـة ، ويفضحون ما صنعه فقهاؤهم من إفك ويعودون بفضل ا إلـى الإسلام الحنيف، ويؤلفون الكتب التي يكشفون بها ما كانوا عليه من

باطل ٢٦٠. " يصف السيد شريعتي - وهو شيعي معاصر- التشيع الصفوي بأنه تشيع الشرك والجهل والخرافة و لا يمكن اعتباره نهجا دينيا بل هو تحريف مقصود قام به السلاطين الصفويون، وكأمثلة على المعتقدات التي يصل بعضها إلى حد الشرك با يذكر إمكـان دخول الشيعي الجنة مهما عمل من سيئات شريطة أن يشـفع لـه الأئمة في الأرض أي رجال الدين وذلك - طبعا - مقابل دفـع بعض الأموال والنذور. كما ينتقد بعض مراسم الاحترام للقبـور والأضرحة المذهبة فهي تشبه مراسم العبادة ويقصد منهـا إخافـة الناس وإذلالهم وإعطاء هيبة مبالغ فيها لرجال الدين وهكذا يصـبح تراث الأئمة وقبورهم وسيلة لتكوين فئة فوقيـة مسـيطرة علـى الجماهير بقوة الدين. وهذه الفئة تستثمر تلك الهيبة الدينية لفرض مـا تعتقده حلالا وحراما ولإرهاب كل صاحب فكر ولاحتكار التفكير

٢٦٠- منهم الدكتور موسى الموسوي ، وله كتاب بعنوان" الشيعة والتشيع" . والسيد حسين الموسوي من علماء النجف ، وله كتاب بعنوان" ثم للتاريخ" ، وكثيرون لم يعلنوا عن أسمائهم الحقيقية خشية الاغتيال ، وكلهم كانوا من كبار فقهاء وآيات الشيعة المعاصرين .وهذه الكتب متاحة في الأسواق،وعلى شبكة الأنترنت لمن يرد الاطلاع عليها .أما السيد شريعتي فتم اغتياله بنسف المنصة التي كان يحاضر من عليها .

أصلا. وهؤلاء القائمون على شئون الدين المـدعون تمثيـل ا ، رجال دين صفويون لا علاقة لهم بالتشيع العلوي، ويقول: إننـي واثق بأن إسلام الغد لن يكون إسلام رجال الدين، وإن إسلامنا بدون رجال الدين هؤلاء سيرجع أصيلا سليما"[261]. انتهى كـلام السـيد شريعتي الذي لم يمهله من ضاقوا به فاغتالوه بنسف المنصة التـي كان يتحدث من عليها.

الفصل الثاني

الولاية والوصاية

صدرت فتوى من الأزهر الشريف تعتبر الملة الشيعية الاثنى عشرية الجعفرية مذهبا خامسا لأهل السنة والجماعة، وأجازوا التعبد به، ويرى

٢٦١ - هكذا تكلم شريعتي لفاضل رسول ٦٣-٦٥

الكثيرون من فقهائنا أن لا خلاف بين أهل السنة والشيعة فالخلاف - في نظرهم - في الفروع وليس في الأصول٢٦٢ . فاقرأ واحكم :

يرى الشيعة أن الإمامة تثبت لمن ادعاها من أهل البيت، ومع ذلك لم يثبتوا إمامة زيد بن علي مع أنه ادعاها ، لأنه خالفهم ، وهو من سماهم الروافض. و في المقابل أثبتوا الإمامة لمهديهم الغائب الذي لم يزعمها والذي لم يكن قد بلغ بعد الحلم ، مع أنهم يرون أن الإمام لا يكون إلا بالغاً[٢٦٣]. كما أنهم ادعوا إمامة محمد بن علي الملقب «بالجواد» ولم يكن قد بلغ الحلم عند وفاة والده علي «الرضا».

وعللت الشيعة ثبوت الحق الإلهي لعلي بن أبي طالب وذريته في الخلافة بعدد من الأدلة منها آية التبليغ، فقالوا إن النبي لما نزل بغدير خُم، في مكان بين مكة والمدينة، أثناء عودته من حجة الوداع، قام في الناس وخطب فيهم وأعلن أن علي بن أبي طالب: أخي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي.

٢٦٢- انظر نص الفتوى في الملحق رقم ١ بالصفحة٤٧٧

٢٦٣ - انظر: «الفصول المختارة» للمفيد، ص١١٢ ـ ١١٣

وأبلغهم أن ا تعالى أنزل الآية الكريمة: يا أَيها الرسولُ بلغْ ما أُنْزِلَ إِلَيك مِن ربك وإِن لم تَفْعلْ فَما بلغْتَ رِسالَتَه والله يعصِمك مِن الناسِ إِن الله لا يهدِي القَوم الكَافِرِين ٢٦٤، والصحيح أن هـذه الآية قد نزلت في عام الحديبية عند رجوع النبي إلى المدينة، ولـم تنزل في حجة الوداع، وبين الحديبية وحجة الوداع أربعـة أعـوام ٢٦٥.

وما بالهم إذ أثبت التاريخ والواقع عكس ما زعموا أن النبي قال بـه من خلافة علي بعده، في حين أن الذي صار خليفة هو أبو بكـر الصديق فعمر بن الخطاب فعثمان بن عفان. وإذا كان علي رضي ا عنه يعلم أنه خليفة من ا منصوص عليه، فلماذا بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي ا عنهم؟! فإن

كان ذلك عن عجز فعجزه ينفي صلاحيته للإمامة، وإن كـان عن علم وإغضاء فذلك عصيان وأمره. وبقبول علي بـن أبـي

٢٦٤-المائدة ٦٧

٢٦٥ - يذكر النبهاني في كتابه "الخلافة" أنه في الوقت الذي نزلت فيه هذه الآية كان سيدنا علي متغيبا في اليمن .

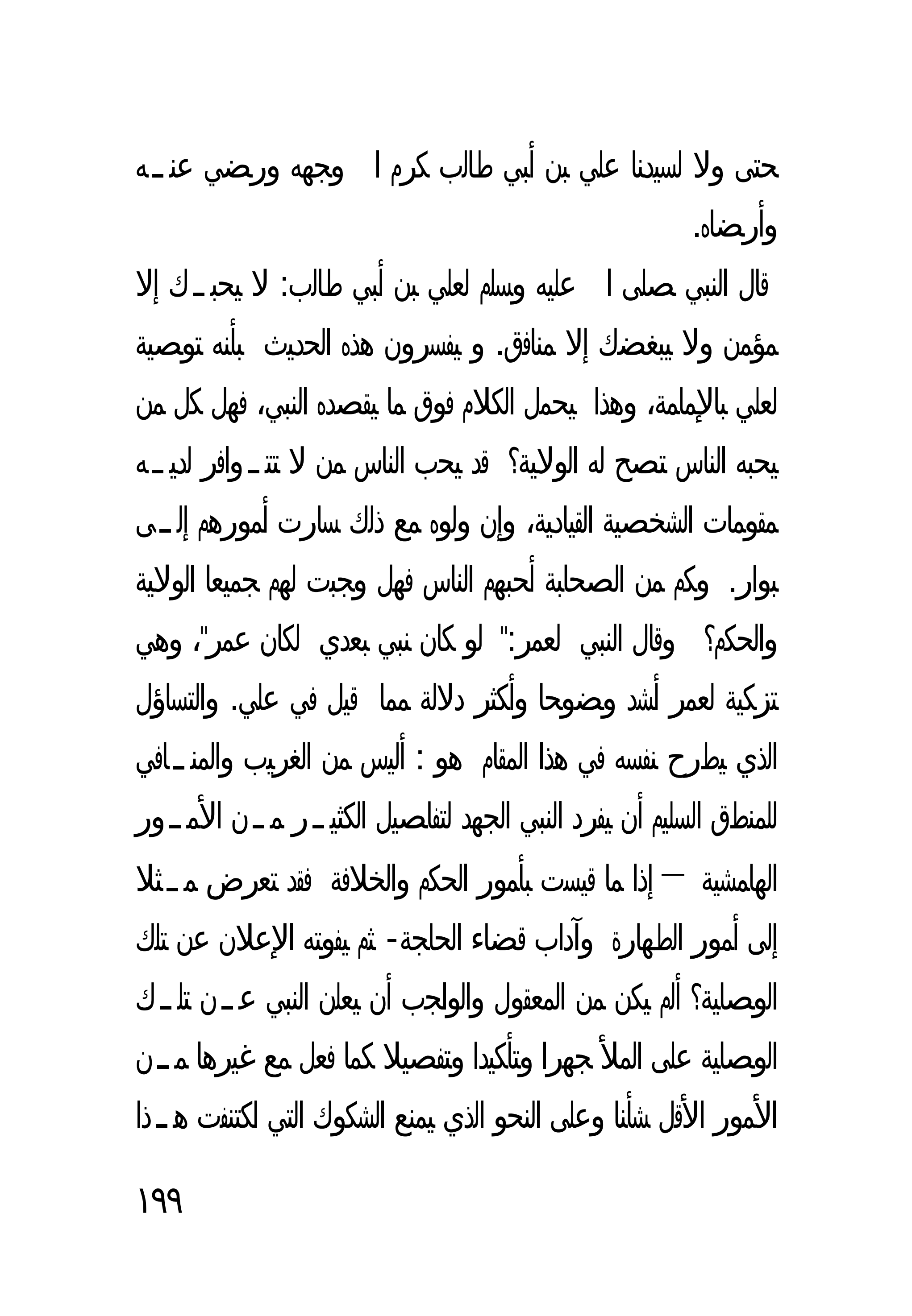
طالب التحكيم في موقعة صفين يكون قد تنازل عـن إقـراره بالولاية والوصاية.

ولين كان ألوف الحجيج ممن صحبوا النبي في حجه، ألم يكونوا شهودا على قول النبي - بوصاية علي- أم لم يسمعوه ،أم سـمعوا ونسوا، أم تراهم سمعوا ولكن تواطأوا كلهم جميعا على مخالفـة نبيهم في ما أوصى به من خلافة علي وأبنائه، وحاشاهم أن يفعلـوا وفيهم الصحابة الكرام ممن تربوا في مدرسة النبوة. وكيف يبايعون الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل علي وهم يعلمـون -جـدلا -بهـذه الوصاية؟ كذلك كان فيهم من المهاجرين من شهد ا لهم بالصدق إذ يقول: لِلْفُقَراءِ المهاجِرين الذِين أُخْرِجوا مِـن دِيـارِهم وأَمـوالِهم يبتَغُون فَضلا من اللهِ ورِضوانًا وينْصرون الله ورسولَه أُولَئِك هـم الصادِقُون " ٢٦٦، وهؤلاء الذين شهد ا لهم بالصدق، رضـوا بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان. وإن كان الأمر وصـاية مـن ا بخلافة علي وأبنائه، ما كان هؤلاء الصادقون ليرضوا بغير علـي وأبنائه. وا يشهد بعدالتهم لما قال: وكَذَلِك جعلْنَاكُم أُمةً وسـطًا

٢٦٦- الحشر ٨

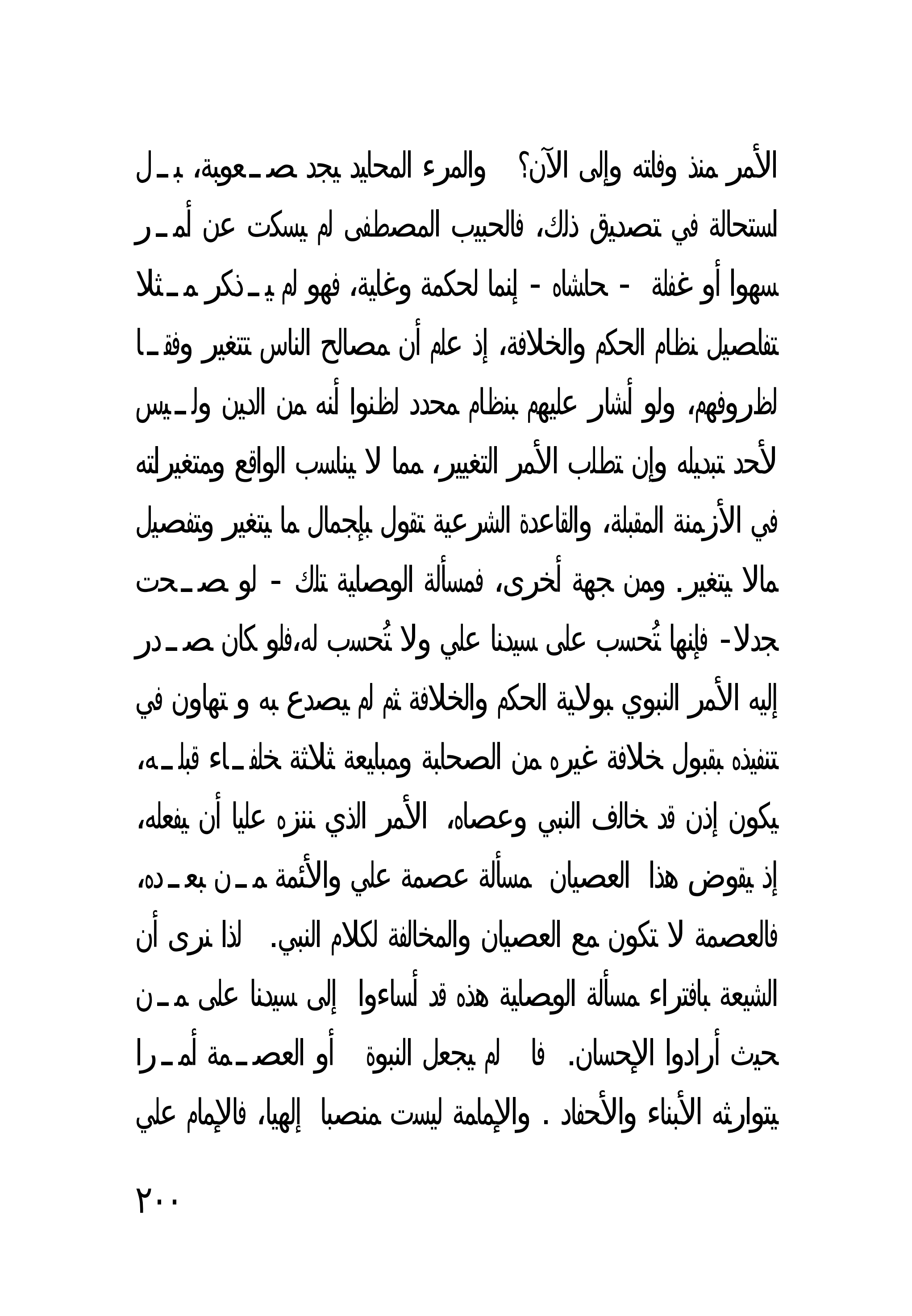
لِتَكُونُوا شُهداء علَى الناسِ ويكُون الرسولُ علَيكُم شَـهيدا ٢٦٧، والشهادة لا تُطلب إلا من العدول . وكيف يمكن تفسير مبايعة علي بن أبي طالب للخلفاء الراشدين الثلاثة قبله، ألا يعتبر ذلك مخالفة صريحة للنبي وللأمر الإلهي. ومن جهة أخرى ، كيف يؤثم الشيعة المسلمين لأنهم بايعوا الخلفاء الراشدين الثلاثة، قبل على، وقد بايعهم على نفسه؟ ولا معنى لذلك غير تأثيم علي، الأمر الذي يهدم الأمر برمته، أي الزعم بالوصاية لعلي وعصمته. وإن زعم الشـيعة أن قبول علي بن أبي طالب لخلافة من سبقوه من الراشدين كان حقْنـا لدماء المسلمين،فما قولهم في ما سفك من دماء في حروب الجمـل وصفين وغيرهما؟ ويزعم الشيعة أن النبي قال: من كنـت مـولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه . وإن كـان هـذا الحديث صحيحا، فهو دعوة إلى مناصر علي ومحاذرة الخـروج عليه وليس دعوة إلى تنصيبه ونسله من بعده ولاة للمسلمين للأبد كما يرى الشيعة. فليس حتما أن يكون لبن الصالح صالحا، ألم يكن لبن النبي نوح عاصيا؟ وتلك سنن ا في خلقه لا تنخرق لأحـد

٢٦٧- البقرة ١٤٣



حتى ولا لسيدنا علي بن أبي طالب كرم ا وجهه ورضي عنه وأرضاه.

قال النبي صلى ا عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. و يفسرون هذه الحديث بأنه توصية لعلي بالإمامة، وهذا يحمل الكلام فوق ما يقصده النبي، فهل كل من يحبه الناس تصح له الولاية؟ قد يحب الناس من لا تتوافر لديه مقومات الشخصية القيادية، وإن ولوه مع ذلك سارت أمورهم إلى بوار. وكم من الصحابة أحبهم الناس فهل وجبت لهم جميعا الولاية والحكم؟ وقال النبي لعمر:" لو كان نبي بعدي لكان عمر"، وهي تزكية لعمر أشد وضوحا وأكثر دلالة مما قيل في علي. والتساؤل الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو : أليس من الغريب والمنافي للمنطق السليم أن يفرد النبي الجهد لتفاصيل الكثير من الأمور الهامشية – إذا ما قيست بأمور الحكم والخلافة فقد تعرض مثلا إلى أمور الطهارة وآداب قضاء الحاجة- ثم يفوته الإعلان عن تلك الوصاية؟ ألم يكن من المعقول والواجب أن يعلن النبي عن تلك الوصاية على الملأ جهرا وتأكيدا وتفصيلا كما فعل مع غيرها من الأمور الأقل شأنا وعلى النحو الذي يمنع الشكوك التي اكتنفت هذا



الأمر منذ وفاته وإلى الآن؟ والمرء المحايد يجد صـعوبة، بـل استحالة في تصديق ذلك، فالحبيب المصطفى لم يسكت عن أمـر سهوا أو غفلة - حاشاه - إنما لحكمة وغاية، فهو لم يـذكر مـثلا تفاصيل نظام الحكم والخلافة، إذ علم أن مصالح الناس تتغير وفقـا لظروفهم، ولو أشار عليهم بنظام محدد لظنوا أنه من الدين ولـيس لأحد تبديله وإن تطلب الأمر التغيير، مما لا يناسب الواقع ومتغيراته في الأزمنة المقبلة، والقاعدة الشرعية تقول بإجمال ما يتغير وتفصيل مالا يتغير. ومن جهة أخرى، فمسألة الوصاية تلك - لو صـحت جدلا- فإنها تُحسب على سيدنا علي ولا تُحسب له،فلو كان صـدر إليه الأمر النبوي بولاية الحكم والخلافة ثم لم يصدع به و تهاون في تنفيذه بقبول خلافة غيره من الصحابة ومبايعة ثلاثة خلفـاء قبلـه، يكون إذن قد خالف النبي وعصاه، الأمر الذي ننزه عليا أن يفعله، إذ يقوض هذا العصيان مسألة عصمة علي والأئمة مـن بعـده، فالعصمة لا تكون مع العصيان والمخالفة لكلام النبي. لذا نرى أن الشيعة بافتراء مسألة الوصاية هذه قد أساءوا إلى سيدنا على مـن حيث أرادوا الإحسان. فا لم يجعل النبوة أو العصـمة أمـرا يتوارثه الأبناء والأحفاد . والإمامة ليست منصبا إلهيا، فالإمام علي

نفسه يقول:" وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطـوعكم لمن وليتموه أمركم، ولأنا لكم وزيرا خير لكم مني أمير ا، ويقـول دعوني والتمسوا غيري "٢٦٨.

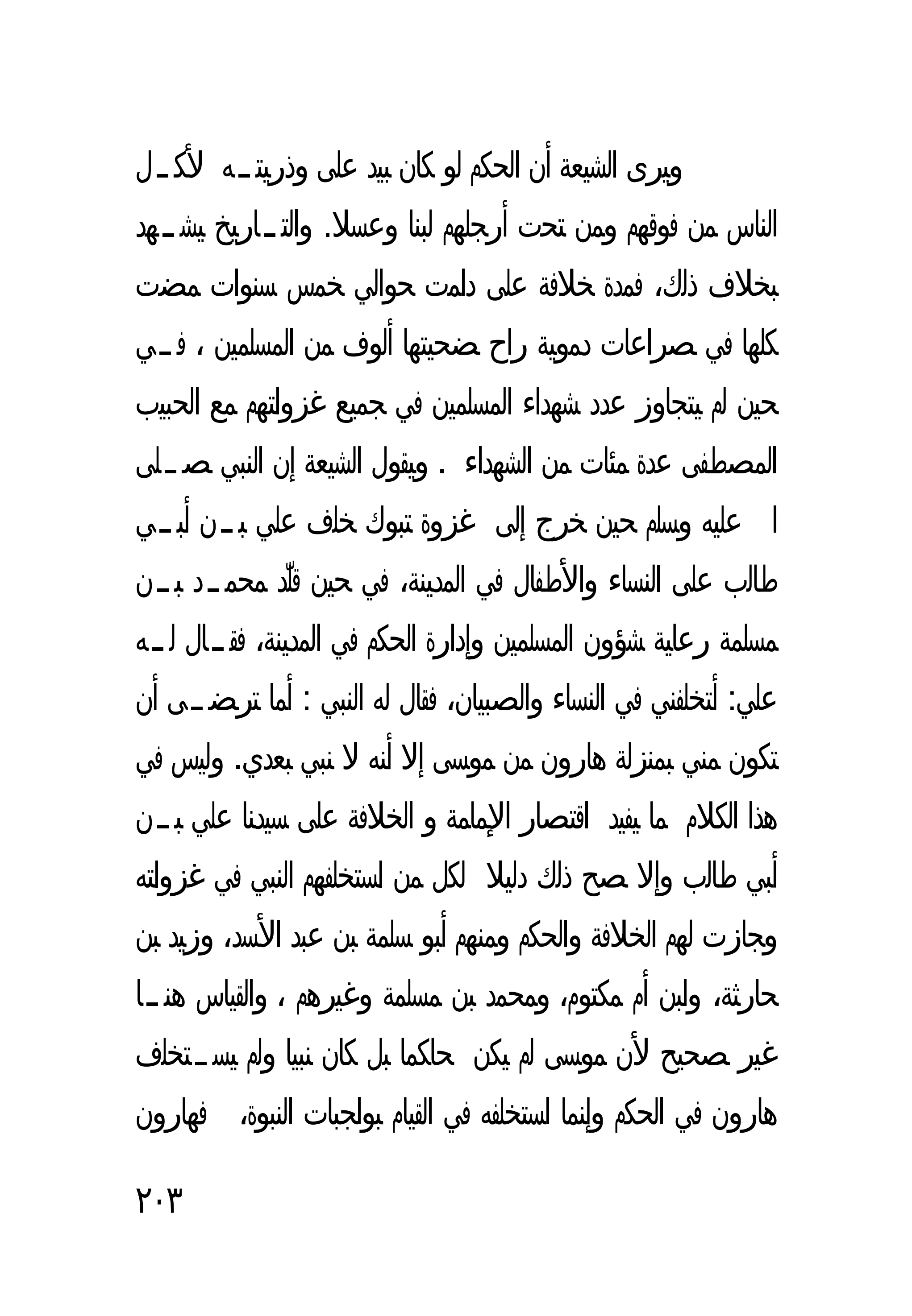
ولماذا يختص ا تعالى نبي الإسلام بتوريث الخلافـة فـي نسله؟ و لماذا لم يحدث ذلك لأنبياء ا الآخرين وهم كُثـر؟ ولا يقولن قائل إن سليمان ورث النبوة عن أبيـه داود أو إن إسـماعيل ورث النبوة عن إبراهيم – صلوات ا عليهم جميعا – فتلك نبـوة يختار ا لها من يشاء، وهي غير الخلافة وحكم الناس. فا لـم يجعل الخلافة والحكم أمرا يتوارثه الأبناء والأحفاد، ولـو أراد ا تعالى لانتقال الحكم أو توريث الخلافة والولاية في عقب النبي الكريم لأبقى على الذكور من أبنائه . أليس من الأولى أن يكون إخبار ا تعالى للنبي بوصاية سيدنا علي بن أبي طالب وبتوارث الإمامة في عقبه موثقة في القرآن أو منصوصا عليها في السنة وأن يكون ذلك علنا ومؤكدا وعلى رؤوس الأشهاد . والمسألة كلها تتعارض مـع إخبار ا لنا باكتمال الدين وتمام الملة. وكيف يوصي النبي بالإمامة

٢٦٨- نهج البلاغة جـ ١ ، ص ١٨١ ، ص١٨٧

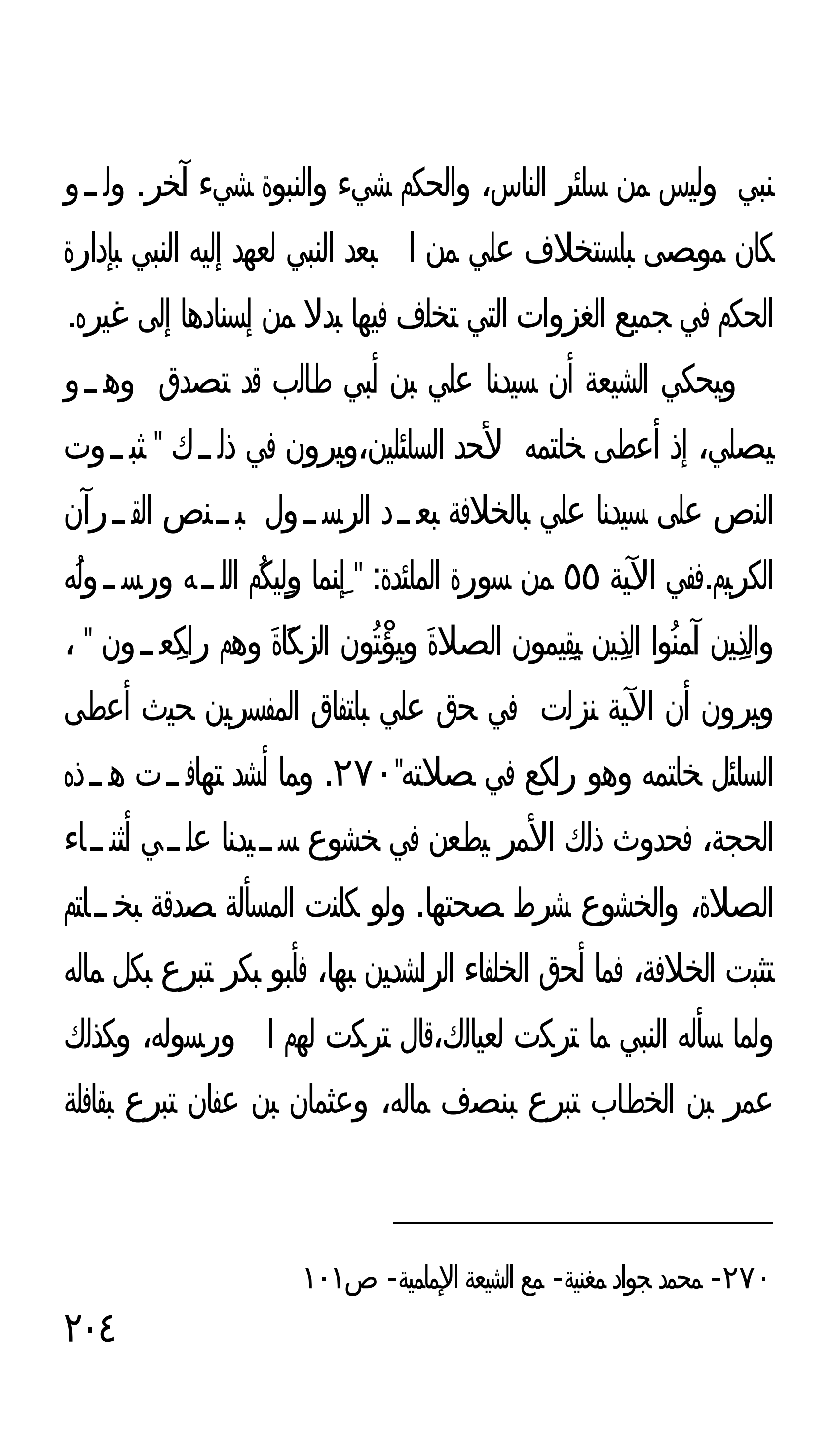
للاثنى عشر إماما، في حين لم يتولها منهم إلا سيدنا علـي وحـده، والباقون لم يحكموا - باستثناء ستة أشهر تولى فيها الخلافة الحسـن بن علي وتنازل بعدها لمعاوية - وزعم الشيعة أن آخر أئمتهم قد اختفى في سرداب منذ أكثر من ألف سنة ، ولم يمت وسوف يعود في آخر الزمان ليحكم الدنيا بالعدل بعد أن ملئت جورا، ومـازالوا ينتظرون إمامهم عند باب السرداب ، ولم يعد ولن يعود. أجل لقد قال الحبيب المصطفى أنه - صلى ا عليه وسلم- مدينة العلم و أن علي بن أبي طالب بابها. ولكنه قال أيضا إن أبا عبيدة بن الجـراح أمين هذه الأمة، وما زعم أحد من أبناء ابن الجراح وجوب الـنص بولايته بمقتضى أمانته، ولم يقل أتباعه بأنهم أحق بالإمامة بزعم أن "الأمانة" أولى من "الباب" .

و يذكر المقريزي٢٦٩: أن ابن سبأ هو من أحدث في زمـن علي رضي ا عنه القول بوصية الرسول صلى ا عليه وسـلم لعلي، وأحدث القول برجعته بعد موته إلى الحياة الدنيا.

٢٦٩- الخطط ٣٥٦/٢-٣٥٧ ، والمقريزي معروف بتوجه شيعي



ويرى الشيعة أن الحكم لو كان بيد على وذريته لأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم لبنا وعسلا. والتاريخ يشهد بخلاف ذلك، فمدة خلافة على دامت حوالي خمس سنوات مضت كلها في صراعات دموية راح ضحيتها ألوف من المسلمين ، في حين لم يتجاوز عدد شهداء المسلمين في جميع غزواتهم مع الحبيب المصطفى عدة مئات من الشهداء . ويقول الشيعة إن النبي صلى ا عليه وسلم حين خرج إلى غزوة تبوك خاف علي بن أبي طالب على النساء والأطفال في المدينة، في حين قلّد محمد بن مسلمة رعاية شؤون المسلمين وإدارة الحكم في المدينة، فقال له علي: أتخلفني في النساء والصبيان، فقال له النبي : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وليس في هذا الكلام ما يفيد اقتصار الإمامة و الخلافة على سيدنا علي بن أبي طالب وإلا صح ذلك دليلا لكل من استخلفهم النبي في غزواته وجازت لهم الخلافة والحكم ومنهم أبو سلمة بن عبد الأسد، وزيد بن حارثة، وابن أم مكتوم، ومحمد بن مسلمة وغيرهم ، والقياس هنا غير صحيح لأن موسى لم يكن حاكما بل كان نبيا ولم يستخلف هارون في الحكم وإنما استخلفه في القيام بواجبات النبوة، فهارون



نبي وليس من سائر الناس، والحكم شيء والنبوة شيء آخر. ولـو كان موصى باستخلاف علي من ا بعد النبي لعهد إليه النبي بإدارة الحكم في جميع الغزوات التي تخاف فيها بدلا من إسنادها إلى غيره.

ويحكي الشيعة أن سيدنا علي بن أبي طالب قد تصدق وهـو يصلي، إذ أعطى خاتمه لأحد السائلين،ويرون في ذلـك " ثبـوت النص على سيدنا علي بالخلافة بعـد الرسـول بـنص القـرآن الكريم.ففي الآية ٥٥ من سورة المائدة: "إِنما وليكُم اللـه ورسـولُه والذِين آمنُوا الذِين يقيمون الصلاةَ ويؤْتُون الزكَاةَ وهم راكِعـون " ، ويرون أن الآية نزلت في حق علي باتفاق المفسرين حيث أعطى السائل خاتمه وهو راكع في صلاته"٢٧٠. وما أشد تهافـت هـذه الحجة، فحدوث ذلك الأمر يطعن في خشوع سـيدنا علـي أثنـاء الصلاة، والخشوع شرط صحتها. ولو كانت المسألة صدقة بخـاتم تثبت الخلافة، فما أحق الخلفاء الراشدين بها، فأبو بكر تبرع بكل ماله ولما سأله النبي ما تركت لعيالك،قال تركت لهم ا ورسوله، وكذلك عمر بن الخطاب تبرع بنصف ماله، وعثمان بن عفان تبرع بقافلة

٢٧٠- محمد جواد مغنية- مع الشيعة الإمامية- ص١٠١

كاملة من ثلاثمئة بعير وألف دينار لتمويل جيش العسرة، أين ذلـك كله من خاتم دفعه صاحبه زكاة وليس تبرعا؟ ومن جهة أخـرى فالبنية اللغوية للآية المذكورة تفند ما ذهب إليه الشيعة من أنها تعنـي ولاية عليّ، فكلمة "الذين" يقصد بها الجمـع لا المفـرد، أي ليس المقصود بها سيدنا علي.كذلك فإن كلمة "إنما" للحصـر،فـإذا خصت الولاية لمن يدفع الزكاة وهو راكع فغيـره لا، وإن كـان الحصر هنا يشمل علي بن أبي طالب،فلا تجوز الولاية لغيره ممن في عقبه.كذلك لم تكن الزكاة واجبة عل سيدنا علي لأنه كان فقيـرا حتى أنه لم يجد غير درعه يدفعها مهرا لزوجته فاطمة والتي كانت تسأله خادما يساعدها في شؤون المنزل،ولكنه لم يجد ما يعينه علـى ذلك. وا لا يثني على عبده إلا إذا فعل محمودا،وإعطاء الزكاة في حال الركوع مكروه إن لم يكن محرما، وحمد الزكاة يكـون فـي المبادرة بها لا في انتظار الفقير الذي يطلبهـا ٢٧١. والمعنـى الصحيح للآية المذكورة كما يراه الألوسي في روح المعاني: "وهـم راكعون" حال من فعل الفعلين ، أي يعملون ما ذكـر مـن إقامـة

٢٧١- عثمان خميس-من محاضرة للرد على كتاب المراجعات بتصرف

الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتولضعون تعالى" .

ويذكر محمد بن يعقوب الكليني- محدثهم الكبير الذي عرض كتابه على الإمام جعفر الصادق فأقره ومدحه - " أن أبا جعفر قال: بنـى الإسلام على خمس: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير"[272] . ورووا عن أبـي عبد ا أنه قال: ولايتنا ولاية ا التي لم يبعث نبياً قط إلا بهـا"[273] وزعموا أن علي بن أبي طالب قال: إن ا عرض ولايتي علـى أهل السماوات وعلى أهل الأرض، أقر بها من أقر، وأنكـر مـن أنكر، أنكرها يونس عليه السلام فحبسه ا في بطـن الحـوت حتى أقر بها"[274].

وحِرص الشيعة على مسألة الولاية شديد فلن تتحقق مساعيهم الارتزاقية والعدائية للإسلام وأهله،بالأمور التعبدية من صلاة وزكاة، وإنما بالسلطة والولاية والنفوذ. ويقصرون معرفة ا وعبادته على

٢٧٢- الكافي في الأصول" باب دعائم الإسلام ص٢٠ ج٢ ط إيران

٢٧٣- بصائر الدرجات" باب٩ ج٢ ط إيران سنة ١٢٨٥هـ وأيضاً "كتاب الحجة من الكافي للكليني ص٤٣٨ ج١ ط إيران

٢٧٤- بصائر الدرجات" ص١٠ ج٢ ط إيران

من عرف الإمام من الشيعة! وينسبون إلى جعفر أنه قـال:" إنمـا يعرف ا عز وجل ويعبده من عرف ا وعرف إمامه منا أهـل البيت، ومن لم يعرف ا عز وجل ولا يعرف الإمام منـا أهـل البيت، فإنما يعرف ويعبد غير ا "[٢٧٥]. ويزعمون أن ا أخـذ ميثاق النبيين على ولاية علي وأخذ عهد النبيين بولاية علي"[٢٧٦].

أما عن التخريف: فيقولون إن الولاية ليست فقط عهد النبيـين وميثاقهم بل هي الأمانة التي عرضت على السماوات. ويقولون: " ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سولنا"٢٧٧. ولا يخفى ما في هذا القول من عنصرية شديدة ما جاء الإسلام إلا ليقوض دعائمها وهي تفاضل الناس بحكم العرق والمولد. والشـيعة يزعمون فضلهم على خلق ا بزعم الانتساب إلى البيت النبوي،في حين أن النبي نفسه لم يقل بفضل التميز على الناس بحكم العـرق وقال في أكثر من مقام بما ينفي شبهات التمايز بالأعراق،كما أن ا لم يثبت له هذا الفضل إذ أرسى القاعدة الأبدية في قرآنـه: " إـن

٢٧٥- كتاب الحجة من الكافي، باب معرفة الإمام ص١٨١ ج١ ط طهران

٢٧٦-"بصائر الدرجات" باب٩ ج٢ ط إيران ١٢٨٥هـ

٢٧٧-الكافي ٣٦٢/١ كتاب الحجة. باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية

أَكْرمكُم عِنْد اللهِ أَتْقَاكُم "٢٧٨، وليس أغناكم أو أكـرمكم نسـبا . ويغالي الشيعة في إثبات الفضل الموهوم لأئمتهم فيقولون : "وا إن في السماء لسبعين صفا من الملائكة وإنهم ليـدينون بولايتنـا" [٢٧٩]. ويقولون:" إن ولاية علي عليه السلام مكتوبة في جميـع صـحف الأنبياء. ولن يبعث ا رسولا إلا بنبوة محمد ﷺ ووصية علـي " [٢٨٠]. وكيف يكون أمر الوصاية لعلي بهذه الأهمية بحيـث يكـون مكتوبا على ظهور الملائكة منذ الأزل ومع هذا لم يرد ذكرها بآيـة واحدة في القرآن الكريم.

عن أبي جعفر قال: " لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ا فيواليه ويكـون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على ا جل وعز حـق فـي ثوابه ولا كان من أهل الإيمان "٢٨١.وفي هذا الكلام تقويض للملة إذ يختصرون الدين كله في مجرد الاعتراف بالإمامة، فلا قيمة في

٢٧٨- الحجرات ١٣

٢٧٩- الكافي ٣٦٢/١ كتاب الحجة. باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية

٢٨٠- الكافي ٣٦٣/١ كتاب الحجة. باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية

٢٨١- الكافي ١٦/٢ كتاب الإيمان والكفر باب دعائم الإسلام

نظرهم للصلاة والصوم والزكاة والحج- وهي أصـول الإسـلام وأركانه – دون الاعتراف بالإمامة. ويواصلون هـذه المـزاعم فيقولون:"نزل جبريل على النبي،فقال: يا محمـد السـلام يقرئـك السلام، ويقول خلقت السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السـبع ومن عليهن، وما خلقت موضعا أعظم من الركن والمقام، ولـو أن عبدا دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحـدا لولاية على عليه السلام ، لأكببته في سقر"[282]، بل ويرى الشيعة أن ا هو الذي سمى عليا بأمير المؤمنين! سئل أبو جعفـر: لـم سمي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين؟ قال: ا سماه، وهكذا أنزل في كتابه " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمدا رسـولي وأن عليـا أميـر المؤمنين "[283].

والشيعة يلوون معاني آيات القرآن الكريم كي توافق مـراميهم في إثبات الولاية لأئمتهم، ولنظر ما يرونه في قول ا تعـالى: "

٢٨٢- بحار الأنوار-محمد باقر المجلسي ج٢٧ ص١٦٧، أمالي الصدوق –ابن بابويه القمي ص٣٩٢

٢- أصول الكافي كتاب الحجة : جـ ١ ص ٤٧٩ .

لَيستَخْلِفَنهم فِي الْأرضِ كما استَخْلَفَ الـذِين مِـن قَـبِلِهم "٢٨٤ ، فيفسرونه على أنه استخلاف الأئمة ٢٨٥، في حين أن المراد هـو استخلاف المسلمين والتمكين لهم في الأرض . وأئمة الشـيعة لـم يتمكنوا من الخلافة غير خلافة علي بن أبي طالب – نحو خمـس سنوات – وخلافة ابنه الحسن – ستة أشهر- كما تقدم، وهذا يعود بالطعن على الأئمة- لو أخذنا بتفسيرهم- لأن الآية تشترط الإيمان والعمل الصالح وتحقيق عبادة ا وحده من غير شـرك لتحقيـق الاستخلاف فكأنما يقول الشيعة لأئمتهم: لم يستخلفكم ا لأنكم لـم تحققوا الشرط في الآية.

ويفسر الشيعة الآية الكريمة: " قُلْ لا أَسأَلُكُم علَيهِ أَجرا إِلا المودةَ فِي القُربى" **٢٨٦** بأنها توصية المسلمين بالحسـن والحسـين رضـى ا عنهما،وهذا غير صحيح، لأن الآية من سورة الشورى وهي كلها مكيـة وقد نزلت قبل أن يتزوج علي بفاطمة فزواجهما كان بالمدينة في العـام

٢٨٤- النور ٥٥

٢٨٥-الكافي ١٥٠/١ كتاب الحجة باب أن الأئمة عليهم السلام خلفاء ا في أرضه

٢٨٦-الشورى ٢٣

الثاني من الهجرة وقبل ميلاد الحسن والحسين، إذ ولدا في العامين الثالـث والرابع من الهجرة.

وكيف يكون الإسلام دينا إنسانيا للعالم كافة شرقه وغربه شماله وجنوبه، لأسوده وأبيضه ، ثم نتحدث عـن عنصـرية وطائفيـة واضحتين.كيف نتحدث عن وجـوب أن يكـون حـاكم الأمـة الإسلامية من نسل علي بن أبي طالب أو قرشيا أو حتى عربيـا، وهي الأمة الإنسانية التي يفترض نظريا أنها تمتد لتشمل العالمين. إن الإسلام نظام لا يتفاضل فيه أحد على أحد بالعرق أو الجنس أو اللون، وإنما بالتقوى، أي يحكم المسلمين مسلم صح إسلامه ومشهود له بالتقوى ويمتلك القدرات الإدارية التي تمكنه من قيادة الأمة. ولما كان ذلك الحكم هو الممكن الوحيد عقلا وشرعا فكيف يمكن الحديث عن توارث إمامة أو خلافة في دين عالمي ارتضـاه ا تعـالى للإنسانية جمعاء. فماذا لو توافرت شـروط التفـوق والأفضـلية والخيرية لقوم من اسكتلندا أو السويد مثلا مع انتفاء هـذه الشـروط والصلاحيات عن المسلمين العرب، أيكون من الواجـب تنصـيب حاكم الأمة الإسلامية من البدو المتخلفين لمجرد أنهم من العرب أبناء



المسلمين الأوائل؟ وكل كلام يصطدم مع عالمية الإسـلام يكـون كلاما مرفوضا.

العصمة

صدرت فتوى من الأزهر الشريف تعتبر الملة الشيعية الاثنى عشرية الجعفرية مذهبا خامسا لأهل السنة والجماعة، ولأجازوا التعبد به، ويرى الكثيرون من فقهائنا أن لا خلاف بين أهل السنة والشيعة فالخلاف – في نظرهم في الفروع وليس في الأصول فاقرأ ولحكم ٢٨٧:

المسلمون جميعا يجلون علي بن أبي طالب -كرم ا وجهه- كما يجلون الصحابة أجمعين، ويحبونه فوق ذلك لأنه ابـن عـم نبينـا الحبيب صلوات ا وسلامه عليه وللدور العظيم الذي اضطلع بـه في خدمة الإسلام. وليس يعني ذلك القول بعصمته فلم تكن العصمة إلا لنبي، وحتى عصمة الأنبياء لم تكن إلا في ما يتعلق بالتبليغ عن ا ، وهم في ما عدا ذلك بشر عاديون.

لذا نختلف مع الخميني زعيم الثورة الإيرانية وإمام الشيعة الاثنى عشرية إذ يقول: "إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامـا لا

٢٨٧- انظر نص الفتوى في الملحق رقم ١ .في الصفحة رقم ٤٦٩

يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل،ولا نتصور فيهم السهو والغفلـة"[288].

وسرعان ما يتهافت الزعم بهذه العصمة عند الاستدلال بالأحداث،وما أشق مهمة المدافع عنها إذ يتعذر عليه تبرير مبايعة علي بن أبي طالـب للخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه، ألا يعتبر الشيعةُ بيعتهم باطلة ولا حق لهم فيها؟ والإقرار بالباطل دليل على انتفاء العصمة.كذلك تنازل الحسن بن علي – مع كثرة أنصاره -عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في حين رفض الحسين أخوه – مع قلة أنصاره- مبايعة يزيد بن معاوية واستُشهد دفاعا عن موقفه المغاير لما ذهب إليه أخوه، وإن كـان أحـدهما علـى صواب، فالآخر غير ذلـك، الأمـر الـذي تنتفـي معـه العصـمة المزعومة.كذلك فإن زيد بن علي زين العابدين خرج على هشـام بـن عبد الملك فهزم وصلب،كذلك كان مصير ابنه يحيى، في حين أن جعفر الصادق آثر المهادنة ومسالمة العباسيين. فأي الطرفين على صواب من قاتل أم من هادن؟ وصواب أحدهما يخطئ الآخـر، وخطـؤه ينفـي عصمته. وينسبون إلي جعفر الصادق أنه قال:"كنا عند ا - وليس عنـده

---

288 -الخميني- الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام -نقلا عن الدكتور مصـطفى الجداوي-نظرية الشيعة

أحد سولنا - لا ملك مقرب ولا غيره، ثم بدا له خلـق السـماوات والأرض، فخلق ونحن معه ٢٨٩. ولا يخفى ما في هـذا القـول - وكثير مثله - من باطل وكذب ينفي العصمة المزعومة عمن يقوله.

وإظهار الحق للشيعة من كتبنا نحن أهل السنة يسير، وأيسر منـه إثبات ضلالهم من كتبهم ، إلا أننا سنطلب الحق عقلا لا نقلا، أي دون الاستعانة بكتبنا أو كتبهم، وذلك على طريقة من يلقي بسيفه أرضا بعد أن يتبين له جهل خصمه با ستخدامه، فآثر مصارعته باليدين من باب إتاحـة كل الفرص العادلة لهذا الخصم.

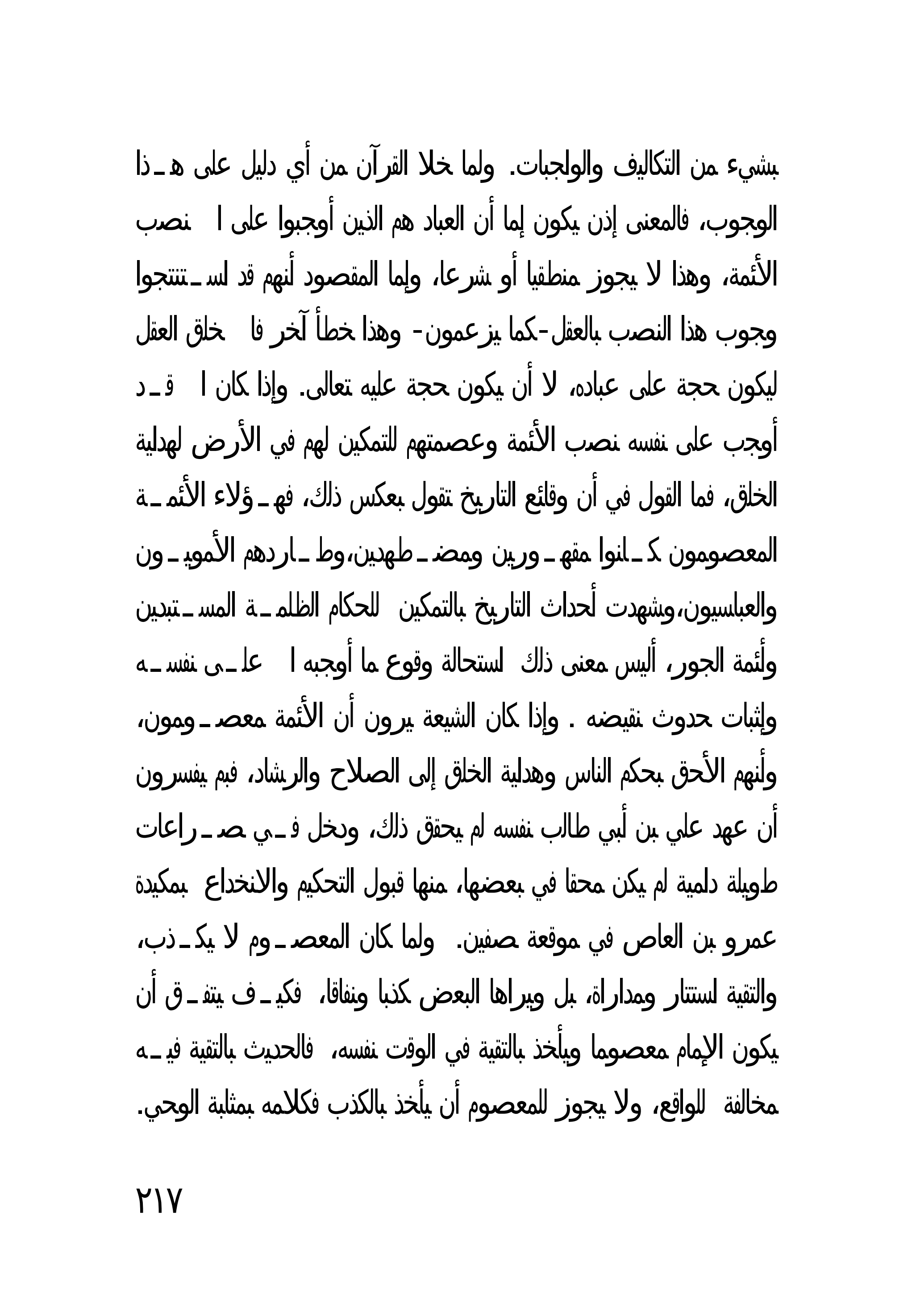
يرى الشيعة- عدا الإمام زيد ومن والاه - أنه لا حق للأمة في لختيار من يحكمها، وأن الإمامة ولجبة على ا ، وسند الشيعة في ذلك هـو أن نصب الإمام لطف واللطف ولجب على ا ،فيكون نصب الإمام ولجبـا على ا ، هكذا وببساطة. ولأن الإمام يجب أن يكون معصوما والعصمة لا يعلمها إلا ا فوجب نصبه من ا . وفاتهم أن من يجب عليه أمر يأثم بتركه، ومن كان هذا شأنه فهو من المكلفين،ولا تصح عبـادة المكلّـف. ومادام ا قد أوجب الإمامة على نفسه فما على الإمام إلا الامتثال لأمـر ا وقبول هذا "التعيين"، وهو الأمر الذي لم يحدث، فقد لستسـلم الأئمـة

٢٨٩- لنظر الوافي

للأمر الواقع ولجأوا إلى التقية وهادنوا حكامهم من الأمويين والعباسـيين، عدا بعضهم مثل الحسين وزيد وابنه يحيى ومحمد النفس الزكيـة وأخيـه إبراهيم. ولا يسع المرء إلا أن يتساءل كيف يمكن التوفيق بـين القـول بوجوب نصب الإمام على الله في حين أن آخر هؤلاء الأئمة –حسـب زعمهم- قد اختفى في سرداب سامراء منذ أكثر من أحد عشر قرنـا؟ كذلك لم يتول الخلافة أحد من آل البيت العلوي غير علي كرم الله وجهه وابنه الحسن، أما مؤسسو الدولة الصفوية والدولة الفاطمية والقرامطة فمن المحتالين المتاجرين بالدين.

وهل كان الله يوجب على نفسه أمرا ثم لا يقوم علـى إمضـائه؟ ويرى الشيعة الإمامية أنه "يجب على الله !! أن ينصب إماما للناس، وأن الاختيار في هذا التنصيب لله وحده"[290]، وإذا كان نصـب الإمـام المعصوم واجبا على الله، فكيف لا يمضى الله هذا الواجب وتركهم بـلا إمام منذ أكثر من ألف سنة، أي منذ اختفاء آخر الأئمة الاثنى عشر محمد بن الحسن العسكري - بحسب زعمهم- في السرداب. وعندما أوجـب الشيعةُ على الله نصب الأئمة، في حين لم يمكنهم فعـلا مـن منصـب الخلافة،كان معنى ذلك سقوط حجة الله على العباد، بل والقول بقيام الحجة لهم على الله فإن من لم يقم بما وجب عليه، لا يمكن أن يطالـب غيـره

٢٩٠- محمد جواد مغنية- مع الشيعة الإمامية- ص٩٨ ، ٩٩



بشيء من التكاليف والواجبات. ولما خلا القرآن من أي دليل على هـذا الوجوب، فالمعنى إذن يكون إما أن العباد هم الذين أوجبوا على الله نصب الأئمة، وهذا لا يجوز منطقيا أو شرعا، وإما المقصود أنهم قد استنتجوا وجوب هذا النصب بالعقل-كما يزعمون- وهذا خطأ آخر فالله خلق العقل ليكون حجة على عباده، لا أن يكون حجة عليه تعالى. وإذا كان الله قـد أوجب على نفسه نصب الأئمة وعصمتهم للتمكين لهم في الأرض لهداية الخلق، فما القول في أن وقائع التاريخ تقول بعكس ذلك، فهـؤلاء الأئمـة المعصومون كـانوا مقهـورين ومضـطهدين،وطـاردهم الأمويـون والعباسيون،وشهدت أحداث التاريخ بالتمكين للحكام الظلمـة المسـتبدين وأئمة الجور، أليس معنى ذلك استحالة وقوع ما أوجبه الله علـى نفسـه وإثبات حدوث نقيضه . وإذا كان الشيعة يرون أن الأئمة معصـومون، وأنهم الأحق بحكم الناس وهداية الخلق إلى الصلاح والرشاد، فبم يفسرون أن عهد علي بن أبي طالب نفسه لم يحقق ذلك، ودخل فـي صـراعات طويلة دامية لم يكن محقا في بعضها، منها قبول التحكيم والانخداع بمكيدة عمرو بن العاص في موقعة صفين. ولما كان المعصـوم لا يكـذب، والتقية استتار ومداراة، بل ويراها البعض كذبا ونفاقا، فكيـف يتفـق أن يكون الإمام معصوما ويأخذ بالتقية في الوقت نفسه، فالحديث بالتقية فيـه مخالفة للواقع، ولا يجوز للمعصوم أن يأخذ بالكذب فكلامه بمثابة الوحي.

وحسب الرؤية الشيعية يكون المعصوم دائما في مقام التشـريع وتتسـع دائرة هذا التشريع لتشمل السياسة أيضا، أي نظرية الحكم والدولة الدينيـة ولاية الفقيه . ويقيس الشيعة عصمة على والأئمة على عصمة النبي، في حين أن مبدأ القياس في حد ذاته لا يأخذ به الشيعة -إلا إذا أعـوزتهم الحجة-كما أن استخدامهم للقياس في هذا الموضع بعينه غير جائز، لأنـه قياس في ما لا يصح فيه القياس إذ تعوزه أوجه الشبه وشروط المقايسـة.

ويقول الشيعة بوجوب عصمة أئمتهم لأن الإمام قيم على الشريعة وحافظ عليها من الزيادة أو النقصان ، وفاتهم أن خليفة المسلمين يقوم على تطبيق الشريعة لا تبليغها، فتبليغها قد حصل بالنبي، والقول بخلاف ذلك طعن في النبي وتفويض للملة. أما حفظ الشريعة من الزيادة أو النقصان فقد تكفل به ا نفسه بحفظ القرآن وعاء الشريعة الإسلامية، ولو صح القول بـدور الأئمة الشيعة في الحفاظ على الشريعة من النقص أو الزيادة، فضلا عـن تبليغها، لبرز سؤال هام: فما قولهم إذن في الحفاظ على الدين بعد اختفاء المهدي المنتظر في السرداب إذ انقطع عن العباد والبلاد، كما أن التبليغ لا يكون إلا عن وحي من ا .

والنبي الكريم ليس معصوما من الخطأ في ما خلا الوحي والتبليـغ. قال ا تعالى: وما ينْطِقُ عن الْهوى إِن هو إِلا وحي يـ وحى **٢٩١**، أي أن العصمة تكون في ما يخص شأن الوحي فقط. أما في أمور الدنيا- لا الدين- يجوز عليه، صلوات ا عليه وسلم، ما يجوز على غيره من السهو والخطأ. وقد ثبت تراجع النبي المصطفى عن بعـض اجتهاداتـه ونزل على رأي بعض الصحابة في غزوات بدر وأحد، وعوتب علـى أخذ الفداء من أسرى بدر، وعلى إذنه للمنافقين بالتخلي عن القتال، وغيـر ذلك من اجتهادات دنيوية بعيدة عن أمور الدين والعقيدة. والعتاب لا يكون إلا لمن أخطأ. وقد قال ا له: ِإنا فَتَحنَا لَك فَتْحا مِبينًا ِليغْفِر لَك الله ما تَقَدم مِن ذَنبِك وما تَأَخر **٢٩٢**،وقال له ا تعالى معاتبا: يا أَيها النبِـي ِلـم تُحرم ما أَحل الله لَك تَبتَغِي مرضات َأَزواجِـك واللـه غَفُـور رحِـيم **٢٩٣**،وقد أوردت النصوص القرآنية أحوال عدد من الأنبيـاء وقـد شاب سلوكهم بعض ما يمكن اعتباره ضمن دائرة السهو والخطـأ. لـذا فقول الشيعة بعصمة أئمتهم يضع هؤلاء الأئمة في منزلة أفضـل مـن الأنبياء، بل وفوق منزلة سيد الخلق نفسه،صلوات ا وسلامه عليه،وهذا

٢٩١- النجم- ٣، ٤

٢٩٢- الفتح ١ ، ٢

٢٩٣-التحريم ١

غير مقبول عقلا أو شرعا. "ويرى الشيعة أن الإمام معصوم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها ولا يسهو ولا ينسى ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا"[294]، وهذه العصمة تمتد من وقت ولادتهم إلى وفاتهم، ويقول المجلسي في كتابه بحار الأنوار: "إن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأئمة أجمعين من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمدا أو خطأ ونسيانا مـن وقـت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل"[295]، مع أنه قد جاء في نفس الكتاب أن الإمام موسى الكاظم يقول: رب عصيتك بلساني ولو شـئت وعزتـك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت لأكمهتني، وعصيتك بسـمعي ولو شئت لأصممتني. ولما سئلوا عن هذا التناقض أجابوا بأن كلام الكاظم ليعلّم الناس، في حين أن دعاءه هذا كان عند سجوده في الليل وليس عنده من يعلمه، فأجابوا بأنهم كانوا يستغفرون عن اشتغالهم بالمباحات من المأكل والمشرب والنكاح، وهي أمور يعدونها خطيئة ويستغفرون الله منها،وهذه مخالفة صريحة للدين، إذ لا ذنب في المأكل والمشرب والنكاح، فهي أمور فعلها الأنبياء والصالحون والناس جميعا ولا تستقيم الحياة بدونها، وليس في إتيانها ما يوجب الاستغفار.

٢٩٤- ميزان الحكمة –ج١ص١٧٤

٢٩٥- المجلسي-بحار الأنوار ج٢٥ ص٣٥١،٣٥٠

وقيل مرة للإمام الرضا[٢٩٦]: " إن في الكوفة قوما يزعمون أن النبي لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا -لعنهم ا - إن الذي لا يسهو هو ا الذي لا اله إلا هو"[٢٩٧]. فالقول بنفي السهو عن النبي يسهل القول بنفيه عن أئمة الشيعة تمهيدا للقول بعصمتهم في ما بعد. والنبي الكريم لم يـدع العصمة المطلقة لنفسه، وهو من قال أنتم أعلم بأمور دنياكم . وعصـمة الأنبياء ضرورة لازمة لصيانة الوحي،فما وجه وجوبها للأئمة ؟ ألِنسخ ذلك الوحي بوحي جديد؟ وفي حين أن عصمة النبي خاصة بـالوحي والرسالة فقط، إلا أن الشيعة يرون العصمة "مطلقة" لأئمتهم.

وعن الصدوق أنه قال: " اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهـم معصومون، مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صـغيرا ولا كبيرا، ولا يعصون ا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن نفى عـنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كـافر"[٢٩٨]. ويقولون:" إننا نعتقد أن الإمام كالنبي، يجب أن يكون معصوما من جميـع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى المـوت

---

٢٩٦ - وهو الإمام الثامن من أئمة الشيعة الاثنى عشرية

٢٩٧ - المرجع نفسه جزء ٢٥ ص ٥٠٣

٢٩٨ - إبراهيم الموسوي الزنجاني : عقائد الإثني عشرية : ١٥٧/٢ منشورات الاعلمي - بيروت .

عمدا وسهوا، كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسـيان، بل نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيـه، وطـاعتهم طاعتـه، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على رسول الله، والراد على الرسول كالراد علـى الله تعالى"[299].

---

299 - محمد رضا المظفر : عقائد الامامية : ص 91 ط دار الصفوة - بيروت .

حكاية المهدي المنتظر: مولده وغيبته ورجعته

صدرت فتوى من الأزهر الشريف تعتبر الملة الشيعية الاثنى عشرية الجعفرية مذهبا خامسا لأهل السنة والجماعة، ولأجازوا التعبد به، ويرى الكثيرون من فقهائنا أنه لا خلاف بين أهل السنة والشيعة في الخلاف - في نظارهم - في الفروع وليس في الأصول [300]. فاقرأ واحكم:

حينما ولد المهدى المنتظر كانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليه وتتبرك به وطار به روح القدس ليعلمه العلم مدة أربعين يوماً، وكان مكتوباً على ذراعه الأيمن "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ٣٠١. ولما خاف على نفسه من القتل اختفى في سرداب منذ أكثر من ألف سنة، وسوف يعود في آخر الزمان لينبش قبري أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ويصلب جسديهما، ويقيم حد الزنا على أمنا الطاهرة السيدة عائشة زوج الحبيب المصطفى، ويعمل القتل في المسلمين ويقيم شريعة داوود نبي اليهود.

٣٠٠-انظر نص الفتوى في الملحق رقم ١

٣٠١-انظر الطوسي – كتاب الغيبة ص ٢٤٠

اشترط الشيعة الاثنا عشرية أن تكون الإمامة في الأعقاب بعد الحسين بن علي، وقالوا بعدم جواز انتقالها إلى أخ أو عم أو ابن عم وهكـذا. ولما خيبت الأقدار ظنهم بوفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هجرية ولم يكن له عقب، شكل ذلك للشيعة مأزقـا خطيـرا إذ سيستحيل القول بلزوم الأئمة لحركة الأكوان والخلق، و ستستمر الحياة مع غيابهم ودون حاجة إليهم وبذا تسقط دعواهم ، وكـانوا قـد اختلقـوا أوصافاً للإمام منها عدم موته حتى يكون له خلف من ذريتـه ليتـولى الإمامة من بعده، وأن الإمام لا يغسله إلا إمام هو أكبر أولاده. ولما مات الحسن العسكري من دون ولد انهدمت دعاواهم من القواعد، ولم يكـن ليخرجهم من هذا المأزق غير الزعم بأن الإمام الحادي عشر كان له ولد وأسموه محمدا وقالوا إنه الإمام الثاني عشر ، وشهد رجل اسمه «عثمـان بن سعيد» بأن للعسكري ولداً اختفى وعمره أربع سنوات. ولما صـعب عليهم مواصلة الكذب، إذ كان عليهم إدارة شؤونهم في ظل إمام مزعوم لا وجود له إلا في خيالهم ، فزعم الملأ من المعاصرين للقائلين بوجـود الإمام الثاني عشر، أنه غائب في سرداب خوفا على حياته، وهو إمـام موهوم ليس له وجود وهو من صنع خيال المنتفعين باسمه ممن جمعوا زكوات بسطاء الشيعة وهي خُمس أموال الشيعي المخدوع . ولو كـان الخوف على الحياة مبررا للاختفاء لاختفى كل الأنبياء والرسل، وكيف

يخشى إمامهم القتل وهو كسائر أئمتهم- بزعمهم- يعلم متى يكون موته. وهو يموت باختياره، ويعلم أنه يعيش إلى أن ينزل عيسى عليه السـلام، وأنه لن يموت حتى يملأ الأرض عدلا.

قال الطوسي: "لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما جاز له الاستتار"[302]. وعكف الوجهـاء مـن المؤسسة الدينية الشيعية، ممن نصبوا أنفسهم نوابا للإمام ، علـى جمـع الزكوات التي فرضـوها علـى النـاس ومقـدارها خمـس دخـل الشيعى ٢٠بالمئة ، ولنحصر دور هؤلاء النواب في جمع المال نيابـة عن الإمام،دون أن يكون لهم أي دور سياسي أو تعليمى. وكانوا يزعمون أنهم يسلمون هذه الأموال إلى الإمام الغائب في السرداب، ولم يفكر أحـد فيما يمكن أن يفعله الإمام الغائب بهذه الأموال في سـردابه. وبمـرور الوقت تعذر تنسيق الأمر بين هؤلاء النواب الذين بلغ عددهم ٢٤نائبا - لم يقر الشيعة إلا بأربعة منهم فقط واعتبروا الباقين كذابين- ولنتهى الأمـر بهم إلى القول بأن الإمام غاب غيبته الكبرى وسيظهر يوما ما:" بعد سـتة أيام، أو ستة أشهر، أو ست سنين "[303]، وهو حي يرزق منذ أكثر مـن ألف سنة خارقا بذلك ناموس الطبيعة الذي لم ينخرق لأحد من قبل، ولو

٣٠٢- الغيبة ص ٢٠٣

٣٠٣- الكافي ٢/ ٢٧٣ - والغيبة للطوسي ١٦٧

كان ا   ليمد عمر أحد لحاجة الناس إليه لمد في عمر الحبيب المصـطفى عليه وعلى آله الأطهار الصلاة والسلام، وهذا ما قال به إمامهم   علـي الرضا [٣٠٤].

ومنذ ذلك الحين ينتظرون غائبهم عند باب السرداب، و منهم جماعة ترابط بأسلحتها أمام هذا السرداب تنادي عليه، و يفعلون هذا في العشـر الأواخر من شهر رمضان ويتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصـوات عالية .

وفكرة الإمام أو المعلم أو المسيح المنتظر يؤمن بها الكثيرون من أتباع الديانات العالمية: فالمسيحيون بانتظار عودة المسيح، واليهود ينتظـرون المسيح المنتظر، وكذلك الهندوس ينتظرون "كريشـنا" أو "كـالكي"، والبوذيون يستعدون لمجيء البوذا الخامس البوذا "مايتريا" . والرجعـة قال بها الحلاج إذ زعم أنه سيرجع بعد موته بأربعين يومـا ، وغيـره كثيرون، إذ كان يعز على اليد الخفية، التي تقف وراء مساعي التحريف ، أن ينهار تدبيرها وينفض من حولها أنصار الباطل ممن نجحـت فـي حشدهم، فكان يتم الترويج لفكرة رجعة من يقضي من عملائهـا حتـى يتسنى الإبقاء على وحدة من تم جمعهم من المغفلين من الأنصار والأتباع.

٣٠٤-انظر الكشي ص ٤٥٨

ومن ألوان تقديس الأموات، الاعتقاد بأن الميت وليا كان أم نبيا لابد أن يرجع إلى الدنيا ـ وهذا ما يقول به المتصوفة ـ ولأنه متى أراد أن يعود إلى بيته عاد وكلم أهله وذويه، وتفقد أتباعه ومريديه. فالشيخ حسن أحد ورثة مشيخة الطريقة العدوية "وعد أتباعه –بعد أن أسقط عنهم التكاليف الدينية، وبموجب اعتقاده في الرجعة والحلول –وعدهم بأن شيخهم الأكبر "عديا"، سيرجع إليهم على فترات متتابعة، ويظهر بينهم، ويحل فيهم لينظر أحوالهم، ويدير شؤونهم، ويجمع شمل طائفتهم ، وأنه سيحملهم يوم القيامة في طبق على رأسه، ويدخل بهم الجنة، دونما حساب أو عقاب "[٣٠٥]. وينكشف إيمان الصوفية بالرجعة في اعتقادهم بإمكان مقابلة الرسول بعد موته يقظة وأنه يحضر بعض اجتماعاتهم الصوفية وأنه مازال يعطي بعض المعلومات والتشريعات لمن يشاء من العباد.

ولم يقتصر القول بالرجعة على الأمور الجسام ، وإنما ادعاها الصوفية لأحدهم من أجل فض بكارة زوجته: يحكي عبد الوهاب الشعراني بعض كرامات أحمد البدوي الصوفي المعروف فيقول": لما دخلت بزوجتي وهي بكر، مكثت خمسة شهور لم أقربها، فجاءني أحمد البدوي وأخذني وهي معي، ففرش لنا فرشا فوق ركن القبة التي على يسار الداخل إلى المقام، وطبخ لى حلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه!! وقال لي أزل بكارتها

٣٠٥- الدملوجي : اليزيدية ، د. سهير محمد علي : اليزيدية

هنا، فكان الأمر تلك الليلة"[306]. أي أن ا بعث أحمد البدوي من موتـه، خرقا للقوانين والنواميس، ليصنع الحلوى للشعراني ويشهد فض بكـارة زوجته. أي أن رجعة الصوفي أحمد البدوي كانت لمشاهدة أمر لا يقره الدين ، ويمنعه الحياء.

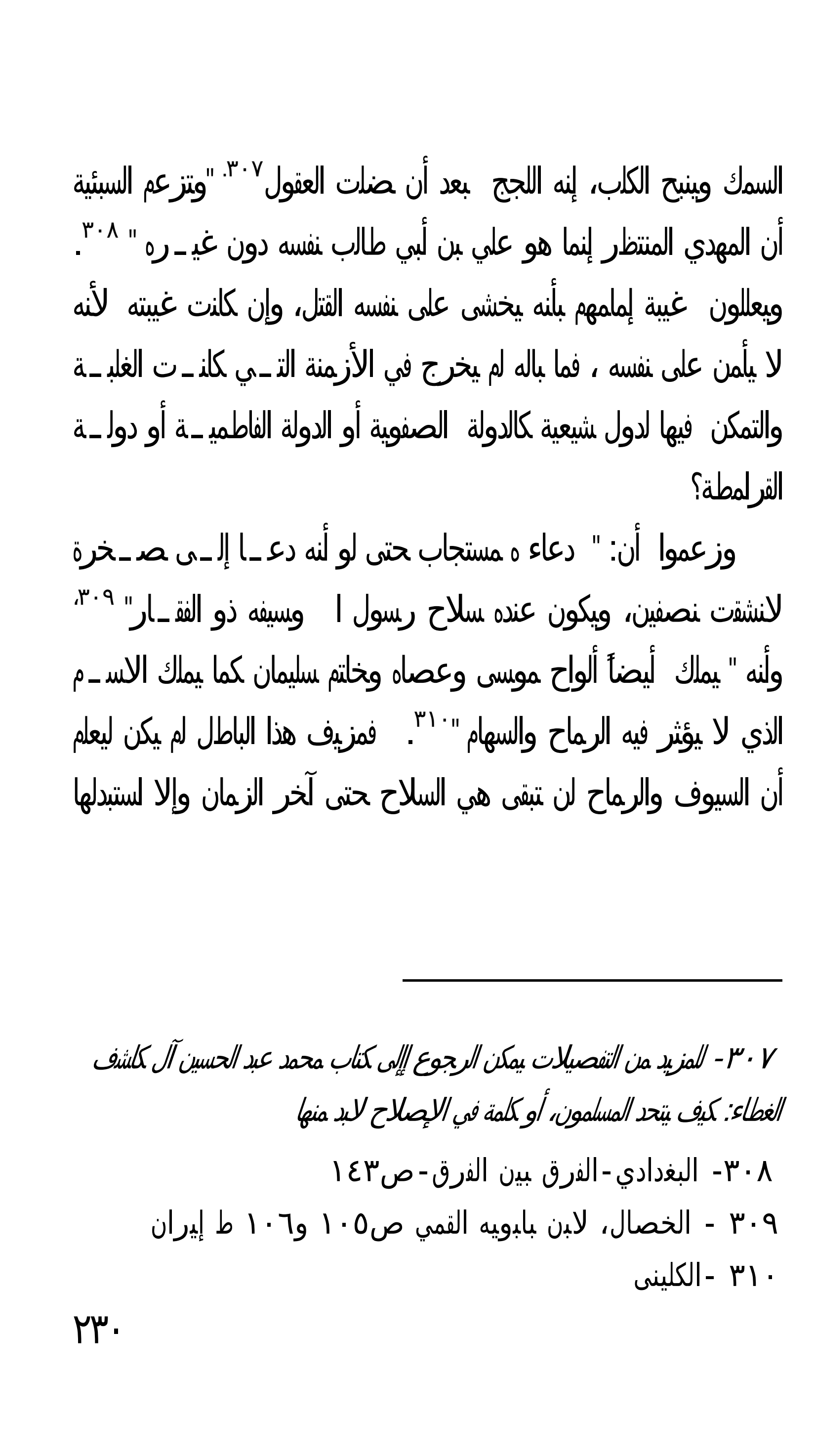
وما أعجب القول بغيبة الإمام المنتظر، ذلك الذي يختفي تاركا أمتـه ويغيب في السرداب مدة قرون وقرون مستترا عن أنصاره وأعدائه، مما فتح الباب أمام من يمكنه اصطناع الوسائل لادعاء أنه الإمـام المنتظـر فيتجمع الناس خلفه سعيا لتحقيق أغراض سياسية وأهداف ارتزاقية. وهذا يفسر كيفية تأسيس جميع الدول الشيعية تقريبا كدولة القرامطـة والدولـة الإسماعيلية التي تسمت باسم الدولة الفاطمية وكذلك الدولة الصفوية، وكلها تأسست بطريقة واحدة تماثلت فيها الوسائل والغايات.

وكيف يستقيم منطقيا التوصية بالإمامة والحكم، تلك التوصـية التـي زعموا أنها أمر أساسي من الدين، ثم بعد ذلك يغيب هذا الإمام هاربا في سرداب؟كيف يستقيم ذلك مع التشديد على أهمية الإمام في حيـاة الأمـة وتهيئته لحكمها ، وبعد ذلك يفر ويقضي عمره وفوق عمره مختفيا غائبا متنصلا من المسؤوليات التي أنيطت به بحكم هذا " التعيين" الإلهي مـع غرابة القول باختفاء شخص ما - فضلا عن أن يكون هو الإمام الـذي

٣٠٦- الشعراني الطبقات الكبرى

أعدته السماء ذلك الإعداد الخاص قرونا طويلة - دون موت في مغـايرة صريحة وتناقض مباشر مع نواميس الطبيعة . ولا يرى الشيعة غرابـة في القول بغيبة المهدي المنتظر وطول عمره ، إذ يقيسونه بعمر سـيدنا نوح الذي لبث ٩٥٠ سنة بنص القرآن. ولكن ا مد في عمر نوح مـن أجل الدعوة إلى ا لا من أجل الاختفاء والاستتار وكان يعـيش بـين الناس غير مستتر. وكيف يكون الواجب على الإمام رعاية شؤون البلاد والعباد ثم يغادرهم دون سابق إنذار ودون سبب معروف أو معقول لمـدة ذاق فيها المسلمون الهوان والمذلة،وإذا لم يخرج هذا المختفي وقت شـدة المسلمين فمتى يكون ذلك؟

ولما استحال الجواب عقليا وأوقعوا أنفسهم في مأزق، قالوا مستغربين ممن يحاول طلب الحكمة من وراء جميع الأحكام الربانية والمصـالح الإلهية! وصدق الحكماء لما قالوا : لا تعدم خرقاء علة ، أي أن العلل يسيرة قد تحسنها الخرقاء . وللإقناع بوجوب غض الطرف عـن مثـل علامات الاستفهام هذه دون طلب إجابات عنها، يقيسون ذلك بالحكمـة المجهولة وراء تقبيل الحجر الأسود مع أنه لا ينفع ولا يضـر، وسـبب فرض صلاة المغرب ثلاث ركعات والعشاء أربعا، ولـم يبـق إلا أن يسألوا ولماذا الطول أطول من العرض، ولماذا يطير الطـائر ويعـوم



السمك وينبح الكلاب، إنه اللجج بعد أن ضلت العقول[٣٠٧]. "وتزعم السبئية أن المهدي المنتظر إنما هو علي بن أبي طالب نفسه دون غيـره " [٣٠٨].

ويعللون غيبة إمامهم بأنه يخشى على نفسه القتل، وإن كانت غيبته لأنه لا يأمن على نفسه ، فما باله لم يخرج في الأزمنة التـي كانـت الغلبـة والتمكن فيها لدول شيعية كالدولة الصفوية أو الدولة الفاطميـة أو دولـة القرامطة؟

وزعموا أن: " دعاءه مستجاب حتى لو أنه دعـا إلـى صـخرة لانشقت نصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله وسيفه ذو الفقـار" [٣٠٩]، وأنه " يملك أيضاً ألواح موسى وعصاه وخاتم سليمان كما يملك الاسـم الذي لا يؤثر فيه الرماح والسهام "[٣١٠]. فمزيف هذا الباطل لم يكن ليعلم أن السيوف والرماح لن تبقى هي السلاح حتى آخر الزمان وإلا لاستبدلها

٣٠٧- للمزيد من التفصيلات يمكن الرجوع إلى كتاب محمد عبد الحسين آل كاشف الغطاء: كيف يتحد المسلمون، أو كلمة في الإصلاح لابد منها

٣٠٨- البغدادي-الفرق بين الفرق-ص١٤٣

٣٠٩ - الخصال، لابن بابويه القمي ص١٠٥ و١٠٦ ط إيران

٣١٠ -الكلينى

بالصواريخ وأسلحة الليزر. ومن يملك هذه الأسلحة مما يخاف وممن يستتر، رحم ا من لحترم عقله.

ويرون أنه لا محل لاستنكار وجود المهدي المنتظر بين ظهرانينا دون أن نعرفه، فشأنه فى ذلك شأن يوسف الذي لم يعرفه إخوته حتى عرفهم بنفسه.

و الكليني كبير محدثي الشيعة ، يسمى أمة محمد صلى ا عليه وسلم، أشباه الخنازير والأمة الملعونة لعدم إيمانهم بغيبة المهدي"[311]، مع أنه نفسه ذكر في كتابه رواية تثبت بطلان القول بأنه كان للحسن العسكري ولد، يقول: لما دفن الحسن العسكري أخذ السلطان والناس في طلب ولده ، وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقفوا عن قسمة ميراثه حتى تبين بطلان حمل جارية له شكوا في حملها، فقُسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر" [312]. ولم يعرف للمولود المزعوم أم: تارة يقولون إنها جارية اسمها سوسن أو نرجس أو صيقل أو مليكة أو خمط أو حكيمة أو ريحانة –لاحظ الدقة- وقيل: هي أمة سوداء، وقيل: هي امرأة حرة اسمها مريم. ولم يعرف له تاريخ ميلاد محدد، فقالوا : ولد بعد وفاة أبيه بثمانية أشهر، أو ولد قبل وفاة أبيه سنة ٢٥٢، أو سنة٢٥٥، أو سنة ٢٥٦،

٣١١-الكافي ٢ / ٢٧٢ - البحار ١٥٤/٥٢

٣١٢- الكليني - الكافي ١ / ٥٠٣

أو سنة ٢٥٧، أو سنة ٢٥٨. كذلك اختلفوا في طريقة حمله ومولده: فقالوا حملته أمه في بطنها كما يحمل سائر النساء، أو حملته في جنبها ليس كسائر النساء - إذ يعتقد الشيعة أن الأئمة تحملهم أمهاتهم في الجنب ويولدون من الفخذ الأيمن[٣١٣] _ وولدته من فرجها كسائر النساء، أو من فخذها على غير عادة النساء.واختلفوا في مكان اختفائه، قالوا: في طيبة، أو جبل رضوى بالروحاء، أو سامراء.

و زعموا في رواياتهم على لسان الحسن العسكري أن ابنه المهدي كان ينمو في اليوم الواحد مثل نمو سنة من غيره كسائر الأئمة، ولم يفسر لنا أحد فيم كانت العجلة في النمو ما دام سينتهي به الأمر إلى الاختباء في السرداب .

تلك بعض تخاريف الشيعة التى جعلت من ملتهم أضحوكة للجاهل قبل العاقل، وانصرف الناس عن الإسلام إذ ظنوا أنه الملة التي يعتنقها هؤلاء المخرفون. ولما لم تتحقق النصرة المأمولة للشيعة وأنزل بهم الأمويون والعباسيون الهزائم تلو الهزائم، رأى وجوه الشيعة والدوائر الخفية من ورائهم أن الزعم بإمام موهوم يغيب اليوم ويعود يوما ما، هو الوسيلة الوحيدة لشد أزر أتباعهم وتعليق قلوبهم بأمل موهوم حتى لا ينفرط عقدهم. وغيبة الإمام واستتاره والحيلولة بينه وبين قيادة الأمة،

٣١٣ «إثبات الوصية»، المسعودي، ص١٩٦ .

يصادم القول بضرورة دوره في تسيير الكون ويضع القائلين بهذا الرأي في مأزق صعب، فكيف يكون الإمام ضروريا، وكذلك غيبته؟ فهم يقولون إن الأرض لو خلت طرفة عين من حجة، لساخت بأهلها "[314].

وكل فرق الشيعة، التي بلغت نحو سبعين فرقة تكذب هذا الأمر وتنكر القول بالإمام المنتظر[315]، وقالوا إنه ليس هناك ولد بعد الحسن العسكري. والفرقة التي اختلقت فكرة وجود ولد للحسن العسكري هي الفرقة التي كانت تمني نفسها بقيام دولة لها وراحت تمني الأتباع والأنصار بقرب ظهور القائد الذي سيقودهم، وحددوا لهم الموعد تلو الآخر، وما من إمام يظهر، فزادوا في المدة، ولم يظهر، وهكذا حتى جعلوها غير محددة.

وزعموا أن على بن أبي طالب قال: تكون له – أي للمهدي – غيبة وحيرة، يضل فيها أقوام ويهتدي آخرون، فلما سئل: كم تكون الحيرة؟ قال:

---

٣١٤ - الكافي ١ / ١٧٩

٣١٥ - من هذه الفرق: الزيدية والإسماعيلية والفطحية والكيسانية والبترية والجارودية والمختارية والكربية والهاشمية والراوندية والخطابية والناوسية والقرامطة والواقفة والنميرية وثلاث عشرة فرقة أخرى كلهم خالفوا الاثني عشرية في هذه العقيدة

ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنين٣١٦. ولنظر هـذا القـول الـذي يزعمون أنه صادر عن من يعلم الغيب وعنده ميراث العلم النبوي.

واختلاق هذه الرواية كانت ضرورية في وقتها لاحتواء اضـطراب الناس وشكوكهم ، واستثمرها نواب الإمام إذ كانوا يجمعـون الأمـوال لتوصيلها إليه كما زعموا، ومضت المدد المحددة ولم يظهر الإمام،ثـم قالوا بأنه غاب غيبته الكبرى وسيعود آخر الزمان، وعللوا ذلك بأنه لا يريد مساكنة النواصب - أي أهل السنة والجماعة - فقد ذكر المجلسي أنـه قال:" لا أجاور قوماً غضب ا عليهم ولعنهم، ولهم الخزي في الـدنيا والآخرة، ولهم عذاب أليم " ٣١٧.

والتحريف الذي طال الإسلام على يد الشيعة ومن بعدهم الصـوفية، كان وراءه جماعات كثيرة ترتزق من وراء إحـداث هـذا التحريـف ورعايته. فاليد الخفية التي تخطط لتدمير الإسلام تعطي جانبا من المكاسب لكل العاملين لإحداث هذا التزييف بحيث تستمر جهود التقويض بفعل بقاء جماعات المنتفعين واستمرار حرصهم على تأمين هذه المكاسب. و موت الحسن العسكري دون عقب كان مفاجأة لكل دوائر التآمر، وعـز علـى جامعي خمس دخل الشيعي أن يفقدوا هذه الأموال الطائلة بعد أن غـاب

٣١٦- الكافي ١ / ٣٣٨

٣١٧- المجلسي - بحار الأنوار ٥٢ / ١٢

إمامهم المزعوم، صحيح أنه موجود – بزعمهم – ولكن كيف يتسنى لهم مواصلة نهب أموال السذج من أتباعهم. وتفتقت أذهان شـياطين التـدبير بفكرة عجيبة، وهي تعيين نائب للإمام، لماذا؟ لكي يعلمهم دينهم؟ كـلا وإنما ليجمع الأموال من الشيعة ويقوم بنفسه بتسليمها إلى الإمام الغائب في سرداب، ولم يسأل عاقل نفسه وماذا يفعل الإمام بهذه الأموال الطائلة وهو في محبسه؟ وتنافس الناس في ادعاء النيابة عنه من أجل المكاسب المالية الهائلة والمكانة الدينية الرفيعة التي سيحوزها . ولذلك ادعى النيابة عـن المهدي أربعة وعشرون محتالا، رضي الشيعة الاثنى عشرية بأربعة منهم فقط٣١٨.

٣١٨- وهؤلاء النواب الأربعة الشرعيون في نظر الشيعة الاثنـى عشـرية هـم : عثمان ابن سعيد العمري وولده الحسين بن عثمان العمري و الحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السيمري . وهناك آخرون مدعون للنيابة وهم : الحسـن الشـريعي ، محمد بن نصر النميري ، أبو هاشم داود بن القاسم ، إسحاق الأحمر ، حاجز بن يزيد ، حسين بن منصور ، محمد بن غالب ، أبو دلف الكاتب، القاسم بن العلاء ،أحمد بن هلال العبرتائي ، محمد بن صالح الحمداني ، محمد بن إبراهيم بن مهزيار ، أحمد بن إسحاق الأشعري ، محمد بن صالح القمي ، الحسن بن القاسم بن العلاء ، محمد بن علـى بـن بلال ، محمد بن جعفر بن عون ، جعفر بن سهيل الصيقل ،القاسم بن محمد بن علـى ،

ولما كانت الفريسة كبيرة والمائدة حافلة، كان من الصعب أن يستأثر البعض وحدهم بالغنيمة، فكان لابد أن يظهر من يدعي أنه "نائب" "النائـب" الإمام. ولنسمع ما قاله محمد بن على الشلمغاني وهو الوكيـل للنائـب الثالث الحسين بن روح والذي انشق عنه وادعى النيابة لنفسه قـال: مـا دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر – يعنى النيابـة فـي جمع الأموال من الناس – إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهـارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف [٣١٩].

وبعد موت الحسن العسكري انقسم الشيعة إلى عشرين فرقة غشيتهم الحيرة واتهموا بعضهم البعض بالكذب، ولعن بعضهم بعضا، وتفلوا في وجوههم، كما ذكر ذلك المجلسي في الأنوار النعمانية ، فمنهم فرقة قالت إن الحسن العسكري هو المهدي ولم يمت، وفرقة قالت: العسكري مات ثم عاش وهو المهدي، وفرقة قالت: الإمامة لجعفر وأبطلت إمامة الحسن، وفرقة قالت: الإمام بعده أخوه جعفر،و فرقة قالت بإمامة محمد بن علـى الهادي وأبطلت إمامة الحسن، وفرقة قالت: للحسن ولد اسمه محمد ولد في

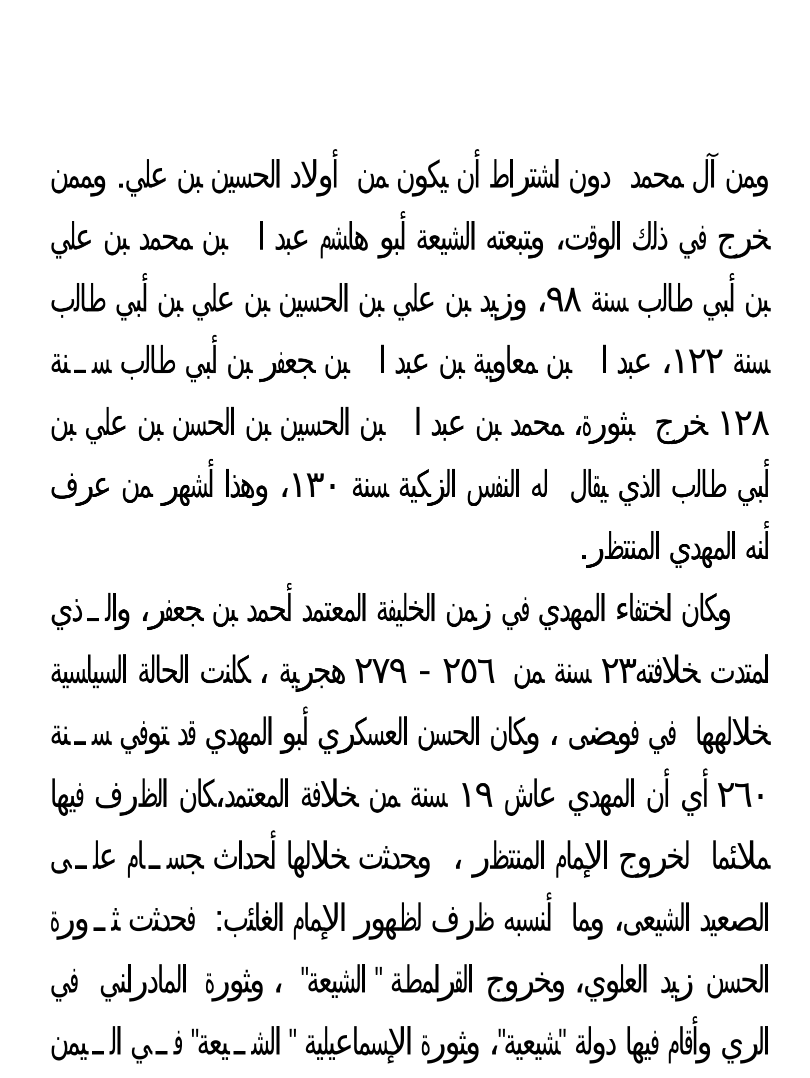
محمد بن على الشلمغاني ، وهؤلاء كلهم كذابون في نظر الشيعة الاثنى عشرية مـاعـدا الأربعة الأوائل .

٣١٩- تطور الفكر السياسي ص ٢٢٦

حياة أبيه، وفرقة قالت: ولد له بعد موته بثمانية أشهر. وهكذا افترقوا حتى قالت الفرقة الإمامية " الاثنى عشرية": حجة من ولد الحسن العسكري. ولأن الأمر كله مختلق ومكذوب فكان من السهل على المتأمل فيه أن يكشف زيفه، لذا أفتى فقهاؤهم بتحريم البحث في أمر إمامهم المنتظر، أو ذكر اسمه، أو السؤال عن مكانه ، وقالوا بعدم جواز طلب ما ستر عنهم فليس للعباد أن يبحثوا في أمور ا . هكذا ظنوا أنه بإمكانهم تعطيل العقول.

وإن كان هذا الاستتار واجبا على الإمام المنتظر فلم لم يكن كذلك على أسلافه من الأئمة، وإن كان مستحبا فهو استحباب على حساب الواجب وهو الدعوة إلى ا والقيام على شؤون الدين، فهم يقولون بضرورة وجود إمام في الأرض لديه علوم الشريعة، ويرجع الناس إليه في أحكام الدين . وللشيعة آليات ابتدعوها للإفلات من التناقضات التي يتورطون فيها: منها القول بالبداء والتقية .عن أبي جعفر أنه قال: إذا حدثناكم عن الحديث فجاء على ما حدثناكم به، فقولوا: صدق ا ، وإذا حدثناكم الحديث، فجاء على خلاف ما حدثناكم به، فقولوا: صدق ا تؤجروا مرتين!!

وعندما كانت تهب الثورات الشيعية، كانت تدعو للرضا من آل محمد، دون تحديد شخص باسمه، المهم أن يكون "رضا"، أي رضياً مقبولاً


ومن آل محمد دون اشتراط أن يكون من أولاد الحسين بن علي. وممن خرج في ذلك الوقت، وتبعته الشيعة أبو هاشم عبد ا بن محمد بن علي بن أبي طالب سنة ٩٨، وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة ١٢٢، عبد ا بن معاوية بن عبد ا بن جعفر بن أبي طالب سـنة ١٢٨ خرج بثورة، محمد بن عبد ا بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي يقال له النفس الزكية سنة ١٣٠، وهذا أشهر من عرف أنه المهدي المنتظر.

وكان اختفاء المهدي في زمن الخليفة المعتمد أحمد بن جعفر، والـذي امتدت خلافته٢٣ سنة من ٢٥٦ - ٢٧٩ هجرية ، كانت الحالة السياسية خلالها في فوضى ، وكان الحسن العسكري أبو المهدي قد توفي سـنة ٢٦٠ أي أن المهدي عاش ١٩ سنة من خلافة المعتمد،كان الظرف فيها ملائما لخروج الإمام المنتظر ، وحدثت خلالها أحداث جسـام علـى الصعيد الشيعى، وما أنسبه ظرف لظهور الإمام الغائب: فحدثت ثـورة الحسن زيد العلوي، وخروج القرامطة " الشيعة" ، وثورة المادراني في الري وأقام فيها دولة "شيعية"، وثورة الإسماعيلية " الشـيعة" فـي الـيمن

وأقاموا دولتهم هناك، وثورة البويهيين " الشيعة"وسيطرتهم علـى بغـداد، وغير ذلك من أحداث مثلت شواغل للعباسيين ٣٢٠.

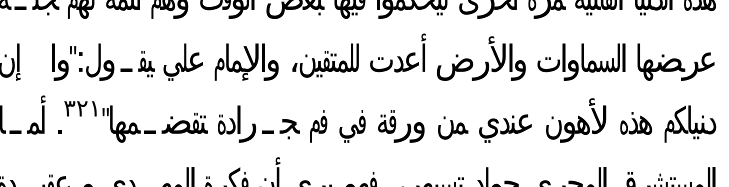
الرجعة الميمونة:

عقيدة الرجعة من العقائد ذات الأصل اليهودي المدسوسة فـي ملـة الشيعة. فما قال الشيعة بإمامة أحد من علي بن أبي طالب، إلى الحسـن العسكري إمامهم الحادى عشر إلا واعتقدوا رجوعه بعد موته مثلما قالوا برجعة إمامهم الثاني عشر من غيبته الكبرى . والغاية وراء هذه الرجعـة الموهومة ليست بالأمر الجلل الذى يتناسب مع انخراق نواميس الحيـاة والموت. فالغاية هى جلوس هؤلاء الأئمة - الواحد تلو الآخـر- علـى عرش الحكم مدة ما ثم يموتون بعدها، وبعد ذلك تقوم القيامـة. وتكـون رجعة هؤلاء الأئمة بعد ظهور الإمام الغائب الثاني عشـر، أي الإمـام المنتظر، ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا. ويرون أن ذلك تعويضا لهم عن الحيلولة بينهم والعرش في حياتهم بفعل الغاصبين. ولن تقتصـر الرجعة على أئمتهم بل قالوا أيضا برجعة نفر من الصحابة الأطهار كـي

٣٢٠- كثورة الزنج بالبصرة ، واستقلال الأندلس تحت حكم عبد الناصر الداخل ، وثورة بني الأغلب في الشمال الأفريقي ، و ثورة يعقوب بن ليث الصفار في فارس والروم ،

يقتصوا منهم إذ حالوا بين الأئمة والحكم، وخصوا بذلك الخلفاء الراشدين رضي ا عنهم أجمعين. كما قالوا برجعة أم المؤمنين عائشة زوج رسول ا ليقيموا عليها الحد!

يقول الدكتور موسى الموسوى- وهو شيعي هداه ا إلى الحق فلحق بأهل السنة والجماعة- يقول:"والذين كانوا وراء فكرة الرجعة ووضعوا الروايات لإثباتها لم يقصدوا منها رجعة الأئمة بقدر ما كانوا يقصدون رجعة الأعداء حسب زعمهم وذلك للانتقام منهم لأن هذه الفكرة كانت توطد دعامة التفرقة بين الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى تفرقة لا لقاء بعدها، ولو أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة كانوا مخلصين لأئمة الشيعة لما صوروهم بهذا المظهر الراغب في الحكم حتى أن ا سيعيدهم إلى هذه الدنيا الفانية مرة أخرى ليحكموا فيها بعض الوقت وهم أئمة لهم جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، والإمام علي يقول:"وا إن دنياكم هذه لأهون عندي من ورقة في فم جرادة تقضمها"[٣٢١]. أما المستشرق المجري جولد تسيهر، فهو يرى أن فكرة المهدي و عقيدة الرجعة عند الرافضة " الشيعة" قد تأثرت بالديانة اليهودية والنصرانية، و أن الغلو في علي إنما صاغه عبد ا بن سبأ اليهودي، ويقول: "إن الفكرة



٣٢١-الشيعة والتصحيح:الصراع بين الشيعة والتشيع-د. موسى الموسوي ، حفيد الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الأصبهاني

المهدية التي أدت إلى نظرية الإمامة والتي تجلت معالمها فـي الاعتقـاد بالرجعة ينبغي أن نرجعها كلها إلى المؤثرات اليهودية والمسيحية، كما أن الإغراق في تأليه علي الذي صاغه في مبدأ الأمر عبد ا بن سبأ، حدث في بيئة سامية عذراء لم تكن قد تسربت إليها بعد الأفكار الآريـة ومنهـا جعلهم لأئمتهم فوق البشر، وفوق الأنبياء والرسل، بل آلهة يعلمون أعمـار الناس وآجالهم، ولا يخفى عليهم خافية، ويملكون الدنيا كلهـا، ويغلبـون جميع الخلق، ويرتعد الكون من هيبتهم وشدة بأسهم، يدين لهم الملائكة كما دان لهم الأنبياء والرسل، ولا يضاهيهم أحد" [٣٢٢].

والسؤال الآن: ما هي المهام الموكولة إلى الإمام المنتظر والتي كانت سببا في انخراق قانون الطبيعة له بأن بقي حيا مئات السنين غائبـا عـن الناس؟ يقولون: سيأتي بقرآن جديد، ولم يقل لنا أحد ما الحكمة من قرآن جديد في نهاية الزمان، ولا سيما أنه سيحتكم إلى شريعة النبي داوود نبـي اليهود. "وسوف يعمل القتل في قريش، وسيسرف في قتل ذراري قتلـة الحسين وسيهدم المساجد، وبعد أن يخرج من السرداب يـذبح جميـع خصومه من السياسيين، ويعيد إلى الشيعة حقوقهم التي اغتصبتها الفـرق الأخرى عبر القرون" [٣٢٣] ، "ويقيم خمسمائة من قريش فيضرب أعناقهم،

٣٢٢-. العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٠٥

٣٢٣-أوائل المقالات للمفيد ، ص:٥١

ثم يقيم خمسمائة فيضرب أعناقهم، ثم خمسمائة حتى يفعل ذلـك سـت مرات ". عن أبي جعفر قال: لو يعلم الناس ما يصنع القـائم إذا خـرج لأحب أكثرهم ألا يروه، مما يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقـريش فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم"[٣٢٤]. " وتزعم التوراة أن يهوه –الله عند اليهود- أعطى إبراهيم ونسله أرض كنعان من النيـل إلى الفرات، وأن ظهور المسيح المنتظر يحقق حلم اليهود بسيادتهم علـى أرض الميعاد المزعومة وعلى الشعوب التي أهانت اليهـود. وسـيجعل المخلص اليهود سادة على جميع شعوب العالم، ويحول الأغيـار-غيـر اليهود- عبيداً وخدماً لليهود. وهذا المخلص يجب أن يكون من أسرة داود ومقره القدس، ويجب أن يكون مالكاً لأسباب القوة ويتمتع بمهابة السلطان " ٣٢٥، كذلك فإن الإمام المنتظر يهودي التوجه، إذ سيحتكم - لا إلـى القرآن - وإنما إلى شريعة داوود. هل ثمة فرق بـين مـزاعم اليهـود ومزاعم الشيعة؟

٣٢٤- بحار الأنوار ٥٢/ ٣٥٤

٣٢٥- د . غازي حسين -العنصرية والابادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية

ويزعمون في كتبهم أن المهدي المنتظر عند خروجه سينبش قبري الشيخين لأبي بكر وعمر رضي ا عنهما ويصلبهما على شـجرة [٣٢٦]، ويقيم الحد على أم المؤمنين عائشة رضي ا عنها. يقولون: لما لو قـام قائمنا، وردت إليه الحميراء، حتى يجلدها الحد وحتى ينتقم لابنـة محمـد فاطمة [٣٢٧]. وقال المجلسي: إذا ظهر المهدي فإنه سيحيي ! عائشة أم المؤمنين ويقيم عليها الحد [٣٢٨].

ويبعثه ا نقمة: قالوا: إن ا بعث محمداً رحمة، وبعث القائم نقمة، يقتل ذراري قتلة الحسين: قيل للرضا: يا ابن رسول ا ما تقـول فـي حديث روي عن الصادق أنه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين بفعل آبائها، قال: هو كذلك، قلت: وقول ا تعالى "ولا تزر وازرة وزر أخرى " قال ذراري قتلة الحسين يرضون بفعـال آبـائهم ويفتخـرون بها٣٢٩.

٣٢٦-الأنوار النعمانية ٢ /٨٥ ، وأوائل المقالات للشيخ الملقب بالمفيد، ص:٩٥

٣٢٧- بحار الأنوار ٥٢ /٣١٤

٣٢٨- حق اليقين، لمحمد الباقر المجلسي، ص٣٤٧

٣٢٩- بحار الأنوار ٥٢ /٣١٥

ويأتي بقرآن جديد ، فعن علي أنه قال: كأني أنظر إلى الشيعة، قـد بنوا الخيام بمسجد الكوفة، جلسوا يعلمون الناس القرآن الجديد [330].

ويهدم المسجد، يزعمون أنه: إذا قام القائم سار إلى الكوفة فهدم بهـا أربعة مساجد. ولا ينفرد الشيعة بمقولة عودة إمامهم ليملأ الأرض عـدلا بعد أن ملئت جورا، فاليزيدية أيضا يعتقدون أن " يزيد بعد أن نشر الديانة اليزيدية صعد إلى السماء، وأنه سيعود مرة أخرى، ويملأ الأرض عـدلا بعد أن ملئت جورا، ويرفع من شأن اليزيدية ، وينتقم لها مـن أعـدائها [331]".

٣٣٠- الأنوار النعمانية ٢ / ٩٥

٣٣١-صديق الدملوجي-اليزيدية ص١٦٤-د.سهير محمد على-اليزيدية

سب الصحابة ولعن أم المؤمنين

الثابت عن الشيعة في كتبهم أنهم يرمون الصحابة كلهم بالردة والكفر، ولم يستثنوا منهم إلا قلة كأبي ذر، وبلال، والمقداد، وسلمان رضـي ا عنهم جميعا. ورأيهم في الخلفاء الثلاثة الراشدين:" أنهم لـم يكونـوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين، لعنة ا عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين "[٣٣٢].

يقول النبي صلى ا عليه وسلم: لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لـو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. ويقـول الشـيعة:"إن خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء منها اخضرت السماء، ووراء ذلـك سبعون ألف عالم كلهم يلعنون أبا بكر وعمر"[٣٣٣]. ويقولون في الحـض على سب الشيخين: " نحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنـا وصـغارنا بسبهما والبراءة منهما" **٣٣٤**.

٣٣٢- كتاب بحار الأنوار للمجلسي ٣٨٥/٤

٣٣٣- كتاب بصائر الدرجات المنسوب إلى جعفر

٣٣٤- رجال الكشي ص١٨٠

ويرى الشيعة أن الخلفاء الراشدين الثلاثة أبا بكر الصديق وعمر بـن الخطاب وعثمان بن عفان رضي ا عنهم،مغتصبون للخلافة، لاعتقادهم أن النبي أوصى بالإمامة لعلي وبنيه من بعده، لذا فهم يلعنـون الصـحابة على المنابر،كما يلعنون من قاتل أو ظاهر على قتال علي بن أبي طالب، فيلعنون أم المؤمنين عائشة والزبير بن العوام وطلحة بـن عبيـد ا ، إذ قاتلوه يوم موقعة الجمل. وعندما آلت الخلافة إلى علي لم يأت بما يخالف الخلفاء الراشدين قبله، ولم ينكر على أحد منهم شيئاً، بل كان يقول: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر»، ولم يخرج للناس قرآناً غيـر الـذي عندهم، ولم يرد فدك وهي أرض رأت فاطمـة أنهـا تـؤول إليهـا بالميراث، ولكن أبا بكر منعها استنادا إلى قول النبي بأن الأنبياء لا تورث ، ولم يفضح "كفرهما" بعد أيلولة السلطة إليه، فقد رأى كيف فـتح ا على أيديهما البلاد والأمصار، وكيف عز بهما الإسلام. وروى عبد ا بن عمر رضي ا عنهما قال:كنا نقول والنبي صلى ا عليه وسلم حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلـك النبي صلى ا عليه وسلم فلا ينكره. والشيعة يرونهم مغتصبين لحـق علي في الخلافة، في حين أن سيدنا علي نفسه يرى فضلهم، وكان يقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث ". ولما مات عمر رضي ا عنه أقبل عليه سيدنا علي باكيا وقال: .. وا مـا

أحد من عباد ا   أحب أن ألقى ا   بصحيفته من هـذا المسـجى بـين أظهركم. كما كان يقول في عثمان : أشهد أنه من الذين قال ا   في حقهم: " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ". كما مدح أصحاب رسول ا   بقوله: لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحـون بـين جباههم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ، إذا ذكر ا   هملـت أعينهم حتى تبتل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصـف خوفاً من العقاب ورجاء للثواب"[335]. وقال الحبيب المصفى: ما طلعـت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكـر[336]. وهو أحق خلق ا   بالخلافة بعد النبي صلى ا   عليه وسلم لفضله وسابقته وتقديم النبي صلى ا   عليه وسلم له في الصلاة على جميـع الصـحابة رضي ا   عنهم، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ولـم يكـن ا   ليجمعهم على ضلالة. ثم من بعده عمر رضي ا   عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه.وكانت امرأة قد جاءت إلى النبي لتسأله أمرا من الأمور،فأجابهـا وطلب منها أن ترجع إليه متى أرادت، فقالت: " أرأيت إن جئت فلم أجدك،

٣٣٥- نهج البلاغة" ص١٤٣ خطبة علي رضي ا   عنه ط دار الكتاب بيروت ١٣٨٧هـ

٣٣٦ - رواه أبو الدرداء عن النبي صلى ا   عليه وسلم

كأنها تريد الموت. قال: " إن لم تجديني فأتي أبا بكر. وقال صلى ا عليه وسلم في عمر رضي ا عنه: "إن ا جعل الحق على لسان عمر وقلبه"[٣٣٧]. وقال فيهما: "أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنـة مـن الأولـين والآخرين إلا النبيين والمرسلين" [٣٣٨]. وقال عليه الصلاة والسـلام فـي عثمان رضي ا عنه: "لكل نبي رفيق ورفيقـي يعنـي فـي الجنـة عثمان"[٣٣٩]. ولما كان ذلك رأى النبي في صاحبيه أبي بكر وعمر،لك أن تعجب من قول الشيعة إن مهديهم المنتظر سـينبش قبريهمـا ويصـلب جسديهما الطاهرين على شجرة بعد جلدهما.

قال رسول ا عليه الصلاة و السلام : " يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام"[٣٤٠]. أما الحـديث الـذي أشار له الكليني فهو ما قاله علي أبن أبي طالب: قال رسـول ا عليـه الصلاة و السلام " ألا أدلك على عمل إن عملته كنت من أهل الجنة، وإنك من أهل الجنة ؟ سيكون بعدنا قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركـتهم فاقتلهم فإنهم مشركون"، ثم قال علي: سيكون بعدنا قوم ينتحلـون مودتنـا

٣٣٧- رواه الترمذي

٣٣٨- رواه الترمذي ورواه ابن ماجة عن علي رضي ا عنه

٣٣٩-رواه الترمذي

٣٤٠- أخرجه أحمد ورواه علي بن أبي طالب

يكذبون علينا ، آية ذلك أنهم يسبون أبا بكر و عمر رضي ا عنهما.وقال رسول ا صلى ا عليه وسلم: إذا ظهرت البدع و سـب أصـحابي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة ا و الملائكة و النـاس أجمعين، لا يقبل ا منه صرفاً ولا عدلاً. وكان اليهودي عبد ا بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وزعم أن الإمام عليا نفسه أمره بهذا. ولما بلغ الأمر عليا استدعى ابن سـبأ وسـأله فأقر، فأمر بقتله، ولكن ابن عباس نهاه عن ذلك خشية أن يقال إن عليا يقتل أتباعه وخوف الفتنة في وقت انعقد فيه العزم على محاربة أهـل الشـام، واكتفى سيدنا علي بنفيه إلى المدائن التي أصبحت في ما بعد من مراكـز الشيعة. وطعنوا في خالد بن الوليد، كما طعنوا في كل من طلحة والزبير بن العوام وهما من المبشرين بالجنة. وينسبون إلى أبي جعفر البـاقر أنه قال: نزلت هذه الآية في طلحة والزبير، وأصحاب الجمل {إِن الـذِين كَذبوا بِآياتِنَا واستَكْبروا عنْها لا تُفَتح لَهم أَبواب السماءِ ولا يدخُلُون الجنـةَ حتى يلِج الجملُ فِي سم الخِياطِ وكَذَلِك نَجزِي المجـرِمِين "[341]. واسـمع قول ا تعالى في الصحابة الأطهار الذين وصـفهم الشـيعة بـالردة :" والسابِقُون الأَولُون مِن المهاجِرِين والأَنْصار والَذِين اتبعـوهم بِإِحسـانٍ رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه وأَعد لَهم جناتٍ تَجرِي تَحتَهـا الأَنْهـار

٣٤١- تفسير القمي" ص٢٣٠ ج١

خَالِدِين فِيها أَبدا ذَلِك الفَوز العظِيم"٣٤٢. وقال: والَذِين آمنُوا وهـاجروا وجاهدوا فِي سبِيل اللهِ والَذِين آووا ونَصروا أُولَئِك هم المؤْمِنُون حقا لهـم مغْفِرةٌ ورزقٌ كَرِيم "[٣٤٣].

ومن لا يجد حجة للدفاع عن باطله يعمد إلى أسلوب تبادل الاتهامات وإسقاط باطله على الآخرين. فالشيعة يرمون أهل السنة بأنهم يبغضون آل البيت النبوي،وذلك محض كذب مفضوح، فأهل السنة ينزلون آل البيت والصحابة منزلة كريمة في قلوبهم.ويشهد سيدنا علي نفسه بضلال شيعته وتخاذلهم عنه. والشيعة الذين يتاجرون بمحبة سيدنا علي ويتباكون علـى النكبات التي حلت به وبآله ولبنائه،يتناسون أن هذه النكبات والهزائم كانـت بسبب تخاذلهم إذ وعدوه وآله بالنصرة والمؤازرة، ولما جـد الأمـر تقاعسوا عن مؤازرته. ويذم علي بن أبي طالب رضي ا عنه شـيعته ويقارنهم بأنصار معاوية فيقول: "أما والذي نفسي بيده، ليظهرن هـؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن للجهـاد فلـم تنفـروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، شهود كغياب، وعبيد كأرباب! أتلو عليكم الحكم فتنفرون منهـا، وأعظكم بالموعظة البالغة فتفترقون عنها، وأحثكم على جهـاد الأعـداء

٣٤٢- سورة التوبة الآية١٠٠

٣٤٣- سورة الأنفال الآية٧٤

لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقي. ولقد أصبحت الأمـم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي. أيها القـوم الشـاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهـم أمـراؤهم. صاحبكم يطيع ا وأنتم تعصونه وصاحب أهل الشام-يقصد معاوية بـن أبي سفيان- يعصي ا وهم يطيعونه، لوددت وا أن معاوية صـارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة وأعطاني رجلاً منهم!

يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث واثنتين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء! تربت أيديكم! يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلما جمعت مـن جانب تفرقت من آخر، وا لكأني بكم فيما إخالكم: أن لو حمس الـوغى وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفـراج المـرأة عـن قبلها"[344].ذلك كان رأي علي بن أبي طالب في الشيعة الذين يتهمون أهل السنة والجماعة بأنهم ظلموا آل البيت ولم ينصروهم.

يقولون ": من لعن الجبت أي الصديق والطاغوت أي الفاروق لعنة واحدة كتب ا له سبعين ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألـف ألـف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى يلعنهما لعنة واحـدة كتب مثل ذلك، قال مولانا علي بن الحسين: فدخلت على مولانا أبي جعفر

344-"نهج البلاغة" ص141، 142

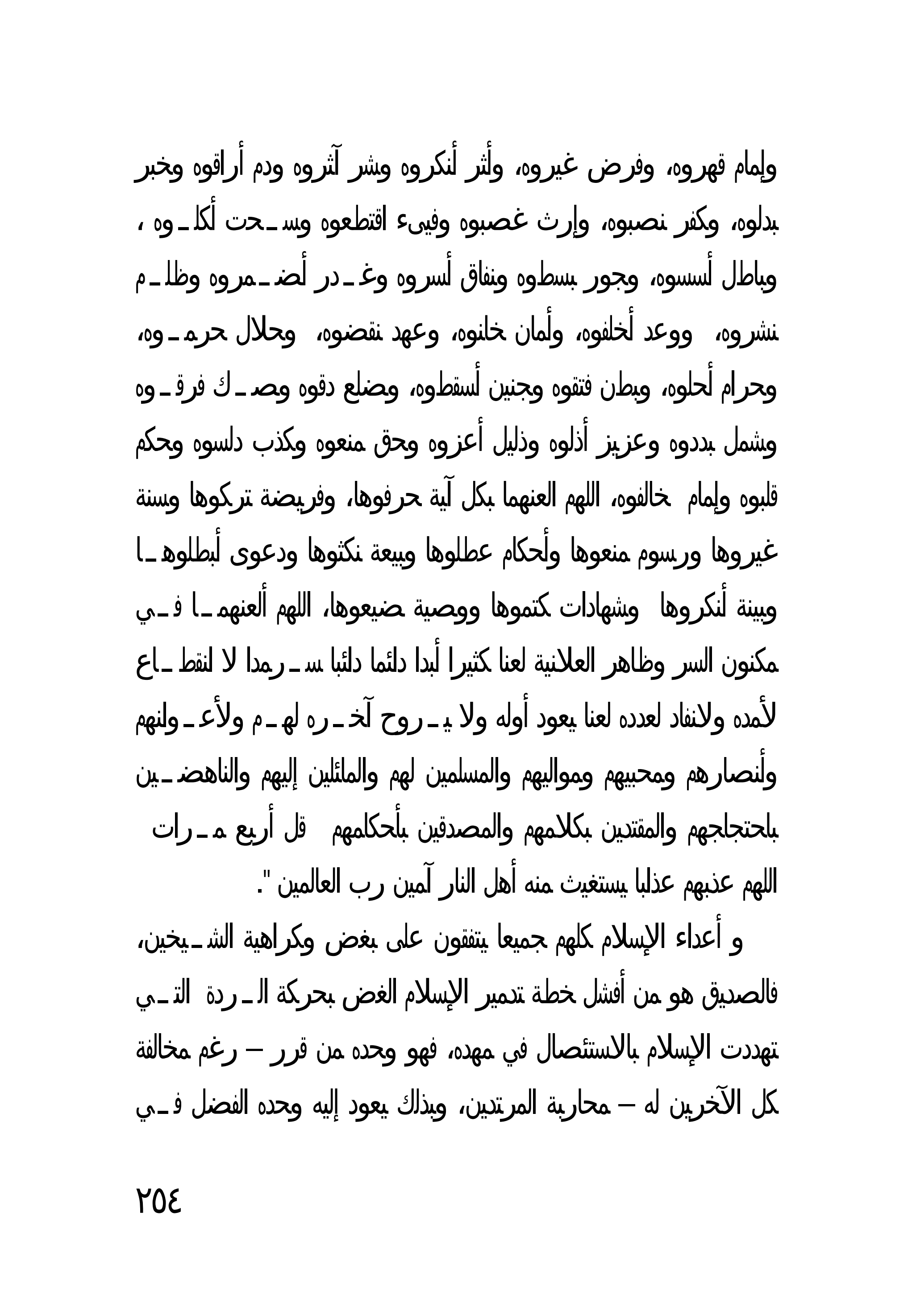
محمد الباقر، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك ،قال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث قال: نعم يا ثمالي! أتحب أن أزيدك؟ فقلت: نعـم يـا مولاي، فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب فـي ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسى لعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنـب في ليلة حتى يصبح، قال: فمضى أبو جعفـر، فـدخلت علـى مولانـا الصادق، فقلت: حديث سمعته من أبيك وجدك، فقال: هات يا أبا حمـزة! فأعدت عليه الحديث، فقال حقاً يا أبا حمزة، ثم قال عليه السلام: ويرفـع ألف ألف درجة، ثم قال: إن ا واسع كريم"[٣٤٥]. وسئل عليـه الصـلاة السلام "من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قيل: من الرجال قال: أبوها "، ويقول: لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. ولكن الشيعة يسبون أبا بكر الصديق ويعللون كراهيتهم له بأنه منع السـيدة فاطمـة الزهراء ابنة النبي الكريم إرثها في أرض فدك، وهي أرض كانـت للنبي ورأت أنه يحق لها أن ترثها غير أن النبي قـال إن الأنبيـاء لا تورث، لذا منعها أبو بكر. ويزعم الشيعة أنهم يحبون النبي وآل بيتـه، في حين أنهم يجاهرون بعداوتهم لأحبابه ولأصحابه وأزواجه. ولنظـر

٣٤٥- "أجمع الفضائح" للملا كاظم، و"ضياء الصالحين" ص٥١٣ ، " والحديث عن أبي حمزة الثمالي - وهو يكذب على زين العابدين

ما جاء في كتبهم[٣٤٦] من دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش، يلعنون فيه أبا بكر وعمر، يقولون فيه:" اللهم صل على محمد وآل محمـد والعـن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما وابنتيهما * اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرفـا كتابك وأحبا أعداءك وجحدا آلاءك وعطلا أحكامك وأبطـلا فرائضـك وألحدا في آياتك وعاديا أولياءك ووالیا أعداءك وخربـا بـلادك وأفسـدا عبادك. اللهم العنهما وأتباعهمـا وأولياءهمـا وأشـياعهما ومحبيهمـا وأنصارهما فقد خربا بيت النبوة وردما بابه ونقضا سقفه وألحقـا سـماءه بأرضه وعاليه بسافله وظاهره بباطنه واستأصلا أهله وأبادا أنصاره وقتلا أطفاله وأخليا منبره من وصيه ووارث علمه وجحـدا إمامتـه وأشـركا بربهما، فعظم ذنبهما وخلدهما في سقر وما أدراك ما سقر لاتبقي ولاتذر ، اللهم العنهم بعدد كل منكر أتوه وحق أخفوه، ومنبر علوه ومؤمن أرجوه ومنافق ولوه، وولي آذوه وطريد آووه، وصادق طردوه، وكافر نصروه،

---

٣٤٦ - هذا الدعاء جاء في كتاب تحفة عوام مقبول ٣٤٦ ، وأيضاً في كتاب المصباح للكفعمي ٣٤٦ وأيضاً في كتاب بحار الأنوار للمجلسي ج٨٢ ص ٢٦٠، وكتاب الصلاة باب آخر في القنوتات الطويلة . ط دار احياء التراث العربي - بيروت .


وإمام قهروه، وفرض غيروه، وأثر أنكروه وشر آثروه ودم أراقوه وخبر بدلوه، وكفر نصبوه، وإرث غصبوه وفيىء اقتطعوه وسـحت أكلـوه ، وباطل أسسوه، وجور بسطوه ونفاق أسروه وغـدر أضـمروه وظلـم نشروه، ووعد أخلفوه، وأمان خانوه، وعهد نقضوه، وحلال حرمـوه، وحرام أحلوه، وبطن فتقوه وجنين أسقطوه، وضلع دقوه وصـك فرقـوه وشمل بددوه وعزيز أذلوه وذليل أعزوه وحق منعوه وكذب دلسوه وحكم قلبوه وإمام خالفوه، اللهم العنهما بكل آية حرفوها، وفريضة تركوها وسنة غيروها ورسوم منعوها وأحكام عطلوها وبيعة نكثوها ودعوى أبطلوهـا وبينة أنكروها وشهادات كتموها ووصية ضيعوها، اللهم ألعنهمـا فـي مكنون السر وظاهر العلانية لعنا كثيرا أبدا دائما دائبا سـرمدا لا انقطـاع لأمده ولانفاد لعدده لعنا يعود أوله ولا يـروح آخـره لهـم ولأعـوانهم وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم والمسلمين لهم والمائلين إليهم والناهضـين باحتجاجهم والمقتدين بكلامهم والمصدقين بأحكامهم قل أربع مـرات اللهم عذبهم عذابا يستغيث منه أهل النار آمين رب العالمين ".

و أعداء الإسلام كلهم جميعا يتفقون على بغض وكراهية الشـيخين، فالصديق هو من أفشل خطة تدمير الإسلام الغض بحركة الـردة التـي تهددت الإسلام بالاستئصال في مهده، فهو وحده من قرر – رغم مخالفة كل الآخرين له – محاربة المرتدين، وبذلك يعود إليه وحده الفضل فـي

شن حرب لستئصال المرتدين، وهو من أمر بغزو بلاد الروم، والفاروق هو الذي قاص بلاد الروم وقوض بلاد الفرس. فالدور الذي لضطلع بـه الشيخان جوهري ولولاهما لتغير التاريخ ولكان الإسلام أثرا بعد عين، لذا ما من عدو للإسلام إلا نقم عليهما: اليهود والروم والفرس والشيعة،ونقمة الشيعة على الفاروق أشد ، إذ بنوا قبة فخمة على قبر أبي لؤلؤة المجوسي الذي اغتال سيدنا عمر،و يحتفلون بمقتله عند مقام أبي شجاع وهو الاسـم المرموز به لأبي لؤلؤة.

وسب الصحابة ليس ممارسة قديمة يعزف عنها المعاصرون، فهـاكم رأي فقيه شيعي معاصر يرى أن سب الصحابة من باب الاجتهاد يقول: " إن الشيعة ترى جواز المس من كرامة الخلفاء أو الطعن فـيهم!!! وقـد يتجاوز البعض إلى السب والقدح. ولو رجعنا إلى حكم العقل والشرع لـم نجده مقتضيا للعداء بين السنة والشيعة، وهذا لا يكـون موجبـا للكفـر والخروج عن الإسلام، بل ذلك من قبيل المعصية التي لا تستوجب قطع رابطة الأخوة الإسلامية، وقد لا يدخل هذا في المعصية ولا يوجب فسقا إذا كان ناشئا عن لجتهاد واعتقاد، فإن للمخطئ أجرا وللمصيب أجرين!!

" ٣٤٧. ويعنى ذلك أن من يسب صحابة النبي يكون له أجر المجتهد!
وجاء في نفس الكتاب المذكور –وهو بقلم مجموعة مـن فقهـاء السـنة والشيعة- رأي شيعي آخر يفند القول بأجر من يسب الصحابة، يقـول:" حيث يكون ظلم ومظلوم، لا يجوز أن يبرر الظلم بإعطائه اسم الاجتهاد، وإلا كان للظالم أجر على ظلمه، كما للمجتهد أجر على اجتهاده، وفي هذا مغالطة وانحراف٣٤٨. ولا يسع المرء إلا أن يتساءل: هـل يكـون الاجتهاد في استنباط الأحكام للمستجدات التي لم يرد بها نص، أم كان في السب والشتم ، علما أن شتم المسلم فسوق وعصيان . ويستطرد السـيد كاشف الغطاء ناصحا بوجوب التقارب بين السنة والشيعة دون النظر إلى مواطن الخلافات العقيدية التي يجب تمحيصها قبل أي كلام عن التقريب، يقول:" ومن اللازم على كل فرقة من المسلمين، من الشيعة وغيـرهم لاحظ تجنب وصفنا بأهل السنة، فهم ينكرون ذلك ويصـفوننا بلفـظ النواصب أي من ناصبوا أهل البيت النبوي بالعداء أن يوصدوا باب المجادلات المذهبية وما يثير الحفائظ والعصبية، فإنها إن لم تكن محرمـة

٣٤٧- هذا كلام الفقيه الشيعي محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وقد ورد في الكتاب الصادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،بعنوان " دعوة التقريب تاريخ ووثائق " ، رقم إيداع٩٤٦٦ –١٩٩١-انظر ص ٥٧

٣٤٨- هذا كلام الفقيه الشيعي محمد تقي القمي، دعوة إلى التقريب ص١٤٦

بنفسها ومضرة بذلتها، فهي من أعظم المحرمات في هذه الظروف التي أحاط بنا فيها أعداء الإسلام من كل جانب٣٤٩.

يقول صاحب كتاب مفتاح الجنان: " اللهم صل على محمد وعلـى آل محمد، والعن صنمي قريش وجبتيهما، وطاغوتيهما، وابنتيهما - ويعنون بذلك أبا بكر و عمر وعائشة وحفصة "[٣٥٠]. وفي يوم عاشوراء يـأتى بكلب ويسمونه عمر، ثم ينهال الشيعة عليه ضـرباً بالعصـي ورجمـاً بالحجارة حتى يموت، ثم يأتون بسخلة عنزة صـغيرة و يسـمونها عائشة، ثم ينتفون شعرها، وينهالون عليها ضرباً بالأحذية حتى تمـوت"[٣٥١] .كما أن الشيعة يحتفلون باليوم الذي قتل فيه الفاروق عمر بن الخطاب ويسمون قاتله أبا لؤلؤة المجوسي: بابا شجاع الدين "[٣٥٢] . وفي تفسـير القمي عند قوله تعالى: وينْهى عن الْفَحشَاءِ والْمنكَرِ والْبغْي ٣٥٣

٣٤٩-كاشف الغطاء ، دعوة إلى التقريب ،ص ٥٩

٣٥٠- مفتاح الجنان، ص: ١١٤ . انظر: دعاء صنمي قريش في آخر الكتـاب صفحة ٦٧

٣٥١- تبديد الظلام وتنبيه النيام للشيخ إبراهيم الجبهان -ص:٢٧

٣٥٢- عباس القمي الكنى والألقاب ٥٥/٢

٣٥٣-النحل:٩٠

، قالوا: الفحشاء أبو بكر، والمنكر عمر، والبغي عثمان ٣٥٤، ثـم يأتي من يقول لنا إن من سب صحابة النبي له أجر المجتهد، و الأمـر من قبل ومن بعد.

٣٥٤- تفسير القمي، ص٢١٨

نكاح المتعة

مواقعة الأنثى أي أنثى: امرأة متزوجة، أو عـذراء، أو حتـى رضيعة، مجوسية أو مشركة أو فاجرة أو زانية مرضاة للـرب، ومن يقارف ذلك له أجر وثواب،ومن لم يفعل فقد أثم ! فـا - فـي زعمهم- قد أباح لهم الزنا تعويضا لهم عن تحريم الخمر، تعالى ا عمـا يصفون ، وفي شريعتهم من يجحد نكاح المتعـة فهـو كـافر مرتـد.

يجوز الشيعة الاثنا عشرية معاشـرة الفـاجرة والزانيـة والمجوسية والمشركة بل والمتزوجة،ويعتبرون ذلك مرضاة للرب ومأجور عليها كل من اقترفها، ووضعوا حديثا ونسبوه إلى النبـي يقول: " من تمتع مرة أمن سخط الجبار، ومن تمتع مرتين حشـر مع الأبرار، ومن تمتع ثلاث مرات زاحمنـي فـي الجنـان"[٣٥٥]، فمقارفة هذا الزنا ينتهي بصاحبه إلى الجنة ومجاورة الأنبياء فيهـا [٣٥٦]. وقالوا إن من خرج من الدنيا ولم يتمتع أي يتزوج زواج

٣٥٥- كتاب من لا يحضره الفقيه ٣ :٣٦٦ ،تفسير منهاج الصادقين ٢ :٤٩٥

٣٥٦- كتاب من لا يحضره الفقيه ٣ :٣٦٦

المتعة جاء يوم القيامة وهو أجذع - أي مقطـوع العضـو [٣٥٧]،

والمنكوحة بهذا الزواج مغفور لها . ويسمون ذلك

"زواج المتعة " أو " متعة النساء" وهو نكاح المرأة لأجل محدود ثـم إخلاء سبيلها بانقضائه. ويصح عندهم هذا الزواج بـأن يقـول الرجـل لامرأة: متعيني نفسك بكذا من الدراهم مدة كذا، فتقول له: متعتك نفسي ، أو يقول لها:أتزوجك متعة كذا وكذا يوما، بكذا وكذا درهما، نكاحا غيـر سفاح على كتاب ا !! وسنة نبيه!! -إذا لم تستحي فاصنع ما شـئت- وعلى أن لا ترثيني ولا أرثك وعلى أن تعتدي خمسة وأربعين يوما، وقال بعضهم: حيضة [٣٥٨]. و " يجوز أن يشترط عليها وعليه الإتيان لـيلا أو نهارا وأن يشترط المرة أو المرات مع تعيين المدة بالزمان [٣٥٩]. و يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة [٣٦٠]. وأدنى ما يدفع لامرأة المتعة لقاء التمتع بها هو كف من بر. ولنظر كيف هانت المرأة في نظرهم وهي الأم والأخت والابنة . سئل أبو عبد ا الإمام جعفر الصادق : ما أدنى ما يتزوج الرجل به المتعة؟ قال: كف من بر يقول لها: زوجيني نفسـك

٣٥٧- تفسير منهاج الصادقين ٢ :٤٩٥

٣٥٨ الوسائل ١٤/ ٤٦٧ح٤

٣٥٩- السرائر ٦٢٣/٢ وتحرير الوسيلة ٢/ ٢٦٠

٣٦٠- الوسائل ١٤/ ٤٧٩-٤٨٠باب ٢٥

متعة، على أن لا أرثك ولا ترثيني . كما يبيح الشيعة الجعفرية لاسـتعارة الفرج أي لاستعارة فروج النساء بينهم. و هذا مختلف عن زواج المتعـة، فهو "استعارة" بالمعنى الحرفي!

وقد أباحت بعض الفرق الشيعية شيوع النساء - مثـل القرامطـة - ولكنهم لم يزعموا أنه زواج، وإنما انفرد بهذا الزعم الشيعة الجعفرية الاثنا عشرية دون غيرهم إذ أباحوا هذا الزنا وأسموه زواجا خلافا لجميع طوائف المسلمين

والشيعة . "ونكاح المتعة عند من أباحه أن يتفق الرجل والمرأة علـى مدة معلومة فإذا انقضت المدة بانت منه بلا طلاق، ولم تكن عليها عدة ولم يلحق به ولد إن كان منها، ولم يجب لها عليه نفقة، ولم يتوارثا، وهذا هـو الزنا المتعارف الذي لاشك فيه[٣٦١]. ويرون أنه بإمكان الرجل أن يتـزوج بمن شاء من النساء ولو بأكثر من ألف امرأة [٣٦٢]. ويمكن الـزواج مـن المرأة وإن كانت متزوجة! أو طفلة صغيرة لم تبلغ الحلم بحيث لا يقـل عمرها عن عشر سنين [٣٦٣]. أو التمتع بالبكر ولو من غيـر إذن وليهـا

٣٦١- دعائم الإسلام للقاضي المغربي ٢٢٩/٢

٣٦٢- الاستبصار للطوسي ٣ :١٤٣ ، تهذيب الأحكام ٧ :٢٥٩

٣٦٣- الاستبصار للطوسي ٣ :١٤٥ ، الكافي في الفروع ٥ :٤٦٣

ومن غير شهود أيضا [٣٦٤]، وقالوا بإباحة الإتيان من الدبر [٣٦٥] ويزعم الشيعة أن علة إباحة نكاح المتعة هو أن الله شدد عليهم بتحريم الخمر، فكانت إباحة المتعة عوضا عن تحريم الخمر، فزعموا أن أبا عبد الله قال: إن الله تبارك وتعالى حرم على شيعتنا المسكر من كل شراب وعوضهم عن ذلك بالمتعة [٣٦٦]، أي أحل لهم الزنا مقابل تحريم الخمر .صدرت فتوى من الأزهر الشريف تعتبر الملة الشيعية الاثنى عشرية الجعفرية مذهبا خامسا لأهل السنة والجماعة، وأجازت التعبد به، ويرى الكثيرون من فقهائنا أن لا خلاف بين أهل السنة والشيعة فالخلاف -في نظرهم -في الفروع وليس في الأصول[٣٦٧].

يقول الله تعالى { والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون }٣٦٨، وهذا يبطل بصورة قطعية نكاح المتعة، فلم يطلق

٣٦٤- شرائع الأحكام لنجم الدين الحلي ٢ :١٨٦ ، تهذيب الأحكام ٧ :٢٥٤

٣٦٥-: الاستبصار للطوسي ٣ :٢٤٣ ، تهذيب الأحكام ٧ :٥١٤

٣٦٦ - أخرجها العاملي في وسائله ٤٣٨/١٤ وانظر هذا الحديث في صحيح من لا يحضره الفقيه للبهبودي ص٢٨٨

٣٦٧-انظر نص الفتوى في الملحق رقم ١.

٣٦٨- المؤمنون ٥،٦،٧

النكاح إلا على زوجة أو ملك يمين، ولمرأة المتعة ليست بزوجة، ونكـاح المتعة لو كان زولجا صحيحا لتعلقت به لحكام الزواج الواردة في القرآن كالطلاق، والإرث، والعدة،والعدد، والنفقة. ووفقا لما يزعمون أنه فقـه لئمتهم المعصومين، فإنهم يعدون المنكوحة متعة لمرأة "مستأجرة " [٣٦٩].
ولا يجمع المسلم بين لكثر من أربع زوجات، ولكـن يمكـن للشـيعي الجعفري أن يتمتع بأكثر من ألف من النساء فهن في ملته " مسـتأجرات، "فيزعمون أن جعفر الصادق قال: تزوج منهن ألفا فإنهن " مستأجرات".
وما دلمت لمرأة المتعة مستأجرة، فلا ترث. سأل لحدهم لبا عبد ا : كيف أقول لها إذا خلوت بها؟ قال: تقول: لتزوجك متعة،لا وارثـة ولا موروثة كذا وكذا يوماً [٣٧٠]. ويزعمون أن لبا جعفر قـال إن لمـرأة المتعة ليست من الأربع لأنها لا تطلق ولا ترث و إنما هي مسـتأجرة، وصاحب الأربع نسوة يتزوج منهن ما شاء بغير ولي ولا شهود. ولمـا كانت إحدى آليات من وقفوا وراء التحريف والتخريف هو تبنى الـرأي ونقيضه معا وربما في كتاب ولحد وعلى لسان نفس الفقيه ' فإنك تجد في كتب جميع فرق الشيعة من ينكر هذا النوع من الزواج، فعن لبـي عبـد

٣٦٩- لنظر وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة " كتاب النكاح باب ٤ /١٤ ٤٤٦ -٤٤٧ .

٣٧٠- الوسائل باب ١٨ باب صيغة المتعة وما ينبغي فيها من الشروط ! ح١

ا جعفر الصادق إمام الاثني عشرية في المتعة قال: ما يفعله عنـدنا إلا الفواجر[٣٧١]، وهو من ساقوا على لسانه ظلما وبهتانا أحاديث إباحـة المتعة. و يجوزون لرجل المتعة أن ينكح المشـركة الزرادشـتية ، واليهودية، والنصرانية [٣٧٢]، والمجوسية [٣٧٣]. و يجوز أن يتمتع بـالبكر دون أن يفتض بكارتها!! فيزعمون أن أبا عبد ا يقول: لا بـأس أن يتمتع بالبكر ما لم يفض إليها كراهية العيب على أهلها. وقال له أحدهم: جارية بكر بين أبويها تدعوني إلى نفسها سرا من أبويها فأفعل ذلك؟ قال: نعم واتق موضع الفرج، قال: قلت: فان رضيت بذلك، قال: وإن رضيت فانه عار على الأبكار. وسأله آخر عن التمتع بالأبكار فقال: هل جعل ذلك إلا لهن فليستترن وليستعففن!! أي يستعففن عن الفاحشة بالفاحشة .

وسأله ثالث عن التمتع من البكر إذا كانت بين أبويها بلا إذن أبويها قال: لا بأس ما لم يفتض ما هناك لتعف بذلك ، و " للبالغة الرشيدة أن تمتع نفسها، وليس لوليها اعتراض بكرا كانت أو ثيبا على الأشهر،ويكـره أن

---

٣٧١ -ابن إدريس في سرائره ص٤٨٣ والوسائل ٤٥٦/١٤ ، وبحار الأنوار٣١٨/١٠٠

٣٧٢- باب حكم التمتع بالكتابية الوسائل ١٤/ ٤٦٢ح٤

٣٧٣ - المصدر السابق ح٥

يتمتع ببكر ليس لها أب فان فعل فلا يفتضها وليس بمحـرم [٣٧٤]. وقـال الطوسي: ولا بأس أن يتزوج الرجل متعة بكرا ليس لها أب من غيـر ولي ويدخل بها فان كانت البكر بين أبويها وكانت دون البالغ لم يجز لـه العقد عليها إلا بإذن أبيها وأن كانت بالغا وقد بلغت حد البلوغ وهو تسـع سنين إلى عشر جاز له العقد عليها من غير إذن أبيها إلا أنه لا يجوز لـه أن يفضي إليها والأفضل ألا يتزوجها إلا بإذن أبيها على كل حال[٣٧٥]. ولا نفقة ولا عدة لامرأة المتعة [٣٧٦].

و يجوز في زواج المتعة اشتراط عدم الفض! سئل أبو عبد ا عن " رجل جاء إلى امرأة فسألها أن تزوجه نفسها فقالت: أزوجك نفسي على أن تلتمس مني ما شئت من نظر والتماس وتنال مني ما ينال الرجل مـن أهله إلا أن لا تدخل فرجك في فرجي وتتلذذ بما شـئت! فـإني أخـاف الفضيحة، قال: ليس له إلا ما اشترط[٣٧٧]. وعن علي بن أبي طالـب: "

---

٣٧٤ الشرائع ٢/٣٠٦و تبصرة المتعلمين في أحكام الدين ص١٥١ و انظر الجـواهر ٣٠/ ١٨٦ والنهاية للطوسي ص٤٩٠

٣٧٥ النهاية للطوسي ص٤٩٠

٣٧٦ الوسائل باب انه لانفقة على الرجل في المتعة ١٤/ ٤٩٥-٤٩٦ ح١

٣٧٧ - الوسائل باب جواز اشتراط الاستمتاع بما عدا الفرج ! في المتعة فيلزم الشرط ، وانظر الوسائل ١٥/٤٥ باب ٣٦

أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر.إن غير المسلم يقارف الزنا والدعارة، ولكنه يعرف أن ذلك مخالف للخلق الكريم، ولا يرضاه لأهله. ترى ما قول غير المسلمين في دين يحض على مقارفة الزنا، بل يثيب خير الجزاء من ينزو على البكر والمتزوجة والرضيعة.

جاء في مجلة " الشراع " الشيعية: أن رفسنجاني انتقد وجود ربع مليون لقيط في إيران بسبب زواج المتعة، وأنه هدد بإلغائه بسبب مشاكله[378].

وقد وصفت مدينة " مشهد " الشيعية الإيرانية حيث شاعت ممارسة المتعة بأنها: " المدينة الأكثر انحلالا على الصعيد الأخلاقي في آسيا "[379].

ومن العجيب أن تجد في كتب الشيعة الاثني عشرية شهادة علي بن أبي طالب بتحريم نكاح المتعة. يروي شيخهم الطوسي في كتابيه الاستبصار والتهذيب عن علي أنه قال: حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

٣٧٨- انظر مجلة " الشراع " العدد ٦٨٤ السنة الرابعة ص٤

٣٧٩ -انظر المتعة لشهلا حائري ص ٣٩

خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة [380]. كذلك يقول الشيعة الزيدية : نهى رسول ا صلى ا عليه وسلم عن نكاح المتعة عام خيبر. [381]

وقد زعم الشيعة أن رسول ا صلى ا عليه وسلم وعليا رضي ا عنه تمتعا والعياذ با . فقد روى شيخهم المفيد في كتابه " المتعة " قال: يروي الفضل الشيباني بإسناده إلى الباقر أن عبد ا بن عطاء المكي سأله عن قوله تعالى { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا } [382]، فقال: إن رسول ا صلى ا عليه وعلى آله وسلم تزوج بالحرة متعة فاطلع عليه بعض نسائه فاتهمته بالفاحشة! فقال: إنه لي حلال إنه نكاح بأجل فاكتميه فأطلعت عليه بعض نسائه. [383] ولنظر أعزك ا أن هناك فتوى صادرة عن الأزهر تجيز التعبد بالملة الشيعية الجعفرية وتعتبرها مذهبا خامسا لأهل السنة والجماعة ! وروى لبن بابويه القمي - الملقب عندهم " بالصدوق!! - في الفقيه، قال الصادق :" إنني لأكره للرجل أن

---

٣٨٠ -التهذيب ١٨٦/٢ ، والاستبصار ١٤٢/٣ ولنظر الوسائل كتاب النكاح ٤٤١/١٤ ح٣٢

٣٨١ - الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير٤/ ٢٣

٣٨٢- التحريم ٣

٣٨٣- لنظر خلاصة الإيجاز في المتعة " ص ٢٤-٢٥والوسائل ٤٤٠/١٤ ح٢٢ من كتاب النكاح ، من أبواب المتعة.

يموت وقد بقيت عليه خلة من خلال رسول ا صلى ا عليه وسلم لم يأتها فقلت: فهل تمتع رسول ا صلى ا عليه وسلم ؟ قال: نعم و قـرأ هذه الآية { وإِذْ أَسر النبِي إِلَى بعضِ أَزواجِهِ حدِيثًا } إلى قوله { ثيبات و أبكارا }"[٣٨٤].

سأل رجل ابن عمر- رضي ا عنهما - عن متعة النساء فغضب وقال: ما كنا على عهد رسول ا صلى ا عليه وسـلم بزنـائين ولا مسافحين ثم قال: وا لقد سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم يقول: ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وثلاثون كذابا أو أكثر من ذاك [٣٨٥].

ويزعم الشيعة الجعفرية أن النبي لم يحرم نكاح المتعة وإنما عمـر بـن الخطاب هو من فعل ذلك، والحقيقة أن عمر رضي ا عنه نهى عنه لنهي الرسول صلى ا عليه وسلم عنه. فالشيعة يـدعون أن المتعـة

---

٣٨٤ -الوسائل ٤٤٢/١٤و الفقيه ١٥١/٢وجواهر الكلام ٣٠/ ١٥١-١٥٢؛ وكاشف الغطاء في " أصل الشيعة وأصولها " ص ١٧٧والفكيكي في كتابه " المتعة" تحت عنوان " تفسير آية متعة النساء" ص ٤٧وهامش كتاب " المحجة البيضاء " للكاشاني ٣/ ٧٦٥-٧٧

٣٨٥ - أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٨٥١ ص٢٥٢ ، وأبو يعلي الموصلي في مسنده ١٠/ ٦٩، وأحمد ٩٥/٢وإسناده حسن....انظر الفتح الرباني للساعاتي ١٩١/١٦ وانظر مسند أحمد ٥٨/٨ شرح ووضع الفهارس أحمد شاكر .....

استمرت بعهد الرسول و أبي بكر و جزء من عهد عمر ، وأن عمر هو الذي حرم المتعة.

وعندما أراد بعض المسلمين الجدد ممارسة المتعة لجهلهم بتحريمها أعلن عمر مجددا تحريمها ، فهو لم يحرمها وإنما عاود الإعلان عن حرمتها لمن لم يكن يعرف من المسلمين الجدد. والثابت عن عمر أنه قال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول ا صلى ا عليه وسلم عنها ألا و إني لا أوتى بأحد نكحها إلا رجمته.

وكان اليهود والفرس وغيرهم في ما قبل الإسلام يمارسون هذا النوع من النكاح وقد تسرب إلى المجتمع الجاهلي في الجزيرة، فنكاح المتعة كان معروفا في أول أيام الإسلام، إذ عرفه العرب عن اليهود والفرس كما قلنا،ولم يكن النبي ليحرمه بنفسه من دون أن يأمره ا بذلك وفي التوقيت الذي يقرره ا ، فقد كان القرآن يربي أمة ويعالجها من أوضار ترسخت فيها لآماد طويلة، وما كان النهي عن المخالفات التي درجوا عليها ليثمر ما لم تحظ نفوسهم ببعض الإيمان الذي يعينهم على الصدع بالأمر. فالتدرج في التحريم وتوقيت هذا التحريم أمران مهمان.وقد تم تحريم الخمر بالتدريج حتى يألف العرب الامتناع عنها، كما تأخر توقيت تكسير أصنام الكعبة حتى فتح مكة. وانتظر النبي أمر ا في تحريم المتعة ، وهذا الانتظار ليس من قبيل الإباحة بل هو عفو حتى

تخرج النفوس من جاهليتها ، وهو من قبيل الترك حتى تستأنس القلـوب بالإيمان ويترك العرب عادات الجاهلية وهم من شاع بينهم لتخاذ الأخدان ومقارفة جميع أنواع الزنا . وحان تحريمه لما نزلت الآيـات الكريمـة : والذِين هم لِفُروجِهم حافِظُون إلا علَى أَزواجِهِم أَو ما ملَكَت ْأَيمانُهم فَإِنهم غَير ملُومِين فَمن لبتَغَى وراء ذَلِك فَأُولَئِك هم العادون [٣٨٦]، وهذه الآيات الثلاث مذكورة في القرآن الكريم مرتين: مرة فـي سـورة المؤمنـون، الآيات٥،٦، ٧ ، ومرة في سورة المعـارج الآيـات ٢٩، ٣٠، ٣١ . فالأصل في الفروج الحرمة و التحليل لستثناء ، فما سكت عنه فهو حرام، فقوله تعالى: "لِفُروجِهم حافِظُون " هذا هو الأصل، أي الحرمة " إلا " هذا هو الاستثناء ومحله "أزولجهم أو ما ملكت أيمانهم"، هذا هو المستثنى من التحريم، وهو نوعان من النكاح ما عداهما حرام، ثم يحرم ا ما عداهما بقوله الصريح "فَمن لبتَغَى وراء ذَلِك فَأُولَئِك هم العادون " فكـل فـرج دونهما حرام . فلو كانت المتعة حلالاً لذكرها كأن يقول: وليستمتع لا أن يقول وليستعفف . وفي سورة النساء جاء قوله تعالى فَانكِحوا مـا طَاب لَكُم من النساءِ مثْنَى وثُلاثَ ورباع ، وهذا هو الزواج الدائم ، ثـم قال: فَإِن خِفْتُم أَلا تَعدِلُوا فَواحِدةً أَو ما ملَكَت ْأَيمانُكُم ٣٨٧، فجعـل

٣٨٦- المؤمنون /٥-٧ ، المعارج/٢٩-٣١.

٣٨٧- النساء/٣

مجال التخيير محصوراً في الأفراد ونكاح الأمة، ولو كانـت المتعـة مشروعة لجعلها موضعاً للاختيار فهي إذن حرام.

ثم جاء قوله تعالى بعد ذكر محرمات النكاح وَأُحِلَّ لَكُم ما وراء ذَلِكُم أَن تَبتَغُوا بِأَموالِكُم محصِنِين غَير مسافِحِين فَما استَمتَعتُم بِهِ مِنْهن فَـآتُوهن أُجورهن فَرِيضةً – إلى قوله – " ومن لم يستَطِع مِنْكُم طَولاً أَن يـنْكِح المحصنَاتِ المؤْمِنَاتِ فَمِما ملَكَتْ أَيمانُكُم " [388].

ولنظر كيف لا يتورعون عن تحريف آيات القرآن من أجل إثبات ضلالهم: يروى شيخهم القمي في تفسيره ما نصه بـالحرف: " فمـن استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى - مزيدة وليست مـن القـرآن- فآتوهن أجورهن فريضة " قال الصادق – حسب زعمهم : فهـذه الآيـة دليل على المتعة [389]، أي زادوا عبارة إلى أجل مسمى لإثبات باطلهم بإباحة نكاح المتعة، ويرون أن ذكر لفظ " الاسـتمتاع" بـدلا مـن " الزواج"، ولفظ " الأجور" بدلا من" المهور" يدل على جواز المتعة، لأن الأجر غير المهر وإتيان الأجر بعد الاستمتاع، ولكن ما لا يجب إغفالـه حتى نفهم مراد الآية الكريمة هو أن صدرها يتحدث عمن يباح نكاحهن من النساء المحصنات، وذلك بعد أن ورد في الآية التي قبلها المحرمات

٣٨٨- *النساء/ ٢٤، ٢٥*

٣٨٩ - القمي في تفسيره ١/ ١٣٦

من النساء فكأن الآية إذن في النكاح، ومعناها فإذا استمتعتم بنكاح النســاء ممن يحل نكاحهن فادفعوا إليهن مهورهن، والمهر في النكاح يسمى أجرا. قال تعالى: " يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجــورهن " ٣٩٠، أي مهورهن، وكون المهر إنما يكون قبل الاستمتاع لا يعارضه باقي النص لأنه على طريقة التقديم والتأخير وهو جائز في اللغة ويكون المعنى فآتوهن أجورهن إذا استمتعتم بهن أي إذا أردتم ذلك كما في قولــه تعالى: " إذا قمتم إلي الصلاة فاغسلوا ... " أي إذا أردتم القيام للصلاة. ولو كان نكاح المتعة مباحا في المجتمع الإسلامي إبان عهد النبي لصرح ا به في كتابه ولذكر مشروعيته، وفصل لأحكامه كما هو حال الزواج مــن الحرائر والإماء، فمن غير المعقول أن يسكت القرآن عن هــذا الأمــر العظيم في حين ورد فيه ذكر نكاح الإماء ثماني مرات وا يعلــم أن هذا النوع من الزواج سيزول بإلغاء الرق.

ويزعم الشيعة أن جعفر الصادق قال :" إن المتعة من دينــي وديــن آبائي، فالذي يعمل بها يعمل بديننا، والذي ينكرها ينكر ديننا بل إنه يــدين

٣٩٠- الأحزاب ٥٠

بغير ديننا، وولد المتعة أفضل من ولد الزوجة الدائمة، ومنكر المتعة كافر مرتد[391]. و الأمر من قبل ومن بعد.

391 - منهج الصادقين، للملا فتح ا الكاشاني، ص: 356

البداء

يقول الله تعالى لا يعلم الغيب إلا الله ، ويزعم الشيعة أن أئمتهم يعرفون الغيب بمقتضى العلم اللدني الذي أودعه الله فيهم. وكانوا يتنبئون لأتباعهم بما سيأتي به الزمان، غير أن الأحداث تأتي على غير ما يقولون به،فتسبب لهم ذلك في الحرج،وتهدد عصمتهم المزعومة وعلمهم اللدني المكذوب. ولم يكن أمامهم من بد سوى أن يثبتوا لأنفسهم العلم وينفوه عن الله –تعالى الله عما يصفون- وقالوا إن الله يقضي الأمر ثم يبدو له في ما بعد أن الصواب في غير ما قضى به فيبدله، هذا ما يعرف عندهم بالبداء، ولننظر كيف يكون الاجتراء على الله .

وإليك هذه الرواية التي تثبت معنى "البداء" بأنه علم ما لم يكن يعلمه الله .كان الإمام جعفر الصادق قد نص على ولاية ابنه إسماعيل الذي مات في حياة أبيه،ولما كان من عقائد الشيعة الإمامية علم الإمام بغيب السماوات والأرض،فقد سئل جعفر الصادق عن موت إسماعيل على غير ما قال به من انتقال الإمامة إليه،فأجاب بأن الله بدا له في إمامة إسماعيل،أي أن الأمر داخل في نطاق البداء، أي بدا لله أن يموت إسماعيل ولا يكون إماما،أي تغيرت مشيئته وفقا لما جد على علمه مما كان يجهله -تعالى الله

عما يصفون "[392]، الأمر الذي جعل بعض الشيعة يرفضـون إمامـة جعفر الصادق نفسه، ومنهم زعيم فرقة السليمانية سليمان بن جرير الـذي قال لأصحابه: إن أئمة الشيعة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون منهما من أئمتهم على كذب أبدا، وهي القول بالبداء، وإجازة التقية .

ويصف ا ُ نفسه بقوله:{ هو الله الذِي لا إِلَه إِلا هو عـالِم الغَيـبِ والشهادِة } [393]، وبقوله: { وَأن الله قَد أَحاطَ بِكُل شَيءٍ عِلْمـا }[394]. أما عن البداء فأول ما نُسب إلى المختار الثقفي، وانتشر القول بـه فـي مجتمع الكوفة في عهده وعلى أيدي أتباعه،وكان لا يفرق بـين النسـخ والبداء، في حين أن النسخ هو تكميل وليس إبطالا كما يدعون، والنسـخ يكون لإحلال حكم مكان آخر لمقتضى التدرج في سن الأحكام،ولم يحدث أن كان النسخ لإبدال حرام بحلال، فالنسخ غير البداء الذي يقول به الشيعة بمعنى نفي العلم عن ا إذ يضطر إلى تغيير قضائه لعلمه بشيء طـرأ على علمه ، تعالى ا عما يصفون. وقـد فـاتهم أن علـم ا تعـالى حضوري لا يتصف بالمضى والاستقبال.ويقول الصوفية النقشبندية مثـل ذلك من نفي العلم عن ا فينفون عنه تعالى علمه بالغيـب ويثبتونـه لمشايخهم ، يقول صاحب الرشحات نقلا عن أولياء النقشبندية : "إن ا

٣٩٢- فرق الشيعة للنوبختي ص٨٤ ط النجف

٣٩٣-سورة الحشر الآية ٢٢

٣٩٤- سورة الطلاق الآية ١٢

الرشحات نقلا عن أولياء النقشبندية : "إن ا تعالى ليس عالماً للغيـب" ونسب السرهندي أصل هذا القول إلى ابن عربي [395]. وحكى الكوثري عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال: "أطلعني ا على اللوح المحفوظ، فلـولا التأدب مع جدي رسول ا لقلت هذا سعيد وهذا شقي" [396]. والقول بالبداء فكرة يهودية الأصل مثل أفكار الوصاية والغيبة والرجعة والتقية.

وقال الشيعة علي لسان جعفر: "كان القتل قد كتب علـى إسـماعيل مرتين فسألت ا في دفعه عنه فدفعه". هل من المعقول أن يغير ا آجال الناس بعد أن أكد في قرآنه أنهم لا يستأخرون سـاعة ولا يسـتقدمون؟ أيناقض ا نفسه من أجل إسماعيل؟ وإذا كان ذلك ممكنا لماذا لم يطلـب الحبيب المصطفى من ا أن يمد في أعمار أحبابه مثل حمزة وخديجة، أم أن جعفر الصادق أكرم عند ا من سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم؟ وفي حين يثبت الشيعة لأئمتهم العلم المطلق الجامع الشامل،إلا أنهم ينفونه عن ا بالقول بالبداء! وينسبون إلى أبي عبد ا قوله: ما عظّم ا بمثل البداء" [397]. وقال أبو الحسن: " إن تبارك وتعالى علمين: علما أظهـر

٣٩٥- رشحات الحياة ١٥٣ المكتوبات الربانية للسرهندي ١٠٦

٣٩٦- إرغام المريد شرح النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية ٣٩

٣٩٧ - كتاب الكافي ١١٣/١ كتاب التوحيد: باب البداء

عليه ملائكته وأنبياءه فقد علمناه، وعلما لستأثر به فإذا بدا في شـيء أعلمنا ذلك وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا "[398].

398 - الكافي 1/199 كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء.

التقية

التقية هي الإدهان والمنافقة والمصانعة، وهي آلية هامة للشيعي إذ يظهر بها خلاف ما يبطن، ويستتر بها ويناور، فيضمن سرية مخططاته وكتمان بواطنه، وتتيح له التسلل إلى العقل والضمير المسلم في خبث ويسر، إلى درجة أنهم يعتبرونها من الدين ويرون أنه لا دين لمن لا تقية له، بل يرون أن عدم الأخذ بالتقية يكون كترك الصلاة، بل هو الخروج من الملة والمروق من الدين! فها هو صدوقهم وشيخ محدثيهم ابن بابويه القمي يقول في رسالته المعروفة "الاعتقادات": التقية واجبة، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة"، ويزعمون أن " تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له" [٣٩٩]. وبذلك يكون الكذب مما يتقرب به الشيعي إلى الله تعالى،الأمر الذي لا تجيزه الأديان السماوية، ويستنكره الضمير الإنساني.

٣٩٩ - الكافي في الأصول، باب التقية ص٢١٧ ج٢ ط إيران، ص٤٨٢ ج١ ط الهند

والتقية من باب من كتم سره كان الخيار بيده، وينسبون إلى جعفر الصادق قوله: "نحن شهداء الله في خلقه على عباده، ولولانا لساخت الأرض بمن فيها، ونحن أمان لأهل السماء،كما أننا أمان لأهل الأرض، يغفر الله للمؤمن من كل ذنب إلا ترك التقية"! والتقية علي مستوي الفرقة والطائفة هي طور الكمون الذي لا تكون فيه فرصة الظهور الآمن متاحة، أي فرصة الدعوة جهارا للأفكار الباطلة، وما إن تتاح الظروف المناسبة تخرج الجماعة من هذه التقية. أما تقية الفرد فهي محض نفاق إذ يظهر خلاف ما يبطن، وتهيئ له التظاهر بالتقوى والإيمان، فيتيسر له الاندساس بين صفوف المؤمنين فيبث الأضاليل وهم يجهلون حقيقته، كما تمكنه من التنصل من آرائه التي زعم صحتها وثبت بطلانها في ما بعد وذلك بدعوى أن التقية اضطرته إليها.والأخذ بالتقية آلية يهودية يحض التلمود عليها إذ جاء فيه:" كلما كان من الخطر التحدث عن شيء بصراحة،تكلم عنه تحت ستار علامة معروفة لدى المخاطبين وحدهم" ٤٠٠. قال سليمان بن جرير زعيم فرقة السليمانية والذي كان من الإمامية وانشق عليهم بسبب قولهم بالبداء والتقية: " لما كثرت على الأئمة مسائل شيعتهم في العبادات من حلال وحرام، أجابوا عن تلك المسائل، وحفظ عنهم شيعتهم ما سألوه وكتبوه ودونوه. ولم يحفظ الأئمة تلك الأجوبة لتقادم العهد

١- التلمود-محمد صبري

وتفاوت الأوقات،لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ولا في شهر واحد، بل في سنين متباعدة، فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفـة متضادة وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة،فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا إليهم هذا الاختلاف وأنكروه عليهم وسألوهم عنه، قالت لهم أئمتهم:إنمـا أجبنا بهذا التقية ولنا أن نجيب بما أجبنا، وكيف شئنا، لأن ذلك إلينا ونحـن نعلم بما يصلحكم وما فيه بقاؤنا وبقاؤكم وكف عدوكم عنـا وعـنكم "، ويتساءل سليمان: "فمتى يظهر من هؤلاء على كذب،ومتى يعرف لهـم حق من باطل" [401].

ويقولون: التقية واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلوات، و لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم أي الإمام المنتظر ، فمن تركها قبـل خروجه فقد خرج عن دين ا تعالى وعن دين الإماميـة، وخـالف ا ورسوله والأئمة[402]. وسئل جعفر الصادق عن قول ا عز وجـل { إِن أَكْرمكُم عِنْد اللهِ أَتْقَاكُم }[403] قال: أعملكم بالتقية" [404]، وقال: التقية

401- النوبختي - فرق الشيعة - -ص ٦٥،٦٦

402- ابن بابويه القمي في رسالته "الاعتقادات"

403- الحجرات ١٣

404- الاعتقادات للصدوق" باب التقية، ط إيران ص١٢٧٤

من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له "[405]، وإن تسعة أعشـار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له"[406]. وإ ن " التقية من ديـ ن ا ، قيل: ومن دين ا ؟ قال: أي وا من دين ا "[407]. ونسبوا إلى رسول ا كذباً أنه قال: مثل مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس لـه"[408]. قـال رسول ا صلى ا عليه وسلم:"إن الأحاديث ستكثر عني بعـدي كمـا كثرت عن الأنبياء من قبلي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب ا فما وافق كتاب ا فهو عني قلته أو لم أقله.

ونسبوا إلى علي بن أبي طالب أنه قال: التقية من أفضـل أعمـال المؤمن يصون بها نفسه وإخوانه من الفاجرين"[409]. في حين أنهم يثبتون قوله: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده"[410]، وقوله: الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيـث ينفعـك" [411].

٤٠٥- الكافي في الأصول" باب التقية ج٢ ط إيران ص٤٨٤ ج١

٤٠٦- الكافي في الأصول ص٢١٧ ج٢ ط إيران، ص٤٨٢ ج١ ط الهند

٤٠٧- أيضاً ص٢١٧ ج٢ ط إيران، ص ٤٨٣ ج١ ط الهند

٤٠٨- تفسير العسكري ص١٦٢ ط مطبعة جعفرى الهند

٤٠٩- تفسير العسكري ص١٦٢ ط مطبعة جعفرى الهند

٤١٠ - الكافي في الأصول" باب الكذب

٤١١ -.نهج البلاغة

ونسبوا إلى الحسين أنه قال: لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا"[٤١٢]. وما أحرى الحسين –لو صدقوا – أن يأخذ بالتقية لتقاء لشر أعدائه عندما تكالبوا عليه، ولكنه جالدهم بسيفه حتى الموت. وقالوا أيضا "يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين ترك التقية وترك حقوق الإخوان"[٤١٣].

والحرص شديد من قِبل مفكري الشيعة للإبقاء على سرية عقيدتهم من أجل الحفاظ على ذلك الخلط والتناقض مخفيا مستورا، فتلافيهم ما فرط من صمتهم أيسر من إدراكهم ما فات من منطقهم، وحفظ ما في الوعاء يكون بشد الوكاء . ويحذرون إبداء صريح ديانتهم وإظهار حقيقتها، فيفرضون التقية والاستتار كي لا ينكشف للعوام والأتباع من" مؤمنيهم" ما بملتهم من الخلط والضلال فينقلبون إلى الحق، فيخسر زعماؤهم الأنصار والأموال والأخماس. والاستتار والتخفي إنما هما دوما من شأن من يدبر الأمر بليل ويتآمر ويكذب، وما يستتر وراء غوامض الأرض إلا البائل أو المتغوط. والتقية كذلك أصل من أصول المعتقد اليزيدي -

٤١٢- تفسير العسكري" ص١٦٢ ط مطبعة جعفرى الهند

٤١٣-"تفسير العسكري" ص١٦٤ ط مطبعة جعفرى الهند

فاليزيدية ٤١٤ والشيعة في ذلك سواء - ويؤدون طقوسهم العبادية في خفاء، ويتظاهرون بغير معتقدهم الأصلي.

وكانت التقية وسيلتهم للخروج من مأزق ثبوت مدح آل البيت والأئمة للصحابة الأطهار ممن يسبونهم على المنابر، فاضطروا إلى زعم أن أئمتهم ما مدحوا من مدحوا إلا من باب التقية أي رموا أئمتهم بالكذب لإثبات صوابهم في سب الصحابة. ولا يدري أحد ما الحكمة في سرية دين ما، فما كانت الأديان إلا لهداية الناس، ولم يخفِ النبي ولا غيره من الأنبياء دياناتهم، وإنما أبلغوها للناس وإلا ما الغاية منها إن كانت سرية؟ وقد انخدع السذج من عوام الشيعة تحت ستار حب أهل البيت، فأكثرهم لا يعرفون حقيقة دينهم لأن زعماءهم يأمرون بكتمان الملة، وأفهموهم أن العزة في كتمانها والذلة في إذاعتها، وزعموا أن جعفر الصادق قال لأحد شيعته: يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه ا ومن أذاعه أذله ا[415].

والشيعة القائلون بتحريف القرآن، يأخذون بالتقية: إذ يقولون بالتحريف تارة وينكرونه تارة أخرى من باب التقية، فهذا فقيههم ابن بابويه القمي يقول: "من نسب إلينا القول بالتحريف فهو كاذب" ، وهو نفسه يروي في كتابه "الخصال" حديثاً مكذوبا على النبي يقول فيه: "يجيء يوم القيامة ثلاثة

٤١٤ - -فرقة تعبد يزيد بن معاوية ، وتعبد الشيطان

٤١٥ - الكافي في الأصول" للكليني

يشكون: المصحف، والمسجد، والعترة، يقول المصحف يا رب حرفوني ومزقوني "الحديث" [416].

وعن الإمام الخامس المعروف بالباقر أنه قال: وأي شيء أقر لعيني من التقية، إن التقية جنة المؤمن" [417]. وينسبون إلى أبي عبد ا أنه قال:" لا وا ما على وجه الأرض شيء أحب إلى من التقية" و " وا ما عبد ا بشيء أحب إليه من الخبء، قلت: وما الخبء؟ قال: التقية "[418].

وقد يحتج الشيعة بقوله تعالى ﴿إِلا أَن تَتقُوا مِنْهم تُقَاةً﴾٤١٩ بأن ذلك حض على التقية، ولكن بالرجوع إلى بداية الآية وفيها:" لا يتخِذِ المؤْمِنُون الكَافِرين أَولياء مِن دون المؤْمِنِين ومن يفْعلْ ذَلِك فَلَيس مِن اللهِ فِي شَيءٍ "، فالاستثناء بعد التحريم يدل على الجواز لا على الوجوب. والآية نص في أن التقية رخصة عند دفع الضرر كالإكراه والتعذيب. ولكن صارت هذه الرخصة عند الشيعة من أركان الدين حتى يصير تاركها لا إيمان ولا دين له!

---

٤١٦ - "الخصال" لابن بابويه القمي، ص٨٣ ط إيران ١٣٠٢هـ

٤١٧- الكافي في الأصول" باب التقية ص٢٢٠ ج٢ ط إيران

٤١٨- الكافي ٢/ ، ١٧٢-١٧٤ كتاب الإيمان والكفر باب التقية

٤١٩-آل عمران ٢٨

قال جل ذكره:" وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون" ٤٢٠، ألا يصح ذلك على القول بالتقية؟

٤٢٠- البقرة ١٤

الخُمس

قال نابوليون بونابرت مفسرا غوامض ما يحدث بين الناس بأن " فتش عن المرأة"، وهذا ممكن إذا كان الأمر يخص الأفراد والآحاد من الناس، أما غوامض ومغاليق الأحداث الكبار بين الأمم والطوائف والجماعات، فيجوز القول " ابحث عن الدينار والدولار"، فالمال غاية يسعى إليها من يسعى ولكن الوسيلة إليه مخفية ومستترة وراء النوايا الحسنة أو الدين. فالدول تنهب المستعمرات والهدف المعلن هو تعميرها وتمدينها. وتدمر الأخضر واليابس سعيا وراء النفط والثروات وما يعلن على الملأ هو فرض الديموقراطية ،كذلك كان كهنة المعابد من قديم يستترون وراء الدين ويفرضون على الناس تقديم القرابين والذبائح إلى أصنامهم إرضاء للآلهة، والأصنام لا تأكل الذبائح ولكن الكهنة يفعلون. والاحتيال باسم الدين قديم وزاوله المحتالون منذ فجر التاريخ. "وفقهاء الشيعة يرون أن أفضل أعمال الشيعي هو تسليم أمواله إليهم: يروى الكليني عن أبي عبد ا أنه قال: ما من شيء أحب إلى ا من إخراج الدراهم إلى الإمام وإن ا يجعل له الدرهم في الجنة مثل جبل أُحد

٤٢١، وفي رواية: درهم يوصل ود الإمام أفضل من ألف درهـم فيما سواه من وجوه البر ٤٢٢. وهم يوجبون على الشيعي تسليم خُمس ممتلكاته إلى الإمام! يستوي في ذلك الغني والفقير. ويجب هذا الخمـس على ما لا تجب عليه الزكاة. فللزكاة نصاب معلوم وقيمة معلومـة، ولا زكاة على أدوات الإنتاج أو المسكن أو السيارة وما شابه، والخمس غيـر ذلك إذ يجب دفع خمس قيمة كل ما يملكه الشيعي ! ومن الأمـوال مـا يوجبون دفع خمسه مرتين مثل الأموال المحرمة كالمال المسروق والربا، مرة للتحليل ومرة بعد التحليل [٤٢٣]! والزكاة لا تجب علي الفقير، والخمس مفروض على جميع الشيعة فقيرهم وغنيهم . ولما كان الإمام متغيبا فـي السرداب، أوجبوا دفع هذه الأموال إلى نائبه، ومن يكون هذا النائب؟ إنـه الفقيه ، فبالقياس اعتبروا الفقيه بديلا عن الإمام الغائب، مع أن القياس في الفقه الجعفري غير معتبر ولا يقيمون له وزنا، ولكن الغاية تبرر الوسيلة. والزكاة أوجبها ا تعالى على جميع أغنياء المسلمين دون استثناء، أمـا الخمس المزعوم فغير واجب على" السيد " وهو من يزعم الانتساب إلى

---

٤٢١ - اصول الكافى ٥٣٧/١

٤٢٢ - المرجع السابق ٥٣٨/١

٤٢٣ - انظر هذه الفتاوى فى رسالة الخمس للسيد محمد صادق الصدر ومنهاج الصالحين للخوئى فى موضوع الخمس

البيت النبوي ، ولا على "الفقيه" . وهو نفس الفقيه الذي يفتيهم بجواز دفـع مبلغ من المال عوضا عن ما قصروا فيه مـن العبـادات المفروضـة كالصلاة والحج ، "وكل من كانت عليه مظلمة أو تقصـير فـي حـق شرعي، يدفع مبلغا من المال مقابل كل مظلمة فيغفر له بـذلك ويسـمونه رد المظالم "٤٢٤.وذلك لا يختلف في جوهره عن صكوك الغفران التي ابتدعها الأحبار والرهبان في أوربا في القرون الوسطي.

والخمس غير الزكاة المفروضة، فالزكاة حق للفقراء وأوجه صـرفها حددها القرآن. أما الخُمس فهو حق خاص بطبقة معينة هم السادة أي من ينتسبون إلى البيت النبوي، و الفقهاء وكبار رجال الدين فهـم من شرعوا هذا الحق، وهم من حصدوا ثماره. ولما كان هذا الخمـس يمثل عبئا كبيرا على الشيعي، فقد تم إغفال وتناسي أداء الزكاة. "وكان هذا الخمس لا يجبى في ما خلا من الأزمنة، وإنما كان يذكر على أنه حـق للإمام الغائب ولم يكن لفقيه أن يطالب به أو يجبيه، ويمكن لصاحبه أن لا

٤٢٤- الإمام الشيعي محب الدين عباس الكاظمي - سياحة في عالم الشيعة والتشيع ..الحوزة العلمية أسرار وخفايا

يخرجه أصلا فإن أخرجه –وذلك ليس بواجب عليه- فإما أن يدفنه فـي الأرض أو يوصي به إلى من يثق به لحين ظهور المهدي "٤٢٥.

ولبتدعوا الخمس بلي معنى الآية الكريم: واعلَموا أَنما غَنِمـتُم مـن شَيءٍ فَأَن لِلهِ خُمسه ولِلرسول ولِذِي القُربى واليتَامى والمسـاكِين وابـن السبِيلِ إِن كُنْتُم آمنْتُم بِاللهِ وما أَنْزلْنَا علَى عبدِنَا يوم الفُرقَـان يـوم الْتَقَـى الجمعان والله علَى كُلِ شَيءٍ قَدِير ٤٢٦. ويوم الفرقان المقصود هـو يوم معركة بدر والخمس الذي تشير إليه الآية هـو خمـس الغنـائم أي الأموال المغنومة من الكفار المحاربين، لذا فالخمس ليس إلا فـي الغنـائم خاصة، أما أموال المسالمين من الكفار فلا يحل أخذها، فضلا عـن أن تكون تلك الأموال هي أموال المسلمين.

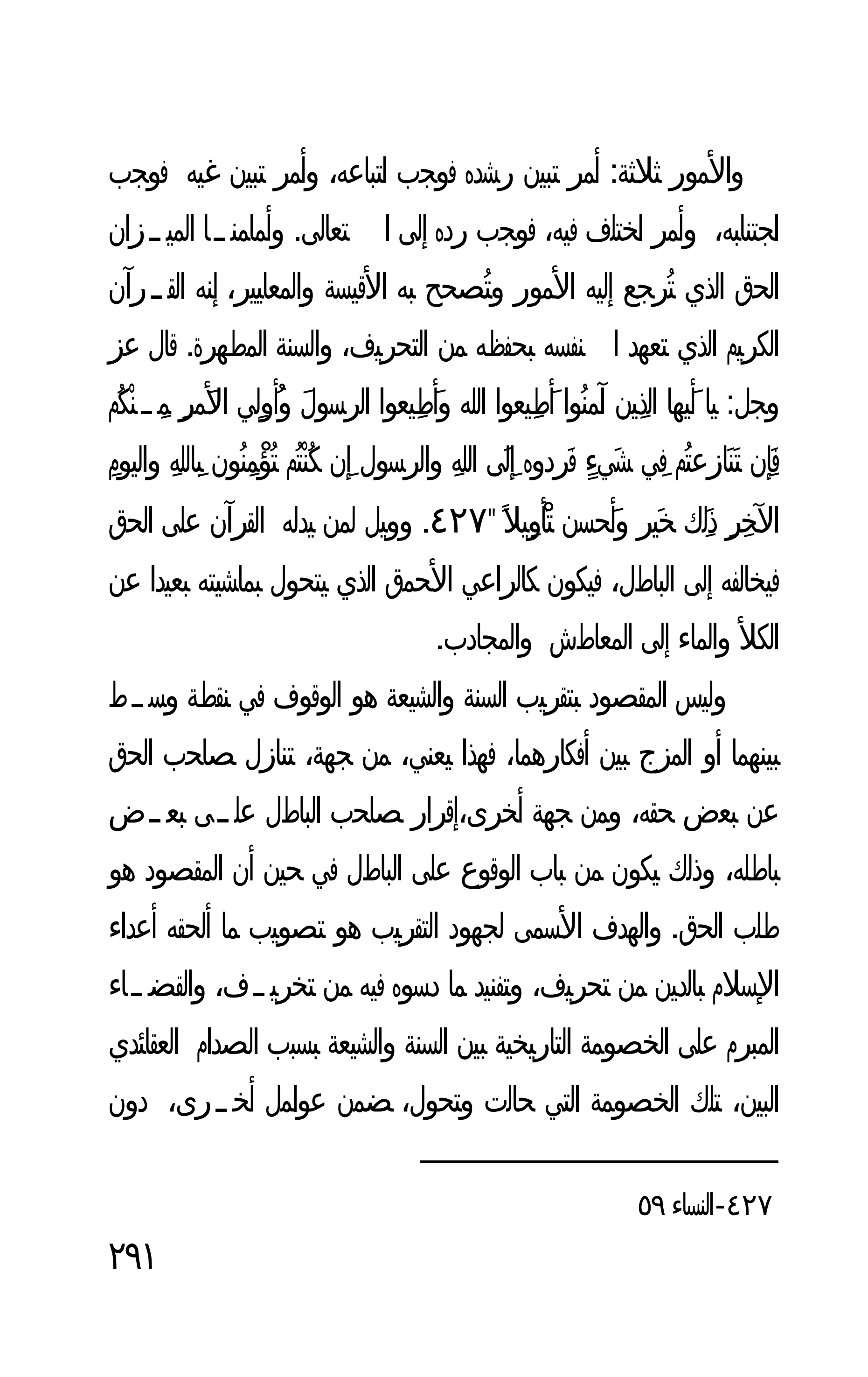
٤٢٥- بتصرف من سياحة في عالم الشيعة والتشيع – الإمام الشيعي محب الدين الكاظمي- و انظر : النهاية فى مجرد الفقه والفتاوى للطوسى ٢٠٠

٤٢٦- الأنفال ٤١

التقريب بين الشيعة والسنة

يقول الشيعة:"إننا لا نجتمع مع أهل السنة على إله ولا على نبي ولا على إمام وذلك لأنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا نبيه نبينا .

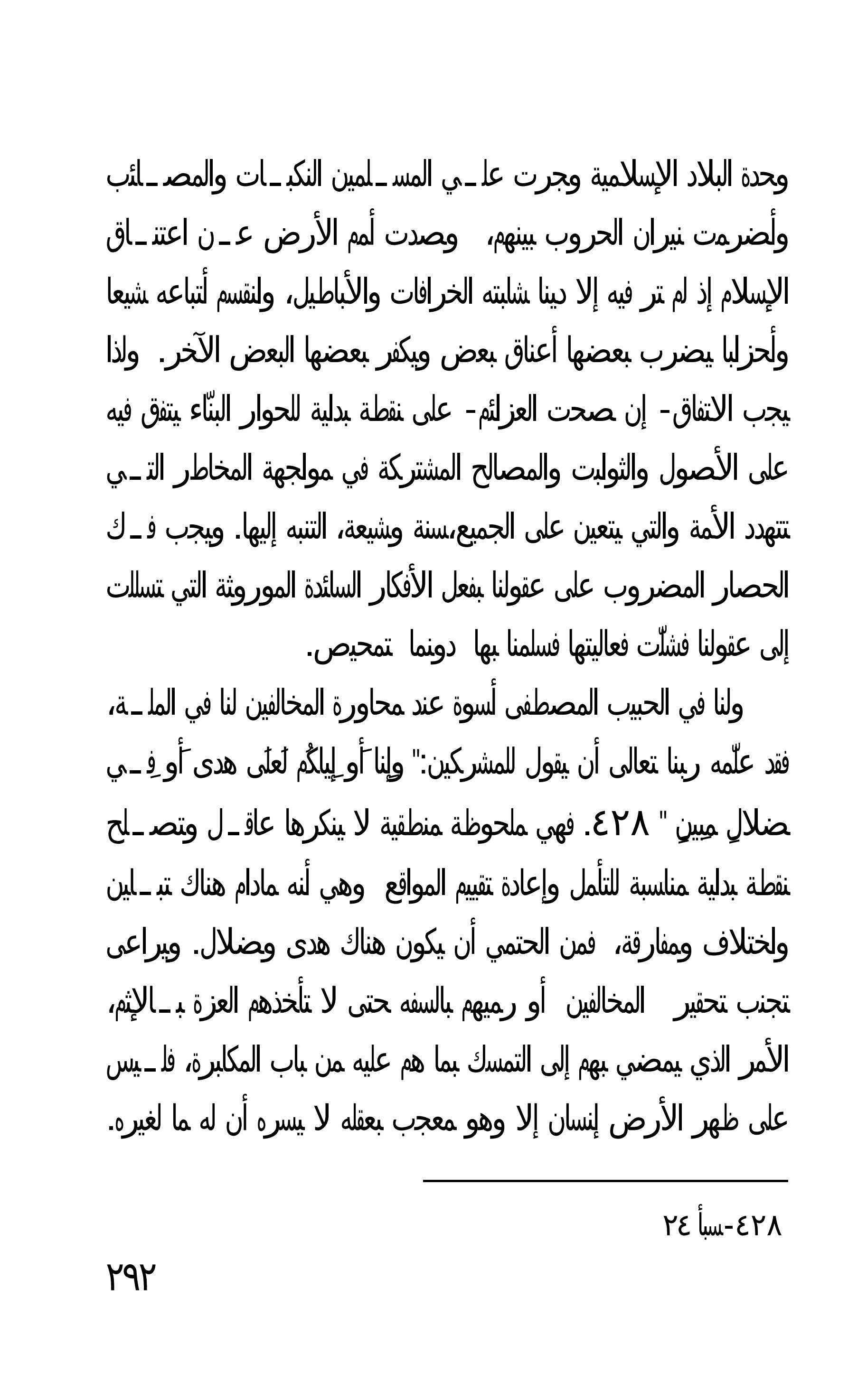
يرى البعض تجنب محاولات تقريب السنة والشيعة، ومحاذرة تسليط الضوء على أوجه الخلاف بينهما، وذلك اتقاء للفتنة والمهارشة بينهما. والمقصود بمساعي تقريب أهل السنة والشيعة، هو رأب الصدع العقائدي بين هاتين الطائفتين وليس مجرد إزالة الجفوة بينهما. ولا يكون هذا الاقتراب من ملة إلى أخرى، وإنما المقصود هو اقتراب كل منهما سنة وشيعة إلى دين الله الحق المسطور في قرآنه الكريم. وعلى الطرفين - سنة وشيعة - أن يقرا ابتداء أن الشيء لا يكون حقا باعتقاد من اعتقد أنه حق، كما أنه لا يبطُل باعتقاد من اعتقد أنه باطل، وإنما يكون الشيء حقا بكونه صحيحا ثابتا سواء أُعتقد أنه حق أو اعتقد أنه باطل.



والأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فوجب اتباعه، وأمر تبين غيه فوجب اجتنابه، وأمر اختلف فيه، فوجب رده إلى الله تعالى. وأمامنا الميزان الحق الذي تُرجع إليه الأمور وتُصحح به الأقيسة والمعايير، إنه القرآن الكريم الذي تعهد الله نفسه بحفظه من التحريف، والسنة المطهرة. قال عز وجل: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً "٤٢٧. وويل لمن يدله القرآن على الحق فيخالفه إلى الباطل، فيكون كالراعي الأحمق الذي يتحول بماشيته بعيدا عن الكلأ والماء إلى المعاطش والمجادب.

وليس المقصود بتقريب السنة والشيعة هو الوقوف في نقطة وسط بينهما أو المزج بين أفكارهما، فهذا يعني، من جهة، تنازل صاحب الحق عن بعض حقه، ومن جهة أخرى،إقرار صاحب الباطل على بعض باطله، وذلك يكون من باب الوقوع على الباطل في حين أن المقصود هو طلب الحق. والهدف الأسمى لجهود التقريب هو تصويب ما ألحقه أعداء الإسلام بالدين من تحريف، وتفنيد ما دسوه فيه من تخريف، والقضاء المبرم على الخصومة التاريخية بين السنة والشيعة بسبب الصدام العقائدي البين، تلك الخصومة التي حالت وتحول، ضمن عوامل أخرى، دون

٤٢٧-النساء ٥٩



وحدة البلاد الإسلامية وجرت علـي المسـلمين النكبـات والمصـائب وأضرمت نيران الحروب بينهم، وصدت أمم الأرض عـن اعتنـاق الإسلام إذ لم تر فيه إلا دينا شابته الخرافات والأباطيل، وانقسم أتباعه شيعا وأحزابا يضرب بعضها أعناق بعض ويكفر بعضها البعض الآخر. ولذا يجب الاتفاق- إن صحت العزائم- على نقطة بداية للحوار البنّاء يتفق فيه على الأصول والثوابت والمصالح المشتركة في مواجهة المخاطر التـي تتهدد الأمة والتي يتعين على الجميع،سنة وشيعة، التنبه إليها. ويجب فـك الحصار المضروب على عقولنا بفعل الأفكار السائدة الموروثة التي تسللت إلى عقولنا فشلّت فعاليتها فسلمنا بها دونما تمحيص.

ولنا في الحبيب المصطفى أسوة عند محاورة المخالفين لنا في الملـة، فقد علّمه ربنا تعالى أن يقول للمشركين:" وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فـي ضلال مبين " ٤٢٨. فهي ملحوظة منطقية لا ينكرها عاقـل وتصـلح نقطة بداية مناسبة للتأمل وإعادة تقييم المواقع وهي أنه مادام هناك تبـاين واختلاف ومفارقة، فمن الحتمي أن يكون هناك هدى وضلال. ويراعى تجنب تحقير المخالفين أو رميهم بالسفه حتى لا تأخذهم العزة بـالإثم، الأمر الذي يمضي بهم إلى التمسك بما هم عليه من باب المكابرة، فلـيس على ظهر الأرض إنسان إلا وهو معجب بعقله لا يسره أن له ما لغيره.

٤٢٨-سبأ ٢٤

لذا يجب ممارسة الحوار الهادئ العقلاني بين المعتدلين من علماء الطائفتين على أن يتم مراجعة ما في كتب الطائفتين على القرآن والسنة ونبذ ما يتعارض معهما وإقرار ما يوافقهما. والهدف الرئيسي لمساعي تقريب السنة والشيعة هو فتح الطريق أمام عموم الناس والبسطاء من الشيعة كي يعودوا إلى ا كما عاد أسلافهم الأوائل في مصر وشمال أفريقيا بعد سقوط الدولة الفاطمية الشيعية التي دامت حوالي القرنين من الزمان. والأمر المؤكد أن الأغاليط والأباطيل التي تشكل عماد عقائد الشيعة والصوفية،هي باطل لا يعلم حقيقته عموم الناس من البسطاء، فمن يعلم حقائق هذا الباطل هم الزعماء الدينيون ممن يرتزقون بهذا الباطل ويكتسبون من تحريف الدين، ويسيرون الناس كالأنعام ويحتالون عليهم باسم الدين والملة،وينهبونهم باسم الإسلام والعقيدة. فالغاية هي تبصرة البسطاء الذين يجهلون دينهم الحنيف، وإنقاذهم من براثن الدجالين المتاجرين بالدين.

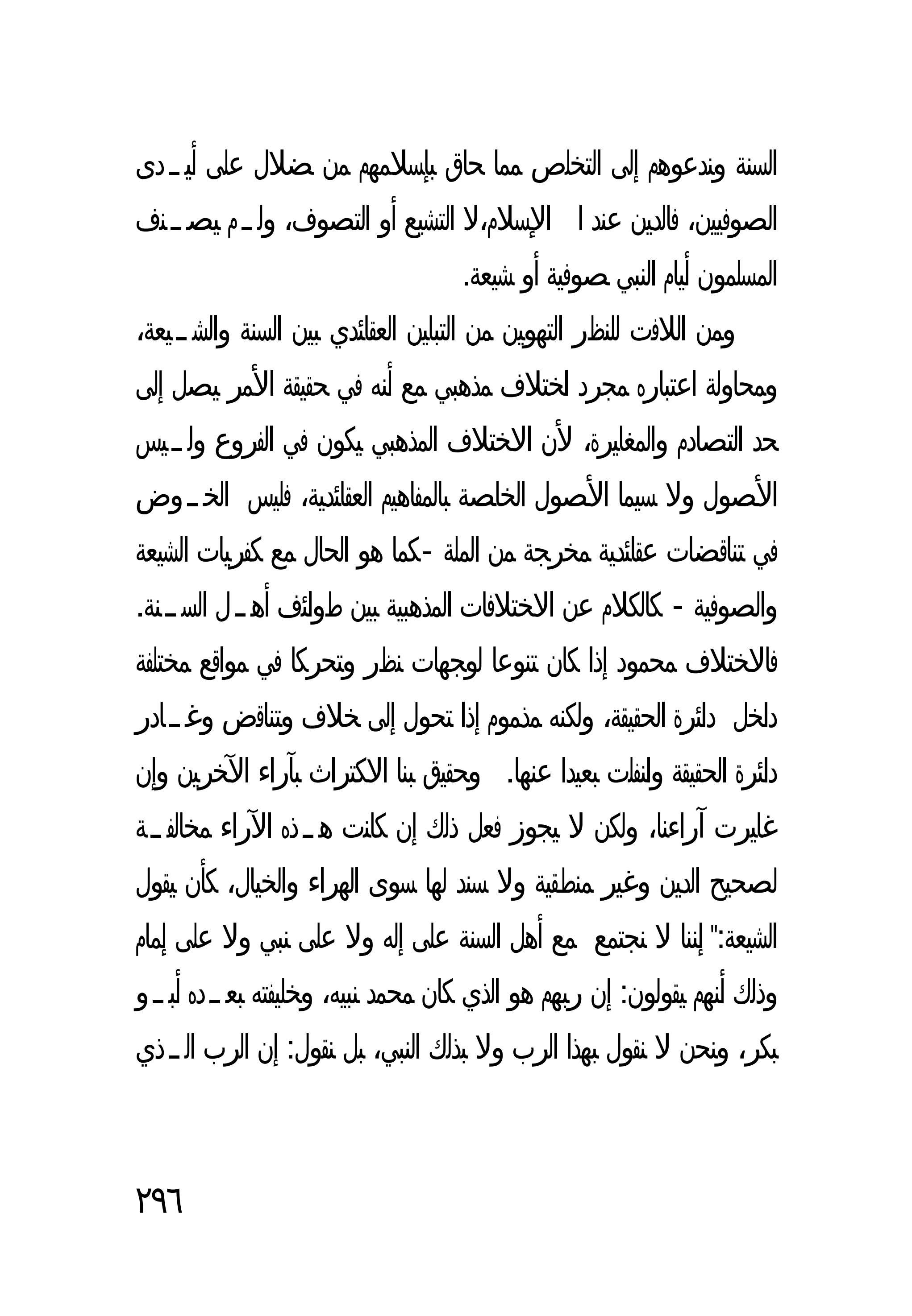
يقول رسول ا :انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قيل يا رسول ا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما؟ فقال تكفه عن الظلم فذلك نصرك إياه. ويجب أن لا نسمح لأعدائنا باستثمار الصدع بين السنة والشيعة،حتى وإن كان الشق فاصلا بين الحق والباطل،ويجب الحيلولة دون زيادة الفجوة اتساعاً،وعلينا رأب الصدع الذي يقسم الأمة إلى حق وباطل . ومن غايات

الدعوة إلى التقريب قطع الطريق على أعدائنا لإفشال خططهم الرامية إلى ذبحنا بسيوفنا، والحذر الحذر،كل الحذر من الوقوع فرائس سـهلة فـي الفخاخ التي ينصبها لنا أعداؤنا فننقلب على بعضنا البعض نزهق الأرواح ونسفك الدماء، وهو أمر نجيده نحن المسلمين ومن لا يصدق عليه بقراءة التاريخ. وما نقول به من مصالحة بين السنة والشيعة، إنما هي دعوة إلى الهدى كالتي كانت بين النبي وقريش في فجـر الـدعوة الإسـلامية، إذ عرض عليهم الحق وألح في العرض، فاستجاب له الأسـوياء والعقـلاء دون السفهاء ومن قضت مصالحهم بالبقاء على شركهم. وينبغـي علـى المسلم الغيور على دين ا أن يقوم بتبصرة عامة البسطاء ممن لا يد لهم في إحداث التحريف أو اصطناع الباطل، فذلك من صنع كبرائهم وفقهائهم المستفيدين من النفوذ الديني والمكاسب المادية وإنما العامة مجرد مقلـدين وتوابع وأدوات يسخرها زعماؤهم للوصول إلى السلطة وبيـت المـال، وهؤلاء البسطاء لهم علينا حق التبصرة والهداية.

وهنالك سببان يدفعاننا إلى رأب الصدع الذي أحدثه الشيعة بالـدين الحنيف، أولهما أن الشيعة محسوبون على الإسلام وما يقارفونـه مـن مخالفات يحسبها الآخرون من غير المسلمين على أنهـا مـن الإسـلام فينصرف العقلاء عن هذا الدين . وثانيهما أنه مادام الشيعة على غير مـا عليه أهل السنة والجماعة، فتجب علينا تبصـرتهم بالإسـلام الحنيـف،

وخاصة أن العوام والبسطاء لا علم لهم بصحيح الدين، فقد قاسى عامة الناس في المجتمعات الإسلامية من الجهل والأمية إذ أعوزهم النظام التعليمي الراسخ،فلم يعرف المسلمون المدارس إلا أيام الوزير نظام الملك وأيام صلاح الدين الأيوبي وقبل ذلك اقتصر التعليم على المساجد في ما يشبه نظام الكتاتيب. وحتى في أيام العز العلمي للمسلمين في العصر العباسي، لا يصح اعتبار المجتمع كله مستنيرا فقد كانت هذه النهضة من صنع الخاصة وللخاصة، وبقي البسطاء من الناس يقاسون الأمية إلى جانب الفقر والقهر. وحتى في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، تجد بين من تلقوا قسطا وافرا من التعليم، من يؤمنون بالخرافات والشعوذة وكرامات الشيوخ ، وما شابه ذلك، فضلا عن ما يعتقده الأميون والجهلة. وبالنظر إلى مدى انتشار العقائد الفاسدة في القرن الحادي والعشرين،يسهل إدراك سهولة حدوث ذلك في القرون الخوالي، حيث كان العقل الشعبي في المجتمعات الإسلامية السابقة سهل الاختراق،شأنه في ذلك شأن أي مجتمع آخر يفتقد النظام التعليمي ويقاسي الأمية والجهل. وإذا ضربنا صفحا عن دعوة المخالفين لنا من الشيعة، نكون قد فرطنا وتقاعسنا عن الأمر بالمعروف.

وإذ ندعو الشيعة لإعادة النظر في ما شاب عقيدتهم من تحريف، لا تتحقق الموضوعية والأمانة مع النفس إن لم نتوجه بالدعوة نفسها إلى أهل


السنة وندعوهم إلى التخلص مما لحق بإسلامهم من ضلال على أيـدى الصوفيين، فالدين عند الله الإسلام،لا التشيع أو التصوف، ولـم يصـنف المسلمون أيام النبي صوفية أو شيعة.

ومن اللافت للنظر التهوين من التباين العقائدي بين السنة والشـيعة، ومحاولة اعتباره مجرد اختلاف مذهبي مع أنه في حقيقة الأمر يصل إلى حد التصادم والمغايرة، لأن الاختلاف المذهبي يكون في الفروع ولـيس الأصول ولا سيما الأصول الخاصة بالمفاهيم العقائدية، فليس الخـوض في تناقضات عقائدية مخرجة من الملة -كما هو الحال مع كفريات الشيعة والصوفية - كالكلام عن الاختلافات المذهبية بين طوائف أهـل السـنة. فالاختلاف محمود إذا كان تنوعا لوجهات نظر وتحركا في مواقع مختلفة داخل دائرة الحقيقة، ولكنه مذموم إذا تحول إلى خلاف وتناقض وغـادر دائرة الحقيقة وانفلت بعيدا عنها. وحقيق بنا الاكتراث بآراء الآخرين وإن غايرت آراءنا، ولكن لا يجوز فعل ذلك إن كانت هـذه الآراء مخالفـة لصحيح الدين وغير منطقية ولا سند لها سوى الهراء والخيال، كأن يقول الشيعة:" إننا لا نجتمع مع أهل السنة على إله ولا على نبي ولا على إمام وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد نبيه، وخليفته بعـده أبـو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذاك النبي، بل نقول: إن الرب الـذي

خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا نبيه نبينا "[429]. فبمثل هذا الكـلام ينتفـي حسن النية وصدق العزم علي التقارب مع أهل السنة . ومـع دعـاوى التقريب يركز البعض على أدبيات الحوار وأخلاقيات الجـدال وقبـول الآخر، وكأن المسألة دعوة لتوخي اللين والسماحة في قبول غلو الآخـر وانحرافه، بحيث يبدو الأمر في نهاية المطاف فـي صـورة المشـكلة الأخلاقية ، أو المشكلة الإجرائية، في حين أن حقيقة الصراع والخـلاف تقع في دائرة الإيمان والكفر والحق والباطل.

والفخ الخطير هو الدفع باتجاه " قبول الاختلاف " باعتبـاره تنوعـا اجتهاديا، وأن يكون هذا " التقريب" وسيلة لإضفاء الشرعية على "التبشير" بمعتقدات كل من الطرفين بين جموع الطرف الآخر. فقد تم إنشـاء دار للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومقرها في القاهرة في سنة ١٩٤٧ لم يتعرض فيها أحد لتسوية وتصفية المصادمات العقائدية، وإنما تم الاتفـاق بين الطرفين على تدريس علوم كل منهما في المعاهد الدينيـة للآخـر، وفعلا تدرس الآن علوم الشيعة في الأزهر الشريف بعدما صدرت فتوى من فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شـلتوت بجـواز التعبـد بالمذهب الجعفري _ الاثنى عشرى- باعتباره مذهبا خامسا لأهل السـنة

٤٢٩- الأنوار النعمانية: ٢٨٧/٢ - نعمة ا الجزائري

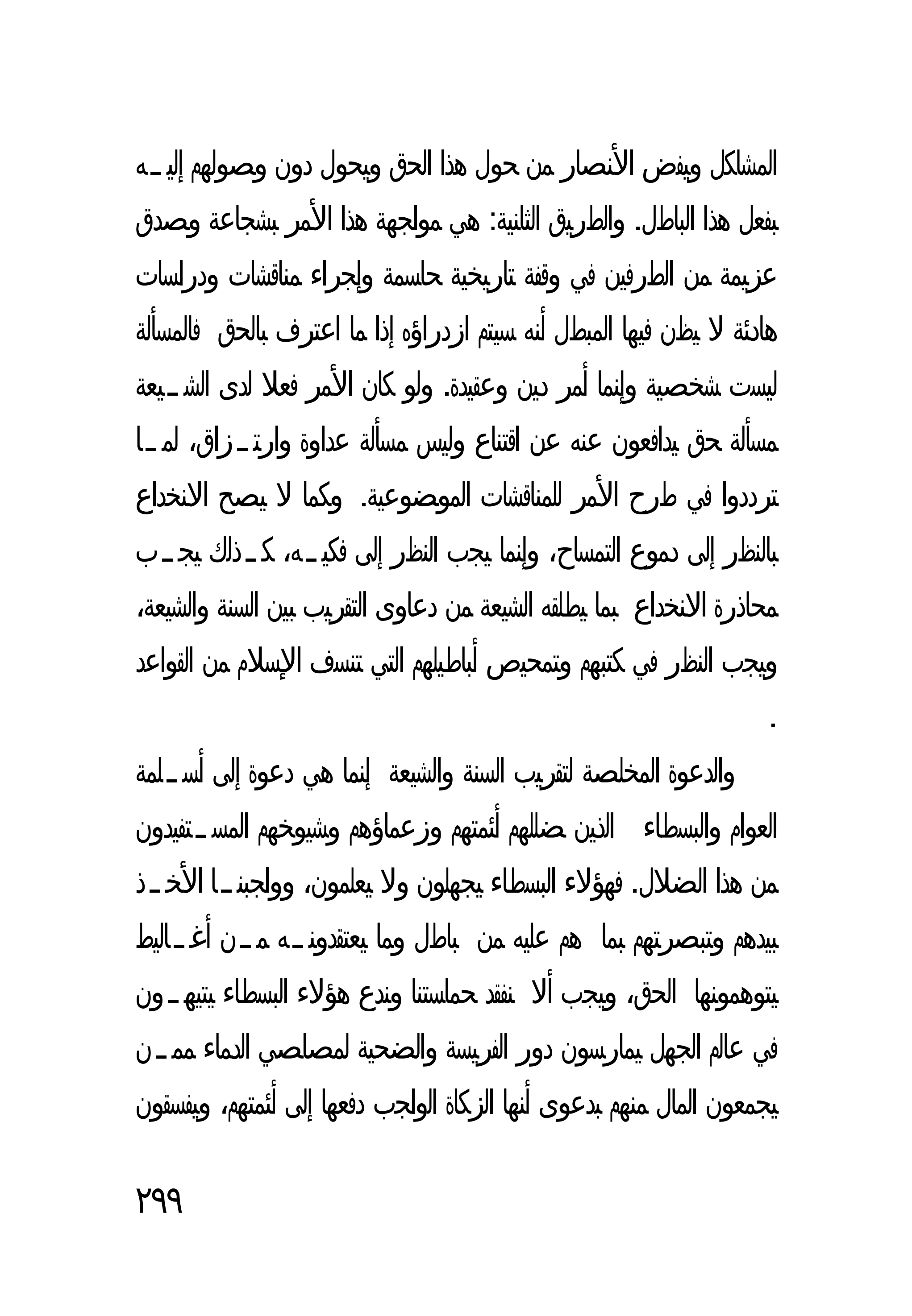
[٤٣٠]! في حين لم يدرس الشيعة في معاهدهم الدينية شيئا عن عقيدة أهـل السنة كما جرى الاتفاق.

والحث على قبول ما نتفق عليه والإغضاء عن ما نختلف فيه، إنما هو من الكلام الذي يمر عليه الناس ولا يعطونه حقه من التأمل، فهذا من قبيل الحق الذي يراد به باطل. فالتقريب بين السنة والشيعة دون تسوية الخلاف وتصحيح التناقضات، إنما يعني التستر علـى هـذا الصـدام العقائـدي الصارخ، وهو تقريب يقوم على مجرد جهود توفيقية لا تتعـدى حـدود الأقوال لا الأفعال، ويكون ذلك غمطا للحق وإقرارا بالباطل، وما أشبهه عندئذ بمحاولة امتطاء جوادين في وقت واحد: أحدهما غاد، والآخر رائح.

وهنالك طريقان لا ثالث لهما في مسألة الصدع السني الشيعي، أولهما: ترك الأمر على ما هو عليه وغض الطرف عن التباين الشديد وتجاهل التناقض العقائدي الواضح بينهما. وإذا مضينا في هذا الاتجاه يبقى الأمـر على ما هو عليه، أي يبقى إلى جوار الحق باطل يخالفه ويثيـر حولـه

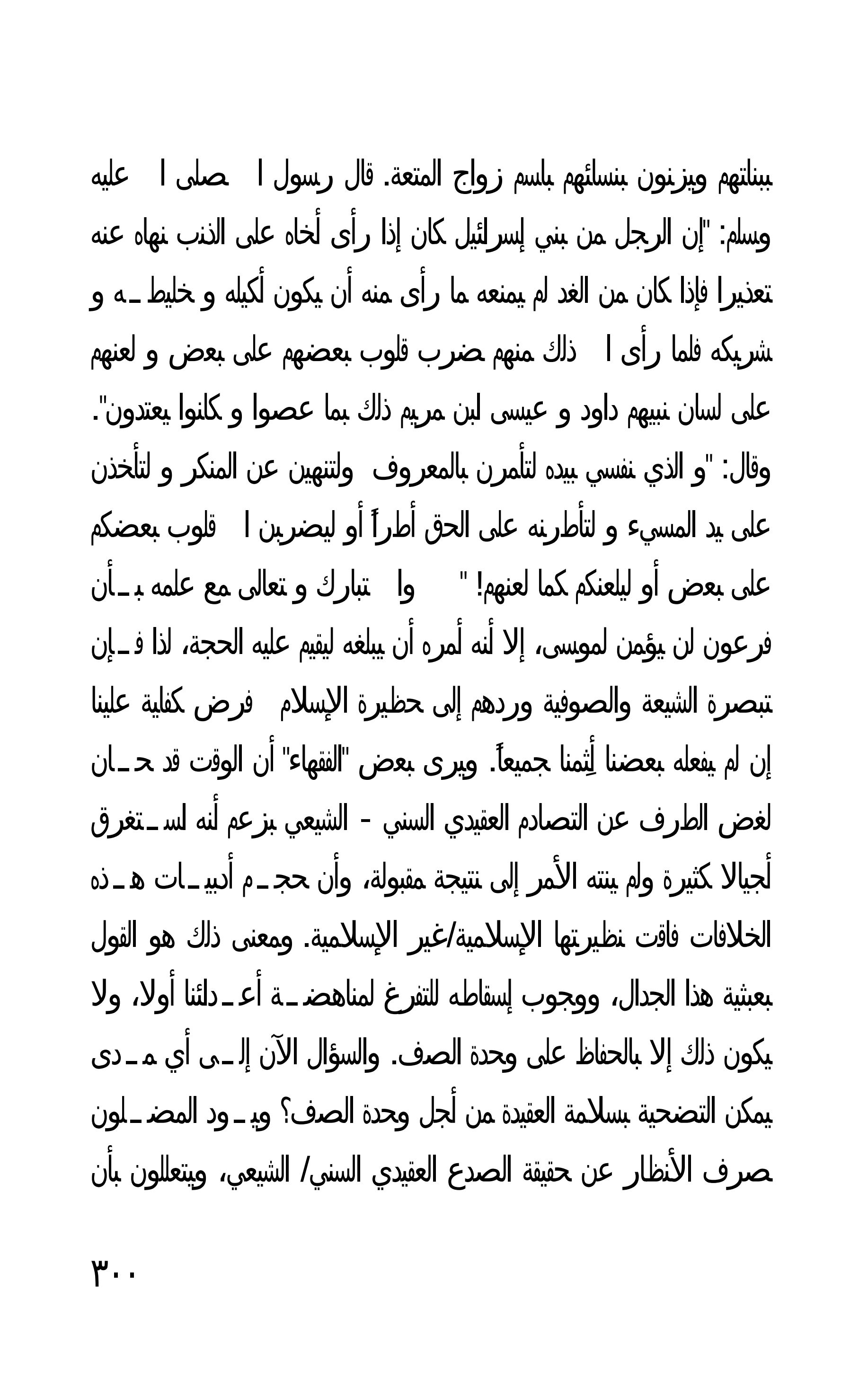
---

٤٣٠ -انظر تفاصيل الفتوى في الملحق رقم ١ ، وقد تضمنها كتـاب صـدر عـن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية باسم دعوة التقريب ،بقلم مجموعة مـن كبـار رجال الدين السنة والشيعة ، تحدثوا كلهم جميعا عن مزايا وحدة المسلمين ووجوب نبـذ الخلافات بينهم ، ولم يبذلوا أي محاولة جادة لتمحيص معتقدات الشيعة في ضوء القرآن والسنة ، فالمعلوم أن ما يخالف القرآن والسنة مرفوض

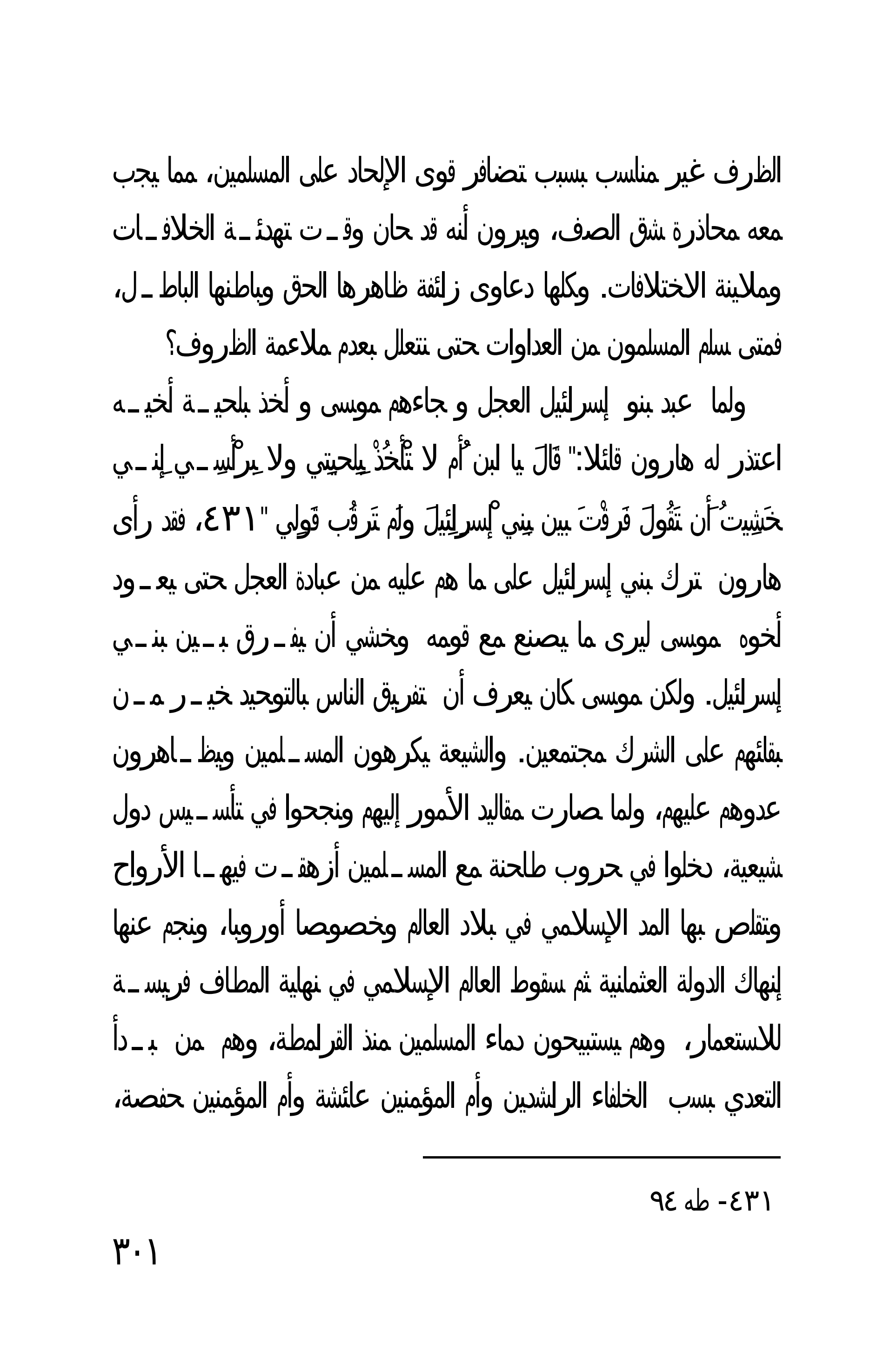


المشاكل ويفض الأنصار من حول هذا الحق ويحول دون وصولهم إليـه بفعل هذا الباطل. والطريق الثانية: هي مواجهة هذا الأمر بشجاعة وصدق عزيمة من الطرفين في وقفة تاريخية حاسمة وإجراء مناقشات ودراسات هادئة لا يظن فيها المبطل أنه سيتم ازدراؤه إذا ما اعترف بالحق فالمسألة ليست شخصية وإنما أمر دين وعقيدة. ولو كان الأمر فعلا لدى الشـيعة مسألة حق يدافعون عنه عن اقتناع وليس مسألة عداوة وارتـزاق، لمـا ترددوا في طرح الأمر للمناقشات الموضوعية. وكما لا يصح الانخداع بالنظر إلى دموع التمساح، وإنما يجب النظر إلى فكيـه، كـذلك يجـب محاذرة الانخداع بما يطلقه الشيعة من دعاوى التقريب بين السنة والشيعة، ويجب النظر في كتبهم وتمحيص أباطيلهم التي تنسف الإسلام من القواعد .

والدعوة المخلصة لتقريب السنة والشيعة إنما هي دعوة إلى أسـلمة العوام والبسطاء الذين ضللهم أئمتهم وزعماؤهم وشيوخهم المسـتفيدون من هذا الضلال. فهؤلاء البسطاء يجهلون ولا يعلمون، وواجبنـا الأخـذ بيدهم وتبصرتهم بما هم عليه من باطل وما يعتقدونـه مـن أغـاليط يتوهمونها الحق، ويجب ألا نفقد حماستنا وندع هؤلاء البسطاء يتيهـون في عالم الجهل يمارسون دور الفريسة والضحية لمصاصي الدماء ممـن يجمعون المال منهم بدعوى أنها الزكاة الواجب دفعها إلى أئمتهم، ويفسقون



ببناتهم ويزنون بنسائهم باسم زواج المتعة. قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: "إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيرا فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله و خليطـه و شريكه فلما رأى ا ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض و لعنهم على لسان نبيهم داود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون". وقال: "و الذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر و لتأخذن على يد المسيء و لتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن ا قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم! " وا تبارك و تعالى مع علمه بـأن فرعون لن يؤمن لموسى، إلا أنه أمره أن يبلغه ليقيم عليه الحجة، لذا فـإن تبصرة الشيعة والصوفية وردهم إلى حظيرة الإسلام فرض كفاية علينا إن لم يفعله بعضنا أثمنا جميعاً. ويرى بعض "الفقهاء" أن الوقت قد حـان لغض الطرف عن التصادم العقيدي السني - الشيعي بزعم أنه اسـتغرق أجيالا كثيرة ولم ينته الأمر إلى نتيجة مقبولة، وأن حجـم أدبيـات هـذه الخلافات فاقت نظيرتها الإسلامية/غير الإسلامية. ومعنى ذلك هو القول بعبثية هذا الجدال، ووجوب إسقاطه للتفرغ لمناهضـة أعـدائنا أولا، ولا يكون ذلك إلا بالحفاظ على وحدة الصف. والسؤال الآن إلـى أي مـدى يمكن التضحية بسلامة العقيدة من أجل وحدة الصف؟ ويـود المضـلون صرف الأنظار عن حقيقة الصدع العقيدي السني/ الشيعي، ويتعللون بأن



الظرف غير مناسب بسبب تضافر قوى الإلحاد على المسلمين، مما يجب معه محاذرة شق الصف، ويرون أنه قد حان وقـت تهدئـة الخلافـات وملاينة الاختلافات. وكلها دعاوى زائفة ظاهرها الحق وباطنها الباطـل، فمتى سلم المسلمون من العداوات حتى نتعلل بعدم ملاءمة الظروف؟

ولما عبد بنو إسرائيل العجل و جاءهم موسى و أخذ بلحيـة أخيـه اعتذر له هارون قائلا:" قَالَ يا ابن أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحيَتِي ولا بِرَأْسِـي إِنِّـي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بين بَنِي إِسرائِيلَ ولَم تَرْقُب قَولِي "٤٣١، فقد رأى هارون ترك بني إسرائيل على ما هم عليه من عبادة العجل حتى يعـود أخوه موسى ليرى ما يصنع مع قومه وخشي أن يفـرق بـين بنـي إسرائيل. ولكن موسى كان يعرف أن تفريق الناس بالتوحيد خيـر مـن بقائهم على الشرك مجتمعين. والشيعة يكرهون المسـلمين ويظـاهرون عدوهم عليهم، ولما صارت مقاليد الأمور إليهم ونجحوا في تأسـيس دول شيعية، دخلوا في حروب طاحنة مع المسـلمين أزهقـت فيهـا الأرواح وتقلص بها المد الإسلامي في بلاد العالم وخصوصا أوروبا، ونجم عنها إنهاك الدولة العثمانية ثم سقوط العالم الإسلامي في نهاية المطاف فريسـة للاستعمار، وهم يستبيحون دماء المسلمين منذ القرامطة، وهم من بـدأ التعدي بسب الخلفاء الراشدين وأم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة،

٤٣١- طه ٩٤

بل ولعنوهم من فوق منابرهم. ويهون الشيعة مـن شـأن الاخـتلاف الشيعي/السني بزعم أن هنالك اختلافات بين المذاهب السـنية الأربعـة، والأمر على عكس ما يتوهمون فالخلافات المذهبية عند السنة هي تباين " فقهي" في الفروع وليس الأصول كما سبق قوله، فلا خلاف البتة فـي المسائل المتعلقة بالعقيدة مثلا. والأمر يدور في مسائل هذا الخلاف الفقهي بين الأحوط والأيسر بحسب اختلاف طبيعة الدليل في نظـر ونظـر، وبحسب ما يتوافر للفقيه من معلومات تخص طبيعة وزمان ومكان المسألة الخلافية.

أما الخلاف الشيع/ السني فهو خلاف في المسائل العقائديـة التـي لا يجوز الخلاف حولها بأي حال، فالكثير من الثوابت العقائدية لدى الشـيعة غريبة على الإسلام الصحيح الذي أعلن ا كماله وتمامه دون أي إشارة إليها ، مثل ما زعموه لأئمتهم من العصمة والوصاية والغيبة والرجعة وما أضفوه عليهم من قدسات ترفعهم فوق مقام الأنبياء، وما أعطـوهم مـن صلاحيات لا تكون لغير ا ولا يقول بها إلا مشرك، وما رموا ا بـه من باطل أسموه البداء، وغير ذلك من مفتريات كما سبق بيانه. واختلفـت طوائف الشيعة فيما بينها على أمور عقائدية أخرى مثل القول بتحريـف القرآن وغيبة الإمام المنتظر ورجعته، إذ يعتقدها البعض وينكرها البعض الآخر، فالشيعة الاثنا عشرية " المذهب الجعفري" ينفردون بالقول بولادة

وغيبة ورجعة الإمام المنتظر محمد بن الحسن العسكري الإمام الثـاني عشر، وهم وحدهم يجيزون الزنا باسم زواج المتعة.

وهنالك أمور هامة يجب تسويتها قبل الشروع فـي أي محـاولات لتقريب السنة والشيعة تقريبهما من الإسلام الحنيف كما جاء في القرآن والسنة، وليس للتقريب بين السنة والشيعة ، إذ يجب علي القوم تحديـد موقفهم مما يصفونه بمصحف فاطمة، أو مصحف علي أو أي مصحف آخر يزعمون أنه المصحف الحقيقي المخفي مع إمامهم المنتظـر.كـذلك يتوجب عليهم الاتفاق على ما يجب اعتباره السـنة النبويـة المقبولـة ، فالشيعة لا يقبلون من السنة إلا ما كان عن أهل البيت؛ ولا يقبلون ما روي عن الصحابة وهو معظم السنة المقبولة لدى أهل السـنة . والأحاديـث النبوية المعتبرة لدى أهل السنة تم انتخابها وتمحيصها والقطـع بصـحة الصحيح منها واستبعاد الموضوع منها وفقا لمعـايير دقيقـة وصـارمة بحسب "علم مصطلح الحديث" الذي أخذ به أهل السـنة منـذ زمـن الصحابة، وذلك خلافا لما عليه الحال بالنسبة للأحاديث المنسوبة إلـى آل البيت. والسنة التشريعية عند أهل السنة هي كل ما ثبت –قولا أو فعلا - عن النبي الكريم، في حين أنها تتسع عند الشيعة لتشمل أقـوال وأفعـال أئمتهم إذ يرونهم معصومين ويوحى إليهم ولديهم العلوم الإلهية.

ونختلف مع من يقول بوجوب إبعاد الأمر برمته عن موضـوع الكفـر

والإيمان، وإحلال "المعايشة " مكان التقريب وإقامة هذه المعايشة علــى أساس المواطنة لا الملة والدين. ومنهم من يرى البعد عن اعتبار الاعتقاد أساسا للاجتماع على مستوى الدولة، واعتبار الاجتماع الإسلامي اجتماع أمة لا اجتماع ملة . وهنا خلط ظالم : فاحتواء المجتمع الإسلامي لغيــر المسلمين وتمتعهم في ظله بحقوقهم كاملة أمر يشهد به العدو قبل النصير، والأمر مختلف فالمساواة في الحقوق بين هؤلاء " المواطنين" لا تعنــي التساوي بين أديانهم، والقول بالتوفيق بين الأديان، أو عالميــة الأديــان والمساواة بين الملل فمحض هراء ، فالملح لا يتحول إلى سكر بمجــرد الكتابة على بطاقة علبته أنه سكر. ودعوة تقريب السنة من الشيعة بدعــة خطيرة يراد بها إعطاء الكفر والضلال والإلحاد صفة الشرعية واســم الإسلام . وكيف يكون التقريب بين فريقين يصرح أحدهما بأنه لا يــؤمن برب ونبي الفريق الآخر؟

وتجد من ينصح بضرورة الانصراف إلى مقاومة أعداء الوطن أولا بدلا من الانزلاق إلى الخلافات مع من يشهدون أن لا إلــه إلا ا وأن محمدا رسول ا . ومثل هذا نرد عليه بأن الشيعة –كما تقدم- لا يؤمنون بربنا ونبينا كما قال فقيههم نعمة ا الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية، والنبي الكريم حارب اليهود مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا ا ، ولم يشرع صلاح الدين في قتال الصليبيين وتحرير القدس إلا بعد أن فــرغ مــن

تقويض الدولة العبيدية الشيعية التي يسمونها الدولة الفاطميـة تمويهـا وخداعا . وقد يقول قائل: ومالك لا ترى ما يراه بعض مشايخنا من قبول الدعوة إلى التقارب مع الشيعة أأنت أكثر منهم علما؟ ونرد بأن الأمر أمر عقيدة من خالفها فهو ضال مهما قيل بعد ذلك من معـاذير، والحـق أحق أن يتبع، إنما يعرف الحق فيعرف رجاله. و من أطاع "العلمـاء" و الأمراء في تحريم الحلال أو تحليل الحرام فقد اتخذهم أرباباً من دون ا كما فعل اليهود و النصارى من قبل. يقول ا رب العزة فـي سـورة البقرة: {إِن الذِين يكْتُمون ما أَنزلَ اللّه مِن الْكِتَابِ ويشْتَرون بِهِ ثَمنًا قَلِـيلاً أُولَـئِك ما يأْكُلُون فِي بطُونِهِم إِلا النار ولاَ يكَلمهم اللّه يـوم الْقِيامـةِ ولاَ يزكِيهِم ولَهم عذَاب أَلِيم ١٧٤ أُولَـئِك الذِين اشْتَروا الضلاَلَةَ بِالْهـدى والْعذَاب بِالْمغْفِرةِ فَما أَصبرهم علَى النارِ ١٧٥ ذَلِك بِأَن اللّـه نَـزلَ الْكِتَاب بِالْحق وإِن الذِين اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بعِيدٍ " .

ولنستنكر المقولة الشهيرة: أن نتّفق على ما يجمعنا ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه ٤٣٢. فإذا عذرنا الشيعة فيما نختلف فيه معهم من سـب

٤٣٢- تأسست في القاهرة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» في ١٩٤٧م وقـد أصدرت جماعة التقريب مجلة باسم "رسالة الإسلام " صدر العـدد الأول منهـا سـنة ١٣٦٨هجرية ١٩٤٩م ، وتوقفت في شهر رمضان سنة١٣٩٢ هجرية أكتـوبر ١٩٧٢م بعدما صدر منها ستون عددا اهتمت فيها بأدب التقريب بين المذاهب، وكانـت الأهـداف

الصحابة مثلا، والاعتقاد بردتهم، فما القول فيما نقلوه إلينا مـن صـحيح الدين، وما القول في تكذيب الشيعة الذي أعلن بـراءة أمنـا عائشـة ويرمونها بالفاحشة، فيكذبون القرآن ومكذبه كافر. وإذا كان الشيعة يؤمنون بتحريف القرآن فلن يؤمنوا أبداً. ألم تسمع قول ا تعالى: {أَفَتَطْمَعون أَن يؤْمِنُوا لَكُم وقَد كَان فَرِيقٌ مِنْهم يسمعون كَلَام اللهِ ثُم يحرفُونَه مِن بعدِ مـا عقَلُوه وهم يعلَمون}. كيف يمكن العذر فيما نختلف فيه، مواطن الخلاف يا سادة في أمور العقيدة وكليات التصور الإسلامي .كيف نعذر من يقول بتأليه الأئمة إذ يعلمون الغيب، ويعرفون متى يموتـون، ويفعلـون مـا يشاءون، ويشاركون ا في إدارة وتصريف شؤون الكون،كيف نعـذر من يبيح الزنا ،كيف نعذر من لا يصلي الجمعة والجماعة. أمـا عـن القاعدة المشهورة للإمام الشّافعي في الاجتهاد والتي يقـول فيهـا:"رأيـي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"، إدراكاً منـه

المعلنة للدار بريئة ومغرية ، وظاهرها الحق وباطنها الباطل . وكان هدف الجماعة عـدم استغلال الفوارق المذهبية ، والاختلاف بين المسلمين في شـق صـفوفهم ، وإضـعافهم بالتناحر، كما كانت دعوتهم إلى التقريب بين المذاهب في قراءة المشتركات بينهم، وعـدم السعي إلى إلغاء بعضها على حساب بعض ، فهي بعبارة أخرى تسعى إلى إبقاء المسلمين كل على مذهبه ، وعدم جمعهم على مذهب واحد.

لإمكان تعدد الصواب وتقديراً للرأي المخالف، فهي صحيحة فقط في دائرة الظنّيات التي تحتمل الاجتهاد، ولا يصح اعتبارها في أمور العقيدة، فلا اجتهاد مع نص.

وإذا كان الشيعة لا يكفّرون الصحابة كما يزعم بعضهم تقية فلماذا لا يسمون أبناءهم بأسمائهم وأسماء أمهات المؤمنين؟ ولماذا يواصل الشيعة طباعة الكتب التي تحتوي على الطعن في الصحابة وتحريف القرآن؟

والشيعة يؤمنون باستباحة أموال ودماء أهل السنة:قيل لأبي عبد ا : " ما تقول في الناصب أي السني ؟ قال: حلال الدم ، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في بحر لكي لا يشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترى في ماله؟ قال: خذه ما قدرت "[٤٣٣]. ويكفر الشيعةُ أهل السنة، ويرون أن كفرهم أنكر وأغلظ من كفر اليهود والنصارى فكفرهم أصيل ولدوا عليه خلافا –في نظرهم – لأهل السنة فهم كفار مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع، ويسوق الشيعة هذا الهراء موجبا وتبريرا لتعاونهم مع اليهود والنصارى لاستئصال شأفة المسلمين، وهو الأمر الذي تشهد به صفحات التاريخ إذ تعاونوا مع النصارى زمن الحملات

٤٣٣- المحاسن النفسانية، ص١٦٦ ، رواه الصدوق في العلل مسنداً إلى داود بن فرقد

الصليبية، والتتار، وكل القوى الاستعمارية في العصر الحديث "[٤٣٤]. ففي ظل الدولة الشيعية الفاطمية استولى الصليبيون على فلسطين و بوجود الدولة الشيعية الصفوية في إيران وإشعالها الحروب مع الدولة العثمانية تم انحسار المد الإسلامي في أوروبا بعد اضطرارها إلى سحب جيوشها الفاتحة التي كانت على مشارف فيينا عاصمة النمسا بسبب هجوم إيران الرافضية عليها، وأدى ذلك في نهاية الأمر إلى إضعاف وسقوط العثمانيين .

إن البرهان على بطلان مكونات المعتقد الشيعي هو أنها مبتدعة في أزمان لاحقة لعصر النبوة الذي اكتمل فيه الدين وتمت العقيدة، وأنها مخالفة للإسلام الحنيف نقلا وعقلا. فابن سبأ هو أول من قال بالإمامة والوصاية ٤٣٥، وأول من قال بحصر الأئمة في عدد محدد هو: شيطان الطاق واسمه محمد بن علي الأحول٤٣٦. وأول من قال بعصمة الأئمة هو هشام بن الحكم ، و أول من قال بغيبة الإمام محمد بن

٤٣٤-وسائل الشيعة، للحر العاملي ٧-٤٢١ ، والكلام عن الفضيل بن يسار، التهذيب ٣٠٣/٧

٤٣٥-رجال الكشي/١٠٨-١٠٩ ، النوبختي في فرق الشيعة/٢٢ ، القمي في المقالات والفرق/٢٠

٤٣٦-رجال الكشي/١٨٦

الحسن العسكري هو عثمان بن سعيد العمري٤٣٧. وأول مـن قـال بولاية الفقيه هو علي بن عبد العال الكركي العاملي بـأمر مـن الشـاه الصفوي ٤٣٨، ولم تظهر بدعة أخذ خُمس أموال الشيعى وتسـليمها لنائب الإمام أو الفقهاء إلا بعد القرن الخامس ٤٣٩ ، وأول من تكلـم بالجفر هم الخطابية أتباع أبي الخطاب الأسدي ٤٤٠.

٤٣٧-الغيبة للطوسي/٢٥٨

٤٣٨-[الشيعة والتصحيح للموسوي/٩٦].

٤٣٩-الشيعة والتصحيح للموسوي/٦٦

٤٤٠- الإمام الصادق لأبي زهرة

الباب الثالث

التصوف والانحراف العقائدي والسلوكي

- الفصل الأول:كلام عن الصوفية
- الفصل الثاني: خلية الشيخ والمريد
- الفصل الثالث: الطرق الصوفية
- الفصل الرابع: الأذكار والأوراد
- الفصل الخامس: كرامات المشايخ
- الفصل السادس: الصوفية والجهاد

كلام عن الصوفية

نستهل بأقبح ما يستهل به حديث، بيت شعر من نظم الحلاج يقـول فيه:

كفرتُ بدين ا والكفر ولجب.. لدي وعند المسلمين قبيح وكان بهاء الدين نقشبند مؤسس الطريقة الصوفية النقشبندية يردد دائما هـذا الشعر معجبا[441].

وكان قد أنكر علي أحدهم انتقادي للصوفية والمتصوفين، ولما سـألته هل قرأ كتب الصوفية؟ أجاب بالنفي، فسألته: هل قرأ ما كتبه الآخـرون عن الصوفية؟ أجاب أيضا بالنفي، فتعجبت ممن يقطع برأي بشأن ما يجهله ولا يعلمه؟ وذلك هو عين الحال مع الكثيرين ممن يتصدون للدفاع عن الصوفية والمتصوفين دون علم أو كتاب مبين.

فبعد أن انشطر الكيان الشيعى من أمة الإسلام وبـات لـه دول ترعاه: القرامطة و الفاطميون والصفويون، تبـين صـعوبة تحويـل المسلمين جميعا إلى المعتقد الشيعي، فدبر أعـداء الإسـلام وابتـدعوا

٤٤١- الأنوار القدسية ١٣٤ الحدائق الوردية ١٣٤ مكتوبات السرهندي ٢٨٢

الصوفية ونوعوا مذاهبها وطرقها وشيوخها، وهي ربما اختلفت في أعين الغافلين، ولكن حقيقة الأمر أن التصوف ليس سوى الوجه الآخر للتشيع، بل يصح القول إن التصوف هو ابن التشيع، سواء في الغايات والمقاصـد أو في الأساليب والوسائل، وكلاهما فرع نبت من أصل واحد، وهذا مـا سنقيم عليه الدليل والبرهان في الصفحات التالية.

وأول من أسـس التصوف هم الشيعة، فالضلال الصـوفي هـو حركة تطويق المسلمين ممن هم على غير التشيع للمضي بهـم فـي طريق الانحراف عن الإسلام الحنيف، واليهود والفرس هم من كـانوا وراء هذا التدبير، فمعلوم أن الكثير من مشاهير الصوفية كانوا من أصول فارسية أمثال إبراهيم ابن أدهم ومعروف الكرخي، وشقيق البلخي، وحاتم الأصم، وسهل التستري وأبي يزيد البسطامي والحلاج والسـهروردي، وكان رواد الفكر الصوفي جميعهم بلا استثناء في القرن الثالث والرابـع الهجريين من الفرس ولم يكن فيهم عربي قط.

وكان أول ظهور مصطلح التصوف والصوفية في الكوفـة بسـبب قربها من بلاد فارس والتأثر بالفلسفة اليونانية بعد عصر ترجمة التـراث العلمي اليوناني إلى اللغة العربية في العصر العباسي الأول، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب. وأول من عـرف بالصـوفي هـو أبـو هاشـم الكوفي ت١٥٠ هجرية وينسب إلى الشيعة الأوائل ويسميه الشـيعة

مخترع الصوفية. و يذكر بعض المؤرخين أن عبدك "عبـد الكـريم " المتوفى سنة ٢١٠هجرية هو أول من تسمى بالصوفي، و كـان مـن طائفة نصف شيعية تسمي نفسها صوفية تأسست بالكوفة. بينمـا يـذكر الملطي[٤٤٢] أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقـة، وتجـدر ملاحظـة التداخل بين التشيع والتصوف والزندقة وهي علاقة يمكن رصدها بيسـر فى معتقدلتهم وسلوكياتهم على الدوام ، ولمن لا يصدق عليه بالنظر إلـى ما آل إليه حال المسلمين بفعل التشيع والتصوف، وإلى تكدير صفو منابع الإسلام الحنيف بفعلهما. "يتساءل المستشرق جولد تسيهر مندهشا - ونحن معه -: كيف لستطاعت نزعة النسك والتصوف هذه أن تصادف قبـولا ولستحسانا في مجتمع ديني شارف أوج عظمته، وبلغ أقصى ما يصـبو إليه من توسع وفتح؟ "[٤٤٣]. وركب الصوفية لاحقا موجة الزهد والتقشف ادعاء وزعموا الانتساب إلى طبقة الزهاد، فقد كان للتصوف أثره فـي جذب الناس إليه، و لتسع لشيوخ الصوفية مجال التسلط علـى أتبـاعهم ومريديهم، ولستغلالهم باسم الدين لستغلالا شيطانيا خبيثا لحالهم في أيدي شيوخهم شخوصا بلا إرادة كالأموات في يد الغاسل. ومن ينظـر إلـى الوسائل والغايات لدى الشيعة والصوفية يجد تطابقا مذهلا لا ينكره غيـر

٤٤٢- صاحب كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع

٤٤٣- جولد تسيهر- العقيدة والشريعة الإسلامية

الغافل. إنه مروق تام من الدين الحنيف الذي بلّغه الحبيب المصطفى عن رب العزة، ويسهل معاينة هذا المروق وهذه المغايرة بالنظر إلى المسلمين جميعا نظرة شاملة بكل طوائفهم ومللهم ونحلهم، لا بالنظر إلى ما أدين به أنا أو ما تدين به أنت وحسب، فشمول نظرة المعاينة وعموم الفحـص والانتقاد يظهران بيسر أن حجم المباينة والمفارقة هائل ضخم لا يمكـن تصديق أنه لم يحدث بفعل فاعل، وفاعل مريد يحدوه القصد. وكما للحق أقوام فللباطل أقوام، والبصائر الزائغة عن الحق أكثر من الثابتـة عليـه. فبينما يرى الشيعة أنهم ينتسبون إلى علي بن أبي طالب وينسـبون إليـه أسرار العلم الباطني، "يرى الصوفية أيضا - وهم في مجموعهم ينسبون أنفسهم إلى أهل السنة والجماعة- أن الإمام علي كـرم ا وجهـه رأس سندهم وقمة سلسلتهم وإليه نهاية الطريق. ووضعوا على لسانه آثارا وسننا كثيرة، ونسبوا إليه أسرار العلم الباطني" [٤٤٤].

وفي الوقت الذي ينسب فيه الشيعة كل معتقداتهم إلى أئمتهم المنسوبين إلى أهل البيت النبوي، ويزعمون أن معتقداتهم مسـتمدة مـن القـرآن والأحاديث النبوية خاصة ما نسبوا أسانيدها إلى علي بن أبـي طالـب، يمضي الصوفية بعيدا في زعمهم فيقولون إن آل البيت أنفسهم كانوا من الصوفية، إذ يزعمون أن "ممن نطقوا بعلوم الصـوفية وعبـروا عـن

٤٤٤- د. علي سامي النشار- نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي ج٢ ص٣٣

مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم قولا وفعلا بعـد الصـحابة رضوان ا عليهم: علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علـي الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق بعد علي والحسن والحسين رضى ا عنهم "[٤٤٥]. و زعم كل المحتالين ممن أسسوا الدول الشيعية: دولـة القرامطة والدولة الفاطمية والدولة الصفوية، زعموا الانتساب إلى آل البيت النبوي حتى أغروا الناس باتباعهم إذ ظنوا أنهم يجاهدون في سـبيل ا ، وبعد أن استتب الأمر إلى أصحاب هذه المزاعم، وبعد حيـازة العـرش وبيت المال انقلبوا فسقة فجرة. ولما كان ادعاء الانتساب إلى البيت النبوي يكسِب الأنصار والأعوان ، زعم جميع أصـحاب الطـرق الصـوفية وغيرهم -كلهم جميعا تقريبا- أنهم من سلالة البيت النبوي الشريف. ومن فاته هذا النسب زعم الانتساب إلى الصحابة مثلما يـزعم أصـحاب الطريقة النقشبندية أن شيخهم النقشبندي من سلالة سيدنا أبي بكر الصديق. ويسقط الصوفية عن أنفسهم التدبير، فلا خيار لهم، إذ يرون أن لا حـق لهم في الخيار فا يختار لهم. ولا يتدبرون أمرا من أمـورهم إذ تركـوا ذلك لإرادة ا . ويرون الاستسلام المطلق للأقـدار، فـالإرادة عنـدهم مكابرة. يقول الشعراني:" لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك

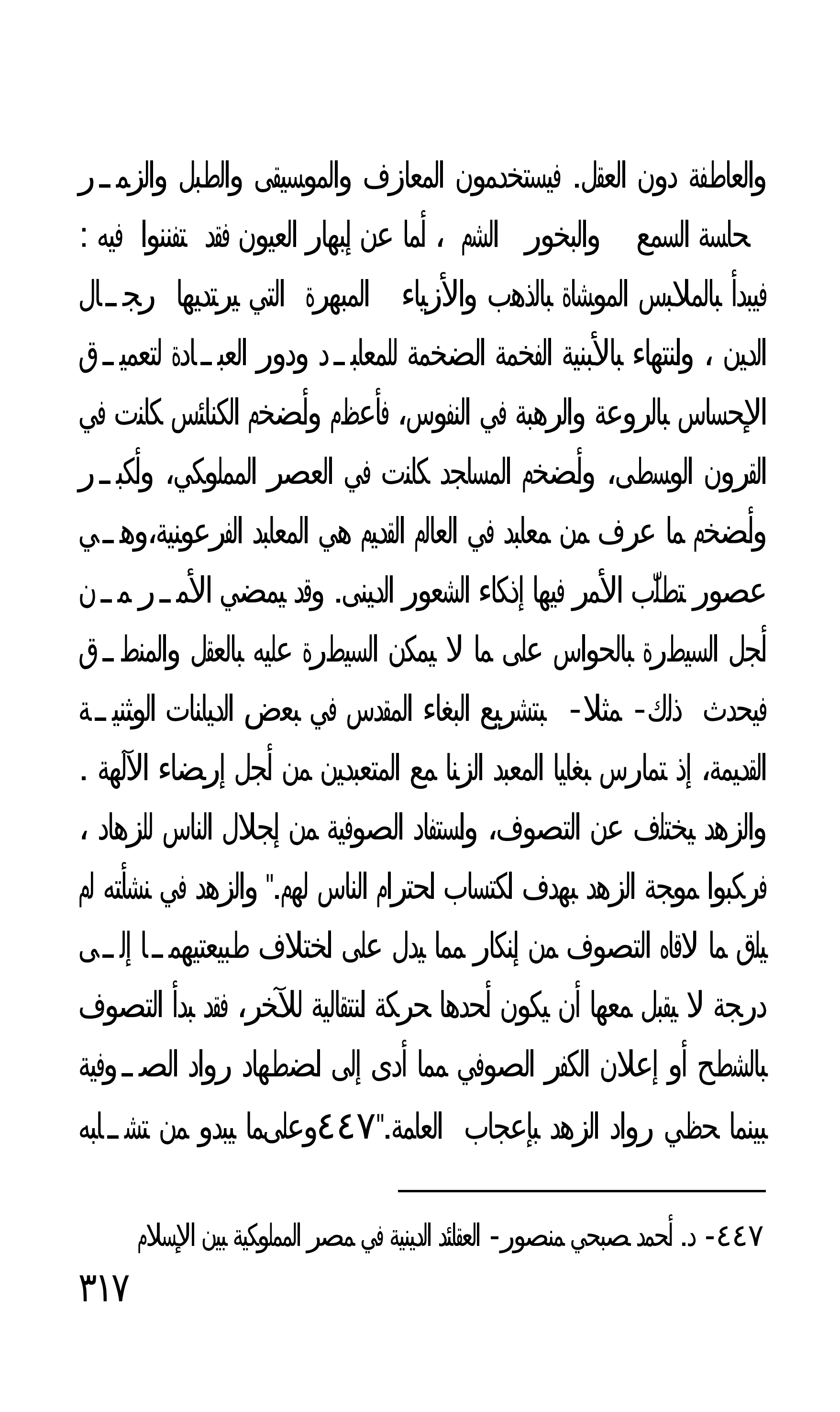
٤٤٥- محمد الكلاباذي أبو بكر- كتاب التعرف لمذاهب أهل التصوف

زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى مزابل الكــلاب "[446].
ويوم تخلى المسلمون عن الاختيار والإرادة أصبحوا كغثاء السيل يفعل بهم أعداؤهم ما يشاءون، وإذ لم يعضوا على إسلامهم الحنيف بضرس قاطع آل أمرهم إلى ما هم عليه الآن من هوان.

ويتوسل الصوفية بالعاطفة للتأثير في العامة، وهم يحذرون غير هــذه الوسائل، فليس لهم التوسل بالعقل والمنطــق وإلا قوضــوا أنفســهم بأنفسهم. لذا نرى الصوفية يلجأون إلى استثارة المشاعر باستخدام الغناء والموسيقى والرقص إلى غير ذلك مما يضعف حظ العقــل والمنطــق ويفسح المجال لتأجيج المشاعر وإلهاب العواطف. وللآن تجد التواشــيح والإنشاد الديني مكانا في مساجدنا، كما يمارس فيها الرقص" الــديني "! المسمى بحلقات الذكر والسماع . وقد أنكر ا على المشركين التصــفيق والصفير أثناء طوافهم بالبيت ، وهم لم يستخدموا فيه آلــة مثلمــا يفعــل الصوفية إذ ينقرون على الدفوف وينفخون في المزامير.

و استخدام الموسيقى في الشعائر الدينية أسلوب قديم عرفه البــدائيون ومارسه السحرة والمشعوذون للاستيلاء على مشاعر المتعبــدين، بــل وتُستخدم إلى الآن في دور العبادة للأديان المعاصرة. فبقدر ما يتم شغل وإبهار حواس الإنسان الخمس بقدر ما يمكن الســيطرة عليــه بــالوهم

٤٤٦- الشعراني – الطبقات الكبرى

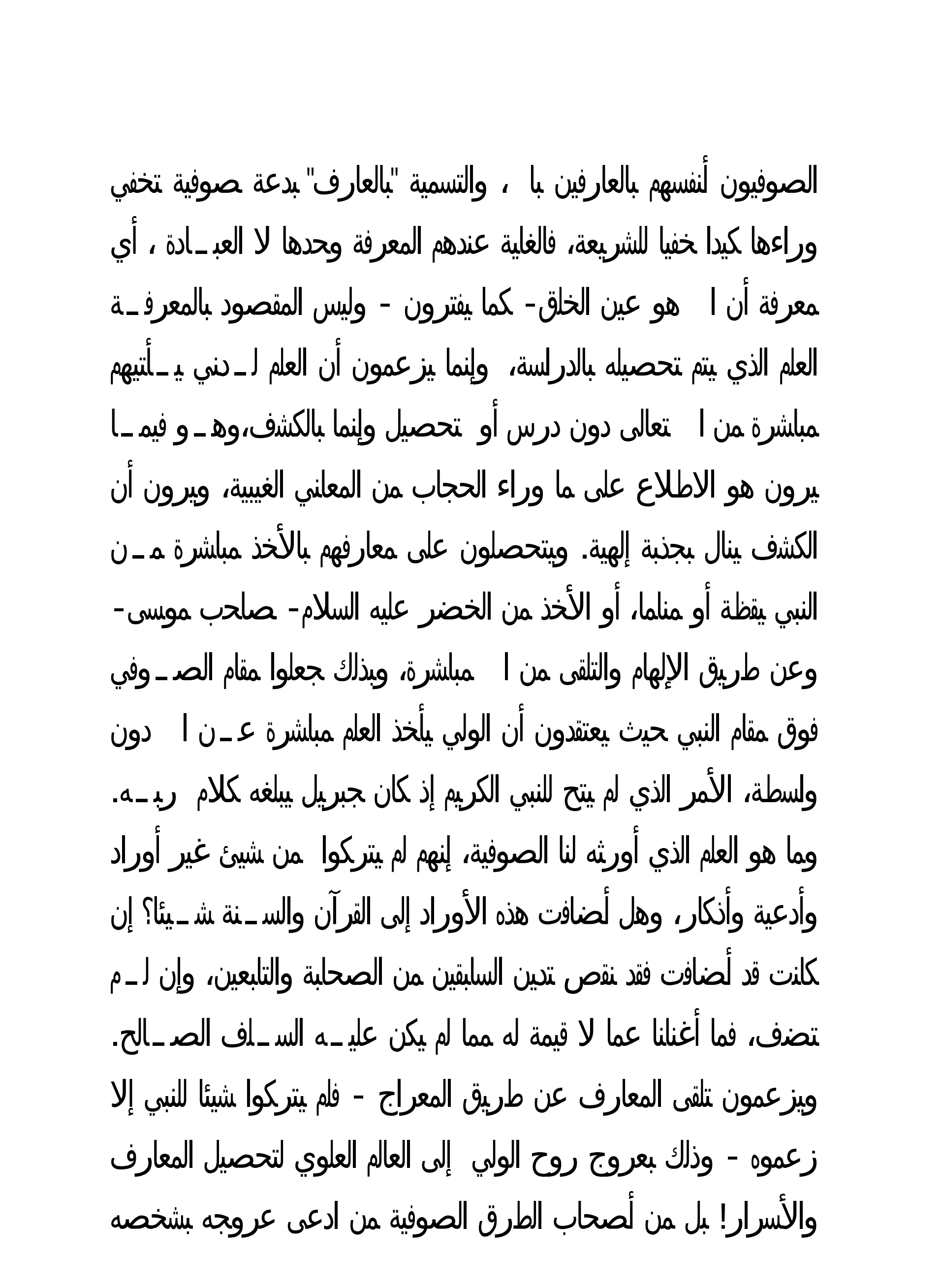

والعاطفة دون العقل. فيستخدمون المعازف والموسيقى والطبل والزمـر حاسة السمع والبخور الشم ، أما عن إبهار العيون فقد تفننوا فيه : فيبدأ بالملابس الموشاة بالذهب والأزياء المبهرة التي يرتديها رجـال الدين ، ولنتهاء بالأبنية الفخمة الضخمة للمعابـد ودور العبـادة لتعميـق الإحساس بالروعة والرهبة في النفوس، فأعظم وأضخم الكنائس كانت في القرون الوسطى، وأضخم المساجد كانت في العصر المملوكي، وأكبـر وأضخم ما عرف من معابد في العالم القديم هي المعابد الفرعونية،وهـي عصور تطلّب الأمر فيها إذكاء الشعور الدينى. وقد يمضي الأمـر مـن أجل السيطرة بالحواس على ما لا يمكن السيطرة عليه بالعقل والمنطـق فيحدث ذلك- مثلا- بتشريع البغاء المقدس في بعض الديانات الوثنيـة القديمة، إذ تمارس بغايا المعبد الزنا مع المتعبدين من أجل إرضاء الآلهة . والزهد يختلف عن التصوف، ولستفاد الصوفية من إجلال الناس للزهاد ، فركبوا موجة الزهد بهدف لكتساب لحترام الناس لهم." والزهد في نشأته لم يلق ما لاقاه التصوف من إنكار مما يدل على لختلاف طبيعتيهمـا إلـى درجة لا يقبل معها أن يكون أحدها حركة لنتقالية للآخر، فقد بدأ التصوف بالشطح أو إعلان الكفر الصوفي مما أدى إلى لضطهاد رواد الصـوفية بينما حظي رواد الزهد بإعجاب العامة."٤٤٧وعلىما يبدو من تشـابه

٤٤٧- د. أحمد صبحي منصور- العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام

ظاهري بين الزهد والتصوف إلا أن الخلاف جوهري بينهما، فالزهد بدعة سلوكية ما أنزل ا بها من سلطان، خلافا للصوفية وهـي بدعـة عقيدية تصطدم مباشرة مع الإسلام الحنيف. والزهد المبتدع الذي نعنيـه هنا هو تعذيب النفس بالزهد في الطعام، وتحريم تناول اللحـوم، وعـدم الزواج والسياحة في القفار والصحاري، إذ تغير مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني الهجري على نحو مصادم للدين ومغاير للسـنة النبوية وذلك على أيدي كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن ادهم، ومالك بـن دينار، وبشر الحافي، ورابعة العدوية . وتخاذل الفقهاء عن نصرة دين ا وآثروا السلامة أو الارتزاق ، فهاهو "حجة الإسلام " أبو حامـد الغزالي يقول في كتابه المفصح بالأحوال : إن الصوفية فـي يقظـتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصـواتا، ويقتبسـون منهم فوائد، ثم يترقى بهم الحال من مشاهدة الصور إلى درجات يضـيق عنها نطاق النطق" [448]. وانتشرت ظاهرة التصـوف الـذي ضـرب بجذوره في عقل الأمة كلها تقريبا، وأصبحت هذه الملـة معتقـدا بـديلا للإسلام الحنيف، حتى إن من دعا إلى العودة إلى الإسلام الحنيف قوبـل بحرب ضروس من المتصوفة والعوام على حـد سـواء. ويسـمي

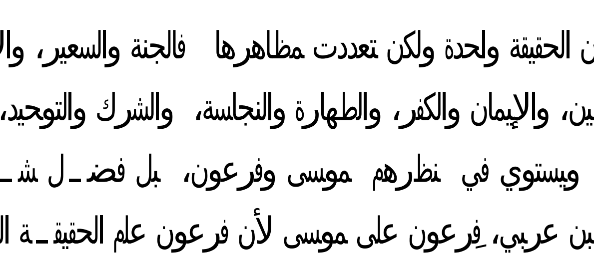
والتصوف ص٢٧

٤٤٨- المفصح بالأحوال ، ونقلا عن عبد الكريم الخطيب – التصوف والمتصوفة



الصوفيون أنفسهم بالعارفين با ، والتسمية "بالعارف" بدعة صوفية تخفي وراءها كيدا خفيا للشريعة، فالغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبـادة ، أي معرفة أن ا هو عين الخلق- كما يفترون - وليس المقصود بالمعرفـة العلم الذي يتم تحصيله بالدراسة، وإنما يزعمون أن العلم لـدني يـأتيهم مباشرة من ا تعالى دون درس أو تحصيل وإنما بالكشف،وهـو فيمـا يرون هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، ويرون أن الكشف ينال بجذبة إلهية. ويتحصلون على معارفهم بالأخذ مباشرة مـن النبي يقظة أو مناما، أو الأخذ من الخضر عليه السلام- صاحب موسى- وعن طريق الإلهام والتلقى من ا مباشرة، وبذلك جعلوا مقام الصـوفي فوق مقام النبي حيث يعتقدون أن الولي يأخذ العلم مباشرة عـن ا دون واسطة، الأمر الذي لم يتح للنبي الكريم إذ كان جبريل يبلغه كلام ربـه. وما هو العلم الذي أورثه لنا الصوفية، إنهم لم يتركوا من شيئ غير أوراد وأدعية وأذكار، وهل أضافت هذه الأوراد إلى القرآن والسـنة شـيئا؟ إن كانت قد أضافت فقد نقص تدين السابقين من الصحابة والتابعين، وإن لـم تضف، فما أغنانا عما لا قيمة له مما لم يكن عليـه السـلف الصـالح. ويزعمون تلقى المعارف عن طريق المعراج - فلم يتركوا شيئا للنبي إلا زعموه - وذلك بعروج روح الولي إلى العالم العلوي لتحصيل المعارف والأسرار! بل من أصحاب الطرق الصوفية من ادعى عروجه بشخصه

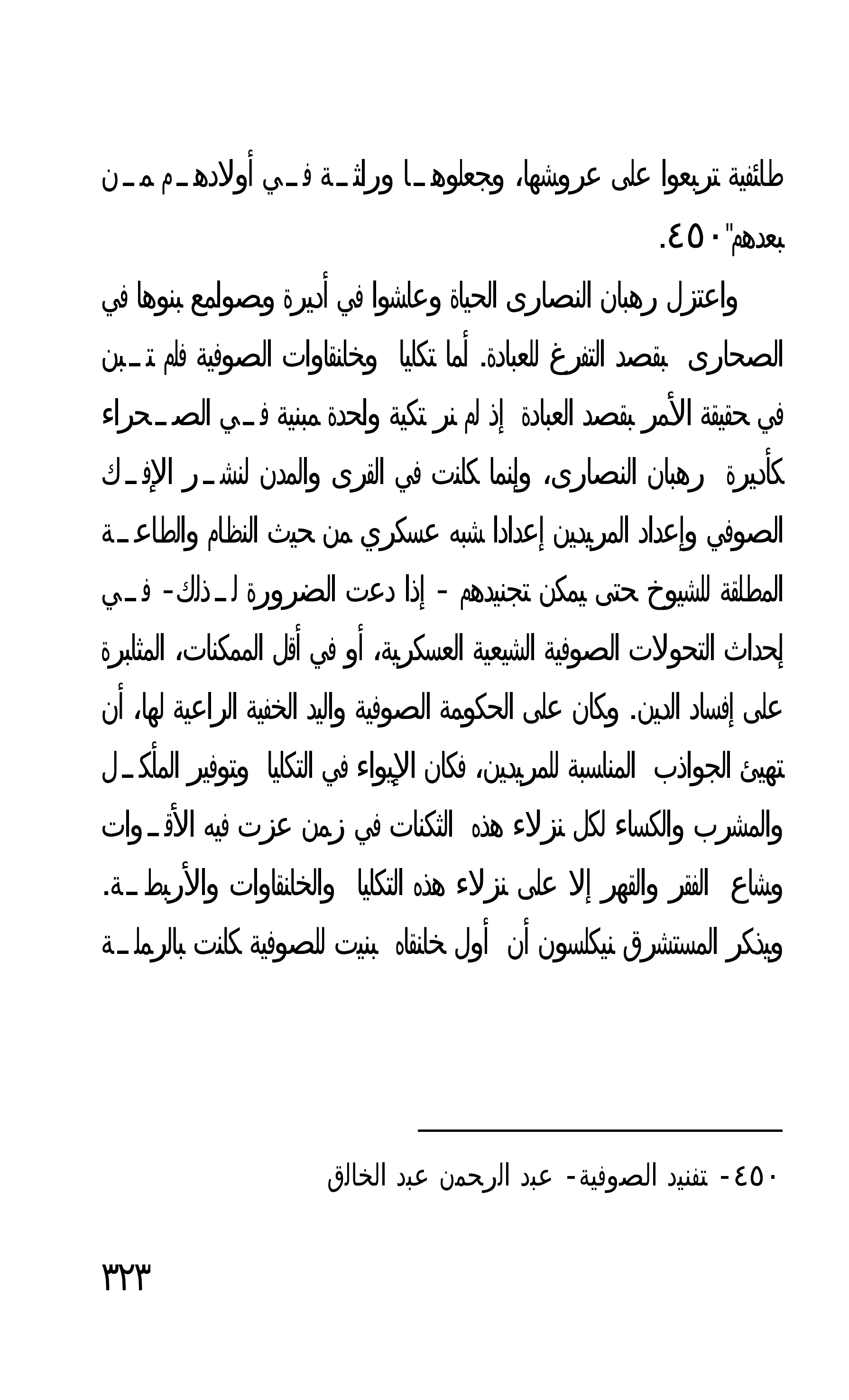
لا بروحه فقط ، مثل: التيجاني وعبد الكريم الجيلي ولم يغادروا للباطل غاية إلا قصدوها، وقد فتقوا ما رتقه الدين ووضعوا ما رفعه. وانتشـر التصوف في معظم العالم الإسلامي، و نشأت فرقهم في مصر والعراق وشمال غرب أفريقيا وفي غرب ووسط وشرق آسيا وبعض البلاد فـي أوروبا كالبوسنة. وتهتم مراكز الاستشراق والمؤسسات الأكاديمية فـي الجامعات الغربية والشرقية بالتصوف وهو اهتمام يدعو إلى الريبة، فمـا قصدوا به إلا بيان الجانب السلبي من ممارسات المسلمين حتى يتمكنوا من نسبة هذه الممارسات المنحرفة إلى عقيدة الإسلام نفسها. وفي الإسلام لا تثبت عقيدة إلا بالقرآن والسنة، ولكن للمتصوفة وسائلهم الخاصة لإثبـات عقائدهم كما أسلفنا. وهم يفسرون القرآن تفسيرا باطنيا لووا فيه معانيـه ، ويزعمون أن لكل حرف في القرآن معنى لا يطلع عليـه إلا الصـوفي المتبحر المكشوف عن قلبه. غير أن بعض الحمق أهون من بعض، إذ يعتقد المتصوفة في الله عقائد شتى منها "الحلول" الذي يعني أن الله يحـل في مخلوقاته فيعلم الصوفي الغيب كما يعلمه الله سبحانه. ومنها "الاتحـاد" بمعنى اتحاد الصوفي بالله حتى يصل الفرد منهم في زعمهم إلى مقـام الألوهية، وانتهى بهم الأمر إلى القول "بوحدة الوجود" التي تعني نفى الثنائية بين الله وخلقه وأنه ليس هناك موجود إلا الله فليس غيره في الكون، وما هذه المخلوقات - حتى أحقرها - سوى الله ، تعالى الله عما يصفون. وهم



يرون أن الحقيقة واحدة ولكن تعددت مظاهرها فالجنة والسعير، والأنبياء والشياطين، والإيمان والكفر، والطهارة والنجاسة، والشرك والتوحيد، ذات واحدة . ويستوي في نظرهم موسى وفرعون، بل فضل شيخهم الأكبر ابن عربي، فرعون على موسى لأن فرعون علم الحقيقة التي يدعيها الصوفية —حيث قال أنا ربكم الأعلى . والصوفية يعتقدون أن طلب الجنة أو الفرار من النار منقصة تشين الصوفي، والغاية عندهم هو الفناء في ا ، والاطلاع على الغيب، والزعم باكتساب "صلاحيات "إلهية يشاركون بها في إدارة شؤون الكون والخلق. "يتحدث الشعراني عن أحد الأولياء إذا شاوره إنسان في شيء، قال: أمهلني حتى أسأل جبريل، ثم يقول له بعد ساعة: افعل أو لا تفعل حسب ما يقول له جبريل بزعمه! وعن ولي آخر يدعي أن ا لا يحدث شيئا في العالم إلا بعد أن يعلمه بذلك على سبيل الاستئذان! وولي آخر من المجاذيب تتبعه جماعة من الصبيان يضحكون عليه فقال: ياعزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة، فأصبحوا موتى أجمعين! ومن قصصهم المستغربة أن وليا من أوليائهم كان يختم القرآن ٣٦٠ ألف ختمة في اليوم والليلة! ويزعمون كرامات تتعلق بحياتهم الخاصة فيتحدثون عن ولي مكث أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب، وآخر ينام سبع عشرة سنة! وآخر يقول لعصاه التي يتوكأ عليها: كوني إنسانا، فتكون إنسانا فيرسلها تقضي له

الحوائج ثم تعود كما كانت! وأن أحد أوليائهم أمر الشمس بالوقوف فوقفت، حتى قطع المرحلة الباقية من سفره، ثم أمرها بالغروب فغربت واظلم الليل في الحال "[٤٤٩]! وأي امرئ في الناس أحمق ممن يقول مثل ذلك أو يصدقه! وإن حاولت إفهام العوام مدى ما في هذا القول من استحالة ومغايرة لطبيعة الأشياء يكون نصحك لهم كالماء في أصول الحنظل، كلما ازداد ريا زاد مرارة. و يستدل الصوفية على وجود باطن يغاير الظاهر، بقصة الخضر عليه السلام التي وردت في القرآن في سورة الكهف، وجعلوا الخضر مصدرا للإلهام والتشريع، ونسبوا إليه الكثير من علومهم ،ومعظمهم زعم مقابلته والتلقي عنه. "و تحول الزنادقة من الأعاجم والملاحدة فدخلوا في التصوف، وانتسبوا زوراً إلى أهل بيت النبوة وادعوا الكرامات والكشوف والعلوم الإلهية اللدنية التي تتنزل عليهم، ومن ثم سخروا الناس لخدمتهم بل وعبادتهم من دون الله أحياء وأمواتاً، فحملت لهم الهبات والهدايا من كل حدب وصوب، وقدسهم الناس وعظموهم تعظيماً لم تعرفه الملوك ولا أبناء الملوك من الجبابرة المفسدين واستطاع هؤلاء الزنادقة المتسترون أن يقيموا إقطاعات دينية، وممالك

٤٤٩- صور من الصوفية- أبو العزايم جاد الكريم بكير



طائفية تربعوا على عروشها، وجعلوهـا وراثـة فـي أولادهـم مـن بعدهم" ٤٥٠.

واعتزل رهبان النصارى الحياة وعاشوا في أديرة وصوامع بنوها في الصحارى بقصد التفرغ للعبادة. أما تكايا وخانقاوات الصوفية فلم تـبن في حقيقة الأمر بقصد العبادة إذ لم نر تكية واحدة مبنية فـي الصـحراء كأديرة رهبان النصارى، وإنما كانت في القرى والمدن لنشـر الإفـك الصوفي وإعداد المريدين إعدادا شبه عسكري من حيث النظام والطاعـة المطلقة للشيوخ حتى يمكن تجنيدهم - إذا دعت الضرورة لـذلك- فـي إحداث التحولات الصوفية الشيعية العسكرية، أو في أقل الممكنات، المثابرة على إفساد الدين. وكان على الحكومة الصوفية واليد الخفية الراعية لها، أن تهيئ الجواذب المناسبة للمريدين، فكان الإيواء في التكايا وتوفير المأكـل والمشرب والكساء لكل نزلاء هذه الثكنات في زمن عزت فيه الأقـوات وشاع الفقر والقهر إلا على نزلاء هذه التكايا والخانقاوات والأربطـة. ويذكر المستشرق نيكلسون أن أول خانقاه بنيت للصوفية كانت بالرملـة

٤٥٠- تفنيد الصوفية- عبد الرحمن عبد الخالق

بفلسطين وأن الذي أنشأها كان أميرا مسيحيا ٤٥١ !! ونقصد بالحكومة الصوفية كل جهة ترعى أو تؤيد أو تمول أنشطة الصوفية، ومنها جهات ومؤسسات أجنبية دينية ومدنية - قديمة ومعاصرة - ومراكـز علميـة وجامعات وأساتذة كبار ومشايخ في المؤسسات الدينية الرسـمية، وكلهـا تروج للأفكار الصوفية تحت ستار الدين والعلم، فكم نسمع عن دراسـات تمولها جهات علمية ودينية أجنبية معاصرة حول التصوف أو التشـيع، بل وتجند المستشرقين لدراسة أشعار ابن الفارض أو للدفاع عن أباطيـل الحلاج وضلال ابن عربي. واستكملت الحركة الصوفية بنيتها العقائديـة في أواخر القرن الثالث، أي بعد مرور مئة وخمسين سنة تقريبـاً علـى نشأتها، ودان بها معظم العوام وجمهور المسلمين- إلا قلـيلا- وغـرق المسلمون في عصور الظلام والجهالة، ولم يفيقوا حتى بعد أن دق الغزو الأوروبي أبواب بلادهم ، " ولم يجد علماء المسلمين ما يجـابهون بـه الفاتحين من الفرنسيين إلا أن يقرؤوا كتاب البخاري!! وكان ذلـك فـي القاهرة وفي الأزهر، ثم اصطحبوا نابليون وألبسـوه جبـة المشـيخة، وأدخلوه في حلقة من حلقات الذكر!!" [٤٥٢]. ويعتقد عامـة الصـوفية أن

٤٥١- د. عبد ا عبد الرازق إبراهيم – أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية

٤٥٢- عبد الرحمن عبد الخالق –تفنيد الصوفية

إبليس هو أفضل الموحدين وأكمل العباد وأفضل الخلق لأنه لم يسجد إلا بزعمهم وأن ا قد غفر له ذنوبه وأدخله الجنة، وكذلك فرعون عندهم أفضل الموحدين لأنه قال {أنا ربكم الأعلى} فعـرف الحقيقـة لأن كـل موجود هو ا . بل ويذكر عبد الكريم الجيلي- قبحـه ا - فـي كتابـه الإنسان الكامل " أن إبليس مخلوق من نفس محمـد صـلى ا عليـه وسلم٤٥٣. ولا يهم في التصوف أن تخالف الشريعةُ الصوفية ظـاهر الشريعة الإسلامية، فالحشيش والخمر واختلاط النساء بالرجـال فـي الموالد وحلقات الذكر كل ذلك لا يهم لأن للولي شريعته تلقاهـا مـن ا مباشرة فلا يهم مخالفتها لما شرعه النبي محمد فشريعته للعوام وشـريعة الصوفي للخواص. وأهل وحدة الوجود في الصوفية لا شـيء يحـرم عندهم ، فكان منهم الزناة واللوطية ومن يأتون الحمير . ومنهم من اعتقد أن ا قد أسقط عنه التكاليف وأحل له كل ما حرم على غيره. ويفـاخر أبو يزيد البسطامي علماء الشريعة بقوله: " أخذتم علمكم ميتاً عن ميـت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربـي، وأنـتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قـالوا: مات٤٥٤. ويقول الجنيد: "أُحب للمبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الـثلاث،

٤٥٣- محمود المراكبي- عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

٤٥٤- الفتوحات المكية ج١-ص٣٦٥

وإلا تغيرت حاله: التكسب وطلب الحديث والتزوج، وأحب للصـوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه" [٤٥٥].

وللمتصوفة حكمهم الخاص على إسناد الحديث، فعن طريق الكشـف يتصلون رأساً بالنبي ويصححون الحديث أو يضعفونه، وبهـذا ينسـفون علم الحديث من القواعد فتنهدم السنة . ولم يكتف المتصوفة بالنهي عـن العلم، بل جعلوا العلم عورة يجب أن تستر وتغطى، حتى إن شيخاً يـرى مريداً له وقد سقطت منه محبرة، فيقول له: لخف سوءتك ٤٥٦."و هذا عبد الكريم الجيلي يكتب كتاب الإنسان الكامل زاعماً أنه أخذه من ا ، وأن ا أمره بإخراجه للناس وأن كل ما فيه مؤيد بالكتـاب والسـنة، فيقول : ".. ثم ألتمس من الناظر في هذا الكتاب بعد أن أعلمه أنـي مـا وضعت شيئاً في هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب ا أو سنة رسـوله ، فإذا لاح له شيء في كلامي بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أن ذلـك مـن حيث مفهومه لا من حيث مرادي الذي وضعت الكلام لأجله فليتوقـف عن العمل به مع التسليم إلى أن يفتح ا تعالى عليه بمعرفته، ويحصل له شاهد ذلك من كتاب ا تعالى أو سنة نبيه" ٤٥٧. ويؤكد في كتابه أن

٤٥٥- قوت القلوب:١٣٥/٣

٤٥٦- عن تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٣٧٠

٤٥٧- نقلا عن تفنيد الصوفية

كل معبود في الأرض ما هو إلا الله ،وأنه ليس في الوجود إلا الله ، فهو الرب والعبد، والشيطان والملاك.

وبـدأ طور آخر من أطوار التصوف فـي القـرن الرابـع الهجـري وكان رائده الحسيـن بن منصـور الحـلاج[458]، وكـان محتالاً مشعوذاً وملما ببعض حيل علم الكيمياء ، وكان من خداعه أنـه يدفن في الطرقات أواني فيها ماء وأخرى فيها طعام فإذا طلب أحد أتباعه ماء قال له أحفر هاهنا وإذا طلب طعاماً قال أحفـر هاهنا.

وقد ظهر المتصوفة المجاذيب في القرنين التاسع والعاشر الهجـريين وفيهم من كان يتظاهر بالعته والجنون إخفاء لأهداف دينية وسياسـية، أو لكي يتسنى له الهرب من الشرطة والمراقبين. ومنهم سقيم العقل مريض النفس، وهؤلاء يلقون التكريم والتقديس من عوام المسـلمين ظنـا أنهـم مقربون إلى الله ومستجابو الدعاء. وتأثر التصوف من النصرانية بفكـرة التأمل والفناء، ومن ذلك ما ذهب إليه القديس "برنار" حيث يرى أن الحياة المسيحية الصوفية تنحصر في اتباع طريق النجاة، وهو في نظـره قيـام

١- هو الحسين بن منصور الحلاج الفارسي ولد بفارس سـنة ٢٤٤هـ ، جـده زارادشتي ، صوفـي متكلم وله اتصال بالقرامطة له شطحات كثيرة ، وأقوال سقيمـة منهـا قوله "مـا فـي الجبة إلا الله" "وأنا الحق" ولا يؤمن بفريضة الحج وكـان يكتنفه كثير من الغموض وقد قتل مصلوباً بفتوى من علماء عصره سنة ٣٠٩هـ .

العابد الزاهد بالبحث والتأمل في نفسه و العالم والإله ، ويبـدأ بالشـهود وهو الإدراك اليقيني البعيد عن أي ريب في الحقيقة، وأخيراً ينتهي إلـى الغيبوبة التي تكون الروح فيها شاغرة بنفسها فتسمو إلى مرتبة الاسـتمتاع بالصلة الإلهية، ولعل ذلك الإحساس أصل فكرة الفناء، وهم فـي ذلـك كأتباع الطائفة " المهاريشية "[٤٥٩] الذين يصلون إلى ذلـك عـن طريـق التأمل التجاوزي الذي يمكنهم - كما يعتقـدون - مـن إدراك غيـر محدود، فالتأملات التجاوزية تتحقق بالاسترخاء وممارسة التأمل العميـق حتى يشعر الإنسان بفيض من الراحة تنساب داخله، ويصـاحب تلـك الحالة تلقي الإلهامات والحلول لجميع المشكلات التي تعترض طريقـه، ويحقق بذلك السعادة المنشودة. وكما في الديانات الهنديـة يعتقـدون أن جميع أشكال الحياة تنبثق من ذات واحدة وهي فكرة وحدة الوجـود كما يشابهون صوفيتنا في ارتداء المرقعات ولباس الخرقة واسـتعمال السبح الطويلة ، فالباطل بعضه من بعض. ومما ينكر علـى الصـوفية الاستغاثة بغير الله تعالى، فهم والعوام يدعون المشايخ والمقبورين عنـد

٤٥٩- "المهاريشية" نحلة هندوسية انتشرت في أمريكا وأوروبا ولأتباعها ممارسات وطقوس كهنوتية من التأمل التصاعدي التجاوزي بغية تحقيق السعادة الروحية، ولها صلة بالماسونية والصهيونية

لشتداد الكروب فيقولون: يا عدوي، ويا عبد القادر، ويا بـدوي ٤٦٠ .
والغلو يفضي إلي غلو، فطلبوا من المشايخ الجنة والمغفرة ، حتى زعم أحدهم أن شيخه يجلس عند النار فلا يدع أحداً لستغاثه يدخلها. وممن وقع في ذلك البوصيري ٤٦١حيث قال: يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم، وا يقول:" ومن أضل مِمن يدعو مِـن دون اللهِ من لاَ يستَجِيب لَه إِلَى يومِ الْقِيامةِ .

ويعمد أعلام الصوفية ومشايخها إلى لستخدام لغة غير مفهومة وألفاظ مضخّمة حتى يتوهم الأميون ولشباه المتعلمين من لتباعهم لنها علوم مركبة فوق أفهامهم ويقبلونها دون شك أو لستفسار ثقة منهم في مشـايخهم، أو سترا لجهلهم، أو ادعاء للمعرفة وسعة العلم. وهم يسـتخدمون الألفـاظ

٤٦٠- تذيع إذاعاتنا ترلتيل دينية ، و" يتغنى" في مساجدنا بتولشيح دينية فيها طلب المدد من النبي ولبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، ومنها ما يصرح بأن النبي هو أول خلق ا ، وغير ذلك مما فيه مخالفة صريحة لصحيح الدين .

٢ - هو محمد بن سعيد البوصيري المصري . والبوصيري نسبة إلى " أبو صير " من أعمال بني سويف بمصر ، ولمه منها ، ولصله من المغرب ، وتوفى بالإسكندرية. عاش بين علمي ٦٠٨– ٦٩٦هـ ، ١٢١٢– ١٢٩٦م . له ديوان شعر ولشهر لشـعاره البردة . وسميت البردة بهذا الاسم –كما زعموا - لأن البوصيري لصيب بشلل نصفي ، فأنشدها فرأى الرسول صلى ا عليه وسلم في المنام فألقى عليه بردته فبرئ

المبهمة في أذكارهم وكتبهم. اسمع قولهم "المُقنع" في إثبات إمكان حـدوث الكرامات والمعجزات للمحتالين منهم ،يقولون:" المستحيل هو الذي لو قدر وجوده لزم منه محال عقله ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقله وباطل أن يكون جريان الكرامات علي الأولياء وجوبا "٤٦٢. ومن هذه الغوامض والمبهمات ما يكون بقصد استرهاب المغفلـين مـن الأتبـاع بصياغة الكلام في شكل له جرس يحاكي جرس القرآن . اسمع قولهم في الحزب الكبير لإبراهيم الدسوقى:" ألم فلووا عما نووا، فعموا وصموا عما نووا، فوقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا، أفحسبتم أنما خلقناكم عبثـا وأنكم إلينا لا، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا، يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا مـن أقطـار السـماوات والأرض فانفذوا لا، لا آلا إلا آلاؤك يا ا ......، ويقولون: كدكـد كردد كرده ده ده ، ا رب العزة....، ويقولـون: طهـور، بدعق، محببه، صوره، محببه، سقاطيم، أحون، ق، أدم، حم، هاء، أمين " ٤٦٣. ولا توجد أخطاء طباعية فيما كتبناه. وهو كلام لا تعرف له فائدة فهو فاسد المعنى مستحيل الفحوى، ولا يعول منه على نتيجة. تلك هـي أذكارهم التي شرعها لهم أربابهم من دون ا . وكفى بالمرء جهـلا أن

٤٦٢- ابن عطاء ا السكندري- لطائف المنن

٤٦٣- د. عامر النجار- الطرق الصوفية في مصر- طبعة دار المعارف

يتوهم أن هذا هو الإسلام الحنيف، فشتان بين العذب والأجاج، بين النور والظلام.

ولا يقتصر خطر التصوف على أنه انحراف عقائدي وسـلوكي، وإنما في تصويره الإسلام في صورة شوهاء تصرف الناس عنه. فمن يجهل الإسلام يعتقد أنه لا يختلف عن العقائد الوثنيـة التـي يعتنقهـا المتوحشون في أحراش أفريقيا. وغيب التصوف بساطة الإسلام الحنيف تحت حواجز كثيفة من التخريف والتحريف. والوثنية التي جاء الإسـلام لتقويضها كانت وثنية ساذجة بسيطة انحصرت في تمثال من حجر أو من عجوة يعبده الأعرابي الساذج الذي إن سألته مـن خلـق السـماوات والأرض، يجيبك من فوره: إنه ا . ولكن الصوفية دفعت بالإسلام تجاه وثنية مركبة تصور ا في كل الموجودات من الحجر والشجر والنـاس وذلك هو قولهم في وحدة الوجود. وينسبون إلى مشايخهم صـلاحيات إلهية ما قال بها وثنيو الجاهلية الغابرة. ووسعت الصوفية دائرة الشـرك حتى وسِعت تقديس القبور والمقبورين والأضرحة وطلب المدد والغوث من الرمم المدفونة بها، ووسعت عبادة المشايخ والأولياء ، ألم يشرعوا لهم ملة جديدة؟ وزعموا لأنفسهم فوق مقام النبوة، ألم يدعوا علـم الغيـب إذ ورثوا مفاتيحه من النبي، في حين أنه صلى ا عليه وسلم لم يكن يعلم ما يفعل به غدا . وا يقرر في كتابه الكريم أنه وحده عالم الغيب، ولكـن

الصوفية يكذّبون . ومصدر عقيدة المسلم هو القرآن والسنة ولكن الصوفية يستمدون ملتهم من الكشف والفيض أي ما يكشف لمشايخهم من مكنـون العلم وما يفيض على قلوب أوليائهم من الحقائق العلوية، وما وافقهم مـن القرآن والسنة أخذوه وما خالفهم طرحـوه وراء ظهـورهم أو أولـوه وحرفوا معانيه.

ويتراوح اعتقاد الصوفية في الرسول صلى ا عليه وسلم بين محقر له إذ يجهل علوم التصوف: قال البسطامي: "خضنا بحـرا وقـف الأنبياء بساحله"، وبين من يغالى في تعظيمه - أي الرسول- حتى يرفعه إلى مقام الألوهية فيعتقد بعضهم أنه هو ا المستوي على العـرش وأن السماوات والأرض بما ومن فيهن خلقت من نوره وأنه أول موجود وهو المستوي على عرش ا وهذه عقيدة لبن عربي٤٦٤ ومن جاء بعـده.

٤٦٤- ابن عربي :هو محي الدين بن محمد بن على الطائي ، الحاتمي ، صوفي ومتكلم وفقيه وأديب ومفسر ، ولد بالأندلس سنة ٥٦٠هـ كان يلقب بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، له أراء سقيمة أنكرها عليه كثير من أهل عصره واتهموه بالزندقـة وعمل بعضهم على قتله خاصة في مصر، وحرم الشيخ جلال الدين السيوطي النظر في كتبه ، له مؤلفات كثيرة منها الفتوحات المكية، وفصوص الحِكَم ، ويبني ابن عربي على وحدة الوجود وحدة الأديان ،وغير فكرة التوحيد بقوله لـيس فـي الوجود على الحقيقة إلا ا ولا معبود في الواقع إلا ا وقد قـال عـن

وقارن بين هذا الخلط والتجديف وبين قول الحبيب المصـطفى عليـه الصلاة السلام عندما قال له أحدهم " ما شاء ا وشئت "، فقال: أجعلتنى عدلاً نداً ؟ بل ما شاء ا وحده. والحقيقة المحمديـة فـي زعـم الصوفية هي أن النبي هو أول شيء خلقه ا ٤٦٥ ، ثم خلق منه الكون. والنبوة فضل يؤتيه ا من يشاء من عباده، ولكن الصوفية يزعمـون أن النبوة نتيجة لممارسة الرياضة الإشراقية والمجاهدات النفسية، حتى قـال الصوفي الشهير " ابن سبعين " ٤٦٦:" لقد ضيق ابن آمنة – يقصد النبي صلى ا عليه وسلم - واسعاً عندما قال: لا نبي بعدي". و الـولي عنـد الصوفية هو من غُيبت خصائصه البشرية وأُعطي بدلا منهـا قـدرات

نفسه كيف يحبس من حل منه اللاهوت في الناسوت. وكانت وفاته عام ٦٣٨هـ بدمشق ودفن فيها وله قبر يزار في أيامنا هذه.

٤٦٥- ولسمع في التولشيح الدينية التي تذيعها الإذاعات وفي المساجد من يقول وصفا للنبي :" يا أول خلق ا

٤٦٦- ابن سبعين : هو عبد الحق بن محمد الاشبيلي المرسى القرمطي ، ولد سنة ٦١٤ وتوفى سنـة ٦٦٩ هجريـاً ، وتوفـى منتحراً ، قيل أنه فصد الدم من يديه وتركه ينزف حتى تصفى فمات

إلهية: فينزل المطر ويحيى الموتى ويشفى المرضى ويحافظ على العالم .
وإن لم يكن ذلك هو عين الشرك فما في الدنيا شرك.

الصوفية وقولهم بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

يقول الصوفية إن لا وجود إلا في ضمن جزئياته، فا - بزعم القائلين بوحدة الوجود - أمر كلي موجود فقط في صورة مخلوقاته حتى الخنازير منها والكلاب - تعالى ا علوا كبيرا عما يصفون - ذلك مـا يفتريه فقهاء الصوفية ومفكروهم كابن عربي وغيره.

وتراوح ضلال الصوفية بين القول بالحلول والاتحاد وبـين وحـدة الوجود. والحلول -كما يزعمون - هو حلول الذات الإلهية في ذواتهـم وحلول ا في جميع أجزاء الكون: في البحـار والجبـال والإنسـان والحيوان والنبات، والحلول يعني وجود شيء داخل شيء آخـر دون أن

يفقد أحدهما طبيعته، فتحل الذات الإلهية في الذات الإنسـانية أي حلـول اللاهوت في الناسوت . ومنهم من يقصر هذا الحلول على الـبعض دون البعض مثلما تقول بعض فرق الشيعة بحلول الله في علي بن أبي طالـب وسائر الأئمة من آل البيت. وقالوا بالاتحاد أي اتحاد ذواتهم مـع الـذات الإلهية، فنرى من الصوفية الجيلانية – مثلا- من يقول باتحـاد شـيخ طريقتهم الجيلاني[467] بالذات الإلهية ، ومن أشهر من قال بهـذا الإفـك الصوفي الشهير الحلاج الذي كفّره العلماء وصـلب فـي سـنة ٣٠٩ هجرية، وهو صاحب مدرسة الاتحاد والحلول، وهو من يقول: أرى ربي بعين قلبي، فأقول له : من أنت؟ فيقول لي: أنت!

كذلك يقول أبو الحسن الشاذلي:" الناظر للكائنات غير شاهد للحق فيها غافل. ويقول: هل في الوجود أحد سوى الملك الحق؟ [468]".

وانتهى بهم الخلط بالقول "بوحدة الوجود" بمعنى نفي الإثنينيـة بـين الخلق والخالق والقول بأن الله أمر كلي لا وجود لـه إلا فـي ضـمن

٤٦٧- الجيلانية : تنسب إلى عبد القـادر الجيلانـي ٤٧٠ – ٥٦١هـ المدفون في بغداد حيث تزوره كل عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرك به ، اطلع على كثير من علوم عصره ، وقد نسب أتباعه إليه كثيراً من الكرامات

٤٦٨- لطائف المنن- ابن عطاء الله السكندري

جزئياته. فا -بزعمهم- موجود فقط في صورة مخلوقاته ول ـيس ف ـي الحمق أعظم من دعواهم هذه ، وفاتهم أن المؤلّف لابد له م ـن مؤل ـف. ومن كان هذا دينهم فهم بلا دين، ومن كان هذا إيمانهم فهم كفرة.

ويحكي شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه ا - عن ذلك فيقول: "م ـر شيخان منهم، التلمسانى والشيرازى، على كلب أج ـرب مي ـت، فق ـال الشيرازى للتلمسانى: هذا أيضا من ذاته؟ أي م ـن ذات ا فق ـال التلمسانى: هل ثم شئ خارج عنها "؟ ويقول الشاذلي:" إنا لا نرى أحدا من الخلق، هل في الوجود سوى الملك الحق؟ "[٤٦٩] .

وللصوفية في ذلك أقوال ومصطلحات: ك ـالقول بالفن ـاء بمعن ـى الاستهلاك في ا بالكلية، حيث يختفي نهائياً شعور العبد بذات ـه ويفن ـى فينسى نفسه وما سوى ا . وأول من قال بذلك في الإسلام هو الص ـوفي أبو يزيد البسطامي. ويقولون بالمقامات وهي منازل روحية يمر بها السالك إلى ا فيقف فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى ينتقل إلى المن ـزل الثاني. والأحوال هي النسمات التي تهب على السالك فتنتعش بها نفس ـه لحظات خاطفة، وغير ذلك من زخرف القول ومبهمه مما أخ ـذوه م ـن مصادر دخيلة عل ـى الإس ـلام كالهندوس ـية والبوذي ـة والأفلاطوني ـة

٤٦٩- الطرق الصوفية في مصر - د.عامر النجار

والزرادشتية، فيضلون به المغفلين والدهماء في أزمان ساد فيها الجهـل والأمية. وبدءا من القرن الخامس شرع المتصوفة يصـرحون باسـم الحلاج، ويشهدون بفضله، فأشاد به أبو حامد الغزالي، وابـن عربـي، وغيرهما. و صور الكثيرون من المثقفين والكتاب المعاصرين الحلاج في صورة الثائر على الفساد والشهيد من أجل الدين. وما روجه الحلاج مـن أباطيل آمن بها الكثيرون من معاصريه، ولكنهم كتموا ما أعلنـه مخافـة القتل، يقول الشبلي: "كنت والحسين بن منصور- الحلاج - شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت". وغفل المسلمون عن معرفة أعداء دينهم، مثلمـا هم غافلون الآن، وراح فريق منهم يعظم الحلاج وابن عربي والجيلـى، وابن سبعين.. وغيرهم، بينما يكفرهم فريق آخر. وبين التعظيم والتكفيـر تاه المسلمون ولم تتفق كلمتهم على رأي قاطع بشأن هـؤلاء المحتـالين. ومثل ذلك كثير، فطائفة تكفر أخرى على مسائل معلومة الصـحة لـدى البعض ومعلومة الخطأ لدى البعض الآخر، وكلا الفريقين لـه علمـاؤه ومشايخه،وكلهم يرى أنه المسلم الوحيد الذي يحتكر الحق دون سواه .

ولما قرئ علي الصوفي الشهير التلمساني كتاب "فصوص الحكـم" الذي ألّفه ابن عربي وقيل له إن القرآن يخالف فصوصكم، فقال: القـرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا، فقيل له فإذا كان الوجود واحـدا فلـم كانت الزوجة حلالا والأخت حراما، فقال الكل عندنا حلال، ولكن هؤلاء

المحجوبين!! قالوا حرام فقلنا حرام عليكم. وإذا كان الوجود واحدا، فمـن المحجوب ومن الحاجب؟ ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده من قال لك إن في الكون سوى ا فقد كذب، فقال له مريده فمن هو الذي يكذب؟

تقول العرب إن الرجال أربعة: رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فذاك عـالم فتعلموا منه، ورجل يعلم ولا يعلم أنه يعلم فذاك نائم فنبهوه، ورجل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم فذاك جاهل فعلموه، ورجل لا يعلم أنه لا يعلم فذاك أحمق فاجتنبوه . وانتشرت عقيدة الحلول والاتحاد منذ القرن الثالث الهجري ، وقال ابن عربي بعد ذلك بوحدة الوجود، وهي فرية قال بها كثيرون قبل الإسلام، ولكن ابن عربي هو من أعطاها شكلا إسلاميا. وروج لها بعـد ذلك كل رجال التصوف وأعلام هذه العقيدة كابن سبعين، والتلمساني[٤٧٠]، وعبد الكريم الجيلي وعامة رجال الطرق الصوفية المحدثين.

و عقيدة وحدة الوجود لا تجعل في النهاية فرقاً بين الزنديق والمؤمن، ولا بين الأخت والأجنبية، ولا بين الملك والشيطان، بل ولا بـين العبـد والرب على حد قول ابن عربي الذي يقول:

١- العفيف التلسماني ٦١٠ ـ ٦٩٠هـ : هو سليمان بن علي الكومي التلمساني، يلقب بعفيف الدين، يقول عنه الذهبي إنه أحد زنادقة الصوفية، ويقول ابن كثير "وقد نسب هذا الرجل إلى عظائم في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض "

العبد رب والرب عبد يا ليت شعري من المكلف؟!

إن قلت عبد فذاك رب وإن قلت رب أنى

يكلف؟! ومحيي الدين بن عربي ولد في مدينة مرسية بالأندلس واستقر به المقام في الشام. ومدينة مرسية فيما يبدو كانت بؤرة لتفريخ دعاة الإفك الصوفي، إذ نشأ بها أيضا كل من الصوفي الشهير أبو العباس المرسي، وابن سبعين . وزعم ابن عربي أن الرسول صلى ا عليه وسلم قد أملاه كتبه ، وأنه نقل عن اللوح المحفوظ بلا وساطة. ولننظر إلى بعض ما جاء به ابن عربي من كفريات زاعما أن النبي الكريم قد أملاه إياها وطلب منه تبليغها إلى الناس، يقول: " إن قوم هود الكافرين كانوا على الصراط المستقيم، وإن فرعون كان مؤمناً كامل الإيمان، وإن قوم نوح كانوا مؤمنين، فجازاهم ا بأن أغرقهم في بحار الوحدة، وأدخلهم نار الحب الإلهي ليتنعموا فيها، وإن هارون أخطأ لأنه نهى بني إسرائيل عن عبادة العجل، وما كان العجل إلا المعبود الحق، أو صورة من صور المعبود الحق، وإن قوم نوح أصابوا في عدم تركهم وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً أصنام كانوا يعبدونها لأنها مظاهر للإله الواحد، وإن النار عذوبة لا عذاب، وإنه ما من إنسان إلا مرحوم مرضي عنه، وإن ا لا يعلم شيئاً قبل وجوده، لأن وجود الشيء هو وجود العلم، بل وجود كل شيء هو ترجمة لوجود ا ، وادعى أن كل

ذلك قد نقله بلا زيادة ولا نقصان عن الرسول الذي أمـره بتبليـغ ذلـك للناس"[471].

وهاهو ابن عربي ينفض جبته ويقول: ما في الجُـبّـة إلا ا .

وهو القائل في فص حكمة!!، وهو يخاطب ا :

فأنت عبد وأنت رب لمن له فيه أنت عـبد

وأنت رب وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد

والمنهج الصوفي يرى عدم جواز مقاومة الشر ومغالبة السـلاطين لأن ا في زعمهم أقام العباد فيما أراد. يقول الشعراني: "لقد أخذ علينـا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمـان وأهلـه كيفمـا دار، ولا يزدرون من رفعه ا عليهم، ولو كان في أمور الدنيا وولايتها،كل ذلـك أدباً مع ا عز وجل الذي رفعهم، فإنه لم يرفع أحداً إلا لحكمة هو يعلمها " . وبهذا المنطق ينكر الصوفية مجاهدة الكفار بالسيف فهم يـرون أن ا قد أقام الكفار في ما أراد. ويقرر "التيجاني" أن "كل ذرة في الكون إنما هي مرتبة من مراتب الحق سبحانه وتعالى، ويتجلى فيها بما شاء من أفعاله ، والخلق كلهم مظاهر لأحكامه ويستوى في ذلك جميع المخلوقات فلا فرق بين المؤمن والكافر فإنهما سواء .

وماذا عن هلاوس وتخاريف الصوفية في ضوء علم النفس؟:

٤٧١- تفنيد الصوفية

لا نتفق في الرأي مع من يرى أن علم النفس والاجتماع فشلا فـي لستكناه ظواهر التصوف٤٧٢، فمن الميسور لمن له دراية بمبادئ علم النفس أن يصنف الكثير من سلوكيات المتصوفين ضمن الأمراض النفسية والذهانية، فمنهم من يعاني من جنون العظمة فيظن أنه يـرى الملائكـة ويحادثهم ويتلقى عنهم، ومنهم من يتوهم أنه يقابل نبي ا الخضر، بـل ويقابل النبي محمد صلى ا عليه وسلم ويلتقي بـه فـي لجتماعـات أسبوعية. ومنهم من يحادث الميت الذي يخرج يده ليصافحه من القبر، ومنهم من يظن أن الميت يخرج من قبره ليعينه على فض بكارة زوجته ويصنع له الحلوى لحتفالا بالمناسبة، ومنهم من يظن أنـه صـعد إلـى السماوات العلى، ومنهم من يظن أنه كان مع لنبياء ا إبراهيم ونـوح. وهم يعتبرون المعتوه الذي يهيم في الشوارع عاريا موصولا با ومحـل البركات، ومنهم من يديم الحملقة في السماء ليتسمع آذان الملائكة في الملأ الأعلى ياقوت العرشي . وكان الشيخ لحمد الفاروقي يقول:"كثيراً مـا كان يعرج بي فوق العرش وأرتفع فوقه بمقدار ما بين مركـز الأرض وبينه، وقال "وأعلم لني كلما أريد العروج يتيسر لي" [٤٧٣]. وزعـم أن "

٤٧٢-لنظر التصوف في مصر والمغرب – للدكتورة منال عبد المنعم جاد ا -
ص١٣

٤٧٣-المواهب السرمدية ١٨٤ الأنوار القدسية ١٨٢

الكعبة كانت تطوف به تشريفاً له" [474]. ويقول الصوفية بما يمكن اعتباره من الهلاوس البصرية التي تعن للـذهانيين، فيقولـون "كـان الجـن يحضرون حلقات دروس الصوفي الشعراني، وإنهم في بعض الأحيـان كانوا يعابثونه ويزعجون أولاده، وقد دخل مرة في حمام فنزل معه جـان تمكن الشعراني من الركوب فوقه حتى أزهق روحه ونجا الحمام ومـن كان يدخله بعد ذلك من أذى هذا الجان المشاكس، وإن الجن أرسلوا مـع زعيم لهم - جاءه على صورة كلب أصفر وقفز من نافذة غرفته - أسئلة يجيب عنها، فأجاب عنها في كتاب* عنوانه: كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان". [475] وإن لم يكن في هذا الكلام جنون، فما في الدنيا مجنون. وبعض المفكرين يعدون الشعراني من أئمة الاجتهاد بل مجـدد القرن العاشر، وانظر كم هان الإسلام على أهله .

وكان ابن عربي يغالي في مدح نفسه ويدعى لنفسه الإحاطة التامـة بكل علوم القرآن والسنة والفلسفة وعلوم اليهود والنصارى ، وأن كتبـه كلها معصومة من الخطأ، وأنه لا يكتب شيئاً إلا عن وحي يوحى، وأنه

٤٧٤-المواهب السرمدية ١٨٥ الحدائق الوردية ١٨٠ البهجة السنية ٨٠ والحاوي للفتاوى ٢٢٠/١ للسيوطي

*-نشر هذا الكتاب بمطبعة حجازي وحققه محمد عبد ا عبد الرازق

٤٧٥-عبد الحفيظ فرغلي-عبد الوهاب الشعراني ص١٦٧

يعلم ما في اللوح المحفوظ. ويزعم الشعراني في كتابه الطبقات الكبـرى أن شيخه الخواص يعلم ما يكتب في اللوح المحفـوظ سـاعة بسـاعة. وزعم أحمد بن المبارك أن شيخه الأمي عبد العزيز الدباغ يعلـم اللـوح المحفوظ ويعلم أنه مكتوب بالخط السرياني! والصوفي الشـهير ابـن سبعين476 كان ينكر على الطائفين طوافهم بالبيت الحرام، ويصفهم بأنهم كالحمير حول المدار، ويرى أنه من الأفضل لهم لو طافوا حوله هـو بدلا من البيت الحرام، ويظن أن النبوة مكتسبة وأنها فيض يفيض على العقل، لذا كان يمضى وقته في غار حراء انتظارا للوحي، وتوفـى منتحراً، قيل أنه فصد الدم من يديه وتركه ينزف حتى تصفى فمات. وكان الصوفي الشهير عبدالقادر الجيلاني يقول: قدماي هاتان على رقبة كل ولي تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور .

و ممن ادعى ختم الولاية لنفسه الشيخ الميرغني 477، الذي كـان يقول عن نفسه "من رآني ومن رأى من رآني إلى خمسة لم تمسه النار! ولا حرج على ذلك فإن ا يختص برحمته من يشاء" 478.

---

476 -ابن سبعين هو عبد الحق بن محمد بن نصر الاشبيلي المرسى القرمطي، ولد سنة 614 وتوفى سنـة 669 هجريـاً

477- محمد عثمان الميرغني ختم الولاية السوداني المتوفي سنة 1268هجرية

478 -انظر تاج التفاسير لمحمد عثمان الميرغني ص4

وماذا عن باقي التخريف الذي اصطنعه الصوفية وزعمـوه مـن الدين؟ اسمع:

يزعم النقشبنديون أتباع الطريقة الصوفية النقشـبندية أن بهـاء الدين نقشبند مؤسس طريقتهم كان يقول للرجل "مت" فيموت ثم يقول له " قم حياً" فيحيا مرة أخرى" ٤٧٩، وأنه كان يطلب المدد من كـلاب الحضرة النقشبندية . ويقول إبراهيم الدسوقي ٤٨٠، وهو مِـن أشـهر الصوفية في مصر، وهو عندهم القطب الأعظم : " قد كنتُ أنا وأوليـاء ا تعالى أشياخاً في الأزل بين يدي قديم الأزل، وبين يدي رسـول ا صلى ا ُ علَيهِ وسلم، وإن ا عز وجل خلقني مِن نور رسول ا صلى ا ُ علَيهِ وسلم -أي: في الأزل- وأمرني أن أخلع على جميع الأوليـاء، فخلعتُ عليهم بيدي -أي: ألبسهم- فقال لي رسول ا صـلى ا ُ علَيـهِ وسلم: يا إبراهيم أنت نقيب عليهم، أي: على الأولياء "، يقول: " فكنتُ أنـا ورسول ا صلى ا عليه وسلم، وأخي عبد القـادر، أي عبـد القـادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية – خلفي، وابـن الرفـاعي، أي أحمـد الرفاعي شيخ الرفاعية، خلف عبد القادر، ثم التفت إلي رسول ا صـلى ا ُ علَيهِ وسلم، وقال:يا إبراهيم! سر إلى مالك -خازن النيران- وقل لـه

٤٧٩-المواهب السرمدية ١٣٣ الأنوار القدسية ١٣٧ جامع كرامات الأولياء ١٤٦/١

٤٨٠- كما في ترجمته من طبقات الشعراني

يغلق النيران، وسر إلى رضوان -خازن الجنة- وقل له يفـتح الجنـان، ففعل مالك ما أُمر به، وفعل رضوان ما أُمر به ". ونجد مـن حمقـى المسلمين من يصدق ذلك ويظنونه الإسلام.

ويقول الشيخ الجيلانى كبير الطريقة الصوفية القادرية إنه هو الواحد الصمد، وهما من أسماء ا تعالى . ولأصحاب الطريقـة القادريـة لا ينكرون ذلك، ويقول:" أنا الذاكر المذكور ذكرا لذاكر،أنا الشاكر المشـكور شكرا بنعمه، أنا السامع المسموع فـي كـل نعمـه،أنا الواحـد الفـرد الكبير[481].

ولما كان كلام الأحمق أقوى الأدلة على حمقه، فاسمع إلى قول الشيخ الجيلانى من أنه قد عرج به مع النبي الكريم صلى ا عليه وسلم فـي ليلة الإسراء والمعراج، وهو زعم شاركه فيـه كثيـر مـن محتـالي الصوفية[482]، بل وأراد أن يكون له من الفضل ما لم يكن للنبي، فزعم أنه شهد الطوفان مع نوح، وما دام يجد من الأنصار والحمقى من يصدقونه، فلم لا يدعي لنفسه قدرات ا ، فزعم أنه هو الذي أمر النار أن تكون بردا

٤٨١- كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص ٤٧

٤٨٢-زعم العروج مع النبي كثير من كبار مشايخ الصوفية غير أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية ، إذ شاركه هذا الزعم الصوفي أحمد بن هلال الحساني وغيره

وسلاما على سيدنا إبراهيم إذ شهد إلقاءه في النار [٤٨٣]. وزعم أن أمره أمر ا ولنه يعلم عدد نبات الأرض وعدد أمواج البحر ويعلم عـدد رمـل الأرض، ويعلم علم ا ويحصى حروفه، ولا تجد عاقلا من أتباع هـذه الطريقة ينكر هذا الإفك الواضح البطلان. ويقول: " إن أمري أمر ا إن قلت كن يكن وكل بأمر ا أحكم بقدرتي. وأعلم نبات الأرض كـم هـو نابت. وأعلم رمل الأرض كم رملة هو، وأعلم علم ا أحصى حروفه، وأعلم موج البحر كم موجة هو " [٤٨٤]. والجيلانى يزعم أنه يحمى أتباعه في الدنيا ويوم القيامة من كل شر ويدعوهم للاستغاثة به! فيقول: "مريدي لك البشرى تكون على الوفاء، إذا كنت في هم أغثك بهمتـي، مريـدي تمسك بي وكن ولثقاً لأحميك في الدنيا ويوم القيامة أنا لمريدي حافظ ممـا يخافه ولنجيه من شر الأمور، وكن يا مريدي حافظاً لعهد وما أكن حاضر الميزان يوم الوقيعة" [٤٨٥].ويطاب الجيلانى من أتباعـه أن يسـتغيثوا بـه

---

١ -كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص ٤٧ : قال الشيخ الجيلانى "أنا كنت في العليا بنور محمد وفى قاب قوسين عند لجتماع الأحبة ،أنا كنت مع نوح أشاهد في الورى بحاراً وطوفاناً على كف قدري. وكنت مع إبراهيم ملقى بناره وما برد النيران إلا بدعوتي

٤٨٤- الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص٣٣-٣٦

٤٨٥- الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص٤٧

ويدعوه. وقال النبي صلى ا عليه وسلم "إذا سألت فاسأل ا وإذا استعنت فاستعن با "[٤٨٦]، فدعاء أي مخلوق من دون ا كفر وضلال ، ويزعم الجيلانى أنه يحمى أتباعه من صوفيي الطريقة الجيلانيـة مـن البأسـاء والضراء في الدنيا وهم في رعايته يوم القيامة .

والنبى صلى ا عليه وسلم وهو أفضل الخلق لا يملـك لنفسـه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً قال تعالى قُلْ إِني لا أَملِكُ لَكُم ضرا ولا رشَدا قُـلْ إِني لَن يجِيرنِي مِن اللهِ أَحد ولَن أَجِد مِن دونِهِ ملْتَحدا ٤٨٧.

ويرى الصوفية أن اكتساب الصلة با تتم بوضع صورة الشيخ في مخيلة المريد عند ذكر ا ، وهذه الصلة تسمى الرابطة. ويكـون شـيوخ الطريقة من الإنس أو الحيوانات أو الطيور كالجياد والقطط والصقور . قال صاحب الرشحات: " وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ، ومن شـيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفَرس فإن عبادته عجيبة، فما استطعت أن أتصـف بعبادتهم". وزعم أن السالكين يرون ا بالطريقة التجلية فيـرون ا فـي جميع الأشياء من إنسان ونباتات وحيوانات بل ويتجلى ا فـي شـكل فرس[٤٨٨]. فا عندهم يتشكل ويظهر بأشكال مختلفة. وفي الوقت الـذي

٤٨٦- رواه الترمذى

٤٨٧- الجن٢١، ٢٢

٤٨٨- البهجة السنية ص٦ رشحات عين الحياة ص١٣٣ لعلي الهروي

يعتقدون فيه أن الله ظل، يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكـن يرى له ظل لا بالليل ولا بالنهار لأنه نور محض [489]. وإذا كان هذا هو الدين الذي يدين به المسلمون،أو معظمهم، ألا يحق لغير المسـلمين - ممن لا يعرفون حقيقة الإسلام الحنيف- أن ينصرفوا عنه بعد تصويره في هذه الصورة الشوهاء؟

وكان الشيخ بهاء الدين نقشبند يجتمع بأرواح سلسلة المشايخ النقشبندية ويأخذ العهد والولاية والتكليف منهم في المقبرة [490]. " ولما مـات بنـى أتباعه على قبره قبة عظيمة وجعلوه مسجداً فسيحاً، ولم يـزل يسـتغاث بجنابه ويكتحل بتراب أعتابه ويلتجأ إلى أبوابِهِ" 491.

والنقشبنديون يثبتون لمشايخهم العلم بالغيب في الوقت الذي نجد بعضهم يصرحون بنفي علم الله للغيب كما نقله صاحب الرشحات عـن أوليـاء النقشبندية أنه قال: "إن الله تعالى ليس عالماً للغيب" ونسب السـر هنـدي أصل هذا القول إلى ابن عربي.[492] ويقول أبـو الحسـن الشـاذلي : "أطلعني الله على اللوح المحفوظ، فلولا التأدب مع جدي رسول الله لقلـت

489-[نور الهداية والعرفان 24]

490-[المواهب السرمدية 113]

491-[المواهب السرمدية 142]

492-[رشحات الحياة 153 المكتوبات الربانية للسرهندي 106]

هذا سعيد وهذا شقي"[٤٩٣]. وقد كان للشيعة السبق في الاجتراء على ا بنفي علمه للغيب وإثباته لأئمتهم؛ حين قالوا بالبداء وهو أن ا يغير رأيـه بعد أن يتبين له ما يقتضي تغيير رأيه بما خفي عليه. ويعتقد النقشـبنديون أن المؤسس الأول لطريقتهم هو أبو بكر الصديق. وكان يستعمل طريقـة الذكر النقشبندية بحبس النفس ولا يتنفس إلا في الصباح وكـان النـاس يشمون رائحة اللحم المشوي فأخبرهم النبي صلى ا عليه وسلم أن هـذه الرائحة كبد أبي بكر من كثرة ذكره ٤٩٤.

كان ذلك طرفا من أعراض جنون العظمة والهلاوس المرضية التي يعاني منها بعض مشاهير الصوفية ومشايخها، فمنهم من كـان يعـاني خرف الشيخوخة، أو يقاسي من أمراض عصابية أو ذهانيـة ، فيـرى الملائكة ويقابل النبي ويصعد للسماء ويطلع على اللوح المحفوظ.

٤٩٣-إرغام المريد شرح النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية ٣٩

٤٩٤- إرغام المريد للكوثري ص٣٠ وانظـر مجلـة منـار الهـدى ٢٠/١٦

خلية الشيخ والمريد

قد يكون الشيخ الصوفي الولي سكيراً أو زنديقاً، أو طفلاً صـغيراً، أو مجذوباً ضاع عقله أو متخلفاً عقلياً يتضاحك الصبيان منه ولكنه يكون ولياً ربانياً وعالما بأمور الغيب، ومشاهدا للحضرة الإلهيـة والرسـولية، والخضرية نسبة إلى الخضر . وشيوخ الطريقة قـد يكونـون مـن الإنس أو الحيوانات أو الطيور كالجياد والقطط والصقور ومن مشـايخ الصوفية من يزني ويلوط عياناً بياناً، ويشرب الخمر جهاراً نهاراً فالولي لا تضره معصية أبداً، فالخمر التي يشاهدها الناس خمراً ينقلب في بطن الولي لبناً خالصاً، والزانية الفاجرة التي يرى الناس الولي بصحبتها تكـون زوجته. و الولي يتصرف في الأكوان ويقول للشيء كن فيكون .

التنظيم الصوفي مكون من وحدات أولية تتجمع في تشكيل مركّـب هو الطريقة الصوفية. والوحدات الأولية مكونة من خلية الشيخ والمريـد. والشيخ نظريا يتمتع بقدرات خارقة موهومة، وتلفه قداسة إلهية لا تجـوز معه مخالفته أو عصيانه في الواقع أو الخيال. وفي المقابل يكون المريـد مطيعا لشيخه بلا حدود ويتعين عليه أن يكون معه كالميت في يد الغاسل. يقول أحد مشايخ الصوفية: " لو بصقت على النار لأطفأتها "، و يقـول

آخر:"أعطاني الله التصريف في الخلق"، ويقول ثالث:" سبحاني ما أعظم شأني "، ويقول آخر:" إن بطشي أشد من بطش الله "،.....ويقول الحبيب المصطفى سيد ولد آدم:"والله إني لرسول الله لا أدري ما يفعل بي غداً ، ويقول: اعلموا أنه لا يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله ، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل" .

وفي التربية الصوفية يطلب من المريد استحضار صورة شيخه عند الذكر ويطلب منه ربط روحه بروح الرسول الذي يزعمون أنه يفيض العلوم والأسرار على قلوب شيوخ الصوفية. والشيخ في الخلية الصوفية هو حجر الأساس، ويدور المريد في فلكه، وهو شبه مقدس. يقول الرفاعي"من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له، فإن مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا رجله، ومن تقدم عليكم فقدموه وكونوا آخر شعرة في الذنَب، فإن الضربة الأولى تقع في الرأس" ٤٩٥. ولا يجوز الإنكار على شيوخ التصوف أبداً ولو مع المنكر دليل. يقول أحمد بن مبارك السلجماسي فيما يرويه عن شيخه الجاهل الأمي عبد العزيز الدباغ: " واعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب. ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين!! ولا يخرج عن مشاهدة الحق

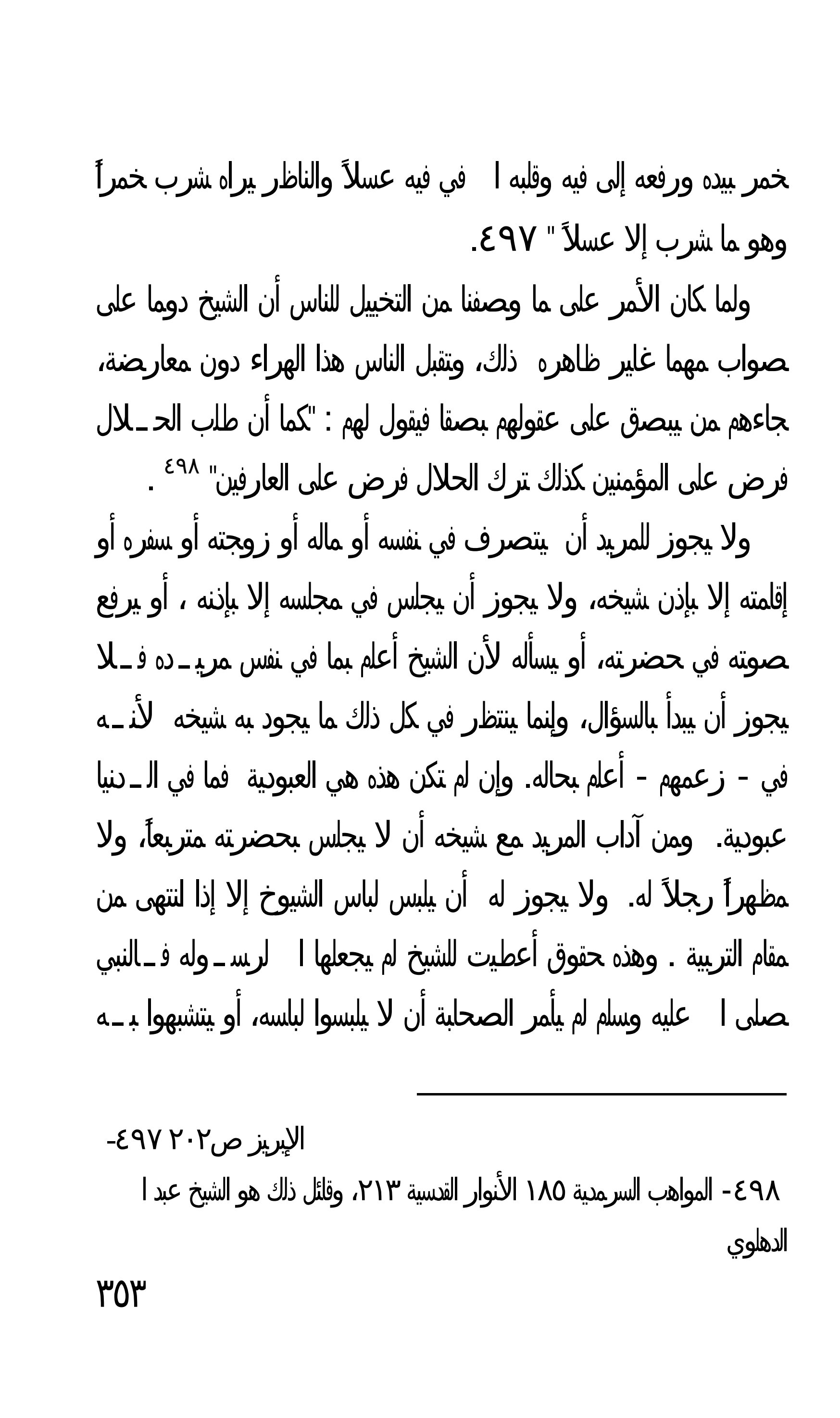
٤٩٥- الطبقات الكبرى ص١٤١- الشعراني

جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها وإذا كان كذلك فهو حجـة علـى غيره وليس غيره حجة عليه لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه وحينئذ كيف يسوغ الإنكار على من هذه صفته ويقال إنه خالف مـذهب فلان في كذا، إذا سمعت هذا فمن أراد أن ينكر على الولي المفتوح عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلاً بالشريعة كما هو الواقع غالباً من أهل الإنكـار وهذا لا يليق به الإنكار والأعمى لا ينكر على البصـير أبـداً "٤٩٦ .

ويقول أيضاً شارحاً القصيدة الرائية في آداب المريد: "فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى عن الحق نأي الليل عن ولضح الفجر"، أي أن من له عقل سليم لا يرضي سوى شيخه ويدور معه حيثما دار وإن يبعد الشيخ فـي ظاهر الأمر عن الحق بعداً بيناً كبعد الليل من الفجر.

ولم يقتصر الأمر على طاعة الشيخ فيما لا فائدة منه، بل يتعداه إلـى الاعتقاد أن للشيخ شريعته الخاصة، ودينه المستقل فله أن يشرب الخمـر، أو يزني وليس لمريده أن يسأل عن شيء من ذلك. يقـول السلجماسـي أيضاً:"قال محيي الدين العربي رضي ا عنه !! ومن شروط المريـد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ونبيه، وقد تصدر من الشـيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن، وكم من رجل كأس

٤٩٦- الإبريز ص١٩٢، ٢٠٣



خمر بيده ورفعه إلى فيه وقلبه ا في فيه عسلاً والناظر يراه شرب خمراً وهو ما شرب إلا عسلاً " ٤٩٧.

ولما كان الأمر على ما وصفنا من التخييل للناس أن الشيخ دوما على صواب مهما غاير ظاهره ذلك، وتقبل الناس هذا الهراء دون معارضة، جاءهم من يبصق على عقولهم بصقا فيقول لهم : "كما أن طلب الحـلال فرض على المؤمنين كذلك ترك الحلال فرض على العارفين" [٤٩٨] .

ولا يجوز للمريد أن يتصرف في نفسه أو ماله أو زوجته أو سفره أو إقامته إلا بإذن شيخه، ولا يجوز أن يجلس في مجلسه إلا بإذنه ، أو يرفع صوته في حضرته، أو يسأله لأن الشيخ أعلم بما في نفس مريـده فـلا يجوز أن يبدأ بالسؤال، وإنما ينتظر في كل ذلك ما يجود به شيخه لأنـه في - زعمهم - أعلم بحاله. وإن لم تكن هذه هي العبودية فما في الـدنيا عبودية. ومن آداب المريد مع شيخه أن لا يجلس بحضرته متربعاً، ولا مظهراً رجلاً له. ولا يجوز له أن يلبس لباس الشيوخ إلا إذا انتهى من مقام التربية . وهذه حقوق أعطيت للشيخ لم يجعلها ا لرسـوله فـالنبي صلى ا عليه وسلم لم يأمر الصحابة أن لا يلبسوا لباسه، أو يتشبهوا بـه

٤٩٧- الإبريز ص٢٠٢

٤٩٨- المواهب السرمدية ١٨٥ الأنوار القدسية ٢١٣، وقائل ذلك هو الشيخ عبد ا الدهلوي

في عمامته أو قلنسوته أو يجلسوا متربعين في حضرته صلى ا عليـه وسلم، بل كانوا يجلسون بحضرة النبي صلى ا عليه وسـلم متـربعين ومضطجعين ولم يكن له صلى ا عليه وسلم زي خاص ولا مجلـس خاص. وليس للمريد أن يحجب شيئاً من أسراره عن شيخه فإن كانـت أسرارا مشينة تحمل شيخه عنه وزرها لدى الاعتراف بها. ولا يجـوز للمريد إفشاء سر من الأسرار إلا أن يأمره الشيخ . "وقد يكـون الشـيخ الولي سكيراً أو زنديقاً، أو طفلاً صغيراً، أو مجذوباً شاهد الأنوار العلوية فضاع عقله أو متخلفاً عقلياً يتضاحك الصبيان منه ولكنه يكون ولياً ربانياً ويحدث الناس بأمور الغيب، ويشاهد ويطالع الحضرة الإلهية والرسولية، والخضرية نسبة إلى الخضر ، ومنهم من يشرب الخمر جهاراً نهاراً، ويزني ويلوط عياناً بياناً ، ويزعمون أن ما يراه الناس إنما هـو تخييـل وليس حقيقة، فالخمر التي يشاهدها الناس خمراً ينقلب في بطن الولي لبنـاً خالصاً، والزانية الفاجرة التي يرى الناس الولي بصحبتها تكون زوجتـه " ٤٩٩. ويزعمون مناصرة الأخلاق الحميدة بينمـا يفسـقون بالنسـاء والمردان ، فيوصي أحدهم أتباعه قائلا: لا تنظروا في وجود المرد- أي الشبان الصغارلم يراهقوا بعد - مخافة الشذوذ الجنسي، أي يطلب من أتباعه "الأطهار" أصحاب مكارم الأخـلاق أن يغضـوا أبصـارهم ولا

٤٩٩- عبد الرحمن عبد الخالق - تفنيد الصوفية - بتصرف

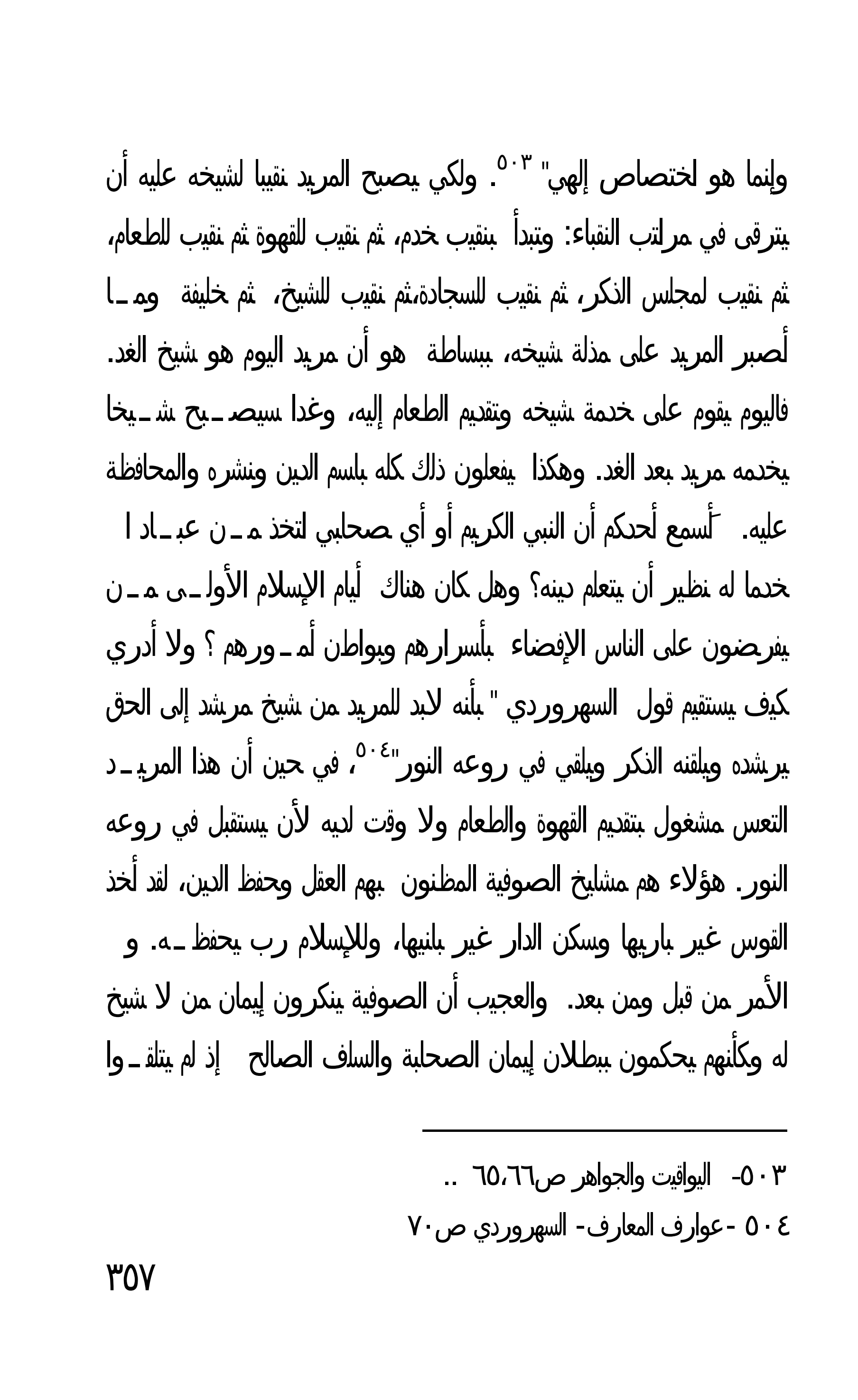
ينظروا إذا كان في حضرتهم صبية صغار، ومن لا يردعه دينه وعقله فالشيطان وليه. ومنهم من يأتي الفاحشة مع البهائم: يقول الشعراني في كتابه الطبقات الكبرى عن الولي الصوفي أبي خوزة : وكان رضي ا عنه!! إذا رأى المرأة أو أمردا راوده عن نفسه وتحسس مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس.وهم يرون أن المغالاة في ممارسة الجنس من سمات الصالحين منهم، فلما وصفوا القطب الأعظم عندهم قالوا عنه: إنه كثير النكاح وراغب فيه، محب للنساء، فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة " ٥٠٠. "والولي- في الفكر الصوفي - يتصرف في الأكوان ويقول للشيء كن فيكون،، ويعهد إليه بالإشراف على أحد شؤون العالم كرعاية الكلاب أو الحيات. وكبير الأولياء يسمى القطب الأكبر أو الغوث وهو الذي يدبر شأن الملك كله سماواته وأرضه والأولياء جميعاً في بقاع الأرض تحت أمره "٥٠١. وصنفوا مراتب للولاية، فجعلوا منهم المجاذيب وأهل العته والجنون لأن ا جذبهم إليه وأسقط عنهم التكاليف، ومنهم من بلغ ثلث النبوة، ومنهم من بلغ نصفها ومنهم من زاد على ذلك وهو ختم الأولياء . ولهؤلاء الأولياء تظهر الآيات مثل طي الأرض،

٥٠٠- اليواقيت والجواهر ج٢ ص٧٩

٥٠١- تفنيد الصوفية بتصرف

والمشي على الماء ومحادثة الخضر. ويرى الشـعراني أن القطـب لا يتمكن من الاضطلاع بمهام "منصبه" إلا بعـد أن يحصـل معـاني الحروف المقطعة التي في أوائل السور، فإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلاً لهـا. ويـرى ابـن عربـي أن خصائص القطب أن يختلي بالله تعالى وحده ولا تكون هذه المرتبة لغيره من الأولياء أبداً ثم إذا مات القطب الغوث أنعم الله تعالى بتلك الخلوة على قطب آخر فهي لا تكون لشخصين في زمان واحد أبداً. وعـن مكـان القطب يجيبك ابن عربي قائلاً: " فإن قيل هل يكون محل إقامـة القطـب بمكة دائماً كما هو مشهور، فالجواب هو: بجسمه حيث شاء الله لا يتقيـد بالمكث في مكان بخصوصه ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حداداً وتـارة تاجراً وتارة يبيع الفول، ونحو ذلك والله أعلم"[502]. وينتهي الأمر بـأن ينصب ابن عربي نفسه قطبا أعظم فيقول بـالنص:"لا أعـرف فـي عصري هذا أحداً تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك لأنني بلغت في مقـام العبودية الغاية بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنـا العبـد المحض الخالص، وقد منحني الله تعالى هذا المقام هبة منه، ولم أنله بعمل

٥٠٢- اليواقيت والجواهر ج٢ ص٨١



وإنما هو اختصاص إلهي" [٥٠٣]. ولكي يصبح المريد نقيبا لشيخه عليه أن يترقى في مراتب النقباء: وتبدأ بنقيب خدم، ثم نقيب للقهوة ثم نقيب للطعام، ثم نقيب لمجلس الذكر، ثم نقيب للسجادة،ثم نقيب للشيخ، ثم خليفة وما أصبر المريد على مذلة شيخه، ببساطة هو أن مريد اليوم هو شيخ الغد. فاليوم يقوم على خدمة شيخه وتقديم الطعام إليه، وغدا سيصبح شيخا يخدمه مريد بعد الغد. وهكذا يفعلون ذلك كله باسم الدين ونشره والمحافظة عليه. أسمع أحدكم أن النبي الكريم أو أي صحابي اتخذ من عباد ا خدما له نظير أن يتعلم دينه؟ وهل كان هناك أيام الإسلام الأولى من يفرضون على الناس الإفضاء بأسرارهم وبواطن أمورهم ؟ ولا أدري كيف يستقيم قول السهروردي " بأنه لابد للمريد من شيخ مرشد إلى الحق يرشده ويلقنه الذكر ويلقي في روعه النور" [٥٠٤]، في حين أن هذا المريد التعس مشغول بتقديم القهوة والطعام ولا وقت لديه لأن يستقبل في روعه النور. هؤلاء هم مشايخ الصوفية المظنون بهم العقل وحفظ الدين، لقد أخذ القوس غير باريها وسكن الدار غير بانيها، وللإسلام رب يحفظه. و الأمر من قبل ومن بعد. والعجيب أن الصوفية ينكرون إيمان من لا شيخ له وكأنهم يحكمون ببطلان إيمان الصحابة والسلف الصالح إذ لم يتلقوا

٥٠٣- اليواقيت والجواهر ص٦٥،٦٦ ..

٥٠٤ -عوارف المعارف- السهروردي ص٧٠

عن شيوخ ولم يكونوا مريدين مربوطين بشيوخ كشرط لصحة الإيمـان وهي الفرية التي يقولون بها. ويرون أنه " إذا لم يكن للمريد أستاذ "شـيخ" يأخذ منه طريقته نفسها فهو عابد هواه لا يجد نفاذا "٥٠٥. وبذلك ابتدعوا نوعا من الوصاية على الناس فحالوا بينهم وبين ربهم، وهم لا يأخـذون "هديهم" من كتابه وسنة نبيه مباشرة بل أصبح الأمر مثل كهنوت القـرون الوسطى. "وأراد الصوفية أن يؤسسوا لهم دولة في الباطن تحكم النـاس، فبنوا هذه الدولة العجيبة الباطنية التي يتحكم فيها هـؤلاء الـذين سـموهم بالغوث والأقطاب والأبدال والنجباء والأوتاد.. وأوهمـوا النـاس أن التصريف في الأرض والسماء والخلق أجمعين إنما هو لدولتهم الخفيـة التي يتحكم فيها أولياء الصوفية.. هؤلاء الأولياء الذين قد يكونون أحيانـاً أميين لا يعرفون قراءة ولا كتابة وأحياناً مجاذيب يصرخون ويبولون في الطرقات وأحياناً زناة وشاربي خمور قد رفعت عنهم التكاليف الظـاهرة وأن منهم من يعيش طيلة عمره قذراً وسخاً لا يتطهر بماء قط أو صابون ، ومع ذلك فهؤلاء الأولياء يعلمون الغيب كله ولا يخفى عليهم شيء فـي الأرض ولا في السماء ولا يعجزهم شيء" ٥٠٦ . والطريقة الصـوفية تعني اتصال المريد بالشيخ وارتباطه به حيا أو ميتا وذلك بواسطة ورد من

٥٠٥-الرسالة القشيرية- ص٧- طبعة القاهرة ١٣٣٠هجرية

٥٠٦- عبد الرحمن عبد الخالق - تفنيد الصوفية - بتصرف

الأذكار يعكف عليه المريد بإذن من الشيخ أول النهار وآخره، ويلتزم بـه بموجب عقد بينه وبين الشيخ، وهذا العقد يعرف بالعهـد، وصـورته أن يتعهد الشيخ بأن يخلّص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنة متـى ناداه مستعينا به، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة. ويتعهد المريـد بأن يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة كما يلتزم بالطريقة عينهـا ولا يستبدلها بغيرها من سائر الطرق. والتصريح بضمان الجنة للمريـد أمر مشهور عندهم وهو أكبر من مجرد الشفاعة يوم القيامة. يقول الشيخ التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية: "وليس لأحد من الرجـال أن يـدخل جميع أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الـذنوب مـا عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي. وإذا كان الأمر كـذلك فإنه لا يجوز زيارة المريد للشيخ إلا على طهارة لأن حضرة الشيخ هي حضرة ا ، وكان هذا المحتال يشتغل بتزييف العملة في تلمسان، وقـد عاقبه الحاكم العثماني للجزائر بالحبس، ثم النفي"٥٠٧ . ولزيارة التكيـة الصوفية آداب وطقوس، ففي الطريقة البكتاشية مثلا يفرض أربابها على المريد أن يغتسل قبل زيارة التكية وأن يأخذ معه هدية حتـى وإن كانـت ملحاً . فإذا وصل الباب سمى ولا يجوز له أن يطأ العتبة برجلـه لأنهـا

١- د. عبد ا عبد الرازق إبراهيم – أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية

مقدسة ثم يلتحق بالخدمة التي تطلب منه، وفي وقت المجلس يجلس حسب مرتبته، ولكل شخص مرتبة خاصة، والمراتب بالأقدمية.ثم يذهب المريد بعد دخول التكية والاستراحة فيها إلى القبر الموجود في التكية، ولزيـارة القبرة آداب محددة منها السلام المخصوص، ثم العودة بظهره إلى خارج الضريح. والشيخ في العادة لا يجلس مع المريدين، ولا يزار إلا إذا صدر الإذن بذلك من الشيخ، ولا يزوره المريد إلا بصحبة الدرويش المختص، وعلى المريد أن يخلع حذاءه ويدخل مطأطئ الرأس ويقف علـى بعـد خطوات من الشيخ ويقرأ: وجهك مشكاة وللهدى منارة، وجهك لصـورة الحق إشارة!!،وجهك الحج والعمرة والزيارة ، وجهـك للطـائعين قبلـة الإمارة، وجهك القرآن الموجز. وبعد ذلك يتقدم المريد فيقبل يد الشيخ ثم يعود بظهره بضع خطوات ولا يجلس حتى يأذن له الشيخ بالجلوس[508]!! ولا يخفى أن هذا هو عين الفكر الباطني في جعل الدين هو طاعة رجـل كما تقول الشيعة الإسماعيلية "الدين طاعة رجل"، وهذه العبودية الكاملة هي عين ما تهدف إليه هذه الطريقة -وسائر الطرق-حيث تجعل معاني الحج والعمرة والزيارة والقرآن هم هذا الشيخ الصوفي الباطني. وهذا التأهيل النفسي هو من باب إعداد هؤلاء المريدين والأتباع على الطاعة العميـاء

٥٠٨-الرسالة الأحمدية ص٧٤

التي يتطلبها الأمر عند صدور الأوامر لإحـداث التحـولات الصـوفية الشيعية السابقة لتكوين الدول الشيعية كما سنفصله في حينه من الكتاب.

والتقسيم إلى مريد مستعبد وشيخ مستغِل، هو أيضا النظام المعروف لدى طائفة اليزيدية،" فلكل مريد شيخ، يقدم إليه النذور والخيرات، ويتلقى منه تعاليم دينه "٥٠٩، "فالخيرات والنذور" هي الغاية والهدف. والتصنيف الطبقي عند اليزيدية -شأنه في ذلك شأن كل الفرق التي تصطنع التحريف والتخريف - يهدف إلى الانتفاع والارتزاق، وإلى النفوذ والـدينار. فقـد قسموا المقامات الدينية لتحديد المنافع والأرزاق. فالأمير هـو كبيـرهم، ويجب أن يكون من نسل يزيد، وهو المرجع الأعلـى المطـاع، ولـه صلاحيات التشريع وهو بمقام نبي، وتنحصر الإمارة في عائلته طبعا

شأن بقية الوظائف الدينية، ويحصل على دخله من جباية الضرائب من أبناء المذهب اليزيدي. وإليه تسلم النذور والصـدقات، وهـو الـوارث الشرعي لمن لا وارث له، والمستأثر بمهور النساء ممن لا ولـي لهـن. وهو معصوم،وبه جزء إلهي، ولا يحق لأحد مساءلته، ومـن يخـالف أوامره يحق عليه توقيع القصاص، وهو لستباحة بيته وماله. ياله من دين!

٥٠٩- هاشم البنا –اليزيديون ص٩٥

أما طبقة "الفقراء" فمهمتهم تعليم البنات والأولاد دق الـدفوف والـرقص الديني ٥١٠.

٥١٠- د . سهير محمد علي الفيل – اليزيدية - بتصرف

الطرق الصوفية

من الطرائف المضحكة المبكية، ما أعلنه أحد شيوخ الطرق الصوفية على رءوس الأشهاد في التلفاز من أن المغفلين من الناس - وهذا كلامه حرفيا-: هم من يظنون أن أتباع طريقته مسلمون"[511]. ومع ذلك ترى الكثيرين من مشايخ المؤسسات الدينية الرسمية ينافحون عن التصوف وهم في ذلك ملكيون أكثر من الملك نفسه

إن إظهار بطلان التصوف والإعلان عن ضلاله من الأمور المسكوت عنها سكوتا مريبا، فهو بين سكوت الجاهل الـذي لا يعـرف، وبين سكوت من يعلم ويغض الطرف فهو سكوت المأجور الذي يبيـع دينه بدنياه عملا بقول الشاعر: واقذف بنفسك حيـث يرجـى الـدرهم. والبعض يسكت من باب أن السكوت عن الأحمق جواب، وغاب عـن الجميع عدم جواز التماس تقويم مالا يستقيم، بالملاينة والإغضاء، فالعظم لا يعالج لنحناؤه إلا بالكسر. والطرق الصوفية هي تنظيم نفعي ارتزاقـي

١- كان هذا في لقاء في قناة الجزيرة الفضائية

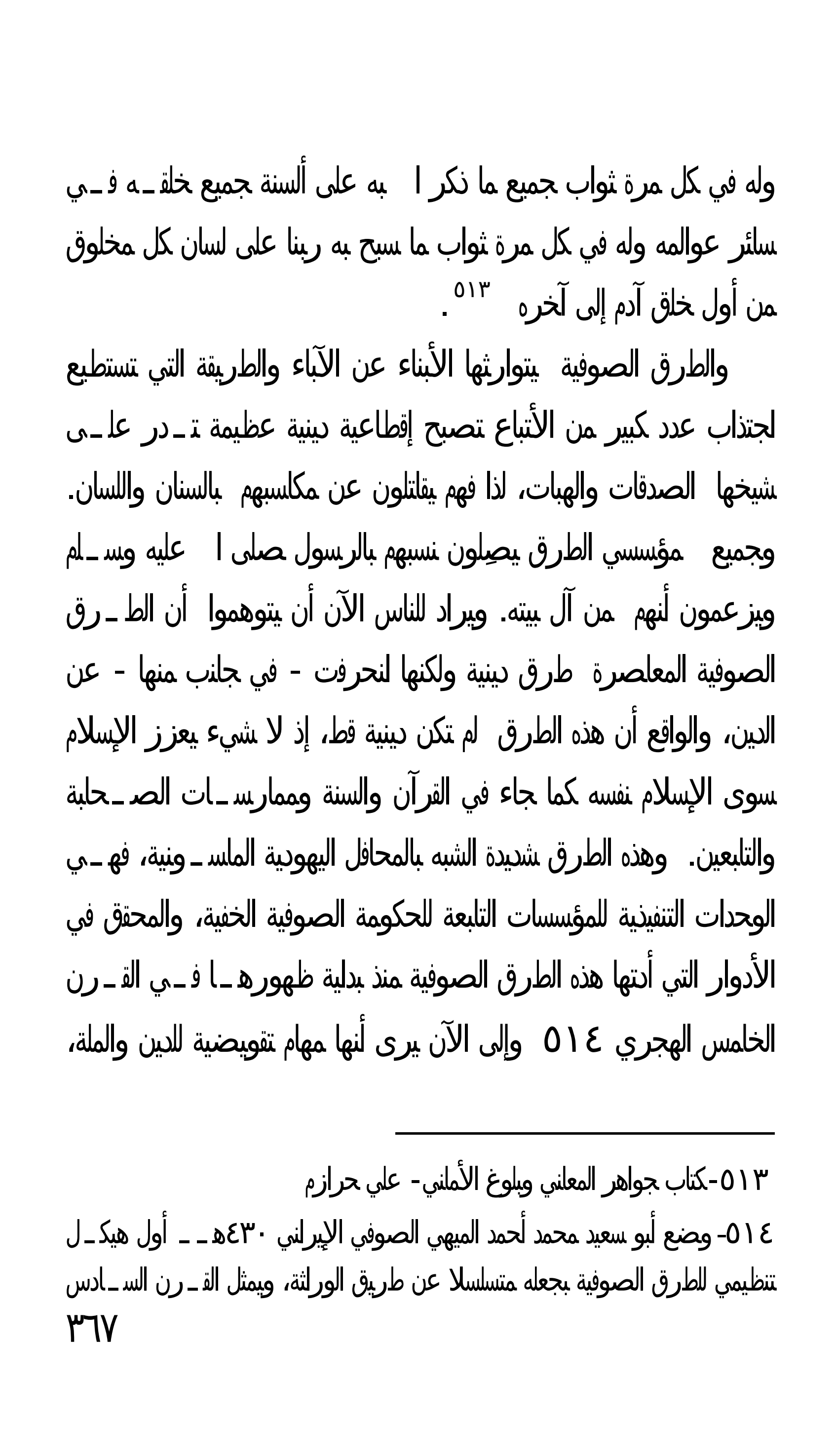
من جهة، ومحفل تآمري من جهة أخرى. و يؤسسها شيخ يزعم لنفسه مكانة دينية خاصة، أو يدعي تلقيه الوحي من ا مباشرة، أو يزعم مقابلته للنبي شخصيا وتلقيه منه العلوم والكتب والأوراد ليبلغها لأتباع الطريقـة، ويقرن هذه المكانة المزعومة بقدرات موهومة لا تكون لغيـر ا ، منهـا معرفة الغيب وإحياء الموتى، والزعم بمحاسبة الناس يوم القيامة وإدخالهم الجنة أو النار وفقا لهواه ، أو الزعم بمعجزات لم تكن لغير النبـي مثـل العروج إلى السماء . أما من حيث كونها محفلا للتآمر علـى الإسـلام كعقيدة، وعلى المسلمين كأنصار لهذه العقيدة، فالتاريخ - وهو الشاهد الذي لا يكذب- يكفينا مؤونة سوق الحجة والبرهان على ذلك. فجميع الـدول الشيعية التي ظهرت في التاريخ ظهرت بكيفية واحدة تقريبا وهي البـدء بالتركيز على بث الدعوة الدينية في صـورة دعـوة إلـى التصـوف والانتصار لآل البيت النبوي، ثم تستمر جهود هذه الدعوة لمـدة أجيـال برعاية من الحكومة الصوفية الخفية والتي تؤدى الدور الأساسي لخدمـة أعداء الإسلام كافة، وفي مقدمتهم التشيع، وسبق أن قلنا إن التصوف هـو لبن التشيع، والجهود الصوفية الدعوية سبقت وتسبق التحول من التصوف إلى التشيع. ولما كانت هذه الجهود يراد بها اجتذاب العوام ومعظمهم مـن الجهلة، كان لابد من اصطناع جواذب ومغريات تجمعهم حول هـذه الدعوات الصوفية فكان التخفف من العبادات وتيسير الزنا واللواط حتـى

إتيان البهائم كما كان مشايخهم يفعلون. وكانت كفالة من يتصوف في التكايا والخانقاوات وتوفير الغذاء والكساء والمأوي، من أهم المغريـات للعـوام بالتمتع بالمنافع الصوفية ولا سيما أن الناس كانوا في ضيق مـن العـيش والفقر في الأوقات التي ظهرت فيها هذه الطرق بدءا من القرن الخـامس الهجري وبعده. أما عن تواطؤ الطرق الصوفية على التـآمر علـى المسلمين، فدليلنا هو تواطؤهم مع المستعمرين وتثبيت أقدامهم في بلادنا، فضلا عن عدم مشاركتهم في الحروب الصليبية أو في التصدي للتتـر وغير ذلك من الحروب. فهم لا ينافحون عن دين ا كما يشيعون بـل يسعون إلى المكاسب الشخصية الدنيوية، بدءا من جمع الأموال والهدايا من الأتباع والمريدين ، وانتهاء بتكوين الدول والممالك. " فوصل الأمـر ببعض الطرق الصوفية إلى حد السعي إلى تقلد السلطة السياسـية مثـل الطريقة السنوسية في ليبيا، والطريقة القادرية في دولة سوكوتو ممثلة في الشيخ عثمان بن فودي وذريته الذين نجحوا في تأسيس دولة صوفية في شمال نيجيريا وظلت تمارس الطريقة القادرية لأكثر من قرن من الزمان، كما أسس عمر الفوتي التكروي إمبراطورية كبرى في غرب القـارة وطبق فيها أسس الطريقة التيجانية "٥١٢. فالمسألة ليست دين ينـافحون

٥١٢- د.عبد ا عبد الرازق إسماعيل – أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية

عنه، أو إسلام صحيح ينشرونه، بل الغاية هي طلب الدينار ، والمطيـة الذلول التي توصلهم لهدفهم كانت هي الدين.

ولامتلاك عقول وأفئدة الناس، ادعى شيوخ المتصـوفة الكرامـات والمكاشفات، ويزعم كل واحد منهم أنه تلقـى ذكـرا وأورادا خاصـة بطريقته من الغيب إما من الله مباشرة –وحيا أو كتابة- أو من الرسـول صلى الله عليه وسلم في اليقظة أو في المنام، أو من الخضر عليه السلام. المهم لا بد أن يكون له ذكر خاص ينفرد به عن سائر الطرق الأخـرى، بل منهم من يزعم أن النبي قد أطلعه على اسـم الله الأعظـم: "يقـول الصوفي علي حرازم في حصول شيخه أحمد التيجانيي على اسـم الله الأعظم وفي تقدير ثوابه، حاكياً ما أخبره به سيد الوجـود ﷺ، يقـول: يحصل لمن يقرأه في كل مرة سبعون ألف مقام في الجنة في كـل مقـام سبعون ألفاً من كل شيء في الجنة كائن من الحور والقصور والأنهار إلى غاية ما هو مخلوق في الجنة ما عدا الحور وأنهار العسل- لنظر تظاهر هذا الكذاب بالأمانة العلمية إذ يستثني الحور وأنهار العسل - فله في كـل مقام سبعون حوارء، وسبعون نهراً من العسل، وكل ما خرج مـن فيـه هبطت عليه أربعة من الملائكة المقربين فكتبوه من فيه وصعدوا به إلـى الله تعالى وأروه له فيقول الجليل جل جلاله: اكتبوه من أهل السعادة واكتبوا مقامه في عليين في جوار سيدنا محمد ﷺ، وهذا في كل لفظة من ذكـره،


وله في كل مرة ثواب جميع ما ذكر ا به على ألسنة جميع خلقـه فـي سائر عوالمه وله في كل مرة ثواب ما سبح به ربنا على لسان كل مخلوق من أول خلق آدم إلى آخره [513].

والطرق الصوفية يتوارثها الأبناء عن الآباء والطريقة التي تستطيع اجتذاب عدد كبير من الأتباع تصبح إقطاعية دينية عظيمة تـدر علـى شيخها الصدقات والهبات، لذا فهم يقاتلون عن مكاسبهم بالسنان واللسان. وجميع مؤسسي الطرق يصِلون نسبهم بالرسول صلى ا عليه وسـلم ويزعمون أنهم من آل بيته. ويراد للناس الآن أن يتوهموا أن الطـرق الصوفية المعاصرة طرق دينية ولكنها انحرفت - في جانب منها - عن الدين، والواقع أن هذه الطرق لم تكن دينية قط، إذ لا شيء يعزز الإسلام سوى الإسلام نفسه كما جاء في القرآن والسنة وممارسـات الصـحابة والتابعين. وهذه الطرق شديدة الشبه بالمحافل اليهودية الماسـونية، فهـي الوحدات التنفيذية للمؤسسات التابعة للحكومة الصوفية الخفية، والمحقق في الأدوار التي أدتها هذه الطرق الصوفية منذ بداية ظهورهـا فـي القـرن الخامس الهجري ٥١٤ وإلى الآن يرى أنها مهام تقويضية للدين والملة،

٥١٣-كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني- علي حرازم

٥١٤- وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهي الصوفي الإيراني ٤٣٠هـ ـ أول هيكـل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلا عن طريق الوراثة، ويمثل القـرن السـادس

وهي وسائل يستخدمها أعداء هذه الأمة لإحكام القبضة علـى الإسـلام والمسلمين. وهي بمثابة مخلب القط أو قل نصل الرمح الذي يرشقونه في نحر الإسلام.

ووجود المحفل، أو أي مجلس خاص، يعد ضرورة لأي جماعات باطنية ليتيح لأعضائها الاجتماع للتشاور والتآمر والتخطيط. واقرأ ما جاء في رسائل جماعة " إخوان الصفا " وهي جماعة باطنية سرية إسماعيلية: " ينبغي لإخواننا أيدهم ا حيث كانوا من البلاد، أن يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة لا يداخلهم فيه غيرهم، يتـذاكرون فيـه علومهم، ويتحاورون فيه أسرارهم ".وهذا هو عين مـا تحققـه التكيـة والخانقاه لأفراد الطريقة، إذ لو كان اجتماعهم بغرض العبـادة لكفـتهم المساجد، ومع غموض أنشطة جماعة إخوان الصفا ، إلا أنه لا يمكـن تجاهل شواهد علاقتها بالماسونية . ومضى القول إن التحـول الصـوفي الشيعي كان آلية شديدة الفعالية في اجتذاب الأنصار والأعـوان لتعزيـز التجمعات الشيعة السابقة لتكوين الدول الشيعية، ولما ثبت فعالية هذه الآليـة على نحو لا يتحقق بأي وسيلة أخرى، كان التفكير في تعزيز الانتفاع بهذه

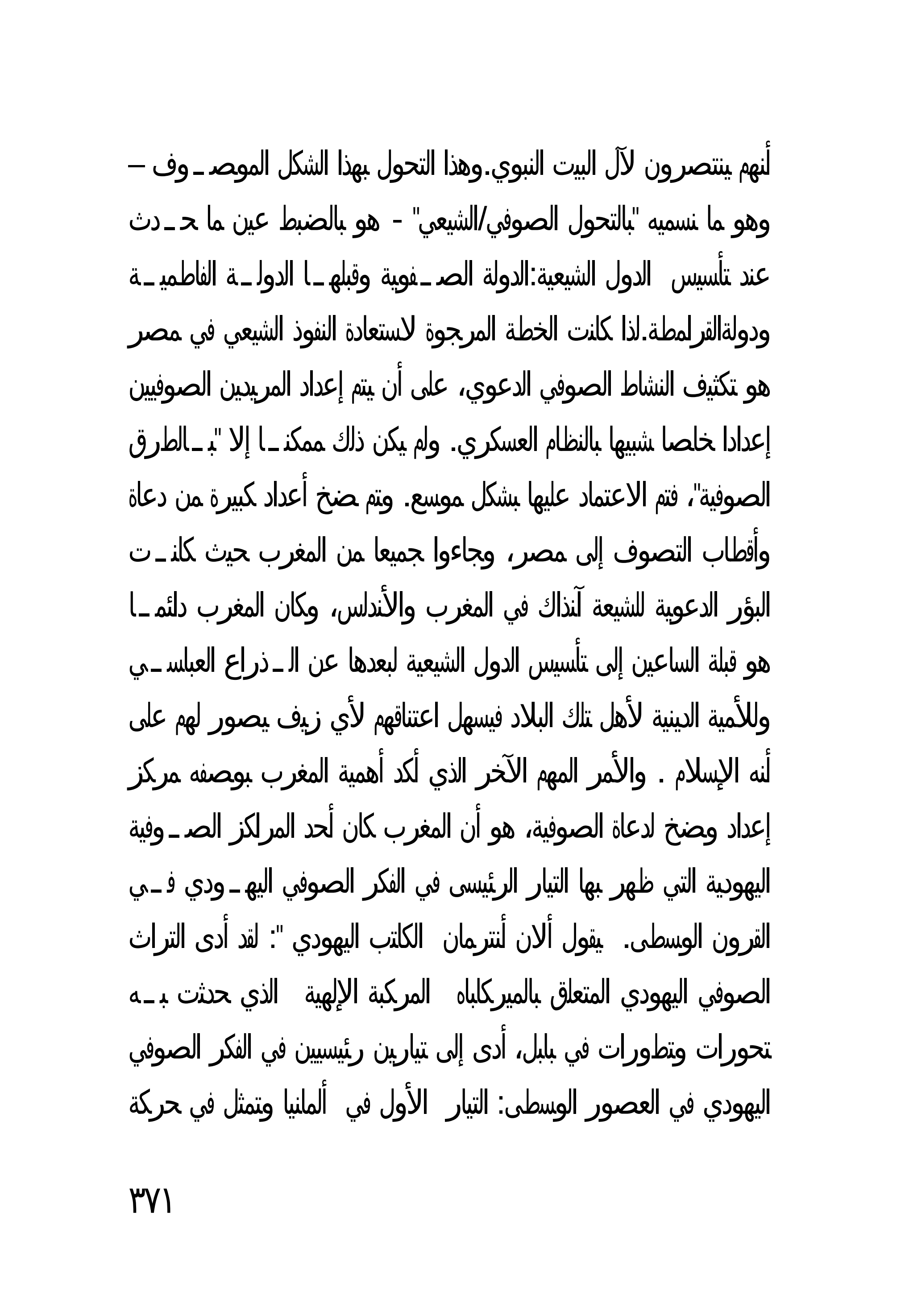
الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها حيث انتقلت من إيران إلى المشـرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبد القادر الجيلاني ٥٦١هـ .

الطريقة، وكان ذلك الاختراع الجهنمي المسمى بـ الطرق الصـوفية. فعندما سقطت دولة الشيعية في مصر الدولة الفاطمية في سنة ٥٦٧ هجرية،احتشدت جهود فلول الشيعة لإعادة بعث دولتهم في مصر بعـد استيلاء الأيوبيين على البلاد، واستخدم الشيعة أحدث مكائد العصر فـي إحداث الانقلاب الصوفي الشيعي، ألا وهو استثمار التشـكيل الجهنمـي المسمى بالطرق الصوفية،وذلك بعد فشـل اسـتعادة النفـوذ بالوسـائل العسكرية. ومن أوائل هذه الطرق، طريقة الصوفي عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة المعروفة باسم القادرية أو الجيلانية، ونشأت هذه الطريقة على استحياء وحذر ولزمت الشرع دون مغايرة - في وقتهـا- حتـى تتحسس المواضع، حتى إن ابن تيمية وصف هذه الطريقة بأنها الطريقـة الوحيدة الصحيحة، وكان هذا شأنها الأول إذ لم يظهر بعد ضلالها قبل أن ينسب أتباع الجيلاني إليه فيما بعد الكثير من الكرامات، فقالوا إنه كـان يسير في الهواء وعلى رؤوس الناس، وكان يخاطب الجن ويهديهم ، وقد رزق بتسعة وأربعين ولداً، حمل أحد عشر ولدا منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي، ونسبوا إليه من الأمور العظيمة ما لا يقدر عليهـا إلا ا تعالى من معرفة الغيب، وإحياء الموتى، وتصرفه في الكون حيـاً أو ميتاً، بالإضافة إلى مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال الشنيعة : منها قوله في أحد مجالسه: قدمي هذه على رقبة كل ولي ، وكان يقول:

من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له ، ولا يخفى ما في هذه الأقوال من الشرك وادعاء الربوبية "٥١٥.

وفي القرن السادس الهجري ظهر طور آخر من أطوار الطرق الصوفية، ففي النصف الثاني من ذلك القرن كان الضعف قد دب في أوصال الدولة الشيعية الفاطمية في مصر إلى أن سقطت على أيدى الأيوبيين.ولما فشل الشيعة في استعادة نفوذهم في مصر بالوسائل العسكرية،لجأت القوة الخفية التي تستتر وراء الشيعية والصوفية وتوظفهما لتقويض الإسلام،لجأت إلى استحداث وسائل مبتكرة لتحقيق الغايات الشيعية ولكن في ثوب صوفي ينتصر له نظام الدولة الأيوبية الجديدة دون أن يدري، وذلك يضمن إحداث نفس الأثر التدميري في العقل والضمير المسلم، ويحقق الغايات المرجوة ولكن دون اضطرار لمواجهات مباشرة مع النظام الحاكم الجديد، فالمواجهة العسكرية لم تصبح الخيار المطروح . لذا كان على القوة الخفية المدبرة أن تلجأ للوسيلة التي سبق تنفيذها بنجاح عدة مرات وهي تكثيف النشاط الدعوي الصوفي بين الناس حتى إذا اشتد الساعد الصوفي بانتشار التصوف بين جموع الجماهير، يتم إحداث التحول الموعود إلي المذهب الشيعي بأيدي من تصوفوا ظنا منهم

٥١٥- الطرق الصوفية وانتشار البدع- د. أحمد عبد الكريم نجيب



أنهم ينتصرون لآل البيت النبوي.وهذا التحول بهذا الشكل الموصـوف – وهو ما نسميه "بالتحول الصوفي/الشيعي" - هو بالضبط عين ما حـدث عند تأسيس الدول الشيعية:الدولة الصـفوية وقبلهـا الدولـة الفاطميـة ودولةالقرامطة.لذا كانت الخطة المرجوة لاستعادة النفوذ الشيعي في مصر هو تكثيف النشاط الصوفي الدعوي، على أن يتم إعداد المريدين الصوفيين إعدادا خاصا شبيها بالنظام العسكري. ولم يكن ذلك ممكنـا إلا "بـالطرق الصوفية"، فتم الاعتماد عليها بشكل موسع. وتم ضخ أعداد كبيرة من دعاة وأقطاب التصوف إلى مصر، وجاءوا جميعا من المغرب حيث كانـت البؤر الدعوية للشيعة آنذاك في المغرب والأندلس، وكان المغرب دائمـا هو قبلة الساعين إلى تأسيس الدول الشيعية لبعدها عن الـذراع العباسـي وللأمية الدينية لأهل تلك البلاد فيسهل اعتناقهم لأي زيف يصور لهم على أنه الإسلام . والأمر المهم الآخر الذي أكد أهمية المغرب بوصفه مركز إعداد وضخ لدعاة الصوفية، هو أن المغرب كان أحد المراكز الصـوفية اليهودية التي ظهر بها التيار الرئيسى في الفكر الصوفي اليهـودي فـي القرون الوسطى. يقول ألان أنترمان الكاتب اليهودي ": لقد أدى التراث الصوفي اليهودي المتعلق بالميركاباه المركبة الإلهية الذي حدثت بـه تحورات وتطورات في بابل، أدى إلى تيارين رئيسيين في الفكر الصوفي اليهودي في العصور الوسطى: التيار الأول في ألمانيا وتمثل في حركة

الأشكناز التطهريين، والتيار الثاني حدث في مكان أكثـر لنتحـاء إلـى الغرب، في شبه جزيرة ليبيريا وجنوب فرنسا " ٥١٦، وشـبه جزيـرة أيبيريا هي الأندلس الملاصقة للمغرب. ولحتضن المغرب العربي منـذ البداية ميلاد دول شيعية كالأدارسة والفاطميين ،كما كان مركز ضخ هائل لأقطاب وأصحاب الطرق الصوفية ومشايخها إلى جميع أقطـار العـالم الإسلامي على النحو الذي لم يتحقق- في نظرنا - لمكان آخر. ولـيس من قبيل المصادفة أن يتدفق من الغرب - المغرب والأندلس - إلى باقي العالم الإسلامي، وخصوصا مصر، أعداد كبيرة من أعلام الصـوفيين." فقد بلغ عددهم في مصر في القرن السابع الهجـري وحـده لضـعاف الصوفية الذين ظهروا فيها في أي قرن من القرون السابقة أو اللاحقـة حتى القرن العشرين الميلادي."٥١٧ إذ بلغ عددهم في القـرن السـابع الهجري وحده حوالى ٣٠ من أعلام الصوفية جاءوا كلهم - تقريبا- من المغرب والأندلس، في حين أن إجمالى من كان بمصر منهم في عشـرة قرون كاملة- من الأول الهجري إلى آخر التاسع- حوالي ٩٠ صـوفيا فقط٥١٨. ومن كبار أعلامهم الذين وفدوا إلى مصـر مـن المغـرب

٥١٦-ألان أنترمان – اليهود : عقائدهم الدينية وعباداتهم- ص١٨٢

٥١٧ -الطرق الصوفية في مصر- د.عامر النجار

٥١٨- لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى كتاب حسن المحاضرة للسيوطي ،

والأندلس: محيي الدين ابن عربـي،وأحمـد البـدوى،والمرسـي أبـو العباس،وأبوالحسن الشاذلي، وعبد الرحيم القناوي، وعبد الحق بن سـبعين وأحمد الرفاعي. وهم مؤسسو أشهر الطرق الصوفية في مصر والعـالم الإسلامي، وقد تدفقوا إلى مصر قبيل وبعد سقوط دولة الشيعة بها، بقصد بث الضلال الصوفي بين الناس حتى إذا اشتد الساعد الصوفي تمكنوا من إحداث الانقلاب الصوفي الشيعي بدعوى الانتصار لآل البيـت النبـوي والحقيقة أنه لاسترداد النفوذ الشيعي في البلاد. وتم توزيعهم علـى أرض مصر توزيعا جغرافيا دقيقا بحيث يسيطرون على أرض مصـر كلهـا ويتسنى لدعاتهم مزاولة أنشطتهم الدعوية بيسر. والسر وراء ضخ هـذا العدد الكبير من شيوخ الصوفية إلى مصر في القرن السـابع الهجـري بالذات هو الحاجة الماسة إلى تكثيف الجهود لاستعادة مصر مرة أخـرى للنفوذ الشيعى . وعدد"الطرق الصوفية" في العالم حوالى٣٠٠ طريقة، مـا ساق ا بها خيرا، ولا صرف بها شرا وهي ابتكار يعود في أصوله إلى إيران.

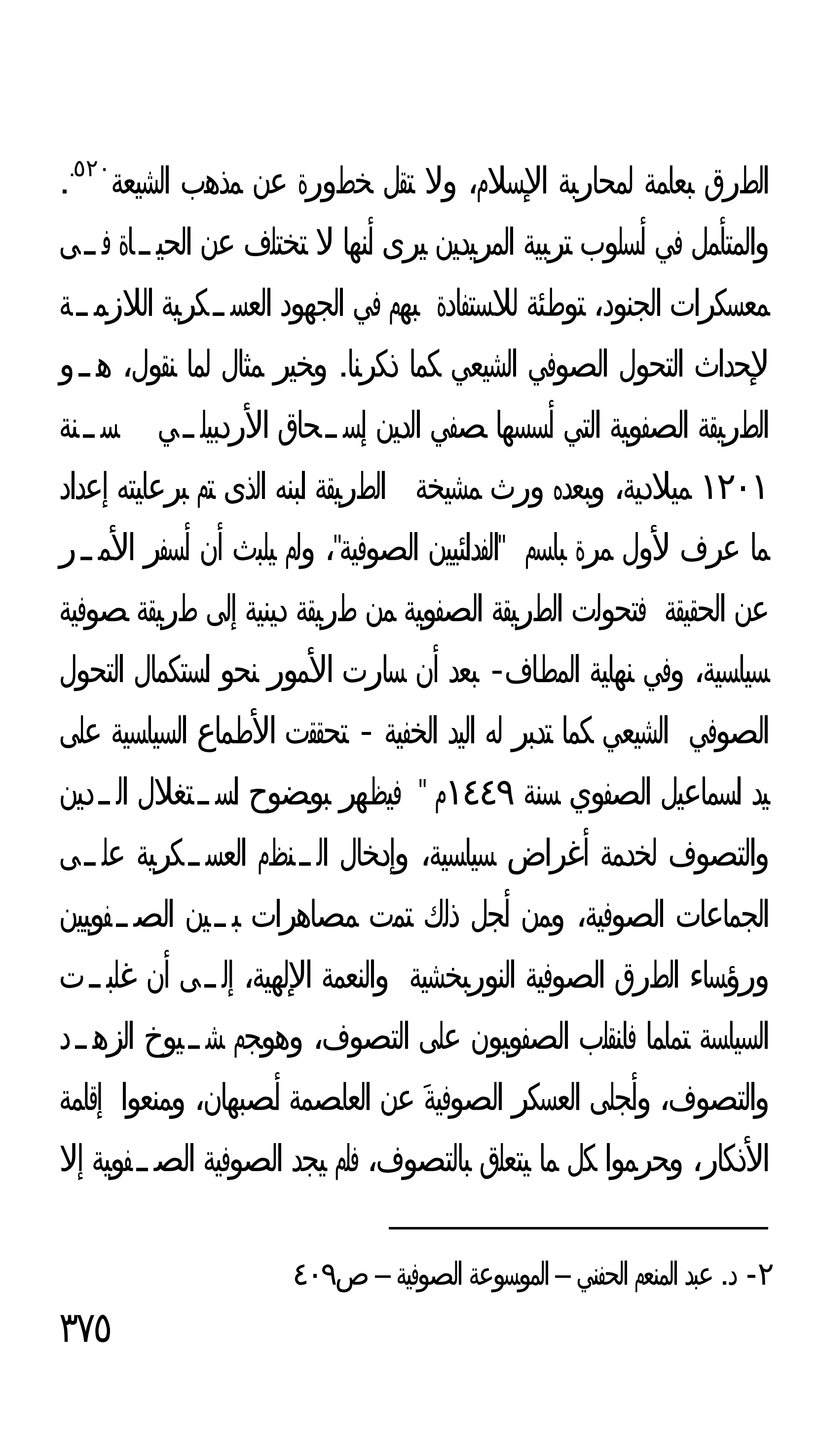
وانتشرت الصوفية بين العامة بفضل الطرق الصوفية " إذ تحولت إلى تنظيم

وكتاب الطرق الصوفية في مصر للدكتور عامر النجار

اجتماعى متماسك يحل في الأحياء الحضرية على أسـاس المهـن، ويحل في البوادي بين ظهراني القبائل. وباختصـار، تحولـت الطـرق الصوفية إلى تنظيم اجتماعي ذي وظائف روحية واقتصـادية وسياسـية وحربية"[519]. ومن أوائل الطرق الصوفية التي تشكلت لخدمة ما ذكرنـا من الأهداف كانت الطريقة الأكبرية المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بـن عربي المعروف بالشيخ الأكبر، وقد تأثر معظـم مؤسسـي الطـرق الصوفية به، وتقوم طريقته على عقيدة وحدة الوجود والصمت والعزلـة والجوع والسهر. وهو من يقول: من لا شيخ له، فإن شيخه الشيطان.

وعماد العلاقة بين المريد والشيخ هي الطاعة من المريـد ويقابلهـا التشدد من الشيخ كعلاقة الجندي بقائده . وفور أخذ المريد العهد على شيخه يصبح عضوا في الجماعة التي تشبه الخلية العسـكرية وعليـه أن يصدع بأوامر شيخه، "و يلزم الخلوة لا يبارحها إلا بـإذن الشـيخ، ولا يتصل المريدون ببعضهم البعض إلا في حضوره، وإذا خرجوا خرجوا جماعات ذاكرين ا ، لا يلتفتـون يمنـة ولا يسـرة، ولا إلـى وراء، ويجتمعون للصلاة والطعام والنوم والذكر وإنشاد الأشعار الصوفية. وكل ذلك ليمحو من عقولهم ما عرفوه من الإسلام، وليمهـد عنـدهم لديانتـه الجديدة. ولذا كانت طريقته الأكبرية من أخبث طرق التصوف، وأخطر

٥١٩- فالح عبد الجبار- مستقبل الثقافة العربية سلسلة أبحاث المؤتمرات-٢



الطرق بعامة لمحاربة الإسلام، ولا تقل خطورة عن مذهب الشيعة[٥٢٠].
والمتأمل في أسلوب تربية المريدين يرى أنها لا تختلف عن الحيـاة فـى معسكرات الجنود، توطئة للاستفادة بهم في الجهود العسـكرية اللازمـة لإحداث التحول الصوفي الشيعي كما ذكرنا. وخير مثال لما نقول، هـو الطريقة الصفوية التي أسسها صفي الدين إسـحاق الأردبيلـي سـنة ١٢٠١ ميلادية، وبعده ورث مشيخة الطريقة ابنه الذى تم برعايته إعداد ما عرف لأول مرة باسم "الفدائيين الصوفية"، ولم يلبث أن أسفر الأمـر عن الحقيقة فتحولت الطريقة الصفوية من طريقة دينية إلى طريقة صوفية سياسية، وفي نهاية المطاف- بعد أن سارت الأمور نحو استكمال التحول الصوفي الشيعي كما تدبر له اليد الخفية - تحققت الأطماع السياسية على يد اسماعيل الصفوي سنة ١٤٤٩م " فيظهر بوضوح استغلال الـدين والتصوف لخدمة أغراض سياسية، وإدخال الـنظم العسـكرية علـى الجماعات الصوفية، ومن أجل ذلك تمت مصاهرات بـين الصـفويين ورؤساء الطرق الصوفية النوربخشية والنعمة الإلهية، إلـى أن غلبـت السياسة تماما فانقلب الصفويون على التصوف، وهوجم شـيوخ الزهـد والتصوف، وأجلى العسكر الصوفيةَ عن العاصمة أصبهان، ومنعوا إقامة الأذكار، وحرموا كل ما يتعلق بالتصوف، فلم يجد الصوفية الصـفوية إلا

٢- د. عبد المنعم الحفني – الموسوعة الصوفية – ص٤٠٩

أن يرتحلوا إلى الهند مهاجرين بطريقتهم "[521]. و التشيع والتصـوف وجهان لعملة واحدة، بل هناك طرق صوفية تجمـع بـين التصـوف والتشيع في آن واحد مثل طريقة " الشيعة المحمدية" وهي طريقـة مـن صوفية الشيعة ممن جمعوا بين التشيع والتصوف وقالوا إنهم على مذهب أهل السنة، وكذلك الطريقة البكتاشية، والطريقة الرفاعية التـي يـؤمن أتباعها بكتاب الجفر وبالأئمة الشيعة الاثنى عشر، وإبداء الحزن يوم عاشوراء وهي معتقدات شيعية، بل ويزيدون بالاعتقاد أن أحمد الرفاعي هو الإمام الثالث عشر. وتأكد الرأي عندنا أن التصوف هو ابن التشيع، بل إن ابن خلدون يقولها في صراحة إن الصوفية نقلوا نظامهم عن التشـيع، حتى إن الصوفية لما أسندوا لباس خرقة التصـوف ليجعلـوه أصـلا لطريقتهم ونحلتهم رفعوه إلى علي رضي ا عنه. ويدلل الدكتور زكـي مبارك على هذه الصلة بقوله إن أهل فارس هم أكثر الناس تصوفا بـين الأمم الإسلامية، وهم كذلك أشد الشعوب الإسلامية تشيعا"[522].

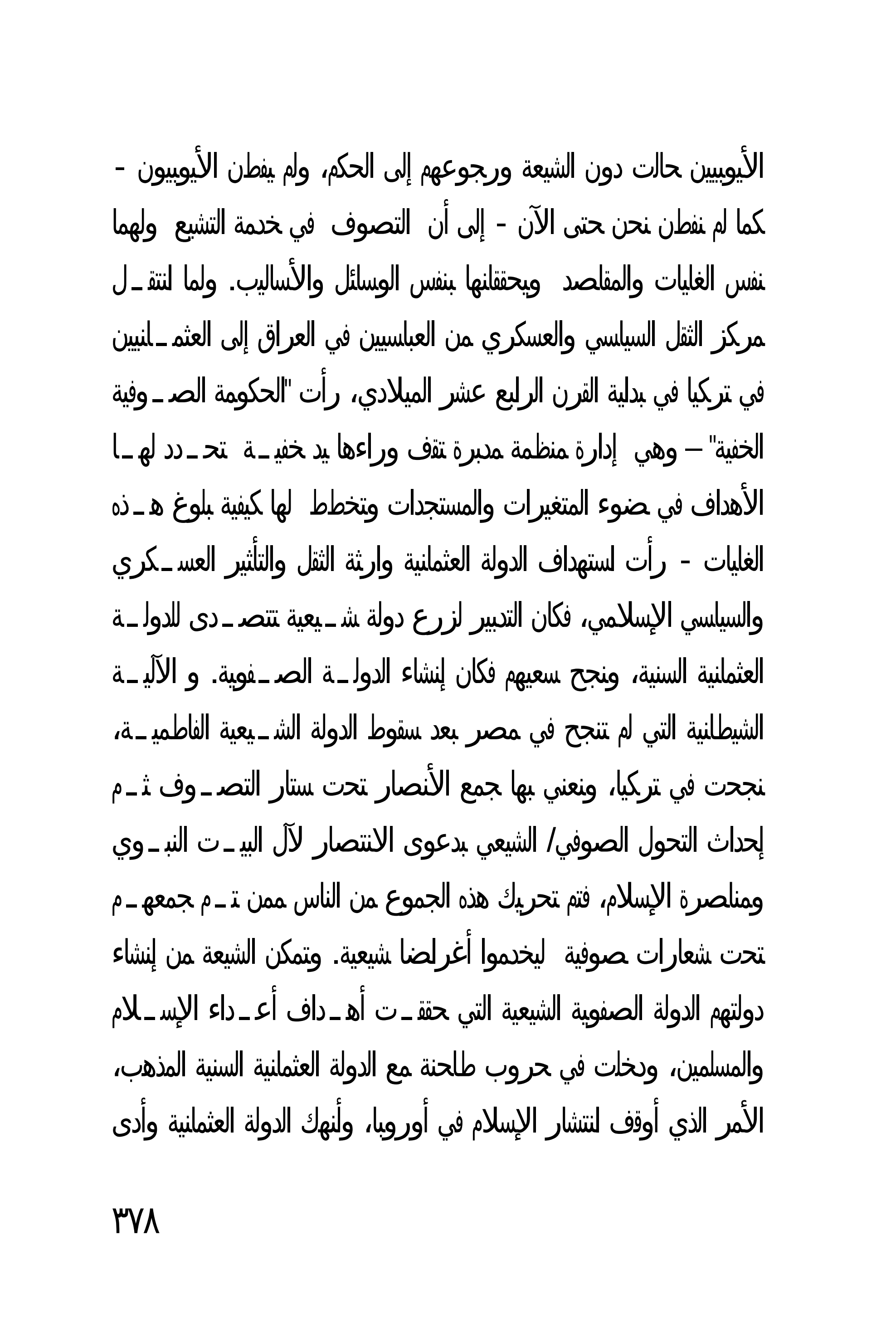
و لما توقفت جهود الدعوة إلى الإسلام في أزمنة الضعف والهـوان، وتقاعس العلماء عن التصدي لمؤامرة تحريف الإسلام، روجـت هـذه الطرق الصوفية لنشر الإسلام المحرف في أقطار الأرض ويحمد لهـا

د. عبد المنعم الحفني – الموسوعة الصوفية-١

٥٢٢- د.سعيد عبد الفتاح عاشور- الشيخ أحمد البدوي

الجاهلون هذا الجهد ظنا منهم أنها تخدم الإسلام، فللرفاعية انتشار ملحوظ في غرب آسيا، كما ساهمت الطريقة الجيلانية فـي إقامـة المراكـز الإسلامية التي قامت بدور كبير في نشر الإسلام في أفريقيا، ولكـن أي إسلام نشروا؟ إنه أباطيلهم وتخاريفهم التي روجوا لها على أنها الإسـلام الصحيح، فأضلوا الناس عن دين ا الحق بعد أن سودوا صفحة الإسلام فنفر منه العقلاء. وكانت "الحكومة الصوفية"

تلاحق مراكز الثقل السياسي والعسكري في العالم الإسلامي، وتركز أنشطتها وتحشد أتباعها ودعاتها في مناطق النفوذ . فعندما كانت بغـداد هي مركز الخلافة العباسية تَركز عليها الاحتشاد والاستهداف الصـوفي بالتعاون مع الاحتشاد والاستهداف الشيعي، فاستهدفتها الطرق الصـوفية المختلفة كالجيلانية والرفاعية . وعندما فقدت الشـيعة الإسـماعيلية - الفاطميون- مصر بعد أن سيطروا عليها حوالي قرنين، وبعد أن استولى عليها الأيوبيون، خطط الشيعة لاستعادة مصر – البقرة الحلوب- وقرروا تسخير الصوفية لجمع الأنصار ومناصرة الشيعة مثلما سبق وفعلـوا عند تأسيسهم الدولة القرمطية والدولة الفاطمية وكما سيفعلون بعد ذلك عند تأسيس الدولة الشيعية الصفوية ، فتم ضخ أعداد كبيرة من مشايخ الصوفية من المغرب والأندلس إلى مصر كما سبق القول، وتم استثمار التنظـيم المسمى بالطرق الصوفية لإحداث التحول الصوفي/ الشيعي، ولكن يقظة



الأيوبيين حالت دون الشيعة ورجوعهم إلى الحكم، ولم يفطن الأيوبيون - كما لم نفطن نحن حتى الآن - إلى أن التصوف في خدمة التشيع ولهما نفس الغايات والمقاصد ويحققانها بنفس الوسائل والأساليب. ولما انتقـل مركز الثقل السياسي والعسكري من العباسيين في العراق إلى العثمـانيين في تركيا في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، رأت "الحكومة الصـوفية الخفية" – وهي إدارة منظمة مدبرة تقف وراءها يد خفيـة تحـدد لهـا الأهداف في ضوء المتغيرات والمستجدات وتخطط لها كيفية بلوغ هـذه الغايات - رأت استهداف الدولة العثمانية وارثة الثقل والتأثير العسـكري والسياسي الإسلامي، فكان التدبير لزرع دولة شـيعية تتصـدى للدولـة العثمانية السنية، ونجح سعيهم فكان إنشاء الدولـة الصـفوية. و الآليـة الشيطانية التي لم تنجح في مصر بعد سقوط الدولة الشـيعية الفاطميـة، نجحت في تركيا، ونعني بها جمع الأنصار تحت ستار التصـوف ثـم إحداث التحول الصوفي/ الشيعي بدعوى الانتصار لآل البيـت النبـوي ومناصرة الإسلام، فتم تحريك هذه الجموع من الناس ممن تـم جمعهـم تحت شعارات صوفية ليخدموا أغراضا شيعية. وتمكن الشيعة من إنشاء دولتهم الدولة الصفوية الشيعية التي حققـت أهـداف أعـداء الإسـلام والمسلمين، ودخلت في حروب طاحنة مع الدولة العثمانية السنية المذهب، الأمر الذي أوقف انتشار الإسلام في أوروبا، وأنهك الدولة العثمانية وأدى

إلى سقوطها في نهاية الأمر. ورأت "الحكومة الصوفية الخفية" غزو الدولة العثمانية بالطرق الصوفية المتاحة وقتها وهى الطرق القادرية الجيلانيـة والرفاعية والمولوية ، ورأت ابتداع طرق صوفية أخرى إضافية لنشر الإسلام المحرف في الولايات العثمانية التي تقع في أوروبا،فقد كان مـن الضروري لأعداء الإسلام أن يقيموا جدارا منيعا يفصل بـين الإسـلام الصحيح غير المحرف وبين الناس في أوروبا، وفعلا تم استنفار وحشد أشهر الطرق الصوفية المعروفة آنذاك لتمارس جهودها الدعوية التحريفية في البوسنة،كما نشأت في البوسنة ذاتها فرق ضالة أسسها زنادقـة باسـم الدين.

يذكر المؤرخ التركي أوليا شلبي أن في سراييفو سبعاً و أربعين تكية لخمس طرق صوفية [٥٢٣]- لاحظ أهمية التكايا لنشر التصوف والإسلام المحرف. وسوف نعرض في عجالة إلى الطرق الصوفية الخمس العاملة في أوروبا والتي

تم إنشاؤها في البوسنة وهي أراض أوروبية، وحرصت الحكومـة الصوفية الخفية أن تروج الصورة المشوهة للإسلام لتنفير الأوروبيين من

٥٢٣- انظر : الدكتور محمد الأرناؤوط : الإسلام في يوغسلافيا ، ص: ١٧٥ نقـلاً عن أوليا شلبي

دين الفطرة، فلو رأى الناس هذا الدين بلا تحريف أو دجل لاعتنقه كل ذي فطرة سليمة.

و هذه الطرق الصوفية الخمس هي [524]:

الطريقة القادرية: أسسها عبد القادر الجيلاني الذي يـزعم أتباعـه، ومعظمهم من أصحاب الحرف والمهنيين، أنه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري عن الحسن بن علي بن أبي طالـب رضـى ا عنهما، ونسبوا إليه قدرات إلهية كمعرفة الغيب، وإحياء الموتى وتصرفه في الكون حيا أو ميتا، وتنطق أوراد وأذكار هذه الطريق بكفر بواح كقولهم : من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت عنه ومن توسل بي في حاجة قضيت له. وانظر إلـى أصـحاب الطريقـة القادرية كيف يفعلون إذا أصابهم هم أو غم واستغاثتهم بمشايخهم –مـن دون ا - لصرف الأحزان عنهم يقولون٥٢٥ :" إذا وقع لك هم تقـدم أحد عشر خطوة إلى جهة العراق وتقول في الأولى يا شيخ محيي الـدين وفى الثانية يا سيدي محيي الدين وفى الثالثة يا مولانا محيي الـدين وفـى الرابعة يا مخدوم محيي الدين وفى الخامسة يا درويش محيي الدين وفـى

---

٥٢٤ - انظر : نيازي شكريتش : انتشار الإسلام في البوسنة و الهرسك : ١٦٠ .

٥٢٥- الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص٣٢

السادسة يا خولجة محيي الدين وفى السابعة يا سلطان محيي الدين وفـى الثامنة يا شاه محيي الدين وفى التاسعة

يا غوث محيي الدين وفى العاشرة يا قطب محيي الدين وفى الحاديـة عشر يا سيد السادات عبد القادر محيي الدين ويا شيخ الثقلين أغثنى ".

الطريقة المولوية:

المنسوبة إلى جلال الدين الرومي[526] ، وقد جاءت دعوتها إلى البوسنة في صورة متطورة لها طقوس تستعمل خلالها المعازف الموسيقية . وهم أصحاب بدعة ذكر الله تعالى بلبس الطراطير والرقص والدوران وهـم يرتدونها في حلقات الذكر ! وقد شاركوا في نشر الإسلام المحرف فـي تركيا وآسيا الغربية . ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وحلب وفي بعض أقطار المشرق، وذلك بعد انحسار أهمية تركيـا بعد فقدانها الثقل السياسي والعسكري والديني وكلها عوامـل كانـت قـد

١- جلال الدين الرومي : هو محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن أحمد الهاشمي المولوي ، وهو شاعر فارسي ت٦٧٢هـ / ١٢٧٣م في قونية ، كان عالما عارفا بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، ثم تجرد ، و هام و ترك الدنيا و التصنيف والاشتغال بالعلم.

انظر ترجمته في : الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ١ / ١٢٣ – ١٢٥ .

اقتضت "الحكومة الصوفية الخفية" أن تتولى عناية صوفية لتقويض المـد الإسلامي خصوصا في أوروبا .

الطريقة الرفاعية527:

ومؤسسها أحمد الرفاعي، ولأشهر ما يعرف عنه زعم أتباعه أنه لما حج عام 555 هجرية ووقف أمام قبر الرسول صلى ا عليه وسـلم طلب منه تقبيل يده الشريفة: ويزعم أتباعه أن النبي خرج من قبره ومد له يده من بين حديد شباك القبر فقبلها الرفاعي . هكذا كان ابتلاء هذه الأمـة في عقلها ودينها.

الطريقة الخلوتية:

ومؤسسها يوسف الخلوتي، و قد كانت ذائعة الانتشار فـي ولايـات الدول العثمانية، و توطدت في سراييفو حيث أسس فيها زاوية وخانقاه، سنة ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م.

الطريقة النقشبندية528:

527- ومؤسسها الشيخ أحمد الرفاعي ت٥٧٠ هـ/ ١١٧٣م ، جاء أبوه من المغرب ، ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب. وولد أحمد الرفاعي في قرية حسن بالقرب من أم عبيدة بالعراق

وهي طريقة تشبه الطريقة الشاذلية، انتشرت في فارس وبلاد الهند، وكانت أقل انتشارا في البوسنة عن مثيلاتها من الطرق. ويعتقد النقشبنديون أن المؤسس الأول للطريقة النقشبندية هو أبو بكر الصديق وأن شيوخ هذه الطريقة من الإنس والحيوانات كالفرس والهرة والفهد والنحلة . قال صاحب الرشحات: "وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ، ومن شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفرس فإن عبادته عجيبة، فما استطعت أن أتصف بعبادتهم" وزعم أن السالكين يرون الله بالطريقة التجلية فيرون الله في جميع الأشياء من إنسان ونباتات وحيوانات بل ويتجلى الله في شكل فرس ٥٢٩ ، تعالى الله عما يصفون -ويحكون أن شيخهم علمه أن يطلب المدد من كلاب الحضرة النقشبندية ويخدمهم بإخلاص وأنه اجتمع مرة بكلبٍ وحرباء فحصل له من لقائهما بكاء عظيم وسمع لهما تأوهاً وحنيناً فاستلقى كل منهما على ظهره، ورفع الكلب قوائمه الأربع إلى السماء وأخذ يدعو الله ، وكذلك فعلت الحرباء والشيخ واقفٌ يقول: آمين، يؤمن على دعاء الكلب والحرباء ٥٣٠.

٥٢٨- ومؤسسها الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي ت ٧٩١ هـ

٥٢٩- البهجة السنية ص٦ رشحات عين الحياة ص١٣٣ لعلي الهروي .

٥٣٠- المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية ١١٨-١١٩، والأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ١٣٠

وإلى جانب الطرق الخمس السالفة الذكر عرف أهل البوسنة ثـلاث طرق أخرى ذاع صيتها في البلقان خاصة، و عرفت بانحرافها الشـديد عن جادة الصواب و بعدها عن أصول الدين، و هذه الطرق هي: الطريقة البكتاشية، وهي فرع من الطريقة البابائية التي أسسها بابا إسحاق الذي كان شيخا للحاج بكتاش. وكان الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هـذه الطريقـة وبها الكثير من الخلط والأفكار الشيعية مما يجعلها أقرب إلى التصـوف الشيعي منها إلى التصوف "السني"، وقد كان لهذه الطريقة أثر بارز فـي نشر الإسلام المحرف بين الأتراك والمغول، وكان لها نفوذ عظيم علـى الحكام العثمانيين مثلما كان سلاطين المماليك فـي مصـر يخضـعون لصوفية الطرق الدسوقية والبدوية والشاذلية، إذ كانت "الحكومة الصوفية" تهدف إلى السيطرة على الحاكم حتى يتبادل معها المصالح، فيغيبون عقول الناس ويزينون لهم مظالم الحاكم على أنها قدر ا الذي لا مرد لـه، وأن من يمتثل لهذه المظالم فأجره على ا ، ويزهدون الناس في الدنيا فالميعـاد هو الآخرة التي يوصل إليها الفقر والعوز والطاعة والاستسلام. وبـذلك يأمن الحكام الظلمة ثورات الناس المطحونين، وفي المقابل يتقاضى مشايخ الصوفية أجر ذلك من توفير الحماية وإطلاق يدهم دون مساءلة. والويل لمن يعادي الصوفية، فباستطاعة أحقر شيخ من شيوخهم تأليب الجمـاهير ضد السلطان. و "تجمع هذه الطريقة معتقدات وثنية، وأخرى نصـرانية،

إلى جانب بعض آراء الفرق الصوفية الأخرى، كالتعلق بالأضـرحة و القبور [531]." وقدكان انتشارها في البوسنة محدوداً مقارنة بما كانت عليه في ألبانيا وكوسوفو مقدونيا، حيث انتسبت إليها الأغلبية الألبانيـة مـن السكان، ولا تزال موجودة في ألبانيا و لهـا أتبـاع ومريـدون532.

ونظراً لما عرف عن أتباع هذه الطريقة من بعد عن الصراط المسـتقيم، واعتقادهم في الكثير من الأمور المخالفة للعقيدة الإسـلامية الصـحيحة، وتشبعها بأفكار وثنية و أخرى نصرانية، فإنها تعتبر إحدى طرق الزنادقة الخارجين عن الملة. وكانت هذه الطريقة منتشرة بين الجنـود العثمـانيين ممن كانوا من رقيق النصارى من الصبيان، وهم مـن عرفـوا باسـم الانكشارية، وكان شعارها: ا . محمد.علي ، والطريقة تمثل أحد أدلة المساحة المشتركة بين التصوف والتشيع، فأعلنت نفسـها طريقـة علوية، وكان دعاؤهم المأثور ناد عليا مظهر العجائب تجده عونا لك في النوائب ، " وانتشرت التكايا البكتاشية في تركيا، والطريقة البكتاشية شيعية خالصة في المعتقد والأذكار والمشاعر، ويبلغ عدد المنتمين إليها اليوم ثلاثة عشر مليونا يتزعمهم ده ده بابا وهو مـن أسـاتذة جامعـة اسـتنبول

531- انظر : نياز شكريتش : انتشار الإسلام في البوسنة و الهرسك ، ص : ١٦٧ .

532- انظر : الطرق الصوفية في يوغسلافيا ، ص : ١٥٧ و ما بعدها .

"[533]ولتنتشرت في أطراف الدولة العثمانية، وكانت كسابقتها تجمع بين بعض العقائد الإسلامية و بعض عقائد الأديان الأخرى كالنصرانية، لذلك كان أتباعها في الغالب من النصارى الذين دخلوا الإسلام حديثاً، وظلـوا متمسكين ببعض عقائدهم السابقة، كالتعلق بالمسيح عليه السـلام وأمـه، وتعليق الصلبان، و تقديس نصب الرهبان. و قد وصف أحـد الكتـاب الغربيين أتباع هذه الفرقة فقال: "إن أفراد تلك الطائفة الذين يخلطون خلطاً عجيباً بين النصرانية و الإسلام، كانوا من الجنود الذين يعيشـون علـى الأطراف القصية للمجر و البوسنة، وهم يقرءون الكتاب المقدس باللسان السلافي، و يشربون النبيذ في شهر الصيام"[534]. وفي سنة ١٩٢٥م صدر مرسوم الحكومة التركية بإلغاء جميع الطرق الصـوفية ومـن ضـمنها الطريقة البكتاشية، فانتقل بعد ذلك مقرها الرئيسي إلى مصر. وفي عجالة نستعرض بعض أشهر الطرق الصوفية في مصر:

الطريقة الدسوقية:

ومؤسسها إبراهيم الدسوقي، ويرجعون نسبه إلى آل البيت العلـوي، وهو أمر مشترك بين جميع الصوفيين إذ يزعمون الانتساب إلى البيـت

١- د. عبد المنعم الحفني – الموسوعة الصوفية

٥٣٤- نويل مالكوم : البوسنة ، ص : ٩٨ .

النبوي. ويدعي المتصوفة أن الدسوقي هو أحد الأقطاب الأربعة المدبرين لأمور الكون، وهم في ذلك سواء مع الشيعة الذين يزعمـون أن أئمـتهم يشاركون في إدارة وتدبير شؤون الكون،قبحهم ا من كفـرة فكـأن ا يحتاج إليهم في إدارة الكون الذي خلق، ولو أن واحدا منهم احتبس بوله ما أمكنه بنفسه الشفاء ولو سال مخاط أنف أحدهم ما أمكنه مسحه بإرادة منه مالم يرد ا له ذلك، ولا يجترئ على ا إلا جاهل شقي.

الطريقة الشاذلية:

نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي ٥٩٣-٦٥٦هـ ولد بقرية عمـارة قرب مرسية في بلاد المغرب، وانتقل إلى تونس، وحج عدة مرات، ثـم دخل العراق ومات أخيراً في صحراء عيذاب بصعيد مصر في طريقـه إلى الحج ،حيث يحج إلى قبره سنويا مئات الألوف من أتباعه. وانتشرت طريقته في مصر واليمن وبلاد العرب و مراكش وغرب الجزائر وفـي شمال أفريقيا وغربها .

و الشاذلي هو القائل: أقسموا على ا بحياتي فإن من أقسم علـى ا بحياتي لابد أن يبره، ويقول: إذا تجلى الحق على عبده أغناه عن نفسـه، وأقام فيه لطيفة ذاتية فتجعله الفرد المكمل والغوث الجامع . وعن نسـبته "الشاذلي" يقول: قلت: يا رب! لم سميتَني بـ"الشاذلي" ولستُ بشاذلي؟ فقيل لي: يا علي ما سميتُك بالشاذلي، وإنما أنتَ الشاذ لي- يعنـي: المفـرد

لخدمتي ومحبتي! وقال: إذا عرضت لكم إلى ا حاجةٌ فتوسلوا إليـه بالإمام "أبي حامد"! –أي:الغزالي- وأوصى" الشاذلي" أصـحابه بحفـظِ "حزب البحر" وقراءته بعد العصر- وهو مِن مخترعاته- وقـال لهـم حفظوه أولادكم، فإن فيه اسم ا الأعظم!، وفيه قولـه:"... كهـيعص كهيعص كهيعص انصرنا فإنك خير الناصرين... شاهت الوجوه شاهت الوجوه شاهت الوجوه.... طس حمعسق مرج البحرين يلتقيان، بينهمـا برزخ لا يبغيان حم حم حم حم حم حم حم حم حم وجاء النصر فعلينا لا ينصرون. والكلام خال من الأخطاء الطباعية. والشقي هو من حـرم نفع ما أوتي من العقل.

ويبلغ عدد الطرق الصوفية في مصر وحدها حـوالي ٧٤ طريقـة ينخرط في سلكها ما يربو على ١١ مليون صوفي "نقابي" بالإضافة إلى ملايين أخرى تدين بملة التصوف دون انضمامها إلى طريقة صـوفية محددة، وكل طريقة لها شيخها واسم خاص بها ولها أوراد تتعبـد بهـا تخالف الأوراد الأخـرى. ومـن فـرق الصـوفية طائفـة تسـمى الملامتية٥٣٥ أو الملامية، يزعمون أنهم لإخلاصهم يظهرون خـلاف التوحيد، ولفرط تحريهم عدم الرياء فإنهم يظهرون خلاف الاسـتقامة ، فيخفون الطاعات ويظهرون الفسوق.

---

٥٣٥ - لمعرفتهم ينظر كتاب الأستاذ الدكتور / عبدالفتاح الفاوي ، الملامتية .

الطريقة التيجانية:

ولها من الأباطيل والإفك ما لدى سائر الطرق الصوفية الأخرى،ويزيد عليها زعمهم مقابلة النبي مقابلة شخصية ، إذ يزعم التيجاني أنه قابل النبي وعلمه صلاة أسماها صلاة الفاتح ، وقد بدأت هذه الطريقة في مدينة فاس وصار لها أتباع في السنغال ونيجيريا وشمال أفريقيا ومصر والسودان. ويزعم مؤسس الطريقة التيجانية[٥٣٦] أنه خاتم الأولياء جميعاً ويستأثر بمنصب الغوث الأكبر في حياته وبعد مماته ، وأن أرواح الأولياء منذ آدم إلى آخر ولي لا يأتيها العلم الرباني إلا عن طريقه، وأن قدمه على رقبة كل أولياء الله من خلق آدم إلى النفخ في الصور -لاحظ سوء الأدب – وأنه ولأصحابه وأتباعه أسبق من النبي دخولا إلى الجنة، وأن الله شفعه في جميع الناس الذين يعيشون في قرنه الذي عاش فيه. ولم يفته الزعم أنه من نسل الحبيب المصطفى الذي أعطاه-بحسب زعمه- ذكراً يسمى صلاة الفاتح يفضل أي ذكر قرئ في الأرض ستة آلاف مرة - أوستين ألف مرة -بما في ذلك القرآن، ولسمع ما يقول هذا الذكر المفترى: " اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما

٥٣٦- أحمد بن محمد بن المختار التيجاني المولود سنة ١١٥٠هـ ١٧٣٧م ونسبته إلى بلدة تسمى بني توجين قرية من قرى البربر في المغرب

أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهـادي إلـى صـراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم"[537].قال صاحب الرماح: " وليس لأحد من الرجال أن يدخل أصحابه كافة الجنة بغيـر حسـاب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي، ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم صلى ا عليه وسلم أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة " ٥٣٨. " وزعم أن الرسول صلى ا عليه وسلم لا يفارقه يومي الاثنين والجمعة مـن كـل أسبوع، وكل من رأى التيجاني في هذين اليومين، تكتب الملائكة اسمه في رقعة من الذهب ويكون ناجياً أبداً ومن أهل السعادة حتى ولو كان كـافراً عند مشاهدته للتيجاني فإنه لا بد أن يموت على الإسلام، وأن هذا كرامـة من ا له"[539]. ذلك هو الإسلام الذي روج له الصوفية وباهوا بفضـلهم في نشره في غرب ووسط وشمال أفريقيا ولهم فيها أتباع يبلغـون عـدة ملايين.

ويذكر عمر بن سعيد الفوتي في كتاب الرمـاح: "إن الأوليـاء يرون رسول ا ﷺ يقظة وإنه يحضر كل مجلس أو مكـان أراد

٥٣٧- أحزاب وأوراد التيجاني ، تحقيق محمد الحافظ ، نقلا عن تفنيد الصوفية

٥٣٨- رماح حزب الرحيم ص١٤٣ ج٢

٥٣٩- عبد الرحمن عبد الخالق - تفنيد الصوفية

بجسده وروحه وأنه يتصرف في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل عن شيء وأنه مغيب عـن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد ا أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها، وشيخنا –يقصد التيجاني- هو خاتم الأولياء وسيد العـارفين وإمـام الصديقين وممد الأقطاب والأغواث وأنه هـو القطـب المكتـوم والبرزخ المختوم الذي هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء بحيـث لا يتلقى واحد من الأولياء من كبر شأنه ومن صغر فيضاً من حضرة نبي إلا بواسطته رضي ا تعالى عنه من حيث لا يشعر به ذلـك الولي". ويزعم التيجاني،مؤسس الطريقة التيجانية، أنه يرى النبـي ﷺ يقظة، وأن النبي ﷺ لقنه الطريقة التيجانية وأورادها و أنه أذن له - يقظة - في تربية الخلق وتلقينهم هذا الورد. وقد خلع علـى نفسه صفات الألوهية. ولما أدعى أنه الولى الخاتم قيل له: أليس ا قادراً على أن يوجد بعدك ولياً ؟ قال: بلى، ولكن لا يفعل، كما أنـه قادر على أن يوجد نبياً بعد محمد ﷺ، ولكنـه لا يفعـل. ويـزعم التيجاني _ والحمقى يصدقون _ أن منادياً ينادي يوم القيامة بأعلى صوته يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كان منه مددكم في الـدنيا . وزعمه أن من كان منتسبا إلى الطريقة التيجانية ثم تحول منها إلى غيرها من الطرق الصوفية يموت كافرا. وأنـه أوتـي اسـم ا

الأعظم، علمه إياه النبي ﷺ ،وأن النبي ﷺ يحضر بجسده مجـالس أذكارهم وأورادهم وكذا الخلفاء الراشدون. وإن تعجب مرة لمجنون يقول مثل تلك التخاريف، فتعجب ألف مرة مـن الحمقـى الـذين يصدقونها . ما رأي أصحاب الفضيلة شيوخنا وفقهائنا في هـذا الكفر والسفه؟

الطريقة الختمية:

وكسائر الطرق الصوفية، يزعم أتباع هذه الطريقة أنهم يلتقون بالنبي يقظة ويمدهم بالأوراد والأذكار ، وترتبط الطريقة بالفكر والمعتقد الشيعي، شأنها في ذلك شأن الطريقة البكتاشية. وقد أسس هذه الطريقة محمد عثمان الميرغني ويلقب بالختم إشارة إلى أنه خاتم الأولياء، ومنـه اشـتق اسـم الطريقة الختمية، كما تسمى الطريقة الميرغنية ربطا لهـا بطريقـة جـد المؤسس عبد ا الميرغني المحجوب. ويدعي مؤسس الطريقة أنه خاتم الأولياء وأن مكانته تأتي بعد الرسول. ولما كان مـن أمـاني الحكومـة الصوفية الخفية أن تنشئ لها مراكز دعوية في قلب مهد الرسالة الإسلامية في مكة، فقد بدأت هذه الطريقة في مكة والطائف، ويأبى ا إلا أن يقـي مكة من هذا الضلال، وكأنما هناك بركة وعناية طاردة لهـذا الإفـك ، فانتقلت إلى مصر بعد أن أرست لها قواعد في جنوب وغرب الجزيـرة العربية، واستقر بها المقام أخيرا في السودان. وتنادي الطريقة بفكـرة

وحدة الوجود التي نادى بها ابن عربي وقالوا بفكرة النـور المحمـدي، واستخدموا مصطلحات الوحدة والتجلي والانبجاس والظهـور والفـيض وغيرها من المصطلحات الصوفية، وأسبغوا على الرسول قدرات إلهية.

الطريقة البريلوية:

أسس هذه الطريقة في مدينة بريلي الهندية - أيام الاستعمار البريطاني للهند - أحمد رضا خان الذي سمى نفسه عبد المصطفى! ويقدس أتباع هذه الطريقة الأولياء وينزلون النبي مكانا غير بعيد عن المقام الإلهـي ، ويعتقدون أنه يتحكم في الكون. يقول مؤسس الطريقة: "أي يا محمـد لا أستطيع أن أقول لك ا ، ولا أستطيع أن أفرق بينكما، فأمرك إلى ا هو أعلم بحقيقتك".

وجرى التنافس بين الطرق الصوفية فأضفت كل طريقة على شيخها الكثير من الكرامات الوهمية والبطولات المزعومـة كسـبا للمريـدين والأتباع، ولم يروا بأسا في الإكثار من الأحاديث الموضـوعة مـا دام ذلك سيحقق الوفرة في صناديق النذور وأموال الأوقاف وعطايا النـاس وأموال وهدايا المغفلين. وكانت الطرق الصوفية خير معـين لليهـود والفرس والشيعة لهدم الإسلام، وأعان شيوخها المستعمرين في مراكش وتونس والجزائر والهند والسودان ومصر وفي كل مكان مـن الـبلاد الإسلامية.

ذلك هو الإسلام الذي ينشره الصوفية ، فيتوهم العقلاء والمستنيرون أن المسلمين مخلوقات غبية لا تختلف عن قبائل الهمج فــي أحــراش أفريقيا، وأن دينهم خرافات لا تناسب سوى الحمقى والمغفلين. فلا غفر ا لكل مشارك في هذا الإفك والضلال. ولا سامح ا كل من تهاون فــي الدفاع عن هذا الدين العظيم.

والرجوع إلى منهج ا في كتابه والاحتكام إليه ليس نافلة ولا تطوعا، وإنما هو الإيمان أو فلا إيمان. وعلى المسلمين إن صــحت عــزائمهم لاستخلاص دينهم غضا نقيا كما أنزله ا على نبيه، عليهم بــالعودة إلــى منابعه الخالصة قبل تلوثها بأدران الضلال ، ففي الحق سعة، ومن ضاق عليه الحق فالباطل عليه أضيق ، و الأمر من قبل ومن بعد.

الأذكار والأوراد

عقد أحد الصوفية اجتماعا مع النبي وشارك في الاجتماع الخضر عليه السلام، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخضر أن يلقن هـذا الصوفي أذكار الطريقة الشاذلية فلقنه إياها بحضرته. وتفاصيل محاضـر الجلسة مدونة في كتاب "مفاتيح كنوز السماوات والأرض المخزونة التي أعطاها صلى الله عليه وسلم لشيخ الطريقة الإدريسية المصـونة"!! و الأمر من قبل ومن بعد.

الشريعة الصوفية في العبادات:

يعتقد الصوفية أن الصلاة والصوم والحج والزكاة عبادات العوام وأما عبادلتهم فمخصوصة لأنهم خواص. وغاية العبادات عندهم هي ربـط القلب با للتلقي عنه والفناء فيه واكتساب صلاحيات إلهية حتى يقـول الصوفي للشيء كن فيكون، ولأن الولي الصوفي يتلقى شريعته الخاصـة من ا ، فلا يهم أنها تخالف شريعة العوام: فهم يعاقرون الخمر والحشيش ويفسقون بالنساء والمردان . ومع أنه من البديهي عدم جواز اسـتحداث عبادات جديدة لم يعرفها النبي ولا المسلمين الأوائل، إلا أن كـل دوائـر التحريف والتخريف قد اصطنعت شعائر وطقوس عبادية لم ينزل ا بها

من سلطان. والقول بجواز مزاولة هذه العبادات المستحدثة لأنهـا خيـر وصلاح، إنما يعني أنه خير قد فات النبي الذي أتم تبليغ الرسالة، وهذا ما لا يقول به مسلم صحيح الإيمان، أو أنها بدعة وحـري بنـا تركهـا. والعبادات التي شرعها ا عبادات توقيفية فلا مجال للرأي فيها. والنبـي صلى ا عليه وسلم يقول:"خذوا عني مناسككم"، ولم يقل خذوا مناسككم عن شيوخ الطرق الصوفية. ومع كل هذه المباعدة عما شرعه ا لنا من عبادات وما بلغه النبي لنا، لا يستحيي الصوفية ولا يردعهم عقل أو ديـن من الزعم الدائم أنهم يهتدون بالكتاب والسنة على ما في هذا القـول مـن كذب ومغالطة .

ولأتباع الطريقة الرفاعية لهم خلوة أسبوعية سنوية وتبدأ فـي اليـوم الحادي عشر من المحرم كل عام، ومن شروطها أن لا يأكـل المريـد طعاماً أخذ من ذي روح، ويذكر المريد في اليوم الأول لا إلـه إلا ا بعدد معلوم، واليوم الثاني ا ا ، والثالث وهاب وهاب ، والرابع حي حي ، والخامس مجيد مجيد ، والسادس معطي معطي ، والسابع قدوس قدوس ، وكل ذلك بعدد معلوم . ويقول المريد بعد كل صلاة من صلوات هذا الأسبوع اللهم صل على سيدنا محمـد النبـي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم يقول ذلك مائـة مـرة، "وزعموا أن لهذه الخلوة فتوحات محمدية، وعنايات أحمدية لا تحصـى

وأن من فعلها يشاهد من البراهين العظيمة وكان له شأن عظـيم ٥٤٠ "
وهذه الخلوة بدعة وتشريع جديد لم يأذن به ا ولا رسـوله، وفيهـا مشابهة لصيام النصارى وتقرباً من الشيعة "الرافضة "حيـث يخصـص لأدلئها الحادي عشر من محرم من كل عام .

والصوفيون يقولون إن الميت وليا كان أم نبيا يستطيع أن يرجع إلى الدنيا، وهم في ذلك يضاهون بقولهم مزاعم الشيعة لأئمتهم، فالولي يرجع لتفقد أحوال الأهل والمريدين. والنبي – في زعمهم- يرجع إلى الدنيا لتلقين الصوفية الأذكار والأوراد، ويحضر لجتماعاتهم، ومـا كـان الصـوفية يستطيعون الزعم برجعة شيوخهم ما لم يزعموا ذلك للنبي الكـريم، لـذا طالته مزاعمهم التي أساءت للإسلام قبل النبي. ولما كان ذلـك غـرلمهم بالرجعة فقد قدسوا الموتى والمقابر، وكان تقديسها ذريعة إلـى الشـرك، حيث أدى ذلك إلى لتخاذها معابد فبنوا الأضرحة والمزارات وشرعوا لها الطقوس والشعائر، وقدسوا المدفونين فيها ونذروا لهم، وطلبوا منهم العون والمدد من دون ا ، وإن لم يكن ذلك هو عين الشرك فمـا فـي الـدنيا شرك. ويزعم الجيلانى شيخ الطريقة الصوفية القادرية أن ضريحه بيت ا لمن جاءه زلئراً، يقول: "ضريحي بيت ا من جاء زاره يهرول لـه

٥٤٠-الطريقة الرفاعية ص١١٥

يحظى بعز ورفعة[٥٤١]. و يتوجه أتباع الطرق الصوفية بمئات الألـوف إلى تلك الأضرحة يحجون إليها سنويا في المواعيد المقررة للموالد. فأتباع أحمد البدوي يحجون إلى طنطا سنويا، ولأتباع الشاذلي يحجون إلى ضريح شيخهم في حميثراء بالصحراء الشرقية، وكذلك يفعل الصوفية كلهم جميعا في أفريقيا وآسيا، بل وأوروبا في البوسنة يحج الصوفية

إلى بلدة "آيفاتو فيتسا" التي يسمونها الكعبة المصغرة، ويسـمون ذلـك بالحج الأصغر، كذلك فإن الصوفيين من حركة الصوفية الجديدة فـي ألمانيا يحجون إلى قرية " شنيده"[٥٤٢] الواقعة غرب الـبلاد وتشـتهر الآن باسم مكة .

٥٤١- كتاب الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية ص٣٣ فى الوسيلة

١- تقع قرية شنيدة في شمال ألمانيا وتشتهر الآن باسم مكة بعد أن تحولت إلى مركـز لطائفة جديدة ظهرت في ألمانيا منذ ثلاث سنوات أطلقت على نفسها لسم الحركة الصوفية الإسلامية وهي حركه بعيدة عن الإسلام ويتزعم هذه الطائفة أحد الهنود لسمه بـاجوان وقد قال أحد لتباع الطائفة وهو مواطن ألماني درس الاقتصاد السياسي بأن أحد الأشخاص العرب هو الذي أقنعه بفكر الصوفية والتي تعني في رأيه الارتباط بـا عـن طريـق التصعيد الروحي وممارسه الطقوس الصوفية من رقص وغناء وترديد للأناشيد والدوران أضاف الألماني الصوفي بأنه يمارس الجنس بحرية مع المتصوفات اللاتي يحضرن إلى المركز ويقمن فيه أحيانا باعتبار أن الجنس صورة من صور السمو الروحي وعند سؤال أحد الأعضاء عن مصدر تمويل المركز الصوفي أجاب بأن المركز يتلقـى توجيهاتـه

وأصبحت العناية ببناء القبور وتجصيصها وشد الرحال إليها سمة من سمات المسلمين مع ما في ذلك من مخالفة صريحة ومباشرة للإسـلام، فقد نهانا النبي عن البناء على القبور وعن شد الرحال إلى المساجد غيـر المساجد الثلاثة المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى .

ويقع هذا الأمر ضمن دائرة الأمور المسكوت عنها في ديننا، وهي دائرة تحتوي على أمور يتجنب مشايخنا الخوض فيها وإن فعلوا فعلى اسـتحياء ولا يقطعون برأي جازم بشأنها، فمع تفشي ظاهرة بناء المساجد علـى القبور وشد الرحال إلى مساجد مشايخ الصوفية في ما يشبه الحج، لا نرى تصدي حقيقي فاعل لهذه الظاهرة، مع وضوح التحـذير منهـا. ففـي الصحيحين عن عائشة رضي ا عنها قالت: قال رسول ا صلى ا

ونشرلته من المقر الرئيسي للحركة الصوفية الإسلامية في الخرطوم بالسودان . وقد قـام مراسل جريدة المدينة ،" باالسعودية "بزيارة إلى مقر هذه الطائفة ولاحظ مراسل الجريدة وجود نجمة إسرائيلية معلقة على أحد جدران المركز ولما سأل عنها قال له أحد المسؤولين بأنها ترمز إلى التصوف والتضامن واللقاء بين الأديان السماوية . عن جريدة المدينـة ١٤٠٤/١/٢٨هجرية تقرير من مراسلها في بون الأستاذ لحمد كمال حمدي ونشـرتها مجلة الدعوة : عدد ٩١٧ - ١٧ صفر ١٤٠٤تصدر بالرياض

عليه وسلم: لعن ا اليهود والنصارى لتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالـت رضي ا عنها: يحذر ما صنعوا. وفي الصحيحين عن أم سـلمة وأم حبيبة رضي ا عنهما أنهما ذكرتا للنبي صلى ا عليه وسـلم كنيسـة رلتاها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال عليه الصلاة والسـلام: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيـه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند ا .٥٤٣، ويقول : ... إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنني أنهاكم عن ذلك "٥٤٤. وفي أول مراحل الصوفية كثـر الاهتمام بالوعظ والقصص مع قلة العلم والفقه والتحذير من تحصـيلهما، وخالط الصوفيون رهبان ونساك أهل الكتاب ولتخذوا دورا للعبادة غير المساجد، يلتقون فيها للاستماع لقصائد تحض على الزهد ومـديح النبـي صلى ا عليه وسلم، ثم تطور الأمر إلى لبتداع أذكار ما أنزل ا بهـا من سلطان، وعكفوا على التعبد بها بالرقص والترنح على دقات الطبـول والنفخ في المزامير أو التصفيق بالكفوف، وا أنكر على المشركين ذلـك إذ قال:" و ما كان صلاتُهم عِنْدَ البيتِ إلا مكاء وتَصدِيةً فَذُوقُوا العذَابَ بِما

٥٤٣- نجد الآن في بعض مساجدنا صورا لبعض المشايخ

٥٤٤- رواه مسلم في الصحيح

كُنتُمْ تَكْفُرُونَ "٥٤٥. ولما دخل الإمام الشافعي رضي ا عنه مصـر قال: تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئاً يسمونه السماع. والزنادقـة الذين عناهم الشافعي هنا هم المتصوفة والسماع هو الغناء والمواويل التي ينشدونها. وفي الطريقة التيجانية يجلس الذاكر كجلسة التشهد مغمضاً عينيه مستحضراً صورة الشيخ أحمد التيجاني- شيخ الطريقة - ويتخيل أن عموداً من النور يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلبه. ولهم ذكر آخر يكون يوم الجمعة متصلاً بغروب الشمس وهو ترديد: لا إله إلا ا ألف مرة، والأفضل أن يكون معه سماع قبله أو بعده ، وهو إنشاد شيء مـن الشعر بالغناء والترنم جماعة ثم يقولون جميعاً: ا حـي ، والمنشـد ينشدهم وهم قيام حتى يخلص عند تولجدهم إلى لفـظ آه، آه، آه ، ويسمون هذه الحالة العمارة. ثم يصلون صلاة الفاتح لمـا أغلـق خمسين مرة ثم لا إله إلا ا مئة مرة . ثم صلاة جوهرة الكمال لثنتي عشرة مرة، ولأن النبي والخلفاء الراشدين الأربعة - في زعم الصوفية - يحضرون عند قراءة جوهرة الكمال في المرة السابعة منها، لذا يجـب التطهر بالماء - وليس التيمم- قبل قراءتها. ومن شروطها أيضا إعـداد الفراش الطاهر الذي يسع ستة أشخاص، لأن النبي صلى ا عليه وسلم يحضر ومعه الخلفاء الأربعة. ولسمع إلى صلاة جوهرة الكمـال التـي

٥٤٥- الأنفال ٣٥

يحضر تلاوتها النبي الكريم والخلفاء الراشدون الأربعة :" اللهـم صـل وسلم على عين الرحمـة الربانية، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركـز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الربـاني البرق الأسطع بمزون الأرباح المـائلة لكل متعـرض مـن البحـور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني، اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عـروش الحقـائق، عـين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم، اللهم صل على طلعة الحق بالحق، الكنز الأعظم، إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى ا عليـه وسلم، وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه "٥٤٦ . هذا هو ما آل إليه حال إسلامنا الحنيف، وما من منكر لهذا الضلال بل مباركة وانخراط فـي صفوف هؤلاء المحتالين . وابتدعت بعض الفرق الصـوفية كفـارات لإسقاط العبادات، فأتباع الطريق البريلوية يؤمنون بالإسقاط وهي صدقة تدفع عن الميت بمقدار ما ترك من صلاة أو صيام أو سائر العبـادات وهي مقدار صدقة الفطر. ونشأت هذه الطريقة في الهند أيام الاسـتعمار الإنجليزي.ودفع فدية مقابل إسقاط العبادات غير المؤداة ابتكار شيعي، فهم يدفعون مبالغ من المال نظير عدم أداء الميت للصلاة أو الحج.

٥٤٦- أحزاب وأوراد التجاني ، ١٣ ، ١٤

الأذكار والأوراد:

قال تعالى: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "٥٤٧ . وأتباع الطريق الصوفية الختمية يذكرون ا بأسماء ما أنزل ا بها من سلطان ويسمون ا بأسماء غير أسمائه الحسنى وقد جاء في أذكارهم كلاما عجيبا يتسم بالغموض، فهم يقولون وليس هناك أخطاء طباعية في ما نكتب :

"بسم ا الرحمن الرحيم وصلى على سيدنا برهتيه، تبتليه طوارك، مزحل، برهشب، خوطر، قلينهود، برشا كطهير بانموا شلخ، شماهير، شمها حيرحورب النور الأعلى عبطال فلا إله إلا هو رب العرش العظيم "٥٤٨ . "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ".

ويزعم مشايخ الصوفية أن النبي أملاهم الأوراد التي يعكفون عليها، وأنه أبلغهم بها وحيا أو في المنام أو شخصيا، وأوصاهم بتلاوة الأذكار والعكوف عليها إذ لا يكتمل الإيمان إلا بها -قبحهم ا - وهل لم يصح

٥٤٧- سورة الأعراف ١٨٠

٥٤٨- السيد محمد الحسن الميرغني في كتاب مجمع الأوراد الكبير ص ١١٦ دعوة البرهتية

إيمان النبي والصحابة والتابعين لأنهم لم يعكفوا على هذه الأذكار والأوراد؟ وإذا كان الدين لا يصح إلا بها فما القول في قول ا تعالى باكتمال الـ دين وتمامه قبل القول بهذه الخزعبلات المسماة أذكارا وأورادا؟

وما أكثر الطرق الصوفية ،منها في مصر وحدها حوالي ٧٤ طريقة يبلغ أتباعها ١١ مليون صوفي، ولكل طريقة أذكارها وأورادها التي تزعم أنها تلقتها من النبي. والذكر الحقيقي كما يفهمه العقلاء هو استحضار معنى الألوهية والربوبية تعالى في النفس في جميع الأحـ وال: فـ ي البيـ ع والشراء والعمل والعبادة والجهاد ومجاهدة النفس.

وإليك بعض أذكار الطريقة الرفاعية التي يلزمون بها مريديهم: على الذاكر أن يردد عدة كلمات كما يلي:

" يا حق أربعة آلاف مرة، ياحنان خمسة آلاف مرة، ياحليم ستة آلاف مرة، ياحي سبع آلاف مرة، ياحافظ ثمانية آلاف مرة! ثم يزيد عدد مرات ترديد الذكر حتـ ى يبلـ غ واحـ دا وأربعـ ين ألـ ف مرة!!"٥٤٩، ولا حول ولا قوة إلا با . أهذا هو المسلم الذي أنيطت به عمارة الأرض؟ أيبقى لهذا المعتوه وقت للدراسة أو الـ تعلم أو العمـ ل. أيستطيع هذا المخلوق التعس أن يجاهد في سبيل دينه وماله وعرضه؟ هل هؤلاء هم المسلمون الذين قال ا لهم: وأنتم الأعلون إن كنتم مـ ؤمنين؟

٥٤٩- د.عامر النجار - الطرق الصوفية في مصر

أي علو يعلوه هؤلاء الهبل! وماذا بعد إهدار الوقت في ممارسة هذه البدع إلا الخسران وبوار الأحوال في الوقت الذي يمضى غير المسلمين أوقاتهم في المختبرات والمصانع والمزارع والمراكز البحثية يعملون ويعملون كما يريد ا لخلقه المستخلفين في الأرض. والغاية مـن اسـتهلاك وقـت الصوفي على هذا النحو هو شغله عن التفكير وتحويله إلى مخلوق آلي لا عقل له ولا إرادة ٥٥٠ .

ومن أذكار الطريقة الجيلانية:" يجلس الذاكر ويدير وجهه جانب الكتف الأيمن قائلا: "هاء"،ويدير وجهه إلى الأيسر قائلا : "هو"، ويحتضن رأسه ضاربا في نفسه بقوله: حي، ويعود إلى عمل ذلك بلا توان"[٥٥١]. وعندهم ورد الجلالة الذي يعكفون عليه ويقرؤونه ١٧١٦٦ مرة! وبعد قراءته يقسمون بقسم يقولون في آخره كلاما غير مفهوم ننقله إلى القارئ كما هو فلا يظنن أن المكتوب به أخطاء طباعية، يقولون: وأسألك بالسـر الـذي تدهش منه العقول، فهو من قربه ذاهل، أيتنوخ ياملوخ باي ولمـن أي ولمن مهباش، ويرون أنها عبارات ممتزجة بحروف لا يدري معناها إلا

٥٥٠- كان "قرمط" كبير فرقة القرامطة الشيعية يكلف أتباعه بالصلاة خمسين مرة في اليوم الواحد

٥٥١- د.عامر النجار الطرق الصوفية في مصر

من أفاض ا عليهم المعرفة والأنوار."٥٥٢ ويناجون ا قـائلين:" يـا أرحم الراحمين أنت رب العالمين، بحاء الرحمة وميم الملك ودال الدوام يا من هو - ولا أخطاء مطبعية- أحون قاف آدم حم هاء آمين. ويقول الصوفية إن " أحون قاف آدم حم هاء آمين"، هي أسـماء مـن لغـة الأرواح، وبها يتخاطب أهل الفتح الكبير. والمعاني في هذه اللغة تؤديهـا الحروف الهجائية لا العبارات، ولا يعرف هذه المعاني إلا الربانيون، وقد قال الدسوقي الصوفي الشهير: إنني أشرح في نقطة الباء سبعة أحمال بعير فتنقطع قلوب العارفين وتميل عند معرفة نقطة الباء "[٥٥٣]. كذلك فإن أذكار

أحون قاف آدم حم هاء آمين كهيعص من أذكار أبـي العبـاس المرسى[٥٥٤]. وإذا أردت أن تعرف عقل الرجل فحدثه بحديث لا أصل له، فإن رأيته أصغى إليه وقبله فاعلم أنه أحمق، وإن أنكره فهو عاقل.

أما عن ورد الظهر للطريقة القادرية –دون أخطاء مطبعية-فيقـول:

يا ا بصعع والباء بهبوب هبوب أو النـور السـام بسهسـهوب سهسهوب ذي الفر الشامخ مطهطهوب هطوب يا ا يا ا كهـوب

٥٥٢ - د.عامر النجار الطرق الصوفية في مصر - ص١٧٨

٥٥٣- الطرق الصوفية في مصر-ص١٨٠

٥٥٤-ابن عطاء ا السكندري- -لطائف المنن

كهوب كهوب بي ٥٥٥. وغولمض ألفاظ الذكر المبتدع، تُوقع السامع في خبط عشواء، وتسترهبه وتعطل عقله، أو ما بقي مـن عقلـه. ولا يستحي الصوفية من الزعم لنهم على طريق الكتاب والسنة، فأي كتـاب يزعمون، وأي سنة يتبعون؟

وإذا لم تستحي فافعل ما شئت، يزعم الصوفية أن التدبر في القـرآن يصرف النظر عن ا . وزعموا أن الفناء في ا هو غايـة الصـوفي ويرون أن تدبر كلام ا يصرفهم عن هذه الغاية!! يقول الصوفي الشهير الشعراني في كتابه الكبريت الأحمر:" يقول ا عز وجل فـي بعـض الهواتف الإلهية يا عبدي الليل لي لا للقرآن يتلى إن لك في النهار سـبحاً طويلا فاجعل الليل كله لي وما طلبتك ، إذا تلوت القرآن بالليل لتقف على معانيه فإن معانيه تفرقك عن المشاهدة فآية تذهب بك إلـى جنتـي ومـا أعددت فيها لأوليائي فأين أنا إذا كنت في جنتك مع الحور متكئـا علـى فرش بطائنها من إستبرق، وآية تذهب بك إلى جهنم فتعاين ما فيها مـن أنواع العذاب فأين أنا إذا كنت مشغولاً بما فيها، وآية تذهب بك إلى قصـة آدم أو نوح أو هود أو صالح أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام وهكذا وما أمرتك بالتدبر إلا لتجتمع بقلبك علي وأما لستنباط الأحكام فلهـا

٥٥٥- الفيوضات الربانية والأوراد القادرية ص٨٤

وقت آخر وثم مقام رفيع وأرفع"[556]. ولم يقل لنا أحد ما المقصود بالهواتف الإلهية؟ إذ لا وحي بعد خاتم الأنبياء. وكيف تكون هذه هواتف إلهية وهي تناقض قول ا تعالى الداعي إلى تدبر القرآن إذ يقول: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مبارك لِيدبروا آياتِهِ ولِيتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ٥٥٧، وقال تعـالى: أفَـلا يتَدبرون الْقُرءان أَم علَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها " ٥٥٨.وليس يخفى أن المقصـود هو صرف الناس بعيدا عن كتاب ا واستمالتهم إلى هجره كي يتيسر لهم استبداله بأذكارهم وأورادهم بعد أن تم لهم إقصاء المساجد واستبدالها بالتكايا والخانقاوات التي تشكل مراكزهم الدعوية. وضرب الصوفية حصـارا على العقل المسلم واسترهبوا الناس من القرآن ، فزعموا أنـه أسـرار تستغلق على عقول العوام دون الخواص، و أن أسراره في الفاتحة، وسر الفاتحة في البسملة وسر البسملة في الباء وسر الباء في النقطة، وفـاتهم - قبحهم ا - أن القرآن كله كان غير منقوط وظل كـذلك حتـى زمـن الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبد الملك بن مروان الأموي، وكانت الباء غير منقوطة حتى ذلك الحين. ولاستكمال الحصار جعلوا السـنة النبوية مجرد حكايات يرددها المنشدون في المقاهي وليالي السـمر مـع

٥٥٦- الكبريت الأحمر على هامش اليواقيت والجواهر-ص٢١

٥٥٧- ص ٢٩

٥٥٨- محمد ٢٤

حكايات أبي زيد الهلالي ومغامرات عنترة العبسي. وقرأوا الأحاديـث النبوية للبركة دون الفهم، فالفهم محظور على غيـر المجتهـدين ولا اجتهاد بعد الأئمة الأربعة . ولأن التصوف والتشيع وجهان لعملة واحدة، فكثيرا ما تجد أفكارهما متشابهة إلى حد التطابق. جاء في كتب الشيعة " أن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسـملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء، وزعمـوا أن الإمام على كرم ا وجهه قال: " أنا النقطة التـي تحـت البـاء " [٥٥٩]. وابتدعوا أذكارا ادعوا أن النبي قد أملاها على شيوخهم. "وزعم أحدهم أنه اجتمع مع النبي والخضر-صاحب موسى- حيث أمر النبي الخضر بأن يعلم هذا الصوفي أذكار الطريقة الشاذلية، علما بأنها تنطـق بـالكفر والشرك، فمنها صلاة ابن مشيش التي يقول فيها: اللهم انشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة ، وفيها أن محمدا صـلى ا عليه وسلم هو أصل هذا الوجود وأول مخلوق فيه ومنه انشقت كل الأنوار وظهرت كل الموجودات "٥٦٠. والصوفية في أذكارهم يرددون اسـم

٥٥٩- الدر المنظم – نقلا عن كتاب موسى والخضر – محمود المراكبي

٥٦٠ - عبد الرحمن عبد الخالق - تفنيد الصوفية : الباب الخاص بالحقيقة المحمدية و الذكر الصوفي

ا مفردا بقولهم "ا ا " أو مختصرا بقولهم "هو، هـو، هـو"، أو "ياهو" . ويعضهم علل ذلك الاختصار بقوله: أخشى أن تقبض روحـي قبل أن استكمل قول "لا إله إلا ا "! وقد صنف ابن عربـي الصـوفي الشهير كتابا أسماه كتاب: " الهو " وزعم بعضهم أن قول ا : { وما يعلَم تأْوِيلَه إلا اللّه }٥٦١، معناه: وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو" الهـو". وكفانا في الشهادة عليهم في حماقتهم وسخافة عقولهم ما نراه من تعبـدهم بالطبل والزمر والتصفيق عملا ببدع ابتدعت بعد عصر النبوة والسـلف الصالح. يقول شيخ الإسلام ابن تيميه: "ولو كان هذا - يقصـد سـماع الأشعار وضرب الدفوف كعبادة - مما يؤمر به ويستحب لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه، ويضيف: إنما عبادة المسلمين الركوع والسجود أما العبادة بالرقص وسماع الأغاني بدعة يهودية تسربت إلى المنتسبين إلى الإسلام. والعجيب أن الصوفيين يكفّرون من ينكر عليهم هذا الهراء، ويفترون على ا أنه هو الذي أمر الناس بهذا العبث، فيقولون: "وإن من أنكر ذلك فقد كفر، لأنه عاب خيراً أمر ا به، ومن عاب ما أمر ا به فهو كافر"[٥٦٢] . " وقيل لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هـل

٥٦١-.. آل عمران الآية : ٧

٥٦٢- الطريقة الرفاعية ص٦٤،٧٨ نقلا عن تفنيد الصوفية

علمها رسول ا صلى ا عليه وسلم وأبو بكر وعمـر وعثمـان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها. قيل له: فشيء لـم يعلمـه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول قد علموها، فقيـل لـه: أفوسعهم أن لا يتكلموا بها ولا يدعوا الناس إليها أم لـم يسـعهم؟ قال: بلى وسعهم قيل له: فشيء وسع رسول ا صـلى ا عليـه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت فانقطع الرجل فقـال الخليفـة وكـان حاضرا: لا وسع ا على من لم يسعه ما وسعهم"[٥٦٣] والبدعة هي ما يصادم الشريعة بالمخالفة.

تلك كانت صورة الإسلام والمسلم لمن يراهما من خلال المنظـور الصوفي: ملة كلها خرافات يؤمن بها ضعاف العقول، فضـرب ذلـك حصارا صارما على الإسلام الحنيف ومنع انتشاره بين العقلاء ممـن يطلبون الحق ولا يجدونه، والدنيا حق وباطل ولكل أهل.

وما يفهمه المسلم عن الذِكر هـو إفـراد ا تعـالى بالألوهيـة واستحضار هذا المعنى في الضمير والوجدان دائما ،وهو معنى تـوجزه عبارة:"لا إله إلا ا " التي تمثل إحدى الـدعامات الأساسـية للتصـور الإسلامي. ولكنهم يرون أن "لا إله إلا ا " هي ذكر العامة، وأما ذكـر

٥٦٣- ابن قدامة المقدسي – لمعة الاعتقاد

الخاصة: فهو الاسم المفرد " ا " وذكر خاصة الخاصة كلمة: " هـ و ".
وفي هذا قال شيخ الإسلام ابن تيميه: ومن زعم أن قول" لا إلـه إلا ا "
ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفـرد: ا ، وذكـر خاصـة
الخاصة هو لفظ: "هو"، أي الاسم المضمر فهو ضال مضل. والأذكار
والأوراد والسماع وغيرها مـن الشـعائر والطقـوس التـي ابتـدعها
الصوفية،هي عبادات مبتدعة ما أنزل ا بها من سلطان، وهي واضـحة
البطلان لأن العبادات في الإسلام توقيفية أي أنها تقتصر على العبـادات
التي أقرها النبي الكريم وأداها هو وصحابته الكرام ليس غير، فليس لأحد
أن يبتدع عبادة لم تشرع. ومن المسلمين الأوائل من أراد صيام الدهر أو
هجر النساء أو قيام دائم لليل، ولكن النبي نهرهم عن ذلـك، إذ رفـض
الابتداع في العبادات حتى وإن كانت غير مصادمة للشريعة. ومن لا يجد
الفهم والدين الحق في القرآن والسنة وينخدع بأباطيل المبطلـين ويتخـذ
أورادهم وأذكارهم وطقوسهم عوضا عنهما، يكـون قـد ضـل فوليـه
الشيطان. ومن يتعبد بما لم يأمره ا به أو لم يبلغه النبي الكريم فقد ابتـدع
وظن أن القرآن الكريم غير كامل وأن النبي لم يبلغ رسالته. أي أن من
نهج نهج الصوفية والشيعة بأذكار وعبادات خلافا لما جاء في الإسلام أيام
الرسول والصحابة والخلفاء الراشدين، فقد ضل ضلالا بعيـدا. ومـن لا
عقل له فلا دنيا له ولا آخرة.

والسماع والرقص والتواجد والتصفيق ليسوا من الإسلام، فأول مـن فعل ذلك هم أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حوله ويتواجدون، فمن يفعل ذلك ممن يدعي الإسـلام إنمـا يتأسى بعباد العجل. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه وكأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، ولم يعلم أحد أن النبي الكريم وهو المعلم الأول للمسلمين، كان يذكر الله على طريقة الصوفية، أي رقصا أو تمايلا. وما الإسلام إلا القرآن والسنة، وما سواهما فبدع يجب طرحهـا خلف ظهورنا. والحذر الحذر من المساس بثوابتنا الدينية :كالتصـورات العقائدية والشعائر العبادية،وإنما يجب قبولها والعمل بها كما علمناها من القرآن والسنة.

الشطح والكشف

عندما يصرح الصوفية بما يصادم الدين وينكره الناس، ويرون أنهم جاوزوا الحد الذي عنده تبدأ أفهام العوام في الانتقاد والإنكار، يسارعون بإنكار ما قالوا به وزعموا أنه من "الشطح" واعتذروا عنه بدعوى أن قائليه معذورون فيما قالوه لأنهم كانوا سكارى غائبين عن وعيهم عند ذكـرهم لهذه العبارات. ومن ذلك قول أبي يزيد البسطامي: "رفعني ربـي مـرة فأقامني بين يديه وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك!! فقلـت: زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك

قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا " ٥٦٤ ، كما قال: " أول ما صرت إلى وحدانيته فصرت طيراً جسمه من الأحدية، وجناحاه مـن الديمومة فلم أزل أطير إلى أن صرت في ميدان الأزلية، فرأيـت فيهـا شجرة الأحدية" ٥٦٥، وقال: "سبحاني سبحاني" وقال أيضاً: "ضـربت خيمتي بإزاء العرش"٥٦٦. ومر يوماً بمقبرة للمسلمين فقال "مغرورون" ولليهود فقال: "معذورون"٥٦٧!

وهذا صوفي شهير آخر، هو الشبلي، يقول: "لو خطـر ببـالي أن الجحيم نيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة كنت مشركاً"[٥٦٨]. وقال: "إن عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفأوها"[٥٦٩] وقال: أنـا أعشـق ا وهـو يعشقني!!"[٥٧٠].ومع هذا الفحش العقلي لا يمل الصوفية من الزعم أنهـم يهتدون بالقرآن والسنة، والفرق كبير بين الزعم والحقيقة. والغزالي رحمه

٥٦٤- اللمع للطوسي ص٤٦١

٥٦٥- اللمع للطوسي ص٤٦١

٥٦٦-اللمع ص٤٦٤

٥٦٧-اللمع ص٤٦٣

٥٦٨- اللمع ص٤٧٩

٥٦٩-اللمع ص٤٩٠

٥٧٠- اللمع ص٤٩١

ا   دون للمتصوفة ما دون في كتابه إحياء علوم الدين. ومن ذلك ما نقلـه عنهم في زعمهم بالكشف حيث يقول: " فالأنبياء والأولياء انكشـف لهـم الأمر، وفاض على صدورهم النور، لا بالتعليم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها . فمن كان   ،كان ا   له، ويكون ذلك بانقطاع علائق الدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن، وعن العالم والولاية والجاه، بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود الشيء وعدمـه ولا يزال، بعد جلوسه في الخلوة، قائلاً بلسانه: ا .. ا .. على الـدوام، مـع حضور القلب، حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويـرى كـأن الكلمة جارية على لسانه، إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه ويبقي معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه، كأنه لازم له، لا يفارقـه وليس له اختيار في استجلاب رحمة ا   تعالى، بل هو بما فعلـه صـار متعرضاً لنفحات رحمة ا ، فلا يبقى إلا الانتظار لمـا يفـتح ا   مـن الرحمة، كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق .[571] والتصديق بأنهم يعلمون عن طريق الوحي كفر لأنه يناقض ما جـاء بـه القـرآن والحديث، من أن الوحي قاصر على الأنبياء فقط وأنه لا نبوة بعد رسول

٥٧١- إحياء علوم الدين ج٢ ص٦٦

الله صلى الله عليه وسلم ، وأما سماع صوت الملك وما شابه، فمحـض باطل.

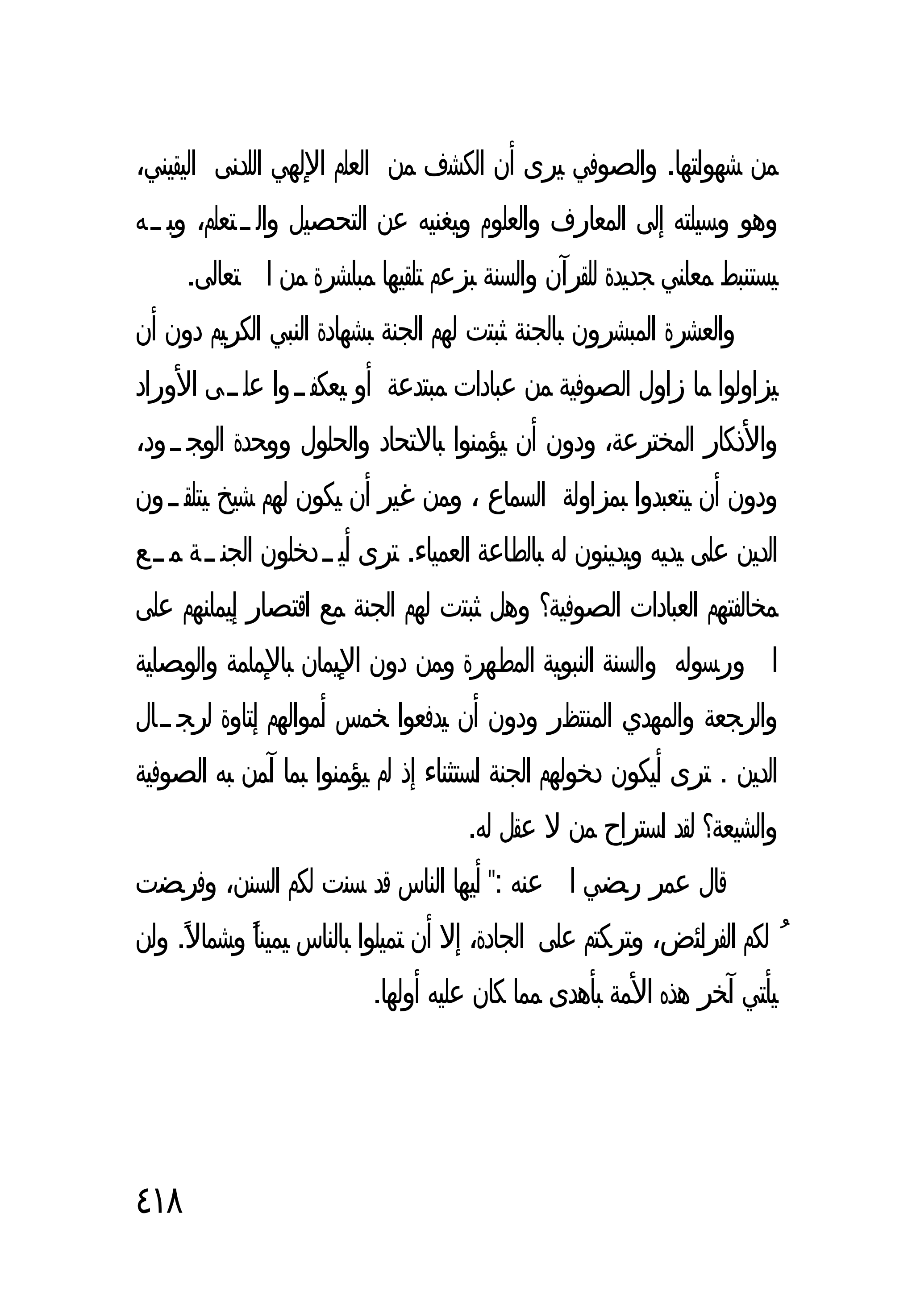
ويزعم الصوفية أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأتيهم بعد موتـه ليعلمهم الأوراد والأذكار. "يقول أحدهم في كتابه الذي سماه مفاتيح كنوز السماوات والأرض المخزونة التي أعطاها صلى الله عليه وسلم لشـيخ الطريقة الإدريسية المصونة ، يقول " قال سيدي أحمد رضي الله عنه، أي أحمد الإدريسي شيخ الطريقة الإدريسية : " اجتمعت بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فـأمر النبـي صلى الله عليه وآله وسلم الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم للخضر عليه السلام: يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار وأفضـل ثواباً وأكثر عدداً فقال أي شيء هو يا رسول الله ؟ فقـال: لا إلـه إلا الله محمد رسول الله ثلاثاً. ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أحمـد أعطيتـك مفاتيح السماوات والأرض وهي الذكر المخصوص والصلاة العظيمـة والاستغفار الكبير المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة ، فقمت بعـدهما وقد كسبت أنواراً وقوة محمدية ورزقت عيوناً إلهية "[٥٧٢]. هذه هي الكتب

٥٧٢- نقلا عن تفنيد الصوفية

التي يتعلم منها حمقى المسلمين دينهم، إذ تشكل كتب الضلال الصـوفي معظم -أو كل-التراث المعرفي الديني في عالمنا الإسلامي المنكوب في عقله ، و الأمر من قبل ومن بعد.

ولما كانت العقول مكبلة بالجهل والأمية،كان من السهل على أعـداء الدين من الصوفية أن يكذبوا على نحو فاضح وما من عقل ينكر . فمـن أجل جمع الأنصار والأتباع كان الغلو في زعم فضائل الأذكار المبتدعة ، ولما زعم التيجاني أن النبي أهداه صلاة الفاتح و أنها تعدل كل ذكـر تُلي في الأرض ستة آلاف مرة، ولم يجد من ينكر عليه هـذه الكذبـة، أردفها بأخرى فقال: " لقد أعطاني رسول ا صلاة تسـمى جـوهرة الكمال كل من ذكرها اثنتي عشرة مرة فكأنما زاره في قبره يعنـي فـي روضته الشريفة! وكأنما زار أولياء ا الصالحين من أول الوجود إلـى وقته ذلك، وقال لي رسول ا هذه هدية مني إليك" [573]. أما عن الكشف فهـو الاطـلاع علـى مـا وراء الحجـب مـن غيـب وكشـف المعانـي المستورة ، وهو، بزعمهم، ما يلقى في الروع إذا تجردت النفس

٥٧٣- الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية ص١١٠ - نقلا عن تفنيد الصوفية



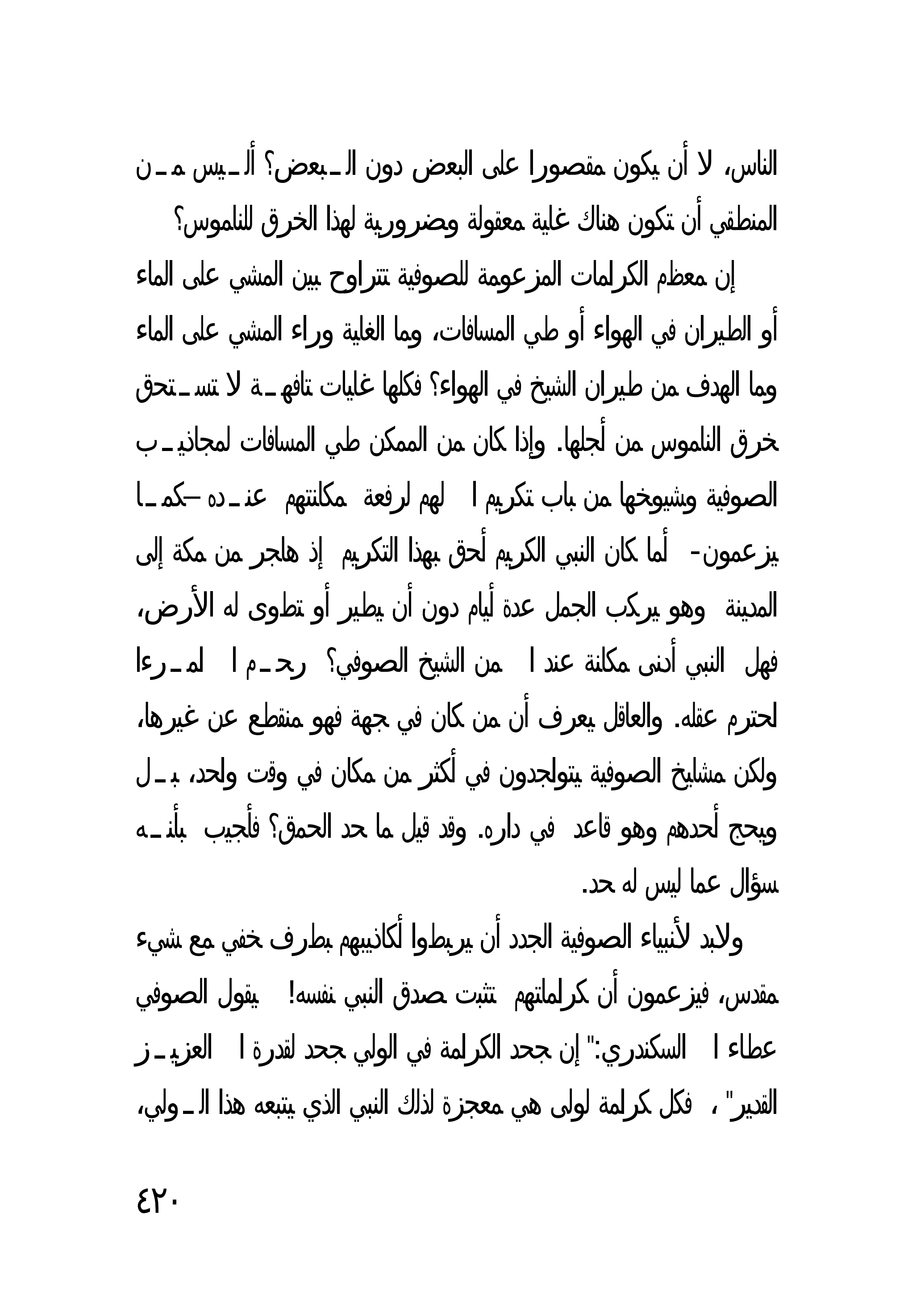
من شهواتها. والصوفي يرى أن الكشف من العلم الإلهي اللدنى اليقيني، وهو وسيلته إلى المعارف والعلوم ويغنيه عن التحصيل والـتعلم، وبـه يستنبط معاني جديدة للقرآن والسنة بزعم تلقيها مباشرة من ا تعالى.

والعشرة المبشرون بالجنة ثبتت لهم الجنة بشهادة النبي الكريم دون أن يزاولوا ما زاول الصوفية من عبادات مبتدعة أو يعكفـوا علـى الأوراد والأذكار المخترعة، ودون أن يؤمنوا بالاتحاد والحلول ووحدة الوجـود، ودون أن يتعبدوا بمزاولة السماع ، ومن غير أن يكون لهم شيخ يتلقـون الدين على يديه ويدينون له بالطاعة العمياء. ترى أيـدخلون الجنـة مـع مخالفتهم العبادات الصوفية؟ وهل ثبتت لهم الجنة مع اقتصار إيمانهم على ا ورسوله والسنة النبوية المطهرة ومن دون الإيمان بالإمامة والوصاية والرجعة والمهدي المنتظر ودون أن يدفعوا خمس أموالهم إتاوة لرجـال الدين . ترى أيكون دخولهم الجنة استثناء إذ لم يؤمنوا بما آمن به الصوفية والشيعة؟ لقد استراح من لا عقل له.

قال عمر رضي ا عنه :" أيها الناس قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الجادة، إلا أن تميلوا بالناس يميناً وشمالاً. ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها.

كرامات المشايخ

بعد هذا القدر من الحديث الصعب المحزن، يكون من المناسب تناول بعض كرامات الصوفية من باب الترويح عن النفس بـالاطلاع علـى بعض كرامات الصوفية المحتالين، وأخبار الحمقـى والمغفلـين ممـن يصدقونهم، فكل ما يدعيه الصوفية من كرامات إنما تحدث لمن يـدعيها فقط، ولا يشاهدها معه أحد سواه، مع أن الكرامـات - علـى فـرض حدوثها- إنما تكون لإثبات الفضل والتميز لمن يدعيها، وتكون برهانـا على صدقه كما كانت معجزات الأنبياء برهانا على صدقهم إذ شـهدها الناس ولم تكن معجزات سرية: فتَحول عصا موسى إلى ثعبان معجـزة رآها الناس علنا، وإحياء الميت وشفاء الأكمه والأبرص معجزات شاهدها قوم عيسى ولم تحدث سرا . لذا كان على الأنبياء الجدد مـن مشـايخ الصوفية أن يدعوا معجزات تكون لهم برهانا، فقالوا بالكرامـات. ولكـن المعجزات التي يزعمها مشايخ الصوفية سرية لا تشاهدها الجماهير وإنما يدعون حدوثها وعلى الناس أن يصدقوهم. وإذا كان ا يخـرق لهـم نواميس الطبيعة، أليس من المعقول أن يكون هذا الخرق مشهودا يـراه



الناس، لا أن يكون مقصورا على البعض دون البعض؟ أليس من المنطقي أن تكون هناك غاية معقولة وضرورية لهذا الخرق للناموس؟

إن معظم الكرامات المزعومة للصوفية تتراوح بين المشي على الماء أو الطيران في الهواء أو طي المسافات، وما الغاية وراء المشي على الماء وما الهدف من طيران الشيخ في الهواء؟ فكلها غايات تافهة لا تستحق خرق الناموس من أجلها. وإذا كان من الممكن طي المسافات لمجاذيب الصوفية وشيوخها من باب تكريم الله لهم لرفعة مكانتهم عنده -كما يزعمون- لما كان النبي الكريم أحق بهذا التكريم إذ هاجر من مكة إلى المدينة وهو يركب الجمل عدة أيام دون أن يطير أو تطوى له الأرض، فهل النبي أدنى مكانة عند الله من الشيخ الصوفي؟ رحم الله المرءا لحترم عقله. والعاقل يعرف أن من كان في جهة فهو منقطع عن غيرها، ولكن مشايخ الصوفية يتواجدون في أكثر من مكان في وقت واحد، بل ويحج أحدهم وهو قاعد في داره. وقد قيل ما حد الحمق؟ فأجيب بأنه سؤال عما ليس له حد.

ولابد لأنبياء الصوفية الجدد أن يربطوا أكاذيبهم بطرف خفي مع شيء مقدس، فيزعمون أن كراماتهم تثبت صدق النبي نفسه! يقول الصوفي عطاء الله السكندري:" إن جحد الكرامة في الولي جحد لقدرة الله العزيز القدير" ، فكل كرامة لولى هي معجزة لذلك النبي الذي يتبعه هذا الولي،

فلا تنظر إلى التابع، ولكن لنظر إلى عظيم قدرة المتبوع"٥٧٤ . وقـالوا "إن من لم يصدق بهذه الكرلمات فقد كفر"[٥٧٥]. فهؤلاء الأولياء " لو نقص منهم ولحد في زمان ما أرسلت السماء قطرهـا، ولا أبـرزت الأرض نباتها "[٥٧٦] . وكان يغني الصوفية مؤونة رميهم بالسـفه والكـذب أن يحدثوا على الملأ كرلمة من هـذه الكرلمـات لترصـدها كـاميرات المصورين وعيون الصحفيين فينقلب المعترض عليهم في الحـال إلـى موال لهم وليتهم يفعلون، فلكون أول من يتصـوف ويلـبس الخرقـة ويطالب بحصته من المال السحت من صناديق النذور.

والشيخ الصوفي والولي والقطب مدعو نبوة، فهم يسندون إلى لنفسهم أدوارا ما ينبغي أن تكون لغير الأنبياء. فالتبليغ عن رب العزة هي مهمة النبي وغاية النبوة. وادعى هؤلاء الأولياء لنهم يتلقون تعاليم دينهم مـن ا مباشرة ، فهم الأنبياء الجدد للإسلام المحرف، ويصدقهم المغفلـون. وإذ يصعب عليهم التصريح بأنهم لنبياء بعد النبي الخاتم،قـالوا إنهـم أوليـاء وأقطاب وأغواث،إلى آخر هذه المسميات التي ما أنزل ا بها من سلطان والتي لم يعرفها الصحابة أو السلف الصالح. ومارسوا من خلالهـا أدوار

٥٧٤- لبن عطاء ا السكندري – لطائف المنن

٥٧٥-نفس المرجع السابق

٥٧٦-لبن عطاء ا السكندري- لطائف المنن

الأنبياء وزعموا أنهم يبلغون عن ا ، ويرون أن من الكرامات " الاستماع من ا والفهم عنه "[577]، بل قالوا إن النبي في خدمة مساعيهم الدعوية إذ يزودهم بالكتب والأذكار، بل مضوا في غيهم فزعموا أن النبـي معهـم ويلتقي بهم يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع، و"قال أبـو الحسـن الشاذلي أنه لقي الخضر في صحراء عيذاب " [578]. إنهم يـدينون بملـة جديدة ليست هي الإسلام الحنيف، ا سمع إلى أبي الحسن الشاذلي يقـول عند موته:"وا لقد جئت في هذا الطريق بما لم يأت به أحد"[579]. ويمضى الصوفية في ضلالهم ويتطاولون في غيهم، ويزعمـون أن ا تعـالى يتحاور مع مشايخهم وذلك في اجتراء قبيح على ا –تعالى علوا كبيـرا عما يصفون. يحكي الصوفي أبو الحسن الشاذلي حوارا مزعوما دار بينه وبين رب العزة، يقول: " قلت يوما وأنا في مغارة: إلهي متى أكون لـك عبدا شاكرا؟ فإذا علي يقول لي: إذا لم تر منعما عليه غيرك، فقلت: إلهي كيف لا أرى منعما عليه غيري وقد أنعمت علـى الأنبيـاء والعلمـاء والملوك؟ فإذا علي يقول لي: لولا الأنبياء لما اهتديت، ولولا العلماء لمـا

٥٧٧-ابن عطاء ا السكندري-لطائف المنن

٥٧٨- المرجع السابق

٥٧٩-ابن عطاء ا السكندري-لطائف المنن

اقتديت،ولولا الملوك لما آمنت، فالكل نعمة مني عليك "[٥٨٠]. بل ويقول إنه صافح النبي صلى ا عليه وسلم بيده![٥٨١]. ويقول المرسى أبو العباس:" ما من ولى كان أو هو كائن إلا وقد أطلعني ا عليه وعلى اسمه ونسـبه وكم حظه من ا تعالى"[٥٨٢]. هكذا استولى هؤلاء المحتالون على إسلامنا الحنيف وأفسدوه على أهله، ولا يردعهم حياء فيواصلون الـزعم بـأنهم يقتدون بالقرآن والسنة!

ويراد بالكرامات الموهومة دس الخرافات في تراثنا الديني والاستيلاء على عقول الدهماء التي َتحُول أميتها دون كشف الزيف، فتنساق وراء هذه الخرافات وتصدق كرامات الشيوخ وخرافات الأولياء ويسهل دفع هذه الجماهير الجاهلة إلى أي جهة يراد بها وهي خرافات تسـود صـفحة الإسلام فلا يقبل عليه عاقل. والمقصود بالكرامات إبهار العوام والـدهماء بمعجزات وخوارق وهمية تشابه بين أكاذيب المشايخ وبـين معجـزات الأنبياء، ولا يقول بها إلا نصاب محتال، ولا يصدقها إلا أحمق مغفـل. وآمن العوام بأن حوائجهم لا تقضـى إلا مـرورا بوسـاطة المشـايخ والمقبورين، فتوجهوا إلى الأضرحة راجين شفاعة الموتى مقابـل دفـع

٥٨٠-ابن عطاء ا السكندري-لطائف المنن

٥٨١-ابن عطاء ا السكندري-لطائف المنن- ص٦٢

٥٨٢-المرجع السابق

الأموال في صناديق النذور ليجمعها مشايخ الصوفية وخدم الأضـرحة الذين يرتزقون باسم الدين ويتوارثون هذه "المناصب" الدينيـة الارتزاقيـة ويتصارعون من أجلها. وهل ثمة فرق بين هذه الأموال التـي يضـعها الناس في صناديق النذور وبين القرابين التي كان يقدمها الوثنيون قربانا للآلهة وليجمعها الكهنة والسدنة.

إن ا يسير الكون بقانون العلة والسبب، ولكنه يملك خـرق هـذا القانون في أي وقت يشاء، ولمن يشاء، وعلى أي نحو يشاء. ذلك ما حدث في المعجزات التي جعلها ا برهانا لأنبيائه. وحينمـا تشـاء إرادة ا تسيير الأمور خارج قانون السببية، مثلما أرسل الطير الأبابيل للدفاع عن الكعبة، يكون له ذلك ب" كن". وذلك أمر آخر غير الكرامات المكذوبة التي يفتريها محتالو الصوفية. ولنسمع الشعراني في كتابه الطبقات الكبرى –الذي يعتبر أصلاً من أصول كتبهم- وهو يحكي عن أحـد أوليـاء الصوفية : حكي أنه نزلَ يوماً في حلقة الشيخ شبح من الجو، لا يـدري الحاضرون من هو، فأطرق الشيخ ساعة ثم ارتفع الشبح إلـى السـماء. فسـألوا: فقال: هذا ملَك، وقعت منه هفوة، فسقط علينا يستشـفع بنـا، فقُبِلتَ شفاعتنا فيه، فارتفع!

وتحدث عن شيخ آخر فقال: كان كثير التطورات، تدخل عليه بعض الوقت تجده جنديا، ثم تدخل عليه فتجده سبعاً ، ثم تدخل فتجده فـيلاً ثـم

تدخل عليه فتجده صبياً ، وهكذا، فمكث نحو أربعين سـنة فـي خلـوة مسدود بابها، ليس له غير طاقةٍ يدخلُ منها الهواء! . وعن شـيخ آخـر يقول: " إنه سجد سجدة واحدة، فامتد سجوده سنة كاملة، ما رفع رأسـه حتى نبت العشب على ظهره"٥٨٣ . ويتحدث آخر عن مناقب السـيد البدوي فيقول: " إنه دعا ا بثلاثِ دعواتٍ، فأجاب ا دعوتين وأبطـل الثالثة؛ دعا ا أن يشفّعه في كل من زار قبره، فأجاب ا ذلك، ودعا ا أن يكتب حجة وعمرة لكل من زار قبره، فأجاب ا ذلك، ودعـا ا أن يدخله النار،فرفض ا ذلك، فسألوا البدوي: لمـاذا رفض ا أن يدخلك النار؟ قال: لأني لو دخلتها فتمرغت فيها تصير حشيشاً أخضر، وحـق على ا أن لا يعذّب بها الكافرين" ٥٨٤. ويقـول أحـد الصـوفية الأقطاب: "لولا الحيـاء من ا لبصقتُ على نارهِ فانقلبت جنة" ٥٨٥ .

ومن كراماتهم المزعومة – أيضاً - ما يذكره الشعراني عـن أحـد أوليائهم فيقول: كان الشيخ علي وحيش - رضي ا عنه! إذا رأى شيخ

٥٨٣- قلادة الجواهر ٣٤٠

٢- محمد عثمان البرهاني في كتابه: تبرئة الذمة في نصح الأمة ، نقلا عن الصوفية - الوجه الآخر

٣-الصوفية - الوجه الآخر ٦١

بلد أو غيرهُ، ينزله من على الحمارة ويقول له: امسك رأسـها لـي حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلدِ، تسمر فـي الأرضِ لا يسـتطيع أن يمشي خطوة، وإن سمح، حصل له خجل عظـيم، والنـاس يمـرون عليه"٥٨٦.

وهناك ولي آخر من المجاذيب تبعه جماعة من الصبيان يضحكون عليه. فقال: يا عزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنـك مـن ديـوان الملائكة، فأصبحوا موتى أجمعين! ومن أعجب كراماتهم المدونـة مـا يتعلق بحياتهم الخاصة فنجدهم مثلا يتحدثون عن ولي مكث أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب، وآخر ينام سبع عشرة سنة! وآخر يقول لعصاه التـي يتوكأ عليها: كوني إنسانا، فتكون إنسانا فيرسلها تقضي له الحوائج ثم تعود كما كانت! وأن أحد أوليائهم أمر الشمس بالوقوف فوقفت حتـى قطـع المرحلة الباقية من سفره، ثم أمرها بالغروب فغربت واظلم الليل في الحال! ومطلوب من المسلم أن يكون مغفلا إلى الحد الذي يقبل معه هذا السفه.

وعن طريق الأوراد والأذكار يكون اتصال المريد بالشيخ وارتباطـه به حيا أو ميتا، ويبرم عقد بين المريد وشيخه، وهذا العقد يعرف بالعهـد، وفيه يتعهد الشيخ بان يخلّص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنـة

٥٨٦- الطبقات الكبرى ١٤٩/٢-١٥٠

متى ناداه مستعينا به، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنـة. ويتعهـد المريد بان يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة،كما يلتـزم بلـزوم الطريقة وعدم استبدالها بغيرها من سائر الطرق. والتصريح بضمان الجنة للمريد أمر مشهور عندهم وهو أكبر من مجرد الشفاعة يوم القيامـة. وإذا كان الحق في أحد هذه الأوراد ولا يجوز للمريد استبداله بغيره، فهذا ينفي - استنتاجا - أن يكون الحق في غيره، فما بال كل شيخ وكل طريقـة لهما وردهما الخاص٥٨٧.

٥٨٧-قام الباحث الإسلامي الأستاذ محمود المراكبي بدراسة عدد من كتب أوراد الصوفية ، بلغت عشرين كتابا لأشهر الطرق الصوفية في مصر ، ووجدها كلها جميعا مخالفة للإسلام الحنيف مخالفات مباشرة وصريحة وكلها مخرجة من الملة. وللمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى كتاب عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة – للأستاذ محمود المراكبي

الصوفية والجهاد

الزعيمان الصوفيان الكبيران ابن عربي وابن الفارض كانا يخذّلان الناس عن التصدي للجيوش الصليبية، وكانا يقرران للناس أن ا هو عين كل شيءٍ. فليدع المسلمون الصليبيين، فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور. ولم يضرب أحدهما بسيفه ضربة واحدة في سبيل ا . وأبو حامد الغزالي المعروف بحجة الإسلام لم يرم بسهم في سبيل ا ، بل لم يشر بكلمة واحدة للحروب الصليبية التي عاصرها.

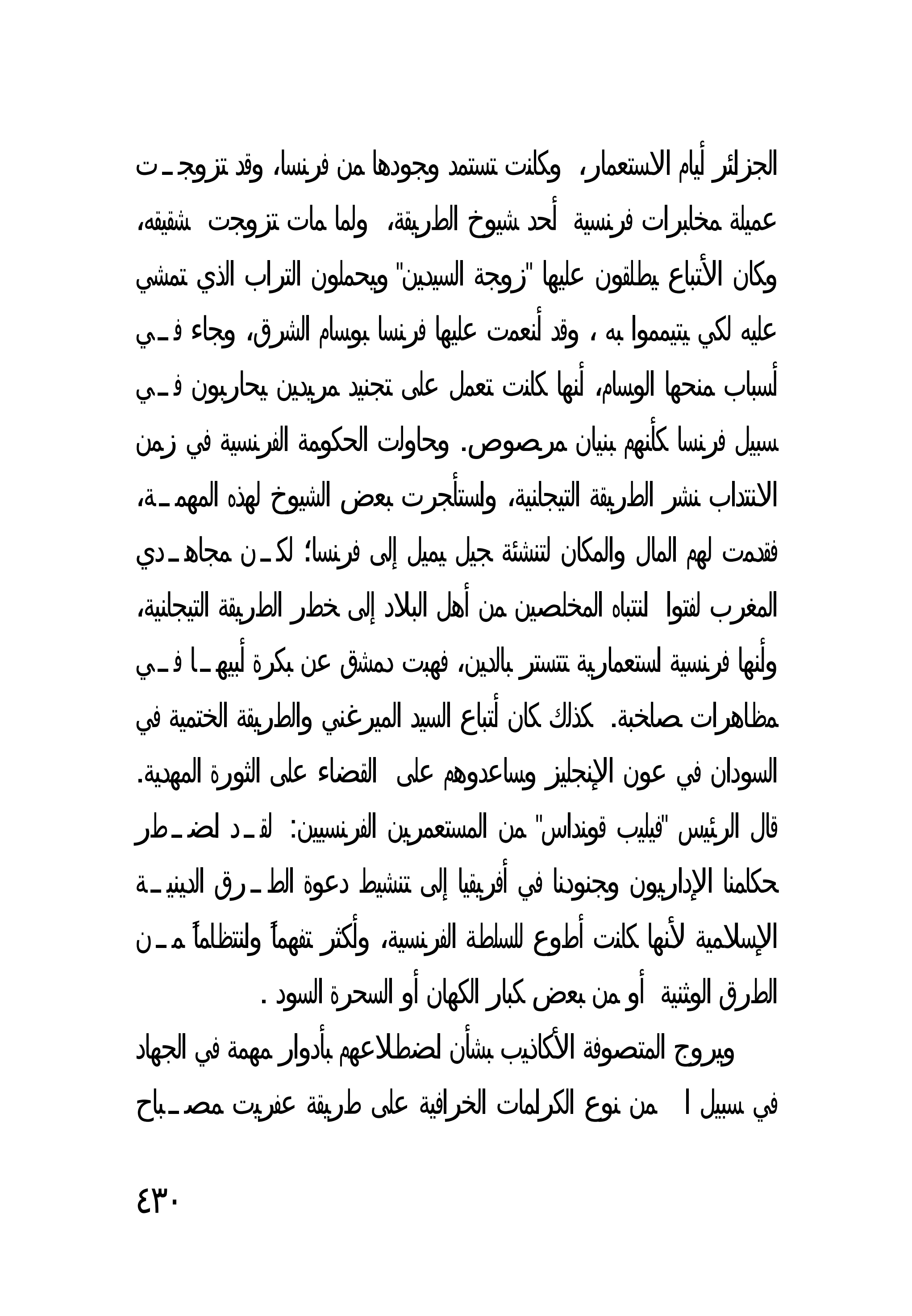
الصوفية والجهاد ونشر الإسلام:

بينما كانت سيوف الصليبيين تحصد المسلمين حصدا وهم يهاجمون مدينة المنصورة في القرن الثالث عشر الميلادي، اجتمع كبار مشايخ الصوفية من فورهم، ليس لمقاومة جحافل الفرنجة، ولكن لقراءة " رسالة القشيري " وبحث واستعراض كرامات الأولياء. ولما سقط بيت المقدس في أيدى الصليبيين كان أبو حامد الغزالي الزعيم الصوفي الكبير معاصرا للأحداث ولم يشارك في جهاد الصليبيين، وعاش بعد ذلك نحو ثلاثة عشر عاما لم يشر خلالها من قريب أو بعيد إلى مجاهدة الغزاة أو الحض على

قتالهم، فقد كان مشغولا بالحديث عـن مشـاهدات الأوليـاء للملائكـة ومخاطبتهم للجمادات، وتلقى العلوم اللدنية من السماء . كذلك تـرك أبـو الحسن الشاذلي الصليبيين يهاجمون دمياط و المنصورة ولم يتدخل أحد أقطـاب الصوفية أو الغوث أو البدلئل في الدفاع عن البسطاء المخدوعين ممن يصدقون أن من مشايخ الصوفية من يستطيع إطفاء النار بمرقعته، أو المشاركة في إدارة الكون، أو إحياء الموتى، وطوبى لمن احترم عقله.

وجاء في كتاب الزعيم مصطفى كامل "المسألة الشـرقية": ومـن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا " للقيروان: أن رجلاً فرنساويا دخل في الإسلام، وسمى نفسه "سيد أحمد الهادي" واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجةٍ عاليةٍ، وعين إماماً لمسجد كبيرٍ في "القيروان" فلما اقترب الجنود الفرنساوية من المدينة: استعد أهلها للدفاع عنهـا، وجـاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخٍ في المسجد! يعتقدون فيه. فدخل "سيد أحمد" الضريح ، ثم خرج مهولاً لهم بما سينالهم من المصائب، وقال لهم بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم لأن وقوع البلاد صار محتماً، فاتبع القـوم البسطاء قوله، ولم يدافعوا عن "القيروان" أقل دفاع بل دخلها الفرنسـاويون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨١ .

وفي المغرب عاون أتباع طريقة الشيخ أحمد التيجاني الفرنسيين على ترسيخ أقدامهم في شمال وغرب أفريقيا ، فقد كانـت تسـيطر علـى



الجزائر أيام الاستعمار، وكانت تستمد وجودها من فرنسا، وقد تزوجـت عميلة مخابرات فرنسية أحد شيوخ الطريقة، ولما مات تزوجت شقيقه، وكان الأتباع يطلقون عليها "زوجة السيدين" ويحملون التراب الذي تمشي عليه لكي يتيمموا به ، وقد أنعمت عليها فرنسا بوسام الشرق، وجاء فـي أسباب منحها الوسام، أنها كانت تعمل على تجنيد مريدين يحاربون فـي سبيل فرنسا كأنهم بنيان مرصوص. وحاولت الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب نشر الطريقة التيجانية، واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهمـة، فقدمت لهم المال والمكان لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا؛ لكـن مجاهـدي المغرب لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد إلى خطر الطريقة التيجانية، وأنها فرنسية استعمارية تتستر بالدين، فهبت دمشق عن بكرة أبيهـا فـي مظاهرات صاخبة. كذلك كان أتباع السيد الميرغني والطريقة الختمية في السودان في عون الإنجليز وساعدوهم على القضاء على الثورة المهدية. قال الرئيس "فيليب قونداس" من المستعمرين الفرنسيين: لقـد اضـطر حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطـرق الدينيـة الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية، وأكثر تفهماً وانتظاماً مـن الطرق الوثنية أو من بعض كبار الكهان أو السحرة السود .

ويروج المتصوفة الأكاذيب بشأن اضطلاعهم بأدوار مهمة في الجهاد في سبيل ا من نوع الكرامات الخرافية على طريقة عفريت مصـباح

علاء الدين، فهاهو الشيخ عز الدين بن عبـد السـلام يـأمر – كمـا يزعمون- الريح لتكسر سفن الصليبيين في موقعة دمياط، "مما جعل تلميذه ابن أبي شامة يحمد ا الذي جعل من أمة محمد من يأمر الريح فتستجيب له "[٥٨٨].

واليوم تباشر مراكز تعليمية كبيرة في البلاد الغربية والإسلامية علـى السواء تنشيط الجهود لبعث التراث الصوفي ٥٨٩.

٥٨٨- ابن عطاء ا السكندري- لطائف المنن ، طبقات الشافعية الجزء الثالث

٥٨٩- ويجري النظر في إنشاء جامعة في مصر لدراسة " علوم" التصوف

الباب الرابع

اليد الخفية

الفصل الأول : اليد الخفية واليهود

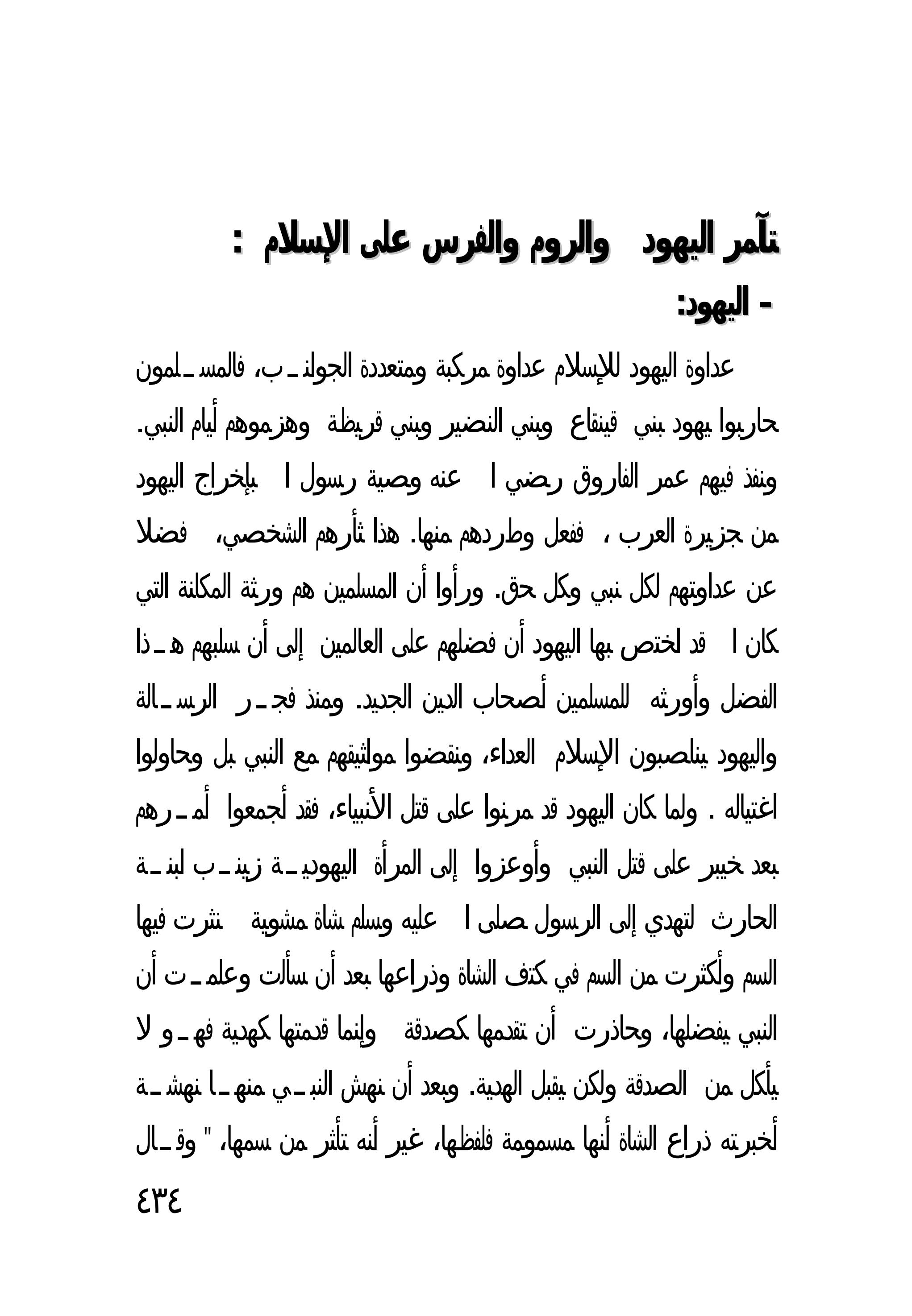
الفصل الثاني : اليد الخفية والشيعة

الفصل الثالث: اليد الخفية والصوفية

اليد الخفية واليهود

" إذا اتّحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً، أما إذا بقوا متفرقين فإنّهم يظلّون حينئذ بلا قوة ولا تأثير". هذا ما قاله لورانس براون أحد زعماء المبشّرين في كتابه"الإسلام والإرساليات". وهو رأي يعبر عن معتقد راسخ لدى جميع أعداء الإسلام منذ أن أشرق بنوره وحتى الآن وإلى أن يرث ا الأرض ومن عليها.

لذا بدأ تآمر اليد الخفية على الإسلام مبكرا حتى قبل أن يشتد عوده. فقد أُعِد لظهور مدعي النبوة ورسول ا حي يرزق : فظهر الأسود العنسي، وطليحة الأسدي، ومسيلمة الكذاب . وبعد وفاة الحبيب المصطفى ارتد العرب عن الإسلام باستثناء أهل مكة والمدينة والطائف. والتآمر والتدبير بليل من سمات اليد الخفية التي دبرت قتل رواد الإسلام ومؤسسيه، بدءا من دس السم للنبي، إلى قتل الخلفاء الراشدين: عمر وعثمان وعلي، ولم يمهلهم قصر مدة خلافة أبي بكر الصديق، فلم يتمكنوا من قتله كما فعلوا مع باقي الخلفاء الراشدين العظام. والتدبير الخفي لم يحدث مصادفة، فلا مكان للصدفة إلا على موائد الميسر.



تآمر اليهود والروم والفرس على الإسلام :

- اليهود:

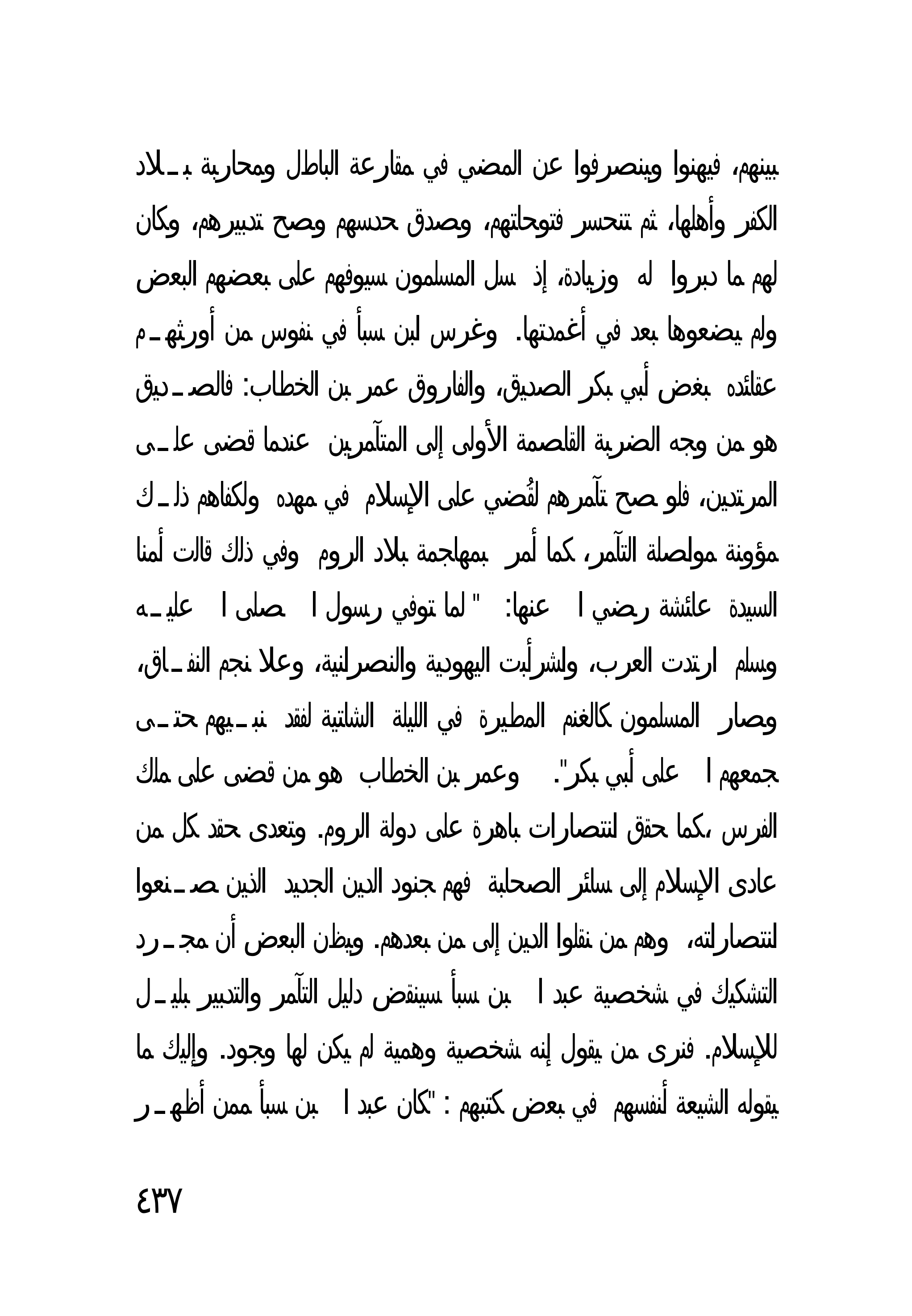
عداوة اليهود للإسلام عداوة مركبة ومتعددة الجوانـب، فالمسـلمون حاربوا يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وهزموهم أيام النبي. ونفذ فيهم عمر الفاروق رضي ا عنه وصية رسول ا بإخراج اليهود من جزيرة العرب ، ففعل وطردهم منها. هذا ثأرهم الشخصي، فضلا عن عداوتهم لكل نبي وكل حق. ورأوا أن المسلمين هم ورثة المكانة التي كان ا قد اختص بها اليهود أن فضلهم على العالمين إلى أن سلبهم هـذا الفضل وأورثه للمسلمين أصحاب الدين الجديد. ومنذ فجـر الرسـالة واليهود يناصبون الإسلام العداء، ونقضوا مواثيقهم مع النبي بل وحاولوا اغتياله . ولما كان اليهود قد مرنوا على قتل الأنبياء، فقد أجمعوا أمـرهم بعد خيبر على قتل النبي وأوعزوا إلى المرأة اليهوديـة زينـب ابنـة الحارث لتهدي إلى الرسول صلى ا عليه وسلم شاة مشوية نثرت فيها السم وأكثرت من السم في كتف الشاة وذراعها بعد أن سألت وعلمـت أن النبي يفضلها، وحاذرت أن تقدمها كصدقة وإنما قدمتها كهدية فهـو لا يأكل من الصدقة ولكن يقبل الهدية. وبعد أن نهش النبـي منهـا نهشـة أخبرته ذراع الشاة أنها مسمومة فلفظها، غير أنه تأثر من سمها، " وقـال

في مرضه الذي مات فيه: هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من أكلـة خيبر، فكان المسلمون يرون أنه مات شهيدا مع كرامة النبوة "[590].

ورائد التآمر اليهودي يمني اسمه عبد الله بن سبأ من أهل صنعاء ، أسلم في السنة السابعة من خلافة سيدنا عثمان ثم تنقل في بلدان المسـلمين لبث أضاليله فبدأ بالحجاز ثم البصرة والكوفة و الشام فلم تفلـح جهـوده حتى أتى مصر فقال للمصريين فيما قال: العجب ممن يزعم أن عيسـى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجل إن الذي فـرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي ولكل نبـي وصي وكان علي وصى محمد ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلـى خـاتم الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ، وأن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمـر فحركوه وابدؤوا بالطعن على أمرائكم واظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس. وبث دعاته وكاتب أعوانه فـي الأمصـار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتبا يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر

٥٩٠- الكامل في التاريخ- ابن الأثير ، المجلد الثاني

آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى أوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون . كان ذلك تـدبير تآمري محكم ما كان يقدر عليه ابن سبأ وحده مالم تؤازره يد خفية مريدة وقاصدة ، ولو لم يكن ابن سبأ لكان سواه، فهو عميل جندتـه يـد خفيـة وكرسته لتنفيذ خطة جهنمية موضوعة لا يقوى على تنفيذها فرد واحد، لذا لا معنى لما دار من جدل حول أن ابن سبأ شخص حقيقي أم موهـوم، فهو في تقديري مجرد قطعة على رقعة شطرنج لها دور محدد شأنه في ذلك شأن من سيأتي بعده لاستكمال جزء آخر من الخطـة. ولمـا رأت القوى المتربصة بالإسلام أنه لا جدوى من الصدام العسكري، إذ كانـت نتائج حروب الردة وحروب اليهود مع المسلمين منظورة النتائج وماثلة في الأذهان لم ينسها أحد بعد، فرأوا أن المواجهة العسكرية مع المسلمين إنمـا تكون كمن يتلقى الرماح بنحره، ورأموا مناجزة عدوهم بالمكايدة فهـي أحسن سياسة من نيل ذلك بالقتال. وتصنّع ابن سبأ مناصرة علي بن أبي طالب إذ كان لابد له من سبب مزيف يبدو مقنعا للعوام ليسـتتر خلفـه. وشكلت اليد الخفية المدبرة طليعة يهودية تحت قيادة عبد ا بـن سـبأ، ظاهرها الإسلام وباطنها الكفر، ونشرت بـين المسـلمين عقائـد وآراء يهودية، وأحدثت الفتنة بين المسلمين، وتآمرت على الخليفة عثمـان بن عفان رضي ا تعالى عنه ، حتى ينفرط عقد المسلمين ويقع بأسـهم


بينهم، فيهنوا وينصرفوا عن المضي في مقارعة الباطل ومحاربة بـلاد الكفر وأهلها، ثم تنحسر فتوحاتهم، وصدق حدسهم وصح تدبيرهم، وكان لهم ما دبروا له وزيادة، إذ سل المسلمون سيوفهم على بعضهم البعض ولم يضعوها بعد في أغمدتها. وغرس ابن سبأ في نفوس من أورثهـم عقائده بغض أبي بكر الصديق، والفاروق عمر بن الخطاب: فالصـديق هو من وجه الضربة القاصمة الأولى إلى المتآمرين عندما قضى علـى المرتدين، فلو صح تآمرهم لقُضي على الإسلام في مهده ولكفاهم ذلـك مؤونة مواصلة التآمر، كما أمر بمهاجمة بلاد الروم وفي ذلك قالت أمنا السيدة عائشة رضي ا عنها: " لما توفي رسول ا صلى ا عليـه وسلم ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، وعلا نجم النفـاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبـيهم حتـى جمعهم ا على أبي بكر". وعمر بن الخطاب هو من قضى على ملك الفرس ،كما حقق انتصارات باهرة على دولة الروم. وتعدى حقد كل من عادى الإسلام إلى سائر الصحابة فهم جنود الدين الجديد الذين صـنعوا انتصاراته، وهم من نقلوا الدين إلى من بعدهم. ويظن البعض أن مجـرد التشكيك في شخصية عبد ا بن سبأ سينقض دليل التآمر والتدبير بليـل للإسلام. فنرى من يقول إنه شخصية وهمية لم يكن لها وجود. وإليك ما يقوله الشيعة أنفسهم في بعض كتبهم : "كان عبد ا بن سبأ ممن أظهـر

الطعن على أبي بكر، وعمر، وعثمان، والصحابة، وتبرأ منهم، وقـال إن علياً عليه السلام أمره بذلك، فأخذه علي، فسأله عن قوله هذا، فـأقر بـه، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين! أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت، وإلى ولايتكم والبراءة من أعدائكم؟ فسيره علي إلى المـدائن عاصمة إيران آنذاك. وتظاهر ابن سبأ بالعلم والتقوى، حتى افتتن النـاس به، وبعد رسوخه فيهم بدأ يروج مذهبه ومسلكه، ومنه أن لكل نبي وصي وخليفة "[591].كما جاء في بعض كتبهم ما أبداه أحد أحفاد سيدنا علي، وهو زين العابدين علي بن الحسين – الإمام الرابع المعصوم عنـدهم - مـن استنكار لما روجه ابن سبأ فقال:" لعن ا من كذب علينا، إني ذكرت عبد ا بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمراً عظيماً لعنه ا ، كان علي عليه السلام وا عبد ا صالحاً ، ما نال الكرامة مـن ا إلا بطاعته ولرسوله، وما نال رسول ا صلى ا عليه وآله الكرامة من ا إلا بطاعته "[592]. وكان ابن سبأ هو أول من قال بأن ا يحصل له البداء أي النسيان والجهل - تعالى ا علوا كبيرا عما يصفون.

ومكايدة اليهود للإسلام سبقتها عداوتهم للمسيحية، فهم أعداء التوحيـد، وبفضل تآمرهم على المسيحية التوحيدية التي جاء بها المسيح عليه السلام

٥٩١- النوبختي- فرق الشيعة

٥٩٢- رجال الكشي- ص١٠٠

استطاعوا أن يدسوا فيها أفكار ألوهية المسيح والتثليث . ومن المدهش أن لليهود منهجا واحدا ثابتا اتبعوه في دس التحريف والتخريف في كل مـن المسيحية والإسلام. فهم يحدثون تغييرات حاسمة ومحورية بفعل كذبـة كبيرة يصطنعون لها سندا من السلطة الدينية أو السياسية فيكـون هـذا التغيير مدعوما وقادرا على التغلب على أي معوقات تحول دون انتشاره، والناس على دين ملوكها، ثم يصطنعون جماعات من المنتفعين ممن تقوم مصالحهم على استمرار التغيير والتحريف الذي اصطنعوه ، سواء أكانوا من الملوك والأمراء، أم من رجال الدين والكهنوت. والسلطة الراعيـة للتحريف ستستفيد من حشد جموع الناس وراءها وتستخدمهم في تحقيق مآربها.فالإمبراطور قسطنطين سخرته اليد الخفية في إحداث أخطر تغيير محوري في المسيحية، فهو من قرر أن المسيح إله وليس نبيا، وذلك في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥ ميلادية، والذي شارك فيه حوالي ألف من كبار رجال الدين المسيحي لكي يحددوا طبيعة السيد المسيح: إله أم إنسان وعلى الرغم من أن حوالي ثلثي المشاركين أقروا أن المسيح إنسان نبي ولـيس إله، إلا أن الإمبراطور قسطنطين فرض رأيه أن المسيح هـو الـرب، وكان ذلك هو الرأي الذي أمضاه رجال الكنيسة حتـى الآن. وطـورد أصحاب الرأي الآخر ممن قالوا بنبوة عيسى عليه السلام. أما عن الكذبة التي تحقق سندا آخر للإفك، فهي زعم قسطنطين قبيـل إعـداده العـدة

لخوض إحدى معاركه ، أنه رأى صليبا في الهواء حـول الشـمس - لاحظ التوقيت الملائم لحشد الأنصار من الجنود المتدينين - "وزعم انـه انتصر بسبب الصليب، وأصدر بيانا بعد تنصره قال فيه: لقد كنت عـدة الرب التي اختارها لإنفاذ مشيئته، أنا أسقف نصبني الرب علـى جميـع شؤون الكنيسة الخارجية "٥٩٣. ورؤية قسـطنطين للصـليب حـول الشمس كما زعم " اعتبرها العلماء تواطؤا لأهدا ف سياسـية وتخـدم مرحلة من المراحل"٥٩٤. " وبالرغم من أن ثمة شكا كبيرا فـي أنـه اعتنق هو نفسه المسيحية فإن الكنيسة قد اعتبرته قديسا بسبب قراره هذا الذي أعطى الدين المسيحي الشرعية ".٥٩٥ ويقـول المـؤرخ ويـل ديورانت:" هل كان قسطنطين حين تحول إلى المسيحية مخلصا في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية، أم أن هذا العمل كان حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية أغلب الظن أن الرأي الأخير هو الأصوب".

"وبولس وأتباعه من دعاة ألوهية المسيح كانوا في البداية قليلـين قـد وسمهم معاصروهم بالفرقة المارقة، و قد ظل الوضع كذلك حتى مجمـع نيقية عام ٣٢٥م، فتحكي كتب التاريخ أن عددا ممن حضروا المجمـع

٥٩٣- بابوات من الحي اليهودي ص٩١، نقلا عن المسيح الدجال – سعيد أيوب

٥٩٤- المسيح الدجال – سعيد أيوب

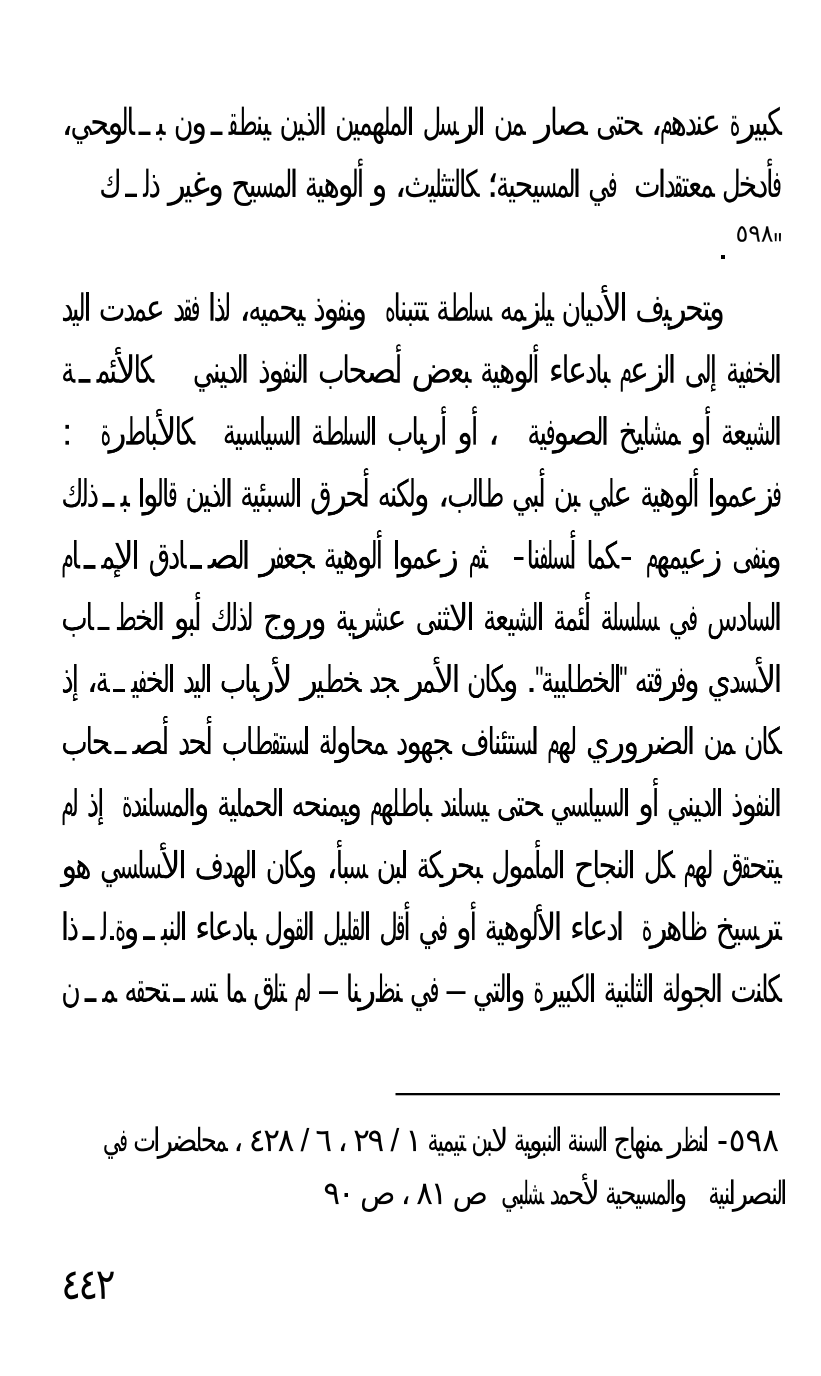
٥٩٥- تراث الإسلام – تصنيف شاخت وبوزورث

كانوا قرابة الألف شخص من مختلف الطوائف النصرانية المعروفة آنذاك و منهم ٣١٨ أسقفا على رأي بولس و قد ناصرهم الإمبراطور قسطنطين بانحيازه لرأيهم وفرض عقيدتهم على غيرهم بقوة السلطان. و منذ ذلك التاريخ فُرضت عقيدة بولس على النصارى بأنها العقيدة الصواب و مـا خالفها هرطقة، وكان الزمن كفـيلا بانتشـارها فـي كافـة أرجـاء الإمبراطورية الرومانية و دفع ما سـواها من عقائـد أخـرى حـتى صـارت اليوم وعلى اختلاف طوائف النصـارى مصـدرا للعقيـدة المعتبرة لدى المسيحيين"٥٩٦.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "و قد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض - أي التشيع - إنما كان من الزنديق عبد ا بن سبأ، فإنه أظهـر الإسـلام وأبطن اليهودية و طلب أن يفسد الإسلام، كما فعل بولص النصـراني – الذي كان يهودياً – في إفساد دين النصارى "٥٩٧. و بولس، هو: قـس يهودي اسمه الأصلي شاؤول، ولد في طرسوس، و نشأ في أورشـليم، كان في أول حياته من أشد أعداء المسيحية، يكيد لها، ثم تظاهر بالمسيحية و ادعى الانتساب إليها بقصد التحريف فيها، فاستطاع أن يصل إلى رتبة

٥٩٦- بولس وأثره في النصرانية- طارق محمد- دراسة

٥٩٧- ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٢٨/٤٨٣



كبيرة عندهم، حتى صار من الرسل الملهمين الذين ينطقـون بـالوحي، فأدخل معتقدات في المسيحية؛ كالتثليث، و ألوهية المسيح وغير ذلـك .[598]

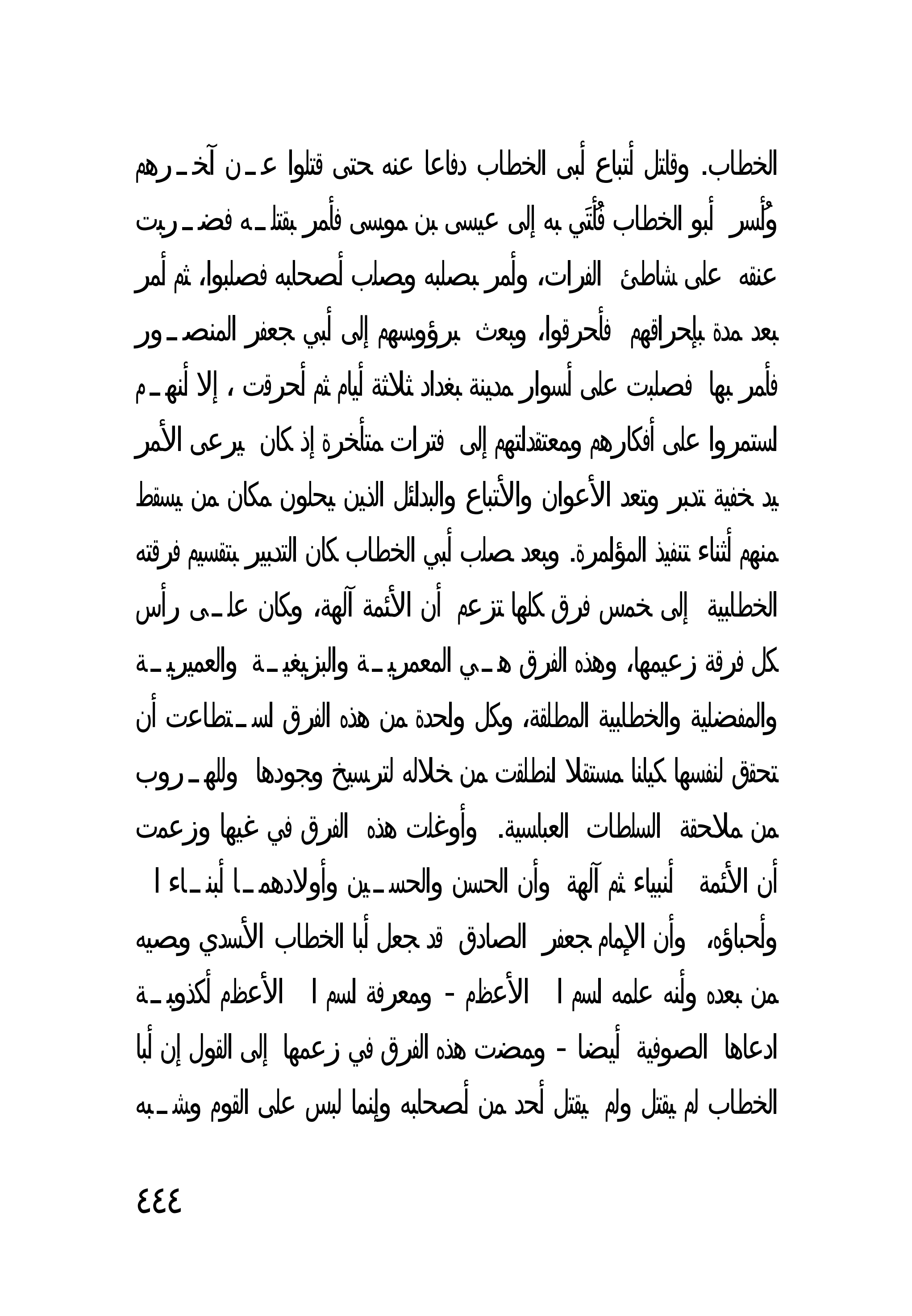
وتحريف الأديان يلزمه سلطة تتبناه ونفوذ يحميه، لذا فقد عمدت اليد الخفية إلى الزعم بادعاء ألوهية بعض أصحاب النفوذ الديني كالأئمـة الشيعة أو مشايخ الصوفية ، أو أرباب السلطة السياسية كالأباطرة : فزعموا ألوهية علي بن أبي طالب، ولكنه أحرق السبئية الذين قالوا بـذلك ونفى زعيمهم -كما أسلفنا- ثم زعموا ألوهية جعفر الصـادق الإمـام السادس في سلسلة أئمة الشيعة الاثنى عشرية وروج لذلك أبو الخطـاب الأسدي وفرقته "الخطابية". وكان الأمر جد خطير لأرباب اليد الخفيـة، إذ كان من الضروري لهم استئناف جهود محاولة لاستقطاب أحد أصـحاب النفوذ الديني أو السياسي حتى يساند باطلهم ويمنحه الحماية والمساندة إذ لم يتحقق لهم كل النجاح المأمول بحركة ابن سبأ، وكان الهدف الأساسي هو ترسيخ ظاهرة ادعاء الألوهية أو في أقل القليل القول بادعاء النبـوة.لـذا كانت الجولة الثانية الكبيرة والتي – في نظرنا – لم تلق ما تسـتحقه مـن

٥٩٨- انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١ / ٢٩ ، ٦ / ٤٢٨ ، محاضرات في النصرانية والمسيحية لأحمد شلبي ص ٨١ ، ص ٩٠

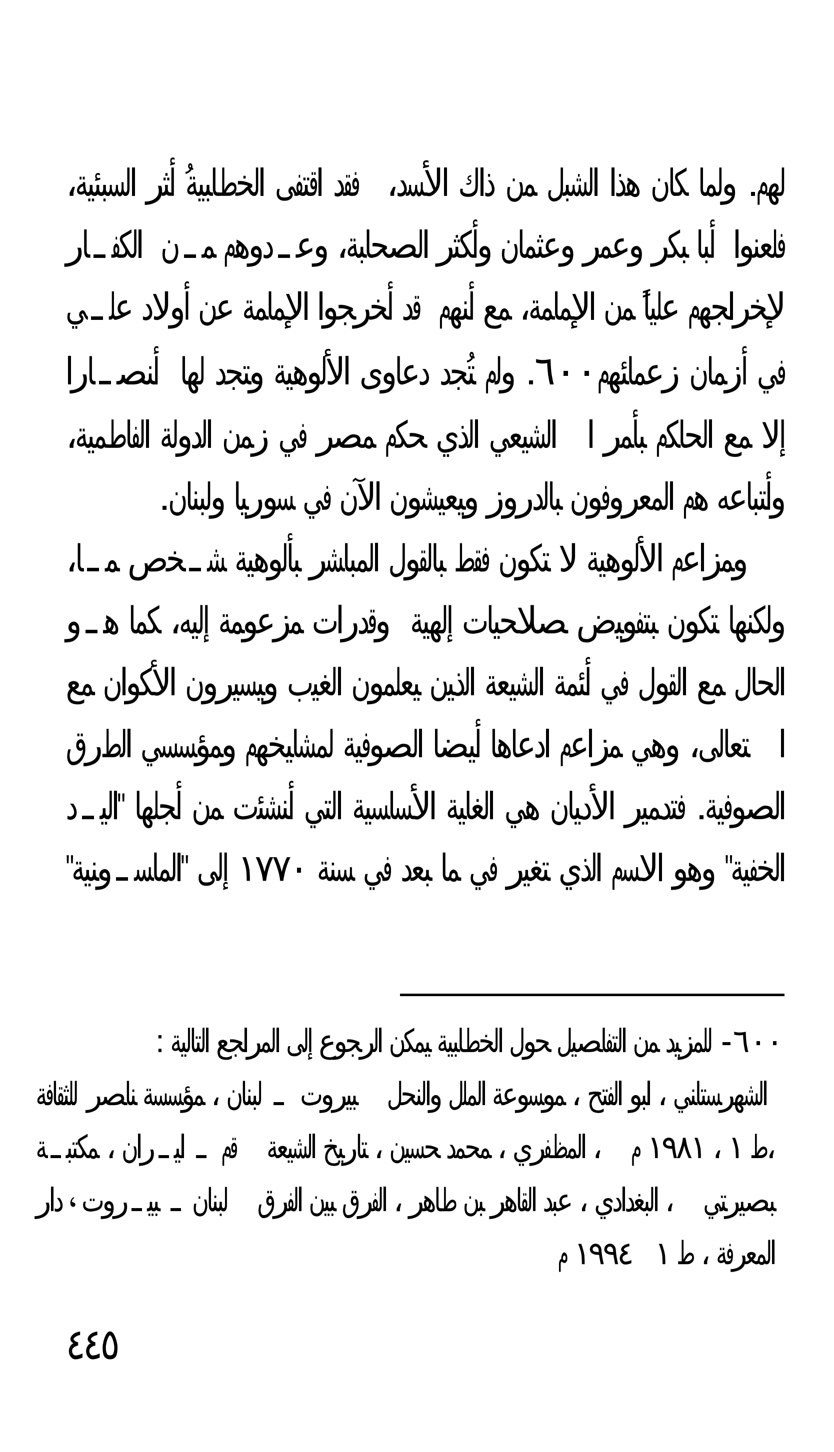
اهتمام من الباحثين مثلما لقيته حركة لبن سبأ، ونعني حركة أبي الخطـاب الأسدي[599]. وظهر نشاط هذه الفرقة في النصف الأول من القرن الثاني في مطلع العصر العباسي الأول في منطقة الكوفة حيث كثر لتباعها حتى تجاوزوا الألوف، وقد قالوا بتأليه الإمام جعفر الصادق، واعتبـاره مـن طينة أخرى غير طينة البشر إلا أن الإمام بعد أن اطلع على ضلالتهم لعن زعيمهم وتبرأ منه ولمر أصحابه بالبراءة منه. وكان أبـو الخطـاب يتقرب من الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق، ثم ادعى أنه مرسـل من قبل الإمام الصادق ثم زعم أنه نبي، وأحل المحارم ولباح الشهوات ، وقال هو ولتباعه إن الجنة والنار إن هما إلا رجلان ليس لهمـا وجـود بمعنى الثواب والعقاب الأخروي . ولنتهى به القول إلى أنه ا ذلته .

و لزم لنصار الفرقة الخطابية المسجد بالكوفة وتمسكوا بعبـادة أبـي الخطاب وتقديسهم له وزعموا أنه أعظم منزلة مـن الإمـام الصـادق والإمام علي وأظهروا التعبد، إذ لابد من التظاهر بالتعبد والزهد لاجتذاب العوام والسذج، وكانوا يدعون الناس إلى أمرهم سرا - فالسـرية مـن ضرورات الفرق الباطنية التي تدعو في الظلام لستتارا . وبلـغ خبـرهم الوالي العباسي على الكوفة عيسى بن موسى ولنهم قد أظهروا الإباحات - والإباحية من أهم الجواذب لجمع العوام - ودعوا الناس إلى نبوة أبـي

599-هو محمد بن مقلاص بن أبي زينب الأسدي الكوفي المكنى بأبي الخطاب



الخطاب. وقاتل أتباع أبى الخطاب دفاعا عنه حتى قتلوا عـن آخـرهم وأُسر أبو الخطاب فأُتي به إلى عيسى بن موسى فأمر بقتلـه فضـربت عنقه على شاطئ الفرات، وأمر بصلبه وصلب أصحابه فصلبوا، ثم أمر بعد مدة بإحراقهم فأحرقوا، وبعث برؤوسهم إلى أبي جعفر المنصـور فأمر بها فصلبت على أسوار مدينة بغداد ثلاثة أيام ثم أحرقت ، إلا أنهـم استمروا على أفكارهم ومعتقداتهم إلى فترات متأخرة إذ كان يرعى الأمر يد خفية تدبر وتعد الأعوان والأتباع والبدائل الذين يحلون مكان من يسقط منهم أثناء تنفيذ المؤامرة. وبعد صلب أبي الخطاب كان التدبير بتقسيم فرقته الخطابية إلى خمس فرق كلها تزعم أن الأئمة آلهة، وكان علـى رأس كل فرقة زعيمها، وهذه الفرق هـي المعمريـة والبزيغيـة والعميريـة والمفضلية والخطابية المطلقة، وكل واحدة من هذه الفرق اسـتطاعت أن تحقق لنفسها كيانا مستقلا انطلقت من خلاله لترسيخ وجودها وللهـروب من ملاحقة السلطات العباسية. وأوغلت هذه الفرق في غيها وزعمت أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وأن الحسن والحسـين وأولادهمـا أبنـاء ا وأحباؤه، وأن الإمام جعفر الصادق قد جعل أبا الخطاب الأسدي وصيه من بعده وأنه علمه اسم ا الأعظم - ومعرفة اسم ا الأعظم أكذوبـة ادعاها الصوفية أيضا - ومضت هذه الفرق في زعمها إلى القول إن أبا الخطاب لم يقتل ولم يقتل أحد من أصحابه وإنما لبس على القوم وشـبه

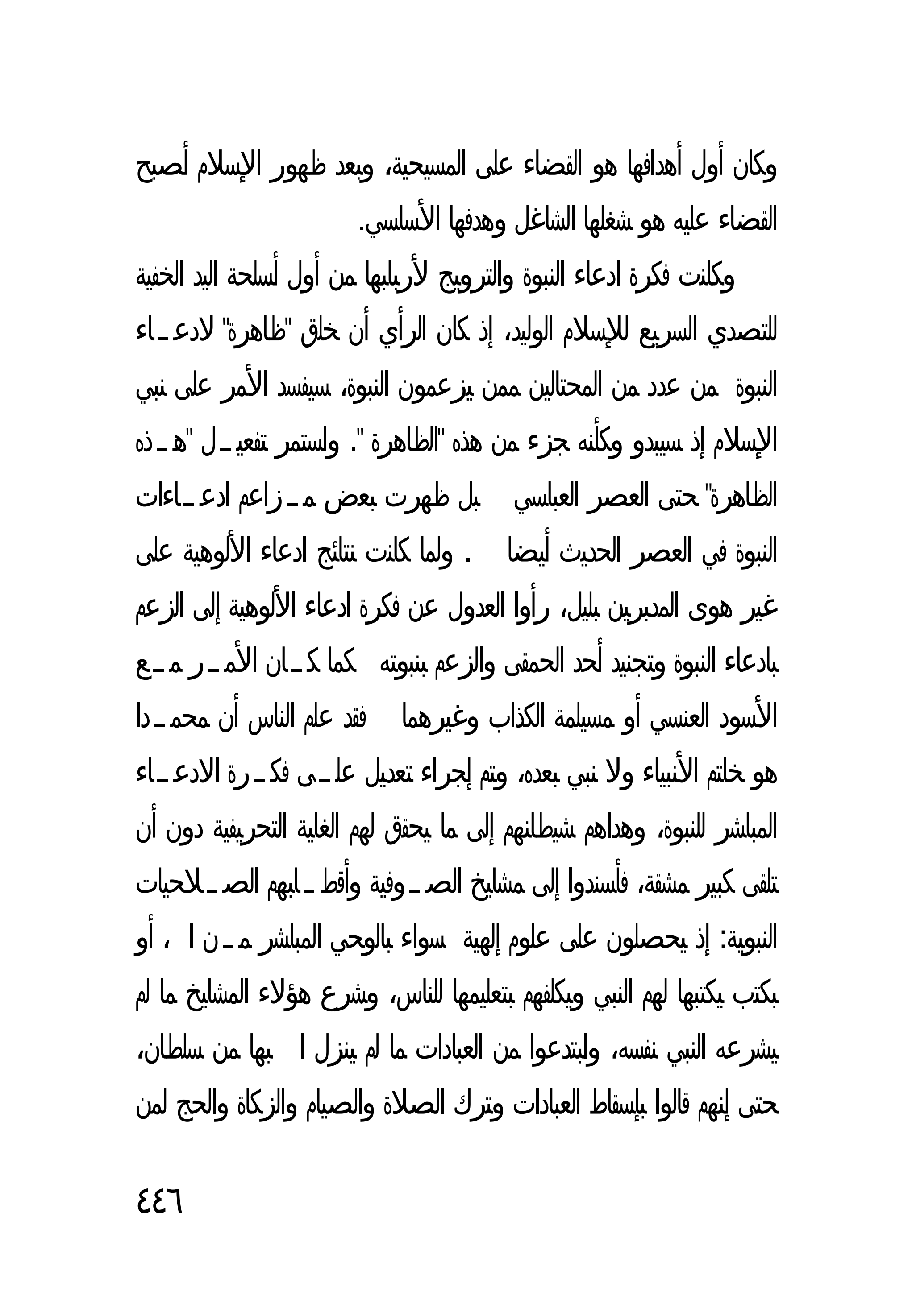


لهم. ولما كان هذا الشبل من ذاك الأسد، فقد اقتفى الخطابيةُ أثر السبئية، فلعنوا أبا بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة، وعـدوهم مـن الكفـار لإخراجهم علياً من الإمامة، مع أنهم قد أخرجوا الإمامة عن أولاد علـي في أزمان زعمائهم ٦٠٠. ولم تُجد دعاوى الألوهية وتجد لها أنصـارا إلا مع الحاكم بأمر ا الشيعي الذي حكم مصر في زمن الدولة الفاطمية، وأتباعه هم المعروفون بالدروز ويعيشون الآن في سوريا ولبنان.

ومزاعم الألوهية لا تكون فقط بالقول المباشر بألوهية شـخص مـا، ولكنها تكون بتفويض صلاحيات إلهية وقدرات مزعومة إليه، كما هـو الحال مع القول في أئمة الشيعة الذين يعلمون الغيب ويسيرون الأكوان مع ا تعالى، وهي مزاعم ادعاها أيضا الصوفية لمشايخهم ومؤسسي الطرق الصوفية. فتدمير الأديان هي الغاية الأساسية التي أنشئت من أجلها "اليـد الخفية" وهو الاسم الذي تغير في ما بعد في سنة ١٧٧٠ إلى "الماسـونية"

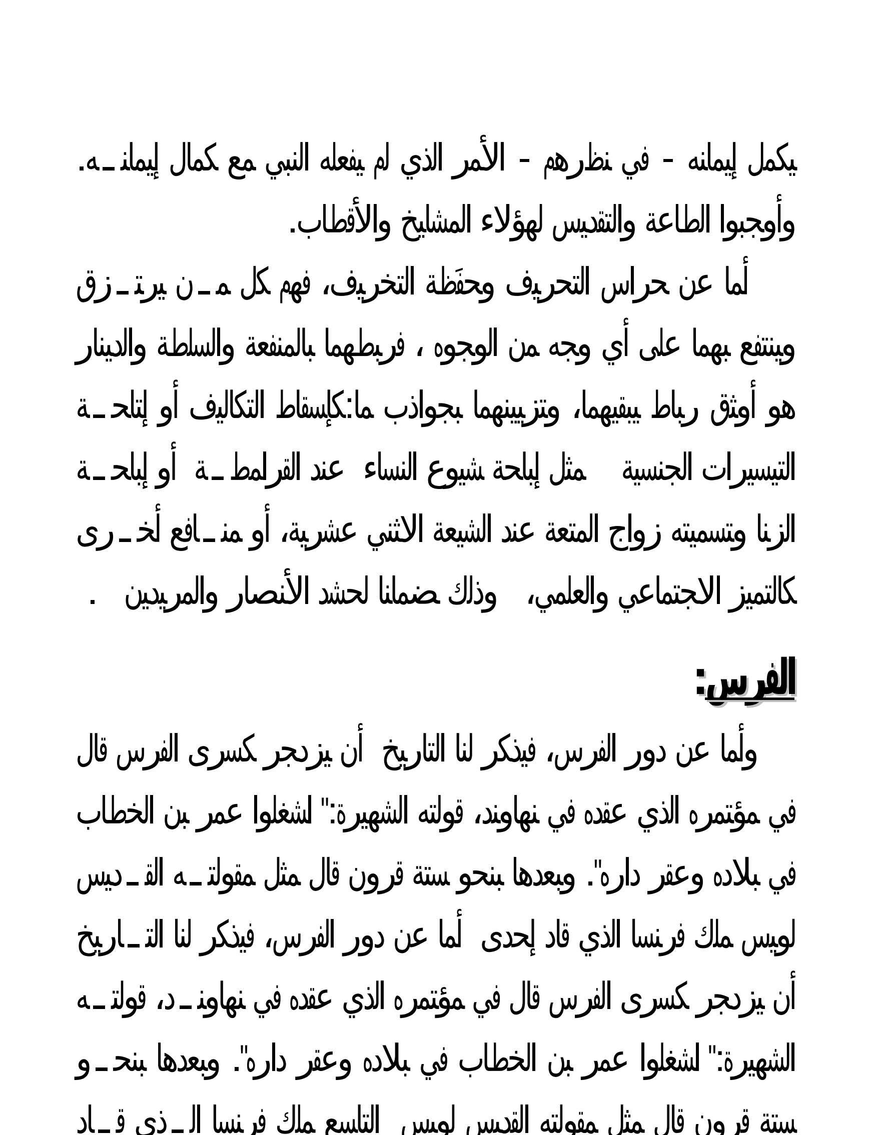
٦٠٠- للمزيد من التفاصيل حول الخطابية يمكن الرجوع إلى المراجع التالية :

الشهرستاني ، أبو الفتح ، موسوعة الملل والنحل بيروت ـ لبنان ، مؤسسة ناصر للثقافة ،ط ١ ، ١٩٨١ م ، المظفري ، محمد حسين ، تاريخ الشيعة قم ـ إيـران ، مكتبـة بصيرتي ، البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر ، الفرق بين الفرق لبنان ـ بيـروت ، دار المعرفة ، ط ١ ١٩٩٤ م



وكان أول أهدافها هو القضاء على المسيحية، وبعد ظهور الإسلام أصبح القضاء عليه هو شغلها الشاغل وهدفها الأساسي.

وكانت فكرة ادعاء النبوة والترويج لأربابها من أول أسلحة اليد الخفية للتصدي السريع للإسلام الوليد، إذ كان الرأي أن خلق "ظاهرة" لادعـاء النبوة من عدد من المحتالين ممن يزعمون النبوة، سيفسد الأمر على نبي الإسلام إذ سيبدو وكأنه جزء من هذه "الظاهرة ". واستمر تفعيـل "هـذه الظاهرة" حتى العصر العباسي بل ظهرت بعض مـزاعم ادعـاءات النبوة في العصر الحديث أيضا . ولما كانت نتائج ادعاء الألوهية على غير هوى المدبرين بليل، رأوا العدول عن فكرة ادعاء الألوهية إلى الزعم بادعاء النبوة وتجنيد أحد الحمقى والزعم بنبوته كما كـان الأمـر مـع الأسود العنسي أو مسيلمة الكذاب وغيرهما فقد علم الناس أن محمـدا هو خاتم الأنبياء ولا نبي بعده، وتم إجراء تعديل علـى فكـرة الادعـاء المباشر للنبوة، وهداهم شيطانهم إلى ما يحقق لهم الغاية التحريفية دون أن تلقى كبير مشقة، فأسندوا إلى مشايخ الصـوفية وأقطـابهم الصـلاحيات النبوية: إذ يحصلون على علوم إلهية سواء بالوحي المباشر مـن ا ، أو بكتب يكتبها لهم النبي ويكلفهم بتعليمها للناس، وشرع هؤلاء المشايخ ما لم يشرعه النبي نفسه، وابتدعوا من العبادات ما لم ينزل ا بها من سلطان، حتى إنهم قالوا بإسقاط العبادات وترك الصلاة والصيام والزكاة والحج لمن



يكمل إيمانه - في نظرهم - الأمر الذي لم يفعله النبي مع كمال إيمانـه. وأوجبوا الطاعة والتقديس لهؤلاء المشايخ والأقطاب.

أما عن حراس التحريف وحفَظة التخريف، فهم كل مـن يرتـزق وينتفع بهما على أي وجه من الوجوه ، فربطهما بالمنفعة والسلطة والدينار هو أوثق رباط يبقيهما، وتزيينهما بجواذب ما:كإسقاط التكاليف أو إتاحـة التيسيرات الجنسية مثل إباحة شيوع النساء عند القرامطـة أو إباحـة الزنا وتسميته زواج المتعة عند الشيعة الاثني عشرية، أو منـافع أخـرى كالتميز الاجتماعي والعلمي، وذلك ضمانا لحشد الأنصار والمريدين .

الفرس:

ولما عن دور الفرس، فيذكر لنا التاريخ أن يزدجر كسرى الفرس قال في مؤتمره الذي عقده في نهاوند، قولته الشهيرة:" لشغلوا عمر بن الخطاب في بلاده وعقر داره". وبعدها بنحو ستة قرون قال مثل مقولتـه القـديس لويس ملك فرنسا الذي قاد إحدى أما عن دور الفرس، فيذكر لنا التـاريخ أن يزدجر كسرى الفرس قال في مؤتمره الذي عقده في نهاونـد، قولتـه الشهيرة:" لشغلوا عمر بن الخطاب في بلاده وعقر داره". وبعدها بنحـو ستة قرون قال مثل مقولته القديس لويس التاسع ملك فرنسا الـذي قـاد إحدى الحملات الصليبية فأسره المصريون، ونصح قومه بتغيير وسيلة الكيد للإسلام قائلا: "عليكم بمهاجمة الحصون من الداخل"، إذ تعذر غـزو

بلاد المسلمين عسكريا، ودلت التجربة أن مقتلهم في تفرقهم وتشـرذمهم على الصعيد العقائدي والعسكري، والالتفاف حولهم بالـدس والتـدليس والتحريف والجمعيات السرية والدعاة والمبشرين.

ولما تم فتح فارس على يد الفاروق عمر بن الخطاب، نقم أهلها على الفاروق وجنوده، ووجد اليهود فارس بيئة مناسبة لغرس بذور الفتنة فيهـا مما سبب لانتشار التشيع في إيران وبغضهم للصحابة، وكانت المكايدة من الفرس لأنهم يرون أن لهم حقا في الأمر لأن الوحيد الذي بقي من أبنـاء الحسين بعد مجزرة كربلاء،كان علي زين العابدين ابن "سـلافة " ابنـة يزدجر كسرى الفرس، وكانت قد أُسرت هي وأختاها، ورأى الفرس أن لهم حقا في ملك المسلمين، ولما تآمر اليهود " السبئية" على خليفة المسلمين عثمان بن عفان ، وادعوا الولاية والخلافة لعلي وأولاده، آزرهـم أهـل إيران نقمة على الفاروق ورفقته ولأصحاب الرسول الذين فتحوا بلادهم ، ولأبدى الفرس الاستعداد لمعاونة تلك الطائفة اليهودية، يقول المستشـرق الإنكليزي براون: "من أهم أسباب عداوة أهل إيران للخليفة الراشد الثـاني عمر، هو أنه فتح العجم، وكسر شوكته، غير أنهم أعطوا لعدائهم صبغة دينية مذهبية، وليس هذا من الحقيقة بشيء، وليس عداوة إيـران وأهلهـا

لعمر بن الخطاب لأن عمر غصب حقوق علي وفاطمة بل لأنه فتح إيران وقضى على الأسرة الساسانية"٦٠١.

"وينبغي أن نذكر دور الفرس في إدخالهم مُثُلهم الدينية في التشيع المغالي الأول حين نصروا المختار ، وانضموا إلى حركة أبي هاشم وانضموا إلى الحركة السرية العباسية التي ورثت هذه الحركة، حتى انتهى بهم الأمر إلى تأليه أبي مسلم الخرساني، مثلما فعلوا مع أئمة الشيعة من العلويين. كما ناصروا حركة عبد ا بن معاوية في فارس أيضاً وأسبغوا عليه النور الإلهي الذي سنجده في التصوف واضحاً جلياً. وهذا كله يعني أن الفرس قد بدءوا إضافة القداسة إلى البيت النبوي باعتبارها موازياً لأسسهم السياسية والدينية السابقة من تأليههم الملوك، وقولهم بالنور الذي ينتقل من ملك إلى آخر، وقولهم بالولاية لعلي بن أبي طالب، وانتقلت هذه الولاية المقدسة مع مبالغات وغلو إلى الأئمة من بعده حتى بلغ الأمر حد التأليه٦٠٢ .

٦٠١- تاريخ أدبيات إيران ، للدكتور براؤن ص٢١٧ ج١ بتصرف

٦٠٢- الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل مصطفى الشيبي ج١ ص ٣٧٢ - ط: دار الأندلس بيروت - بتصرف

ويقول المستشرق براون: "إن التشيع والتصوف كانا من الأسـلحة التي حارب بها الفرس العرب"[٦٠٣] . وكان للفرس والجنس الإيراني الدور المميز الخاص في التصوف والتشيع، فأئمة التصوف ورواده الأوائل بلا استثناء كانوا من الفرس والموالي ولم يكن منهم عربي قط. كمـا ارتـبط التشيع قديماً باسم الفرس حتى إنه لا يكاد يذكر التشيع إلا ويقترن ذكـره بذكر الفرس. وقد كان لذلك أسبابه الخفية بلا شك. " ويرى بـراون أن الإيرانيين بعد رضوخهم لسيف العرب إثر حروب القادسـية وجلـولاء ونهاوند- بذلوا استقلالهم وشوكتهم عن يد وهم صـاغرون، وسـواء أ شاءوا أم أبوا دخلوا الإسلام بحكم غريزة المحافظة، غير أن العرب - الذين نظر إليهم الإيرانيون بعين الاحتقار من قديم- لم يستطيعوا مع غلبتهم أن يحملوا الإيرانيين على مشاركتهم نمط التفكير والعقيـدة والمنطـق والآمال والمطالب الروحية، لأن التباين -شكلاً ومعنى- كان عظيماً في العنصر وطريقة المعيشة والأوضاع الاجتماعية. وعلى ذلك فإن انتهـاء الصراع بهزيمة إيران أوجد انفعالات روحية وتـأثيرات معنويـة فـي الإيرانيين على شكل صراع فكري ظهر في التاريخ الأدبي والمـذهبي والاجتماعي والسياسي. وكان التشيع والتصوف من أهم ردود الفعل التي

٦٠٣- Brown : A Literary History of Persia Vol. ١ P.٤١٠

أورثها هذا الصراع الفكري"٦٠٤. وهذا كله لا يمنع أن التصـوف قـد انتشر في سائر الأقطار الإسلامية حينئذ، و التصوف لم يخالط الزهد إلا في خراسان وعلى يد الفرس في البصرة والكوفة والشام .

أما عن تواصل واستمرار التدبير الخفي الفارسي والكيـد للإسـلام، فانظر هذه الرسالة السرية للغاية الموجهة من شـورى الثـورة الثقافيـة الإيرانية إلى المحافظين في الولايـات الإيرانية، نشرتها رابطـة أهـل السنة في إيران - مكتـب لندن - وهذه الخطة البروتوكول موجهة إلى المناطق السنية في إيران، من جهة، وموجهة إلى دول الجوار مـن جهة أخرى لتصدير التشيع[٦٠٥] .

- الروم :

أما عن دور الروم فقد بدأ بالفعل التآمر من جمعيات تلمودية مدعومة من الروم الذين تآكلت أجزاء كبيرة من إمبراطوريتهم بفعـل الجيـوش الإسلامية ولكن بقى جزء كبير منها خلافا للفرس الذين انحلـت قـواهم بانهيار إمبراطوريتهم وذوبانها في بلاد المسلمين.

٦٠٤- الدكتور كامل الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع نقلا عن الباحث الإيراني المعاصر الدكتور قاسم غني

٦٠٥-انظر الملحق رقم ٣

وكان سقوط القسطنطينية في أيدي المسلمين في سنة ١٤٥٣ميلادية كارثة زلزلت كيان الغرب المسيحي، فبسقوطها انتهى الحكم الروماني الشرقي البيزنطي الراعي للكنيسة الأرثوذكسية. وكان على اليد الخفية أن تسارع بالبحث عن حل عاجل لوقف هذا العملاق العثماني الإسلامي الكاسح

والحيلولة دون أن يتوغل في أوروبا. وفعلا لم تمض خمسون سنة إلا وكانوا قد نجحوا في خلق شوكة في خاصرة العثمانيين السنيين، ألا وهي الدولة الصفوية الشيعية. وأضرموا نيران الحرب بين الدولتين - العثمانية والصفوية -مما استهلك طاقتيهما واستنفد قواهما . وانتهى الأمر بانحسار المد الإسلامي في أوروبا، وفي نهاية المطاف تسبب ذلك في انهيار الدولة العثمانية السنية وأيلولة أراضيها إلى الخضوع للاستعمار الحديث.

ولا تخفى على فطنة المتأمل ظروف نشأة الدولة الصفوية، فبعد سقوط القسطنطينية استعان الغرب المسيحي بقائد اسمه" أوزون حسن" لقتال العثمانيين، وكان متزوجا من مسيحية يونانية تدعى دسبينا كاترينا، أنجبت له ثلاث بنات تزوجت إحداهن من سلطان حيدر والد الشاه

إسماعيل الصفوي الذي توج ملكا على العرش الصفوي وهذه المـرأة هي أم الشاه إسماعيل وبنت دسبينا كاترينا المسيحية اليونانية [٦٠٦].

٦٠٦- للمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى كتاب الابتلاء بالتغرب – جلال آل أحمد – ترجمة الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا – ص ٤٥

اليد الخفية والشيعة

الأصول اليهودية للتشيع:

المكونات الأساسية لملة التشيع كلها من اختلاق الشيعة، وتعـود فـي أصولها إلى اليهودية، ومن هذه المكونات: القول بالوصية والرجعة والبداء والتقية والمغالاة في الأئمة.

فعندما ألب عبد ا بن سبأ الناس على عثمان ذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيا وأن عليا وصي محمد. وكان أيضا أول مـن قال بالرجعة، برجعة علي إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عـدلا بعد أن ملئت جورا. والسبئية يقولون برجعة الأموات إلى الدنيا . وكان ابن سبأ يقول إن يوشع بن نون وصي موسى، وأن عليا وصي محمـد. وقال السبئية لعلي: أنت أنت فلما سألهم جلية الأمر قالوا لـه أنـت ا ، فاستتابهم فلم يتوبوا، فأمر بحرقهم، وكانوا يصيحون: أنت ا حقا، فإنه لا يعذب بالنار إلا ا . وقالوا إن عليا إله العالمين، وأنه توارى عـن خلقـه سخطا منه عليهم.وبعد الفتنة الكبرى وجـدت المجـامع اليهوديـة و الغنوصيون في انقسام المسلمين فرصة عظيمة لإلقاء بذور الفتنة بيـنهم، وأفرز مجتمع الكوفة والمدائن الآراء السبئية. وكما قالت اليهود: لا يكـون

الملك إلا في آل داود، قال "الشيعة": لا يكون الملك إلا في آل علي بن أبي طالب. وقالت اليهود: لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر، وكذلك يقول الشيعة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي المنتظر، فالأمر اقتفاء أثر واقتداء حذو النعل بالنعل. واليهود تستحل دم كل مسلم، وكذلك الرافضة، واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة يزعمون تحريف القرآن، واليهود تبغض جبريل وتقول: هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة الغرابية يقولون: غلط جبريل وأوحى إلى محمد بدلا من على بن أبي طالب، لذا فهم يبغضونه لهذا السبب.

أما عن العنصرية والقول بالتفوق وسمو العنصر: ينسب الشيعة إلى جعفر الصادق القول بأن الله عز وجل خلق ماء عذباً خلق منه أهل طاعته وجعل ماء مراً خلق منه أهل معصيته، ثم أمرهم فاختلطا فلولا ذلك ما ولد للمؤمن إلا مؤمناً ولا ولد للكافر إلا كافراً. وهذا زعم بعنصرية الشيعة مثل قول اليهود بأنهم شعب الله المختار المميز، وأن سائر المخلوقات أدني منهم، وما خلقهم الله علي صورتهم إلا ليخدموا اليهود."فاليهود يدعون لأنفسهم الخيرية بحكم المولد، فمن كانت أمه يهودية فهو من شعب الله المختار حتى ولو كان ملحدا أو فاسقا أو قاتلا للأنبياء".٦٠٧

٦٠٧- محمود أحمد قناوي – المتهم الوهم – الناشر دار الإيمان

ويشترك اليهود والشيعة في عقد الآمال على المنتظر الـذي سـيحيل مذلتهم عزا وتشرذمهم وحدة. فالمحور الأساسي الذي تدور حوله الفكرة التي يؤمن بها الصهاينة هي فكرة المسيح المنتظر التي قال عنهـا " بـن غوريون " إنّها ضمنت بقاء الشعب اليهودي على مر الأجيال، وخلقـت الدولة التي أصبحت أداة لتحقيق هذه الرؤيا المسيائية، ورؤيا الخلاص هذه ، أو الأمل المسيائي، هي الطابع المحوري لليهودية التلمودية . وفي أسفار التلمود يتجلّى اهتمام الربانيين بفكرة المسيا، فتتحول على أيديهم إلى عقيدة أساسية تشد أزرهم وتعينهم على العمل لمواجهة جميع الصعوبات التـي يصادفونها . وتتراوح مدة هذا العصر المسيائي بين أربعـين سـنة، أو سبعين، أو ٣٦٥ أو ٤٠٠ سنة. وكذلك الشيعة حددوا المدة تلو المـدة لظهور الإمام المنتظر ولنتهى بهم الأمر إلى عدم تحديـد وقـت مـا لظهوره. والمسيا كما يرى الربانيون ينحدر من نسل داود وسوف يسحق أعداء إسرائيل ويسترجع فلسطين. وهو كلام مشابه لمعتقدات الشـيعة إذ يرون أن أئمتهم سيحكمون بحكم داوود! مثل اليهود وينسبون إلى جعفر قوله: " إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان " قيل لـه " بمـا تحكمون؟ قال بحكم ا وحكم داود. قيل له: ما منزلة الأئمة؟ قال كمنزلة ذي القرنين وكمنزلة يوشع وكمنزلة آصف صاحب سليمان"[608]. وقـد

١- الكافي ٣٢٨/١ كتاب الحجة باب في الأئمة أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود

صرح عبد ا   بن سبأ نفسه بأنه أخذ عقيدة الوصية من التوراة ، فقد ذكر لأهل الكوفة " أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً رضي ا عنه وصي محمد صلى ا   عليه وسلم، وأنه خير الأوصـياء كمـا أن محمداً خير الأنبياء"[٦٠٩]. والقول بالوصية   فكرة مأخوذة من العهد القـديم المحرف ٦١٠.

"واتفقت الشيعة الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنـى الرجعـة خـلاف"[٦١١]. ويقولون برجعة علي بن أبي طالب إلى الدنيا قبل يوم القيامة، و هي فكرة مأخوذة من العهد القديم   المحرف [٦١٢].

ويزعم الشيعة ما تزعمه السبئية من " ألوهية علي وعلمـه الغيـب وقدرته على إحياء الموتى ، وأنه كان راضياً عن ألوهيته و لكنه حـرقهم بالنار لأنهم أفشوا السر، ثم أحياهم بعد ذلك"[٦١٣]. والإمام المنتظر الشيعى

٦٠٩- البغدادي في الفرق بين الفرق   ص ٢٣٥   عن الشعبي

٦١٠–انظر : إصحاح   ٣٤   فقرة : ٩

٦١١- أوائل المقالات في المذاهب المختارات للشيخ المفيد   ص ٥١

٦١٢- إصحاح   ٤   فقرة : ٥

٢- الضعفاء والمتروكون لابن حبان   ٨/٣   و ميزان الاعتدال للذهبي   ١٦١/٤   و المقالات والفرق للقمي   ص ٢١

والمسيح المنتظر اليهودي متشابهان في أوجه عديدة: فمسيح اليهود لـدى عودته سيجمع حوله مشتتي اليهود من أقطار الأرض وينتظـرهم فـي المدينة اليهودية المقدسة القدس، وكذلك ينتظر الإمام المنتظـر الرافضـة فيتدفقون من كل مكان إلى مدينتهم المقدسة الكوفة ٦١٤. وعند عـودة مسيح اليهود تكبر أجسام اليهود فتبلغ قامة الرجل منهم مائتي ذراع وكذلك تزيد قوة الشيعي أربعين مرة عند عودة إمامهم. ويبعث مـوتى اليهـود ليلحقوا بجيش مسيحهم ويخرجوا جثث أعدائهم ليقتصوا منهم، ويلحـق الشيعة بإمامهم ويخرجوا جثث الصحابة ويعملون الـذبح والتقتيـل فـي قريش والعرب. ويقتل مسيح اليهود ثلثي العالم، وكذلك يقتل الإمام المنتظر ثلثي العالم !!!

وممارسة الشيعة للكذب واعتبار ذلك من الدين، هو عين ما يأخذ به اليهود فيمارس اليهود الكذب بل ورفعوه إلى مرتبـة الـدين والعبـادة، يتقربون به إلى إلههم ويسبغون عليه الصفة الدينية لتحطيم ما تبقـى فـي النفس اليهودية من إحساس إنساني ومشاعر إنسـانية. فـالتوراة تـدعو اليهودي ليكون طاهراً مع اليهود ودنساً مع غير اليهود: "إن النفاق جـائز،

٦١٤- انظر بحار الأنوار



وإن اليهودي يكون مؤدباً مع الكافر ويدعي محبته كاذباً، إذا خاف وصول الأذى منه إليه٦١٥.

٦١٥- العنصرية والإبادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية- د. غازي حسين

اليد الخفية والصوفية

الأصول اليهودية للتصوف:

الحضرة الإلهية:

يقول اليهود: " إن ا على الرغم من أنه واحد إلا أنه ينطـوي فـي وحدانيته على جانب أنثوي، وإنه إن أراد أن يستأنس قليلا أو "يسعد" أطلق جانبه الأنثوي هذا، وتُعرف هذه الفكرة عندهم ب الشـخيناه ٦١٦، وهذا هو مفهوم الحضـرة الإلهيـة the divine presence ".٦١٧

ولنظر التماثل بين ما يقوله اليهود وما يقوله ابن عربي كبير الصوفية الذي يعتقد " أن ربه يتجلى أعظم تجلي في صورة أنثى ينتهبهـا ذكـر! لذلك فإن مضاجعة العاشقين طوال الليل هي نوع من العبادة! والعاشـق عابد لا تستغرقه اللذة بأنثى بل بالرب المتجسد في الأنوثة، فالرب ليس إلا

٦١٦- الشاخيناه بلغة المؤلف هي : the feminine aspect of the divine

٦١٧- ألان أنترمان- اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم - من مقدمة المترجم الدكتور عبد الرحمن الشيخ

مادة ولا يرى إلا في مادة "[618]. ولبن الفارض شاعر الصوفية الأشـهر صاحب التائية وهي قصيدة مطولة حوالي ٨٠٠ بيت يخاطب ا فيهـا بضمير المؤنث، وله في ذلك من سخيف الأقوال ما يستنطق الأفواه بذمه، يقول: " إن لبنى وبثينة وعزة وليلى- عاشقات شهيرات - مـا هـن إلا الذات الإلهية تعينت في صورة الغولني العاشقات، وأن قيسا وجميلا وكثير وعامرا- عشاق أولئك النسوة -ما هم إلا الذات الإلهية تعينت في صورة هؤلاء العشاق. فمن خصائص الإله الصوفي أنه يتجلى في صورة رجل عاشق، وفي صورة لمرأة عاشقة، ولنه حين يعشق فإنما يعشق نفسه، فهو العاشق والمعشوق والعشق. وبهذا لقبوه - أي لبن الفارض- بسـلطان العاشقين" ٦١٩، تعالى ا علوا كبيرا عما يصفون.

الكشف والمكاشفة:

وهي معرفة حدسية فوق عقلية، وإدراك للمعاني الممثلـة للحقـائق الإلهية .وعلم الظاهر عند الصوفي هو علم الشريعة لأنه يخص الأعمال الظاهرة من أعمال الجوارح. لما علم الباطن فهـو المتعلـق بالمقامـات والأحوال والتوكل، وهو العلم الذي يختص به الصفوة مـنهم. ولليهـود

٦١٨- د.عبد المنعم الحفني- الموسوعة الصوفية - ص٤٠٧

٦١٩- برهان الدين البقاعي – تنبيه الغبي إلى تكفير لبن عربي مصرع التصوف - تحقيق عبد الرحمن الوكيل

عقيدتان سريتان: " العقيدة المتعلقة بأسرار الخلق، والعقيدة المتعلقة بالمركبة الإلهية الميركاباه . فالعقيدة الأولى المتعلقة بأسرار الخلق يمكن تعليمهـا ولا يكون ذلك إلا من خلال لتصال بين المعلم والتلميذ أي مـن خـلال علاقة بين لثنين وهو نفس بنية خلية التعليم عند الصوفيين المسـلمين، المريد وشيخه . أما العقيدة الثانية المتعلقة بالمركبة الإلهية فـلا يمكـن تعليمها إلا للتلميذ المناسب لتلقي أمـور ذات صـلة بالتجربـة الباطنيـة الصوفية. والتراث المتعلق بالمركبة الإلهية يضم سلسلة مـن الأسـاليب والممارسات التي يستطيع بها الصوفي أن يكتشف الفاصل بـين العـالم المادي أو البشري وعالم المركبة الإلهية، بهدف رؤية ا جالسـا علـى عرشه السماوي، والأساليب التي يستخدمها الصوفي اليهـودي للإعـداد لرحلته لرؤية المركبة الإلهية هي: الصيام والاستحمام والجلوس في وضع مخصوص والرأس بين الركبتين وترتيل الترانيم الدينيـة وأسـماء ا الباطنية السرية أو الصوفية ، والصلوات والدعاء واستخدام أساليب التأمل بالتحديق والتفرس، التي يعد طبيعتها الحقيقية من الأمور المبهمـة."٦٢٠ والتشابه عجيب بين ما يدعيه صوفية اليهود وصوفية المسلمين فيما يتعلق

٦٢٠ - ألان أنترمان- اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم-ترجمة الدكتور عبد الحمن الشيخ ، ومراجعة الدكتور أحمد شلبي- ص١٧٥،١٧٦

بتلقي الوحي من خلال الرؤى المنامية على النحو الذي يصعب معه تجاهل وحدة المصدر. وقد" ظهرت إحدى الحركات الداعية لاستخدام الصوفية لحل المشكلات التي ظهرت في الشريعة اليهودية، وذلك بتلقي وحي إلهي من خلال الرؤى المنامية. ومثل هذه المحاولات ظهرت بشكل واضح في كتاب أسئلة وأجوبة من ا الذي كتبه "يعقوب هاليفي"، وصاغ فيه الأسئلة بعد أن ذهب إلى مكان منعزل، وراح يصلي ويردد أسماء ا العظمى، وأعطاه ا الإجابة في رؤاه المنامية وكانت غالبا مشفوعة بآيات من الكتاب المقدس اليهودي "٦٢١. وليس ثمة فرق بين ذلك وما زعمه كثير من صوفية المسلمين كابن عربي من تلقيه كتب من ا تتضمن تعاليم وشرائع جديدة يفسر بها الدين تفسيرات مبتدعة صوفية باطنية على غرار ما يفعله اليهود في تفسير كتابهم المقدس. وتقسيم الملة اليهودية إلى كل من اليهودية الصوفية أو القائمة على معتقدات باطنية سرية و اليهودية الأصولية أو الظاهرية القائمة على الشرائع اليهودية الظاهرة ، يقابله تقسيم الصوفيين الملة إلى الحقيقة والشريعة.

القطب:

٦٢١- ألان أنترمان- اليهود ، عقائدهم الدينية وعباداتهم- ص١٨٤

يتربع القطب على قمة التنظيم الصوفي للمسلمين وهو "صاحب أعلى الدرجات في الطريقة. والقطبية لا يبلغها أساتذة الطريقة إلا بجهد جهيـد. وقيل القطب هو رجل واحد وهو موضع نظر ا تعالى من العالم فـي الزمان الواحد، ويسمونه أيضا الغوث. ويقول التيجاني- شيخ الطريقـة الصوفية التيجانية - إن ا يكرم القطب بعلم ما قبل وجود الكون ومـا وراءه وما لا نهاية له، ويعلمه جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة مـن جميع الموجودات، فكأنما القطب هو العين الساهرة على العالم،والعليم بكل ما يجرى فيه"٦٢٢.ويرى الشعراني "أن القطب يحقق معنى الخلافة التي أراد ا أن يجعلها للإنسان في الأرض إنـي جاعـل فـي الأرض خليفة ،وإذا مات قطب حل محله غيره،ويلي القطب الأوتـاد والأبـدال، والأوتاد أربعة أولياء،والأبدال سبعة أو أكثر"٦٢٣.

أما الشيعة فترى أن القطب خُلق على قلب محمد صـلى ا عليـه وسلم، وقيل على قلب إسرافيل عليه السلام، ويسمى أيضا قطب العـالم، وقطب الأقطاب٦٢٤.

٦٢٢- د.عبد المنعم الحفني- الموسوعة الصوفية ص ٩١٤

٦٢٣- عبد الحفيظ فرغلي- عبد الوهاب الشعراني ص١٩٢

٦٢٤- د.عبد المنعم الحفني- الموسوعة الصوفية ص٩١٣

والقطب في الصوفية اليهودية " ينظر إليه كنقطة تصل ما بين السماء والأرض، أو بتعبير آخر تصل العالم القدسي بالعالم الأرضي، إنه القناة التي يمكن من خلالها انسياب الطاقة المقدسة من السماء إلى الأرض، وهذا القطب هو الوسيلة لرفع دعوات الناس إلى السماء، وهو يملك القدرة على السيطرة على كل الأشياء الروحية والمادية...وا ينفذ كلماته، لأن ا قد جعله شريكا في عملية الخلق، وعاش بعض الأقطاب اليهود كسادة إقطاعيين تأتيهم الهبات من أتباعهم، ويفيضون من سلطانهم الروحي والدنيوي على أتباعهم العديدين،والذين يكونون تجمعات يهودية ممتدة امتدادا كبيرا "٦٢٥. كما تتماثل ممارسات صوفية اليهود وصوفية المسلمين في التركيز على الغناء والرقص واستخدام الكحول والتوباكو.

وليس من قبيل المصادفة أن تتشابه أقوال اليهود والشيعة وصوفية المسلمين، تشابها يصل إلى حد التماثل الذي لا ينكره إلا أعمى، حول القول بأن هناك شريعة وحقيقة أو ظاهرا وباطنا، والزعم بأنه لا تناقض بينهما وأنهما في واقع الأمر شيء واحد! وإذا كانا فعلا شيئا واحدا ففيم انقسامه إلى شيئين؟ فبانقسامه إلى شيئين لم يصبح واحدا. والمغزى الوحيد وراء ذلك هو إفساح المجال لتخرصات المبطلين والزعم بأنها تقع ضمن " الباطن" الذي ادعوه أو "الحقيقة "التي اصطنعوها. وما دام الأنبياء قد

٦٢٥- آلان أنترمان – اليهود – عقائدهم الدينية وعباداتهم - ص٢٠٤،٢٠٥

جاءوا بالشريعة والظاهر، ولحتاج الأمر إلى لستكماله بالحقيقة والبـاطن، فما بلّغ هؤلاء الأنبياء إذ بقى ما يطلب الاستكمال . وهنالك تشابه بين ذكر الصوفية البدعي بالرقص والزمر وما دعا إليه العهد القديم حيث جاء فيه: " ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا لسمه برقص بدف وعود ليرنمـوا ، هللوا ، سبحوا ا في قدسه، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بسنوج الهتاف ".

علاقة الماسونية بالصوفية والشيعية:

يتشابه النسق الفكري والتنظيمي لكل مـن الصـوفية والماسـونية فكليهما تنظيم هرمي ومكون من نفس المفردات. فالنظام الصوفي يتشكل من المريد التلميذ ثم الشيخ الأستاذ ثم الوتد، وعلى رأسهم جميعـا القطب. والنظام الماسوني يتشكل من " التلميذ ثم زميل الصنعة ثم البنّـاء الأعظم، ثم القوس الأعظم المقدس" ٦٢٦. وكانت التكايا والخانقـاوات مراكز لجذب الناس ولستمالتهم لاعتناق ملة التصوف إذ يتوفر فيها المأكل والملبس والأمن في أوقات كان الناس فيها يعيشون في فقر مدقع ويعانون من الظلم والقهر، وكانت بمثابة مراكز لستقبال للصوفيين الوافدين علـى البلاد،كما كانت بمثابة نقط لتصال بين الخلايا الصـوفية داخـل الـبلاد

٦٢٦- الجمعيات السرية في العالم- د.عبد الوهاب المسيري - بتصرف

وخارجها. "وبالنسبة للماسونيين- البنائين -كان لهم إطار حركي خـاص بهم وهو المحفل، وهو بناء مؤقت يلتقي فيه البناءون حيـث يتبـادلون المعلومات والأخبار والمشروبات، كما كان بوسعهم النوم في المحفل وقت الظهيرة"[٦٢٧]. والمحفل بالتعريف الماسوني هو:" مكـان يجتمـع فيـه البناءون الأحرار للعمل وليعلموا ويهذبوا أنفسهم بأسرار الفنون القديمـة، وبعبارة أعم يطلق على الأشخاص أو المكان، ويجب علـى كـل أخ " ماسوني " أن يكون تابعا لمحفل من المحافل وخاضعا لقانونـه الـداخلي ولقانون العشيرة العام "٦٢٨ .كما كان لمتصوفة اليهود مراكز تسـمى" المسفاليات" وكانت منتشرة في كل البلاد التي تواجد فيها اليهود وفتحهـا المسلمون، وكما كان الصوفيون يعكفون على أورادهم وأذكارهم،كـذلك " كان البناءون- الماسونيون- يلتزمون بمجموعة من الواجبات ضمها مـا يسمى كتاب الواجبات أو كتاب التعليمات "٦٢٩. ونظرا للتماثـل الشديد بين اليهودية والصوفية من حيث الدوافع والوسائل والغايات، وهو تماثل يصل- أو يكاد- إلى حد التداخل والامتزاج؛ أصبح من اليسير على أهل الفطنة أن يرصدوا عناصر هذا التماثل في جلاء.

٦٢٧- الجمعيات السرية في العالم- د.عبد الوهاب المسيري- بتصرف

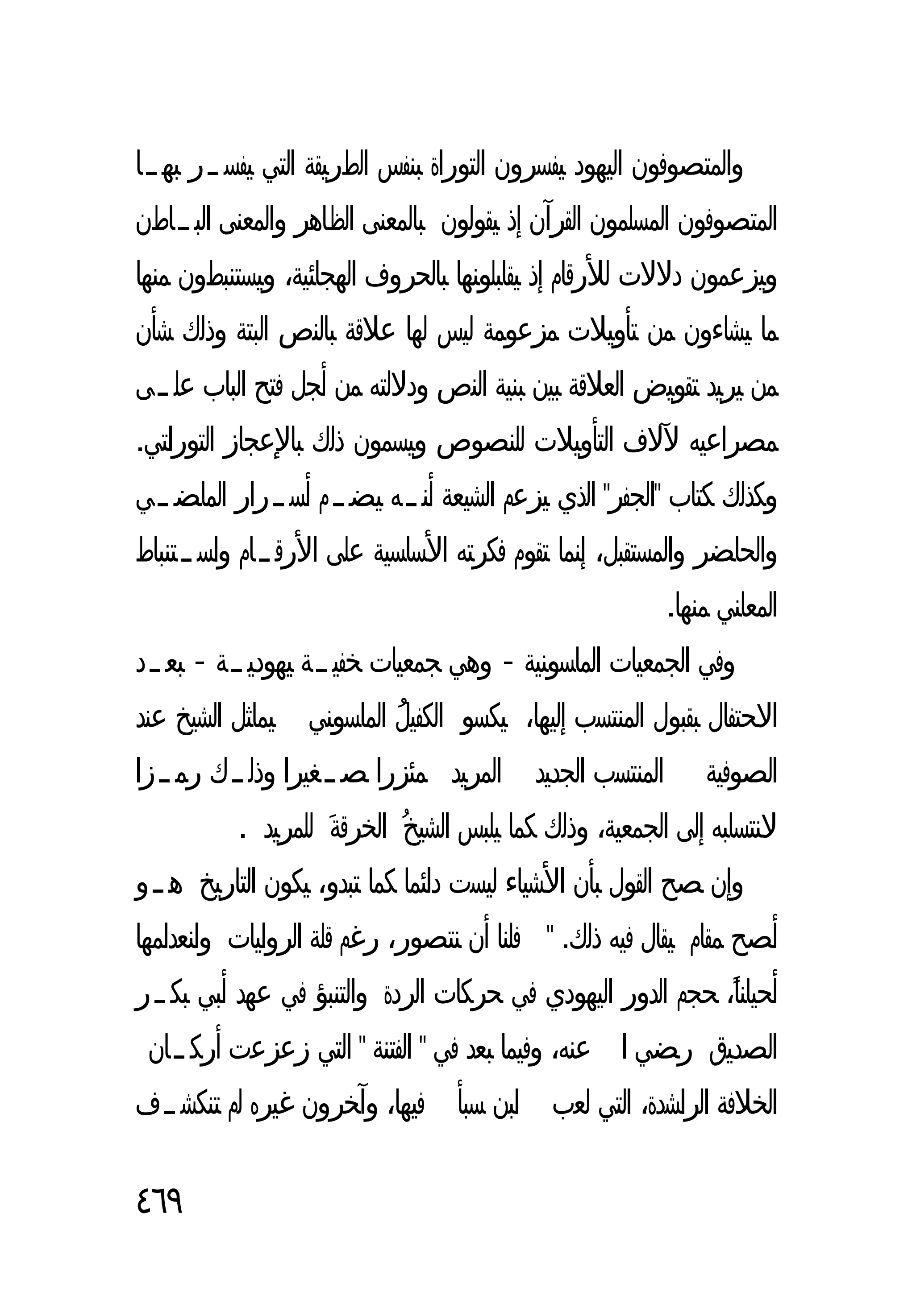
٦٢٨- القانون العمومي للشرق الأسكوتلندي السامي- تعريب ملحم حداد وآخرين

٦٢٩- الجمعيات السرية في العالم- د.عبد الوهاب المسيري- بتصرف

ويحدثنا الدكتور عبد الوهاب المسيري عن تشابه الحركة الماسـونية بكل من طائفة الدروز والطائفة الإسماعيلية وجماعة الحشاشين- وكلهـا جماعات شيعية- فيقول: "إن المؤرخين يـرون أن الحركـة الماسـونية لستمدت بعض أفكارهـا ورموزهـا وطريقـة تنظيمهـا مـن هـذه الجماعات.فشيخ الجبل، رئيس جماعة الحشاشين، الذي يمسك كل الخيوط بيديه لا يختلف كثيرا عن رئيس المحفل، وطريقة العمل السرية وتجنيـد الأعضاء الجدد وفكرة الدرجات التي تتبعها الحركة الماسونية لا تختلـف كثيرا عن طريقة العمل والتجنيد في هذه الجماعات "٦٣٠. ومن جواذب الانخراط في الجماعات الصوفية: لكتساب مكانة لجتماعية ودينية مرموقة، فضلا عن أوهام ادعاء لكتساب العلوم الإلهية دون درس أو تعليم وإنمـا بالهبة المباشرة من ا . كذلك كان الحال مع الماسونيين " إذ كانوا من فئات هامشية تود أن تحقق شيئا من الحراك والمركزية، أو كـانوا أعضـاء هامشيين في طبقات مركزية ويودون أن يحققوا قدرا من الحـراك مـن خلال الانضمام إلى تجمع أكبر. وكانت الماسونية تحوي دلخلها كل معالم التفكير الإلحادي الذي يسقط الإله تماما، وكانـت عقلانيـة ذات رمـوز صوفية "٦٣١.

٦٣٠- الجمعيات السرية في العالم- د.عبد الوهاب المسيري

٦٣١- الجمعيات السرية في العالم- د.عبد الوهاب المسيري



والمتصوفون اليهود يفسرون التوراة بنفس الطريقة التي يفسر بها المتصوفون المسلمون القرآن إذ يقولون بالمعنى الظاهر والمعنى الباطن ويزعمون دلالات للأرقام إذ يقابلونها بالحروف الهجائية، ويستنبطون منها ما يشاءون من تأويلات مزعومة ليس لها علاقة بالنص البتة وذلك شأن من يريد تقويض العلاقة بين بنية النص ودلالته من أجل فتح الباب على مصراعيه لآلاف التأويلات للنصوص ويسمون ذلك بالإعجاز التوراتي. وكذلك كتاب "الجفر" الذي يزعم الشيعة أنه يضم أسرار الماضي والحاضر والمستقبل، إنما تقوم فكرته الأساسية على الأرقام واستنباط المعاني منها.

وفي الجمعيات الماسونية - وهي جمعيات خفية يهودية - بعد الاحتفال بقبول المنتسب إليها، يكسو الكفيلُ الماسوني يماثل الشيخ عند الصوفية المنتسب الجديد المريد مئزرا صغيرا وذلك رمزا لانتسابه إلى الجمعية، وذلك كما يلبس الشيخُ الخرقةَ للمريد .

وإن صح القول بأن الأشياء ليست دائما كما تبدو، يكون التاريخ هو أصح مقام يقال فيه ذلك. " فلنا أن نتصور، رغم قلة الروايات وانعدامها أحياناً، حجم الدور اليهودي في حركات الردة والتنبؤ في عهد أبي بكر الصديق رضي ا عنه، وفيما بعد في " الفتنة " التي زعزعت أركان الخلافة الراشدة، التي لعب ابن سبأ فيها، وآخرون غيره لم تنكشف

أسماؤهم بعد، دوراً خطيراً ٦٣٢. ولن نكون مغالين إذا قلنا إن عدداً من الاضطرابات والفتن، والفرق المنحرفة، والتجمعات المذهبيـة المعاديـة للإسلام ،كان اليهود بعض من وقفوا وراءها وأذكوا نارها في محاولـة منهم لإضعاف هذا الدين وكسر شوكته وطمس تميزه بين المـذاهب والأديان. وليس من الصعب اكتشاف التأثيرات اليهودية في الخلفيات الفكرية لبعض الدعاوى الباطلة كالحركتين البابية والبهائية.

وقد تولى الإعداد لجهود تحريف المسيحية، اليد الخفية التـي تـدبر وتنفذ في خفاء. ويسجل لنا التاريخ تصريح لأحد كبار اليهود إذ يقول: " لما رأيت أن رجال الدجال يسوع وأتباعهم - يقصد السيد المسيح عليه السلام وأتباعه من المسيحيين - يكثرون ويجتهدون بتضليل الشـعب اليهـودي بتعاليمهم ، مثلت أمام مولاي جلالة الملك هيرودس أكريبا، واقترحت عليه تأسيس جمعية سرية لمحاربة أولئك المضلين، وهيرودس أكريبا هو ملك اليهود من سنة ٣٧ إلى ٤٤ بعد الميلاد. ويتضح من هذا الكلام سـبب نشأة هذه الجمعية لمزاولة نشاطها الهدام في مجال الدين والسياسة والفكر " ٦٣٣. وفي الزعم التاريخي للماسونيين يعترفون أن مؤسس حـركتهم

٦٣٢- من مقال للدكتور عماد الدين خليل

٢- تبديد الظلام أو أصل الماسونية – تعريب عوض الخوري ، نقلا عن الماسونية نشأتها وأهدافها- د. أسعد السحمراني

وجمعيتهم الخفية هو الملك هيرودس أكريبا. " والماسونية اسم حديث للقوة الخفية التي أسسها اليهود عام ٣٧ ميلادية في الهيكل لتجهز على المسيحية والمسيحيين، وقد أخذت تلك القوة الخفية اسما جديدا هو الماسونية، وذلك في مؤتمر لندن وبرئاسة أندرسون الذي عاش كرئيس كنيسة بروتستانتية في الظاهر وبالباطن يهودية "٦٣٤. وجاء على لسان أحد مؤسسي الجمعيات الخفية التي مهدت للحركة الماسونية ويدعى لافي موسى لافي: " في أواخر الجيل السادس للدجال يسوع - يقصد نبي ا عيسى عليه السلام - الذي أتعبنا بتدجيلاته، ظهر دجال آخر ادعى التنبؤ والوحي- يقصد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام- وأخذ ينادي بالهداية مرشدا للعرب، الذين كانوا من عبدة الأصنام، إلى عبادة الإله الحق، وسن شرائع مخالفة لديانتنا اليهودية، فمال إليه كثيرون في مدة قصيرة، فقمنا نناهض دعوته ودينه ونصرخ بأصواتنا الخفية لتبصرة أتباعه بأنهم وإياه دجالون كسابقهم يسوع. والواجب الديني والاجتماعي والوطني يقضى علينا بمناوأة تعاليمه بكل ما في الوسع، كما نناوئ تعاليم الدجال يسوع الذي هو علة إنشاء جمعيتنا، والمبادئ الأساسية لهذه الجمعية هي مناوأة يسوع ورجاله، وبعدهم محمد ورجاله، والاحتفاظ بالدين اليهودي دون

٦٣٤- الماسونية- محمود ثابت الشاذلي ، الكشاف الفريد –خالد محمد علي الحاج ، الماسونية في العراء – د. محمد علي الزغبي

سواه " ٦٣٥. وولصات المحافل اليهودية الماسونية بعد ذلك جهود الكيـد للأديان، ولسمع ما جاء في "إعلان محفل فرنسا الأكبر بعد لجتماعاته في تشرين الأول عام ١٩٢٢، جاء ما يلي: لنشتغل بأيد خفية نشيطة ولننسج الأكفان التي سوف تدفن جميع الأديان، فيتسنى لنا أن نبيد الإكليريكية من العالم وما ينشأ عنها من الخرافات [٦٣٦].

واليد الخفية اليهودية الماسونية تدبر بليل، وتضع السياسات وتحـدد الغايات وتجند العملاء والخونة لتنفيذ تلك السياسات والمنافحة عنها وتلقينها للغير. "و الحكومة اليهودية الخفية المعاصرة مستترة ويديرها ٣٠٠ يهودي يطلقون على لنفسهم حكماء صهيون وينتخبون ولحدا منهم ينصبونه ملكا عليهم وارثا لملك داود وسليمان "٦٣٧.

ولسمع ما يقوله اليهود بشأن لبتكارهم لتلك السياسات، يقولون: " أي سبب أغرلنا بابتداع سياستنا وبتلقين الأمميين أي غير اليهود إياهـا؟ لقد أوحينا إلى الأمميين هذه السياسة دون أن ندعهم يدركون مغزاها الخفي وماذا حفزنا على لختيار هذا الطريق للعمل إلا عجزنا ونحن " جـنس

٢- تبديد الظلام أو لصل الماسوني -الماسونية نشأتها وأهدافها- نقلا عن د. لسعد السمحرلني -

٣ - مجلة المسرة لبنان عدد تشرين الأول عام ١٩٢٦

٦٣٧- محمود لحمد قناوي – سطوة المرلبين في مولجهة الغافلين

مشتت " عن الوصول إلى غرضنا بالطرق المستقيمة بـل بالمراوغـة فحسب، هذا هو السبب الصحيح، والأصل في تنظيمنا للماسونية التـي لا يفهمها أولئك الخنازير من الأمميين ولذلك لا يرتابون في مقاصدها. لقـد أوقعناهم في شرك" محافلنا "التي لا تبدو شيئا أكثر من " ماسـونية " كي نذر الرماد في عيون رفقائهم ".٦٣٨

وكان لابد لليد الخفية من أن تجند من رجال الدين المطلوب تقويضـه حتى يتم المراد باسمهم، فعلوا ذلك في المسيحية والإسلام، ولهم أعوان هنا وهناك، "فقد تمكن الماسون عام ١٦٢٠ من إشراك الأسـاقفة ورجـال الإكليروس معهم وقلدوهم رئاسة محافلهم، ومنذ ذلك الحين أضيفت إلـى لسم رئيس المحفل كلمة "محترم" وهو لقب إكليركي لازال مستعملا حتى اليوم، وكانت الأديرة ملجأ للماسونيين في الحروب والقلاقل،ومنذ طلقـت بريطانيا الكاثوليكية وتحولت إلى البروتستانتية لخترقت الأفعى الماسـونية الكنيسة البريطانية والكنائس المماثلة في غرب أوروبا، ووضعتها تحـت السيطرة اليهودية "٦٣٩. ولا يخفى على أحد أنه تـم أيضـا لختـراق

٦٣٨- البروتوكول الحادي عشر- ترجمة محمد خليفة التونسي

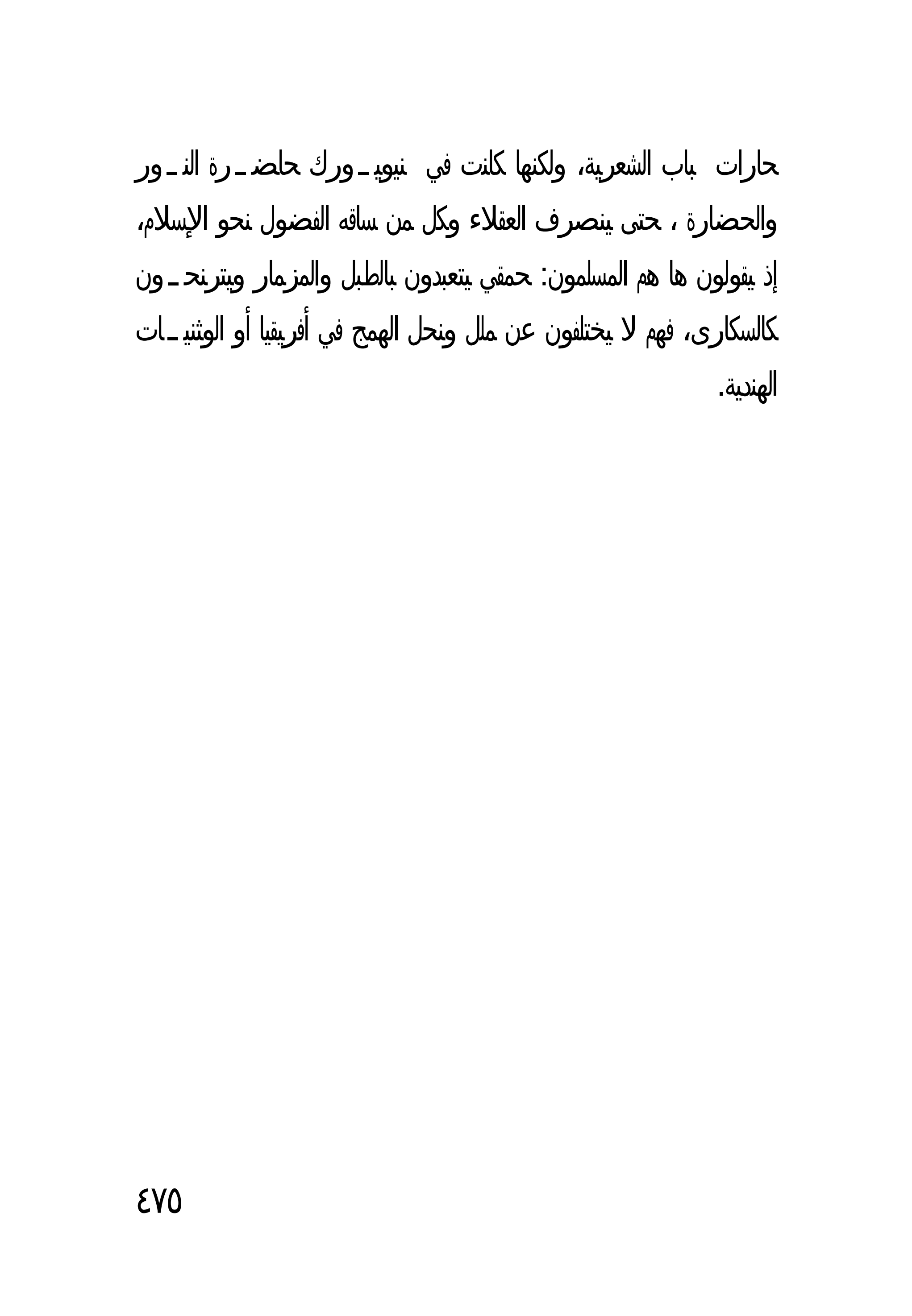
٦٣٩- حركات ومذاهب في ميزان الإسلام- فتحي يكن ، نقلا عن الماسونية لمحمود ثابت الشاذلي

المؤسسات الدينية الإسلامية وتجنيد بعض رجالها الذين تبنوا التحريف والتخريف المدسوس في الإسلام بدعوى التصوف والتشيع.

ولسمع ما يقوله أحد الماسونيين ، اسمه "حنا أبو راشد"، لـتعلم كيف صاغوا الماسونية هلامية مطاطة لتسع الأديان ولتيسير انزلاق أتباعها إليها، يقول: "لنا أن نقول إن الماسونية يهودية لأنها كذلك في بعض طقوسها ومراسمها، ولنا أن نقول إنها مسيحية لأنها تحس على السلام والوداعة والمحبة، ولنا أن نقول إنها محمدية –يقصد إسلامية – لأنها في مجموع وصاياها وفلسفتها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وتشترط في الداخلين فيها كل فضيلة " ٦٤٠.

واليد الخفية وراء التصوف، فليس من قبيل الصدفة أن يتم تفعيل المد الصوفي في الغرب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إذ شغف الناس بمعرفة الإسلام وتم إنكاء فضولهم إلى معرفته، مما أدي بالكثيرين منهم إلى اعتناقه، ووفقا لبعض التقديرات المعلنة في حينها قيل إن حوالي مئة وخمسين ألفا من الأمريكيين يدخلون الإسلام سنويا، الأمر الذي مثّل خطرا اقتضى المحافل السرية الخفية أن تبادر بتفعيل أنشطة الصوفية في أمريكا ذاتها. فرأينا على شاشات التلفاز حلقات الذكر التي يترنح فيها الذاكرون وهم يصفقون، ولم تكن حلقات الذكر هذه في حواري زينهم أو

٦٤٠- نقلا عن الماسونية نشأتها وأهدافها – د. أسعد السحمراني



حارات باب الشعرية، ولكنها كانت في نيويـورك حاضـرة النـور والحضارة ، حتى ينصرف العقلاء وكل من ساقه الفضول نحو الإسلام، إذ يقولون ها هم المسلمون: حمقي يتعبدون بالطبل والمزمار ويترنحـون كالسكارى، فهم لا يختلفون عن ملل ونحل الهمج في أفريقيا أو الوثنيـات الهندية.

الباب الخامس

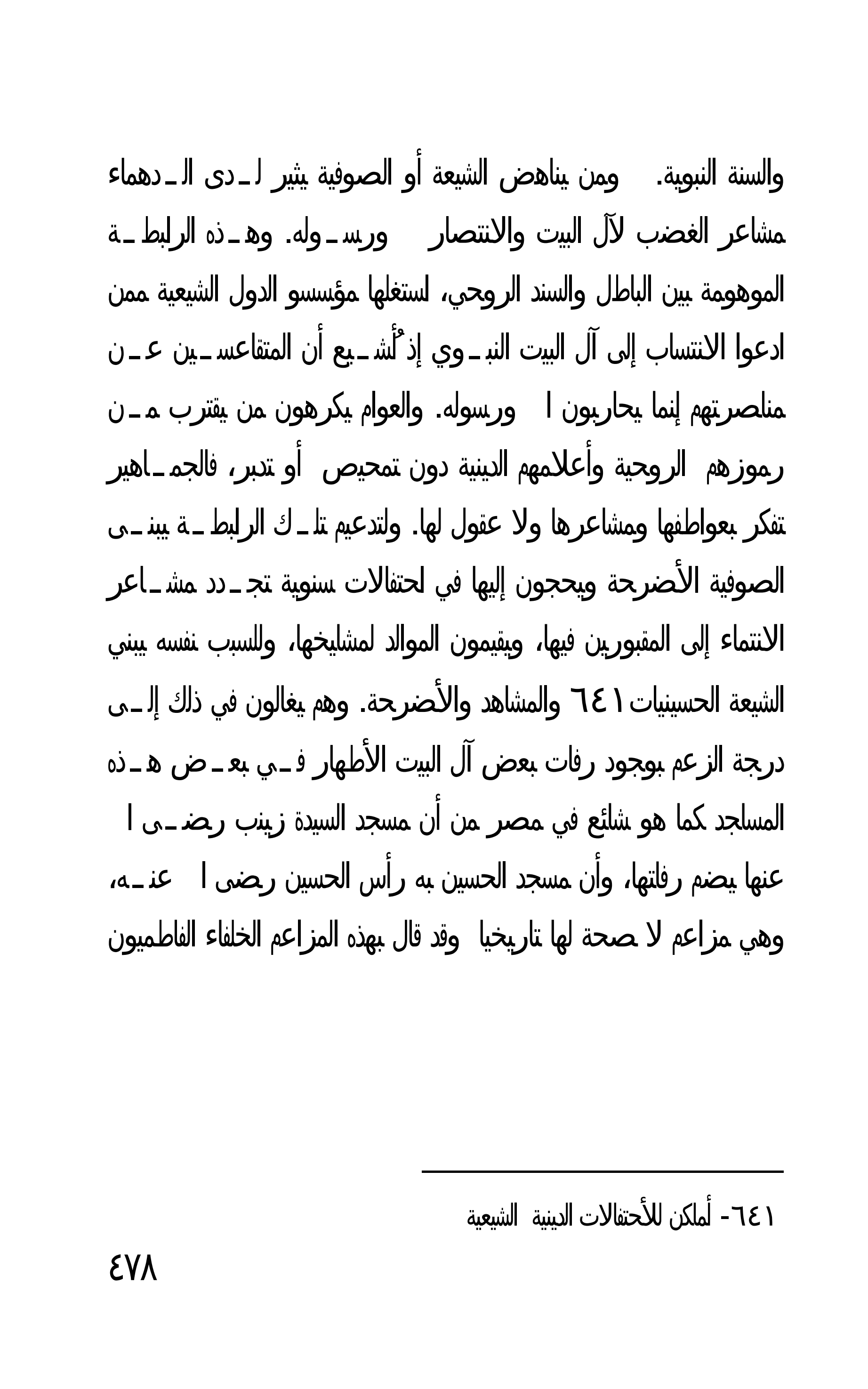
العقل الشعبي

* الفصل الأول: العقل الشعبي

العقل الشعبي

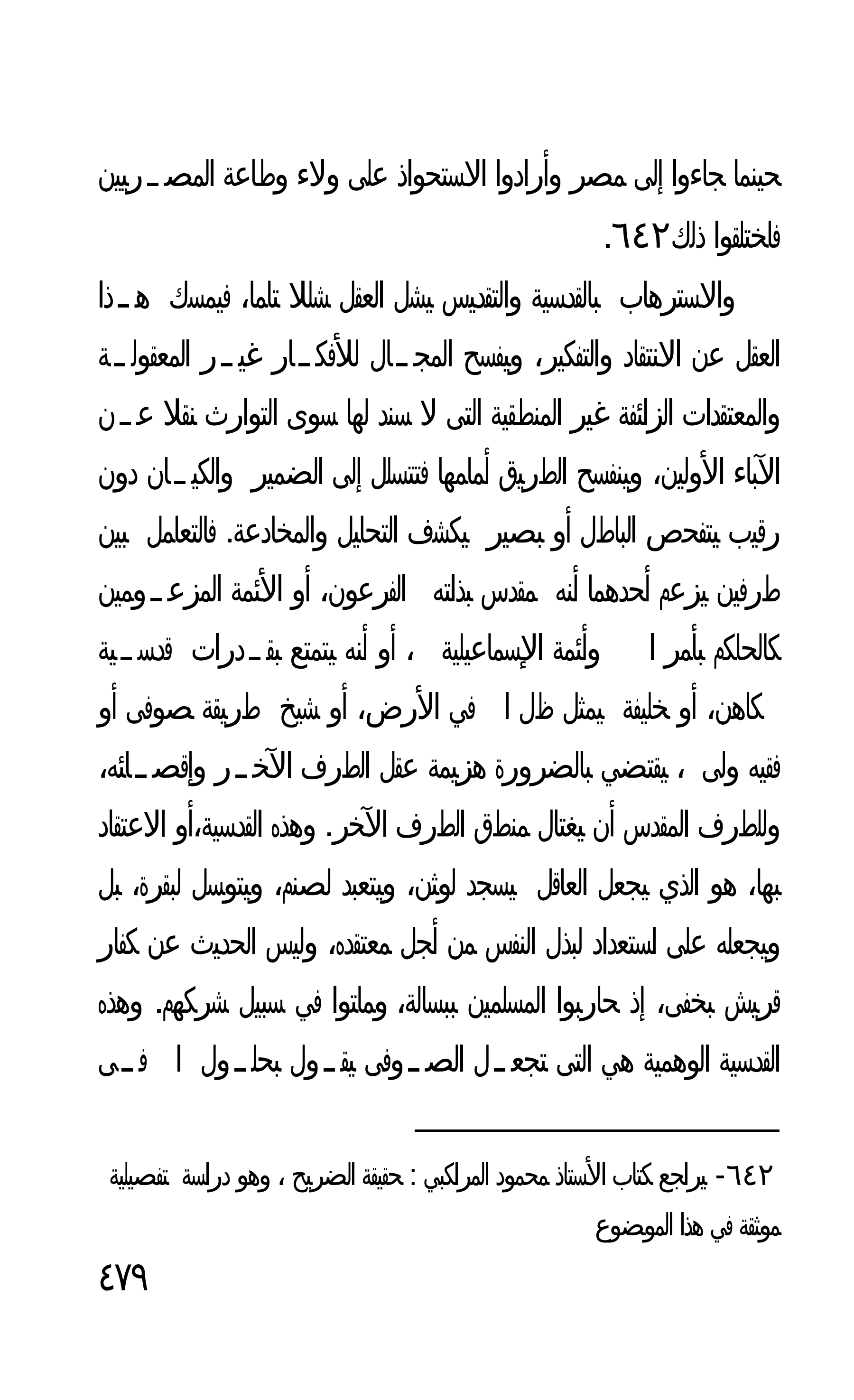
السؤال الآن هو: لماذا وكيف تراكم هذا الكم الهائل مـن التحريـف والتخريف فى تراثنا الإسلامي وديننا وعقيدتنا؟ إن القوى التي دبرت لهذا التدليس استخدمت آليات ووسائط لزرعه وترسيخه في العقل والضـمير الشعبي- ومنها التضليل بالاسترهاب بالقداسة والتقديس حيث يـتم شـل العقول وتعمية الضمائر باسم التقديس تقديس الحاكم الإله أو ظل ا في الأرض، أو الإمام المعصوم المنحدر من سلالة السيدة فاطمة الزهراء أو سيدنا على بن أبي طالب، أو من ينتمون إلى السـلالة النبويـة الشـريفة ويسمون أنفسهم الأشراف، أو من يزعمون الانتماء إلى سيدنا أبي بكـر الصديق أو من يقولون بانحدارهم من سلالة سيدنا عمر بن الخطـاب، أو تقديس شيوخ الصوفية وأقطابها وباسم هذه القدسيات وفـى ظـل الجهل العام والأمية، تُفرض الأضاليل على الجهلة والمسترهبة عقـولهم، فهم كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته.

وربط الأفكار الباطلة بسند روحي من شأنه تأمين الحماية لهذا الباطل وتيسير النيل ممن يتصدى له. فأباطيل الشيعة منسوبة-زورا وبهتانـا - إلى البيت النبوى، وأباطيل الصوفية ابتدعها من يزعمون الاقتداء بالقرآن



والسنة النبوية. ومن يناهض الشيعة أو الصوفية يثير لـدى الـدهماء مشاعر الغضب لآل البيت والانتصار ورسـوله. وهـذه الرابطـة الموهومة بين الباطل والسند الروحي، لستغلها مؤسسو الدول الشيعية ممن ادعوا الانتساب إلى آل البيت النبـوي إذ أُشـيع أن المتقاعسـين عـن مناصرتهم إنما يحاربون ا ورسوله. والعوام يكرهون من يقترب مـن رموزهم الروحية وأعلامهم الدينية دون تمحيص أو تدبر، فالجمـاهير تفكر بعواطفها ومشاعرها ولا عقول لها. ولتدعيم تلـك الرابطـة يبنـى الصوفية الأضرحة ويحجون إليها في لحتفالات سنوية تجـدد مشـاعر الانتماء إلى المقبورين فيها، ويقيمون الموالد لمشايخها، وللسبب نفسه يبني الشيعة الحسينيات٦٤١ والمشاهد والأضرحة. وهم يغالون في ذلك إلـى درجة الزعم بوجود رفات بعض آل البيت الأطهار فـي بعـض هـذه المساجد كما هو شائع في مصر من أن مسجد السيدة زينب رضـى ا عنها يضم رفاتها، وأن مسجد الحسين به رأس الحسين رضى ا عنـه، وهي مزاعم لا صحة لها تاريخيا وقد قال بهذه المزاعم الخلفاء الفاطميون

٦٤١- أماكن للأحتفالات الدينية الشيعية



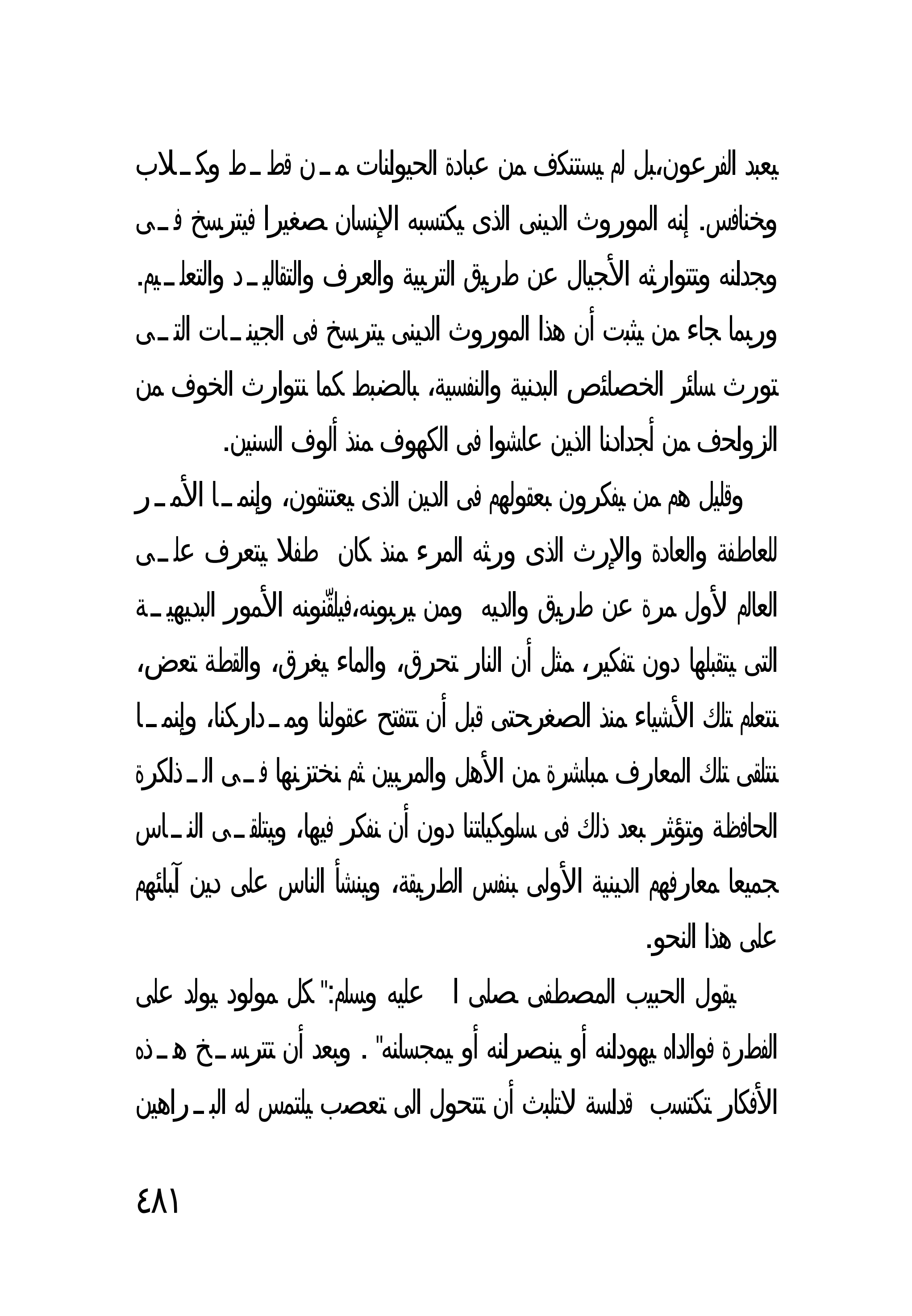
حينما جاءوا إلى مصر وأرادوا الاستحواذ على ولاء وطاعة المصـريين فاختلقوا ذلك642.

والاسترهاب بالقدسية والتقديس يشل العقل شللا تاما، فيمسك هـذا العقل عن الانتقاد والتفكير، ويفسح المجـال للأفكـار غيـر المعقولـة والمعتقدات الزائفة غير المنطقية التى لا سند لها سوى التوارث نقلا عـن الآباء الأولين، وينفسح الطريق أمامها فتتسلل إلى الضمير والكيـان دون رقيب يتفحص الباطل أو بصير يكشف التحايل والمخادعة. فالتعامل بين طرفين يزعم أحدهما أنه مقدس بذاته الفرعون، أو الأئمة المزعـومين كالحاكم بأمر ا ولئمة الإسماعيلية ، أو أنه يتمتع بقـدرات قدسـية كاهن، أو خليفة يمثل ظل ا في الأرض، أو شيخ طريقة صوفى أو فقيه ولى ، يقتضي بالضرورة هزيمة عقل الطرف الآخـر وإقصـائه، وللطرف المقدس أن يغتال منطق الطرف الآخر. وهذه القدسية،أو الاعتقاد بها، هو الذي يجعل العاقل يسجد لوثن، ويتعبد لصنم، ويتوسل لبقرة، بل ويجعله على لستعداد لبذل النفس من أجل معتقده، وليس الحديث عن كفار قريش بخفى، إذ حاربوا المسلمين ببسالة، وماتوا في سبيل شركهم. وهذه القدسية الوهمية هي التى تجعـل الصـوفى يقـول بحلـول ا فـى

642- يرلجع كتاب الأستاذ محمود المرلكبي : حقيقة الضريح ، وهو دراسة تفصيلية موثقة في هذا الموضوع

مخلوقاته،حتى الحيوانات ، وهى القدسية التى يزرعها الشيخ الصوفى فى عقول مريديه، فيتوهمون أنه فعلا يتلقى علما لدنيا مباشرة من ا وأنـه يطير فى الهواء ويسير فوق الماء. وهى القدسية التى لسترهب بها فقهاء الشيعة لتباعهم فصدقوا ألوهية سيدنا على بن لبى طالب ـكرم ا وجهه- وغيره من لئمتهم، وأن مقام الأئمة فوق مقام الأنبياء،ولنهم يرجعون بعـد موتهم. والاسترهاب بالقدسية والتقديس يفعل مفعول المخدر الذي يغيـب المريض عن وعيه، فيعمل فيه مبضع الطبيب جرحا وتقطيعـا، فيقطـع لحمه ويخيط لنسجة جسمه دون أن يشعر أو يعترض. ذلك بالضبط عين ما يفعله الاسترهاب بالتقديس: قدسية شخص أو فكـرة أو طائفـة أو رأي، فيتم إعطاب العقل، فلا يفكر أو ينكر أو يقيم أو يعترض، ويصبح كالبوابة المفتوحة التي يداف منها أي دلخل دون التحقق من هويته، فتنساب الأفكار الغريبة والآراء الشاذة التي ما كان لها أن تمر لولا الاسـترهاب بالقدسية والتقديس .

وما يغرس فى وجدان الطفل الذى لم يمتلك بعد أدوات المنطق والنقد والفهم، يظل مؤثرا فيه حتى الممات. وإلا فما بال اليابانى المعاصر الذى يصنع الكمبيوتر ويجري البحوث الذرية، ومع ذلـك لا يـزال يقـدس الإمبراطور اعتقادا منه لنه من نسل الآلهة. أو ما بال المصرى القديم الذى صنع حضارة قامت على التقدم العلمى فى الهندسة والطب والفلك، وهـو



يعبد الفرعون،بل لم يستنكف من عبادة الحيوانات مـن قطـط وكـلاب وخنافس. إنه الموروث الدينى الذى يكتسبه الإنسان صغيرا فيترسخ فـى وجدانه وتتوارثه الأجيال عن طريق التربية والعرف والتقاليـد والتعالـيم. وربما جاء من يثبت أن هذا الموروث الدينى يترسخ فى الجينـات التـى تورث سائر الخصائص البدنية والنفسية، بالضبط كما نتوارث الخوف من الزواحف من أجدادنا الذين عاشوا فى الكهوف منذ ألوف السنين.

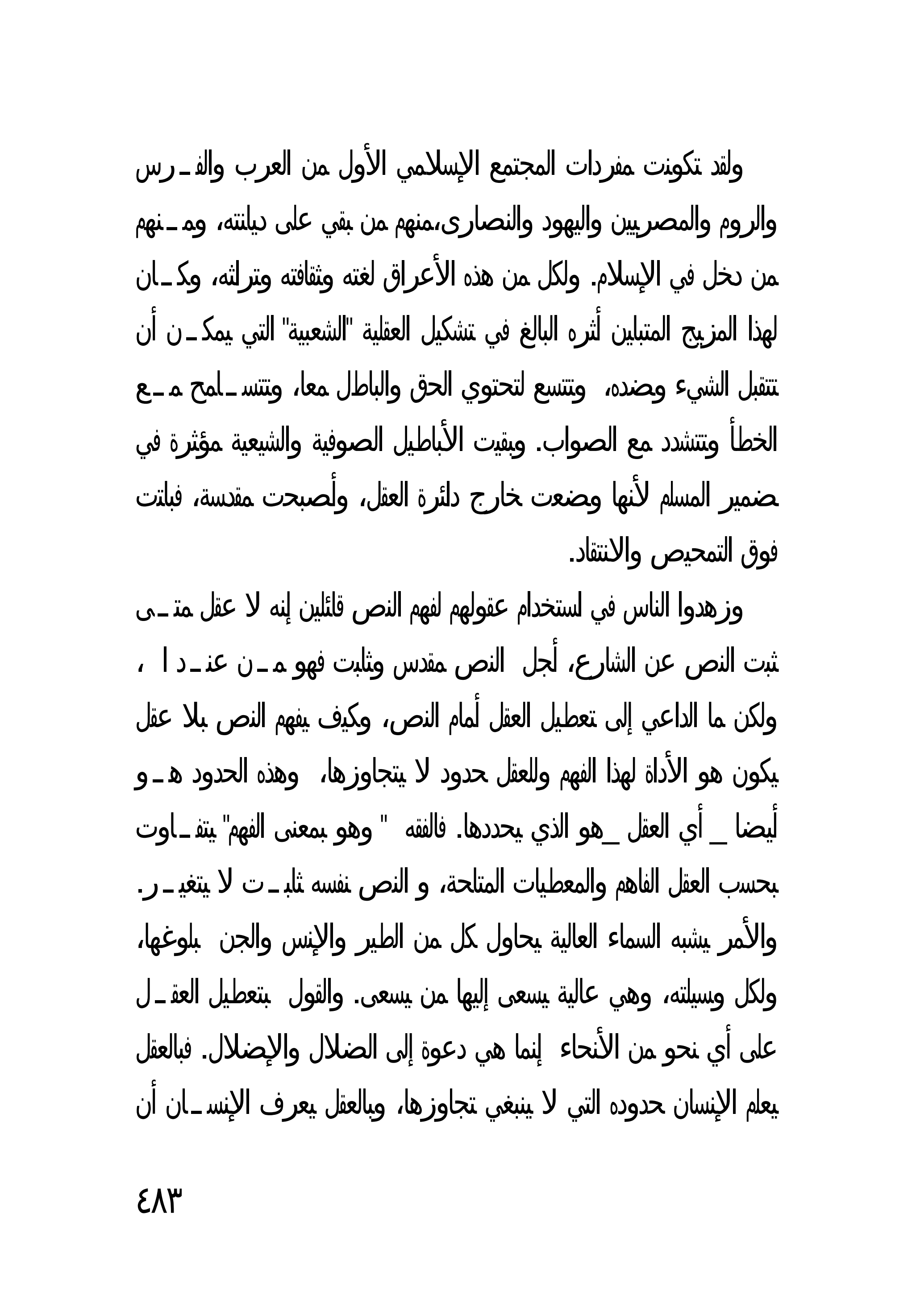
وقليل هم من يفكرون بعقولهم فى الدين الذى يعتنقون، وإنمـا الأمـر للعاطفة والعادة والإرث الذى ورثه المرء منذ كان طفلا يتعرف علـى العالم لأول مرة عن طريق والديه ومن يربونه،فيلقّنونه الأمور البديهيـة التى يتقبلها دون تفكير، مثل أن النار تحرق، والماء يغرق، والقطة تعض، نتعلم تلك الأشياء منذ الصغرحتى قبل أن تتفتح عقولنا ومـداركنا، وإنمـا نتلقى تلك المعارف مباشرة من الأهل والمربين ثم نختزنها فـى الـذاكرة الحافظة وتؤثر بعد ذلك فى سلوكياتنا دون أن نفكر فيها، ويتلقـى النـاس جميعا معارفهم الدينية الأولى بنفس الطريقة، وينشأ الناس على دين آبائهم على هذا النحو.

يقول الحبيب المصطفى صلى ا عليه وسلم:" كل مولود يولد على الفطرة فوالداه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" . وبعد أن تترسـخ هـذه الأفكار تكتسب قداسة لاتلبث أن تتحول الى تعصب يلتمس له البـراهين

لبيان صواب هذه الأفكار وبطلان غيرها، وحيثما اشتد التعصـب اشـتد الاختلاف، ونادرا ما يكون سبب التعصب هو قوة الإيمان. ولا يقتصر السقوط فى براثن التعصب أو اختلاف الرؤى على هذا النحـو، علـى الدهماء وعامة الناس، بل قد تجد من" العلماء " من تعمى بصائرهم فـلا يرون الحقائق على وجهها إما لقصور أوابتغاء مصلحة، فليس كل الفقهاء بالذين يتنزهون عن الغرض دائما.

ومن الناس من يكون دقيق التمييز، ومنهم الغبي وأعمى القلب وذلك من أسباب اختلاف العلماء في الآراء والمذاهب، فبـاختلاف إدراكـاتهم تختلف معتقاداتهم. ويعز على المرء التسليم ببطلان ما يؤمن بـه مـن أفكار، ويتعذر عليه التبرؤ من آرائه التي اعتنقها طوال سنوات طويلة هي عمره، وإلا كان معنى ذلك الاعتراف بخطئه وجهله طوال تلك السنوات، وهو ما لا يقدم عليه المرء ولا يحبه. لذا قد تستمر المجادلة واللجج لـيس بسبب غموض الأفكار المتجادل بشأنها وإنما بسبب مواقـف المتجـادلين وتمسكهم بوجهات نظرهم للأسباب المذكورة.

ولا يقتصر أثر البيئة على إجبار العقل على مهادنـة الأفكـار غيـر المعقولة وقبولها دونما رفض، بل المدهش حقا أنه يتعدى ذلك إلى التأثير فى العقل ذاته من حيث إمكان تغيير نسبة ذكائه .



ولقد تكونت مفردات المجتمع الإسلامي الأول من العرب والفـرس والروم والمصريين واليهود والنصارى،منهم من بقي على ديانته، ومـنهم من دخل في الإسلام. ولكل من هذه الأعراق لغته وثقافته وتراثه، وكـان لهذا المزيج المتباين أثره البالغ في تشكيل العقلية "الشعبية" التي يمكـن أن تتقبل الشيء وضده، وتتسع لتحتوي الحق والباطل معا، وتتسـامح مـع الخطأ وتتشدد مع الصواب. وبقيت الأباطيل الصوفية والشيعية مؤثرة في ضمير المسلم لأنها وضعت خارج دائرة العقل، وأصبحت مقدسة، فباتت فوق التمحيص والانتقاد.

وزهدوا الناس في استخدام عقولهم لفهم النص قائلين إنه لا عقل متـى ثبت النص عن الشارع، أجل النص مقدس وثابت فهو مـن عنـد ا ، ولكن ما الداعي إلى تعطيل العقل أمام النص، وكيف يفهم النص بلا عقل يكون هو الأداة لهذا الفهم وللعقل حدود لا يتجاوزها، وهذه الحدود هـو أيضا _ أي العقل _هو الذي يحددها. فالفقه " وهو بمعنى الفهم" يتفـاوت بحسب العقل الفاهم والمعطيات المتاحة، و النص نفسه ثابـت لا يتغيـر. والأمر يشبه السماء العالية يحاول كل من الطير والإنس والجن بلوغها، ولكل وسيلته، وهي عالية يسعى إليها من يسعى. والقول بتعطيل العقـل على أي نحو من الأنحاء إنما هي دعوة إلى الضلال والإضلال. فبالعقل يعلم الإنسان حدوده التي لا ينبغي تجاوزها، وبالعقل يعرف الإنسـان أن

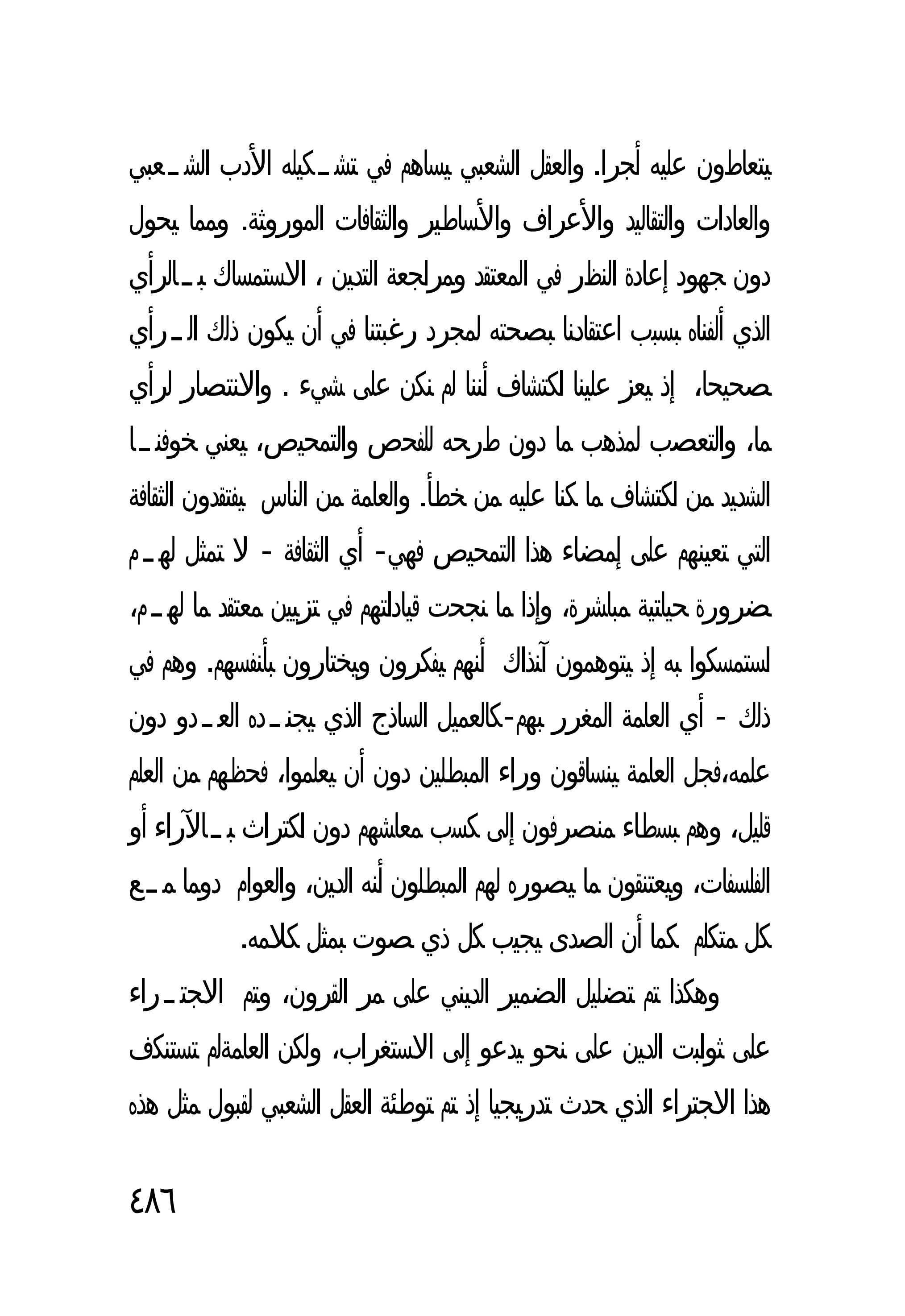
الإيمان بالغيب من شروط الإيمان ولا جدوى من محاولة إعمال العقل في الغيبيات إذ تقع خارج نطاق قدرته. ونرى أن الدعوة إلى تعطيـل العقـل حتى أمام النصوص هو إفساح الطريق أمام التفسيرات الباطنية التي أخذت بها كثير من الفرق المغالية، فالعقل هو آلة فهم النص إذ يدور بتولضع في فلك النص الإلهي يستنبط منه المعاني والأحكام. ولا يقولن منصف بتحييد العقل فهو أداة الإنسان الذي يعرف أين ومتى يعمل عقلـه لاسـتخلاص المعاني والأفكار والعبر، كما يعرف متى يقف معترفا بعجزه عن تجاوز حدوده. والحذر الحذر ممن يدعون لمتلاكهم سلطات روحيـة، فهـم يفعلون بالناس الأفاعيل زعما أنهم مقدسون، فالقدلسة لبتداء تنفى المساواة، اذ تضع الشيخ الصوفي والولى و الأئمة والآيات الشيعية على طرفى نقيض في مولجهة البسطاء والعوام، فتجرد لحدهما من حقه، وتثبت للآخر ما ليس له من الحقوق.

وكان فدلئيو فرقة الاسماعيلية الشـيعية يـؤمرون بطعـن أنفسـهم بالخناجر فلايترددون لحظة فى بقر بطونهم أو نحر أنفسهم فتلـك إرادة أربابهم الشيوخ ويطلب منهم إلقاء أنفسهم من حالق، فيقفزون عن طيب خاطر. وكان المشركون يقدسون لصنام لجدادهم ويتبعـون معتقـدات آبائهم الأولين وينافحون عنها بأرولحهم، وقد ندد القرآن الكريم بهذا الاتباع الأعمى والقدسية الباطلة. ويجب تمحيص الأفكار لمعرفة ما إذا كانـت

تحمل دلخلها حقائق يقرها المنطق أم هى مجرد موروثات أ لِفناها بمرور الوقت وصدقناها مع الزمن، أو استمالنا أحد الى تصديقها، أو أجبرنا أحد على اعتناقها.

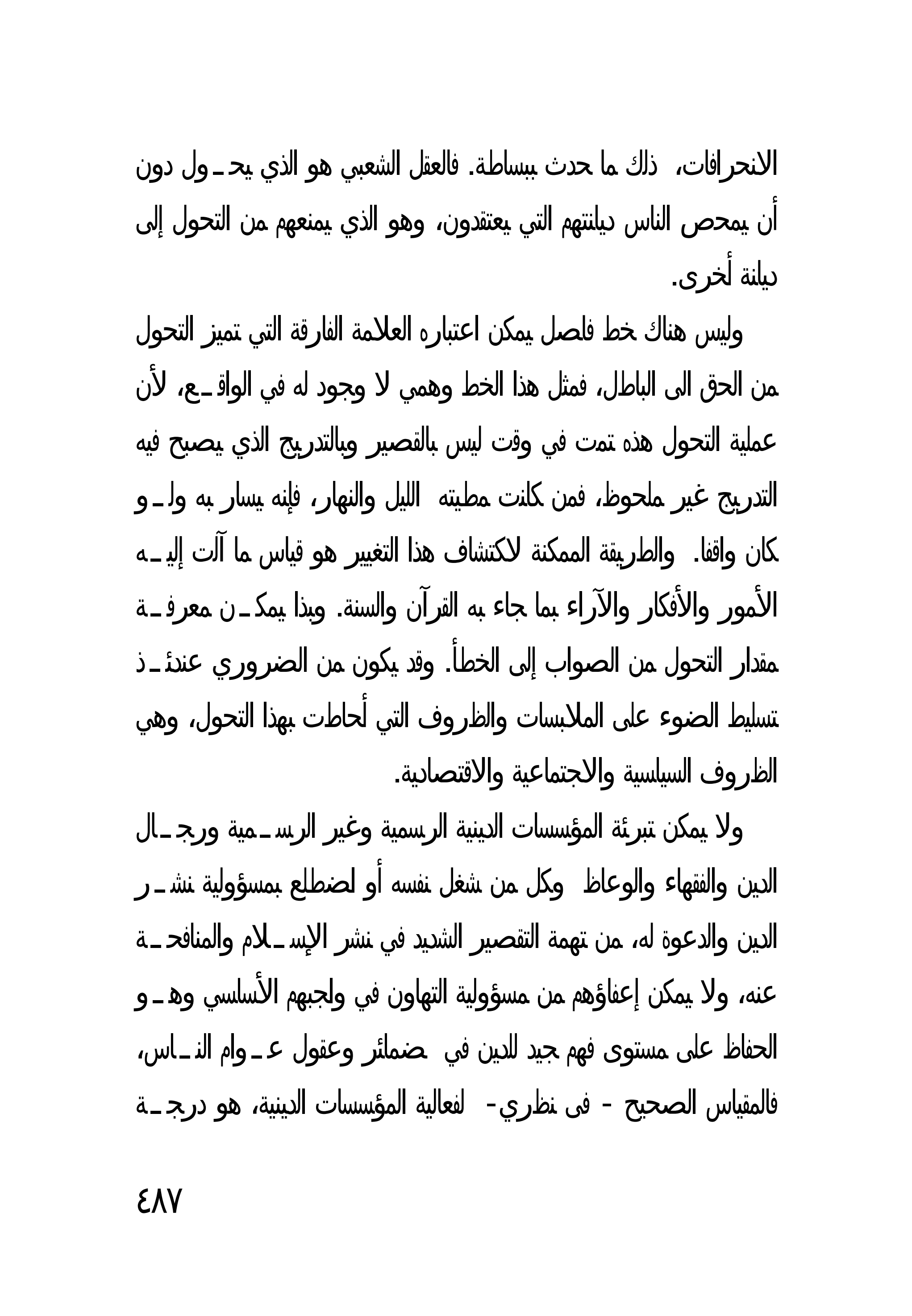
ومن دخل الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، ظلت معتقدلتهم الموروثة وأفكارهم الدينية السابقة هي الفاعلة والمؤثرة، ولثـاروا بين المسلمين مسائل فلسفية ما عرفها المسلمون من قبـل مثـل مسـائل صفات الذات الإلهية والجبر والاختيار وما شابه ذلك. ومنهم من اعتنـق الإسلام ولبطن غيره ليتمكن من تقويض هذا الدين الجديد الذي سلب لمتهم السيادة والعزة. ولما كان من الأدوار المنوطة بالإعلام الرسمي الحـاكم، محاصرة الوعي الشعبي وإبقاؤه دون الحد الأدنى اللازم لإيقاظ الجماهير ودفعها للسير في لتجاه تغيير واقعها المزري،كان لابد من لختراق وعيها بوسيلة مستحدثة آنذاك وهي القصـص والقصاصـين . ومحـاولات لستخدام القصص والقصاصين كوسيلة دعائية بدأت أيام عمر بن الخطاب ولكنه منع القصاص من مزاولة أنشطتهم الدعائية في المساجد.

وظهر القصص أيضا في عهد عثمان وكرهه الإمام علـي حتـى أخرج القصاص من المساجد لما كانوا يضعونه فى أذهان النـاس مـن خرافات بعضها مأخوذ من الديانات السابقة بعد أن دخلهـا التحريـف. ولستُخدم القصص للدعاية أيام الفتنة الكبرى، ثم اُسند فيما بعد إلى مـن



يتعاطون عليه أجرا. والعقل الشعبي يساهم في تشـكيله الأدب الشـعبي والعادات والتقاليد والأعراف والأساطير والثقافات الموروثة. ومما يحول دون جهود إعادة النظر في المعتقد ومراجعة التدين ، الاستمساك بـالرأي الذي ألفناه بسبب اعتقادنا بصحته لمجرد رغبتنا في أن يكون ذلك الـرأي صحيحا، إذ يعز علينا اكتشاف أننا لم نكن على شيء . والانتصار لرأي ما، والتعصب لمذهب ما دون طرحه للفحص والتمحيص، يعني خوفنـا الشديد من اكتشاف ما كنا عليه من خطأ. والعامة من الناس يفتقدون الثقافة التي تعينهم على إمضاء هذا التمحيص فهي- أي الثقافة - لا تمثل لهـم ضرورة حياتية مباشرة، وإذا ما نجحت قيادتهم في تزيين معتقد ما لهـم، استمسكوا به إذ يتوهمون آنذاك أنهم يفكرون ويختارون بأنفسهم. وهم في ذلك - أي العامة المغرر بهم-كالعميل الساذج الذي يجنـده العـدو دون علمه،فجل العامة ينساقون وراء المبطلين دون أن يعلموا، فحظهم من العلم قليل، وهم بسطاء منصرفون إلى كسب معاشهم دون اكتراث بـالآراء أو الفلسفات، ويعتنقون ما يصوره لهم المبطلون أنه الدين، والعوام دوما مـع كل متكلم كما أن الصدى يجيب كل ذي صوت بمثل كلامه.

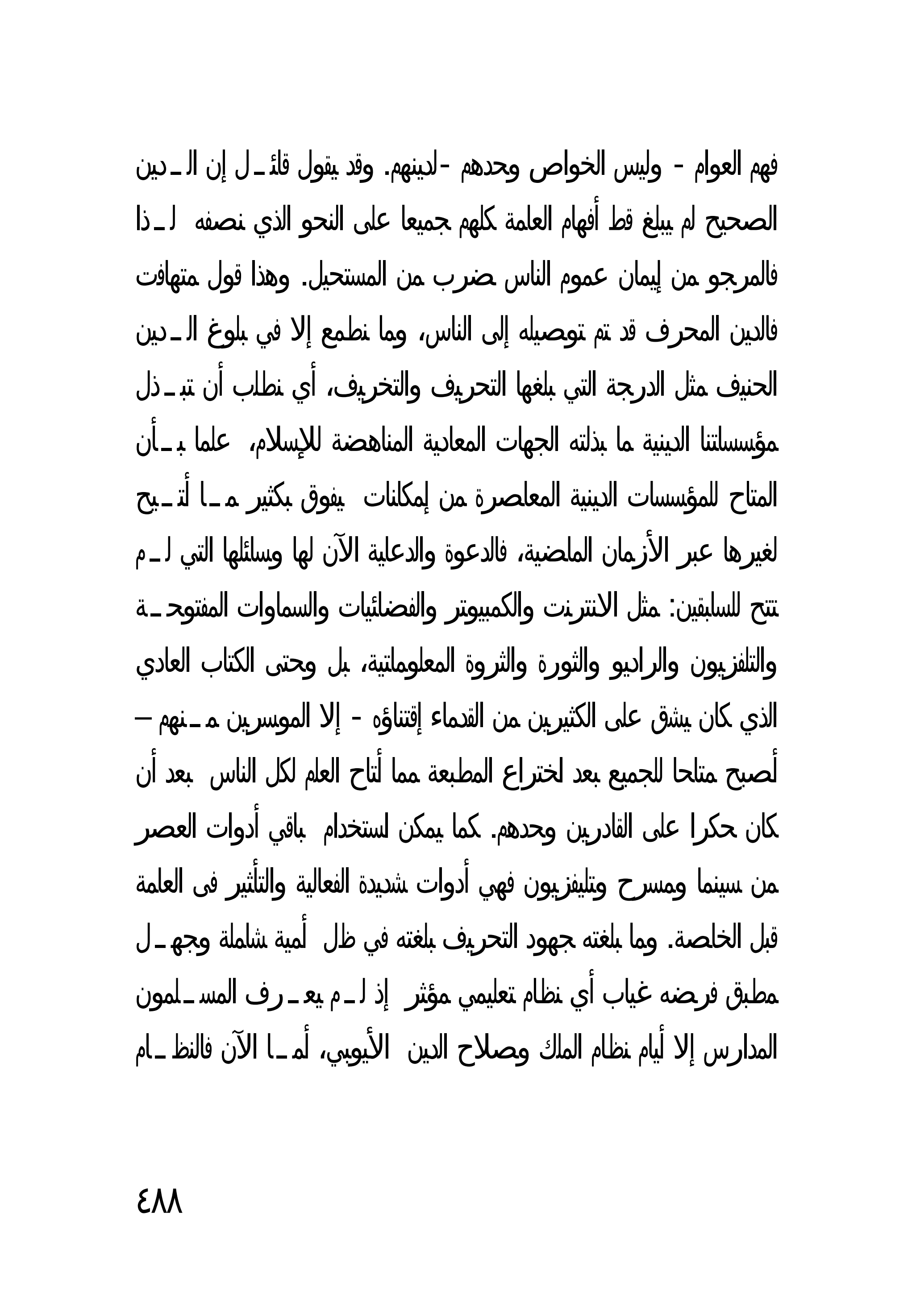
وهكذا تم تضليل الضمير الديني على مر القرون، وتم الاجتـراء على ثوابت الدين على نحو يدعو إلى الاستغراب، ولكن العامةلم تستنكف هذا الاجتراء الذي حدث تدريجيا إذ تم توطئة العقل الشعبي لقبول مثل هذه

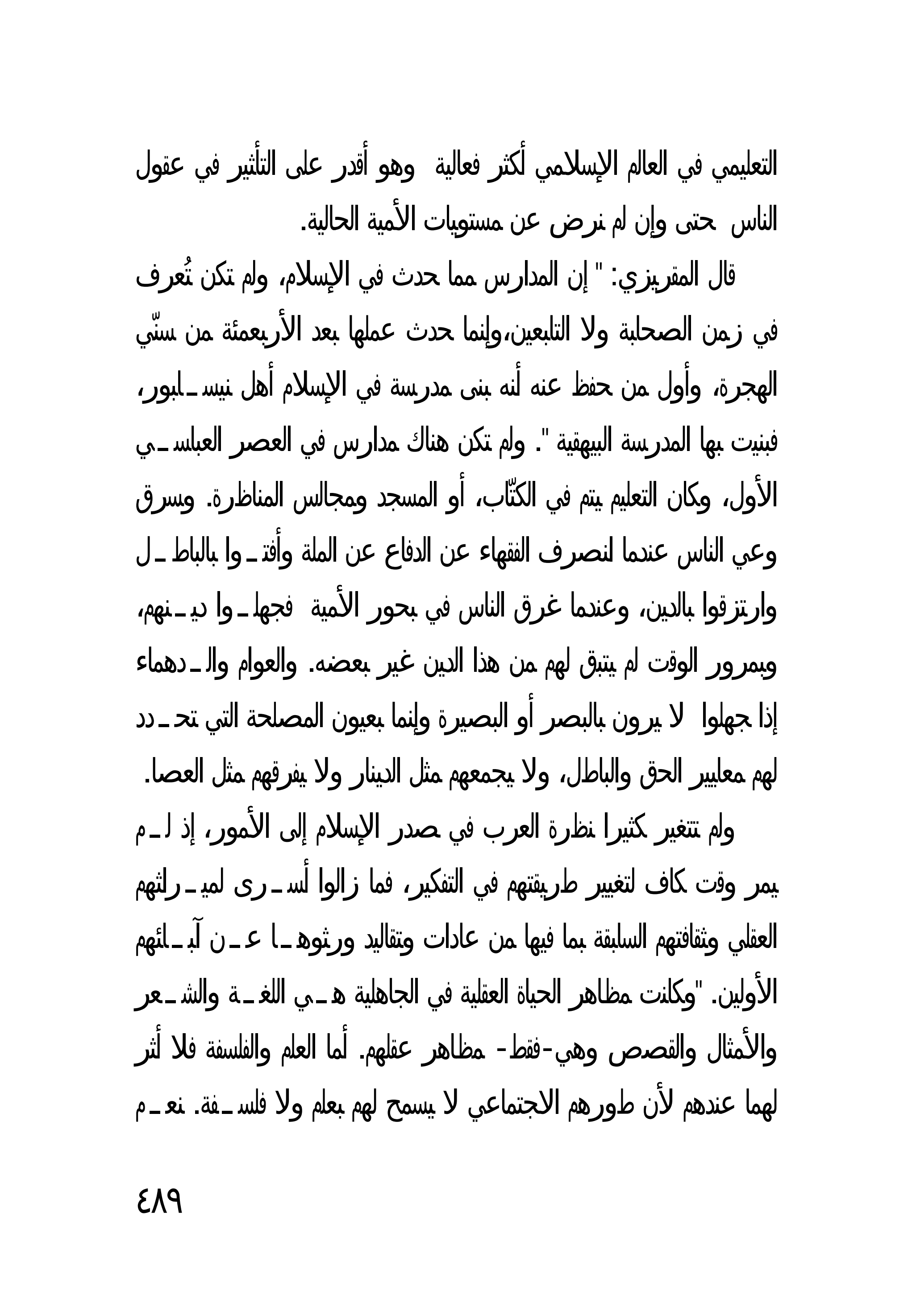


الانحرافات، ذلك ما حدث ببساطة. فالعقل الشعبي هو الذي يحـول دون أن يمحص الناس ديانتهم التي يعتقدون، وهو الذي يمنعهم من التحول إلى ديانة أخرى.

وليس هناك خط فاصل يمكن اعتباره العلامة الفارقة التي تميز التحول من الحق الى الباطل، فمثل هذا الخط وهمي لا وجود له في الواقـع، لأن عملية التحول هذه تمت في وقت ليس بالقصير وبالتدريج الذي يصبح فيه التدريج غير ملحوظ، فمن كانت مطيته الليل والنهار، فإنه يسار به ولـو كان واقفا. والطريقة الممكنة لاكتشاف هذا التغيير هو قياس ما آلت إليـه الأمور والأفكار والآراء بما جاء به القرآن والسنة. وبذا يمكـن معرفـة مقدار التحول من الصواب إلى الخطأ. وقد يكون من الضروري عندئـذ تسليط الضوء على الملابسات والظروف التي أحاطت بهذا التحول، وهي الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولا يمكن تبرئة المؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسـمية ورجـال الدين والفقهاء والوعاظ وكل من شغل نفسه أو اضطلع بمسؤولية نشـر الدين والدعوة له، من تهمة التقصير الشديد في نشر الإسـلام والمنافحـة عنه، ولا يمكن إعفاؤهم من مسؤولية التهاون في واجبهم الأساسي وهـو الحفاظ على مستوى فهم جيد للدين في ضمائر وعقول عـوام النـاس، فالمقياس الصحيح - فى نظري- لفعالية المؤسسات الدينية، هو درجـة


فهم العوام - وليس الخواص وحدهم -لدينهم. وقد يقول قائـل إن الـدين الصحيح لم يبلغ قط أفهام العامة كلهم جميعا على النحو الذي نصفه لـذا فالمرجو من إيمان عموم الناس ضرب من المستحيل. وهذا قول متهافت فالدين المحرف قد تم توصيله إلى الناس، وما نطمع إلا في بلوغ الـدين الحنيف مثل الدرجة التي بلغها التحريف والتخريف، أي نطالب أن تبـذل مؤسساتنا الدينية ما بذلته الجهات المعادية المناهضة للإسلام، علما بـأن المتاح للمؤسسات الدينية المعاصرة من إمكانات يفوق بكثير مـا أتـيح لغيرها عبر الأزمان الماضية، فالدعوة والدعاية الآن لها وسائلها التي لـم تتح للسابقين: مثل الانترنت والكمبيوتر والفضائيات والسماوات المفتوحـة والتلفزيون والراديو والثورة والثروة المعلوماتية، بل وحتى الكتاب العادي الذي كان يشق على الكثيرين من القدماء إقتناؤه - إلا الموسرين مـنهم – أصبح متاحا للجميع بعد لختراع المطبعة مما أتاح العلم لكل الناس بعد أن كان حكرا على القادرين وحدهم. كما يمكن لستخدام باقي أدوات العصر من سينما ومسرح وتليفزيون فهي أدوات شديدة الفعالية والتأثير فى العامة قبل الخاصة. وما بلغته جهود التحريف بلغته في ظل لمية شاملة وجهـل مطبق فرضه غياب أي نظام تعليمي مؤثر إذ لـم يعـرف المسـلمون المدارس إلا أيام نظام الملك وصلاح الدين الأيوبي، لمـا الآن فالنظـام



التعليمي في العالم الإسلامي أكثر فعالية وهو أقدر على التأثير في عقول الناس حتى وإن لم نرض عن مستويات الأمية الحالية.

قال المقريزي: " إن المدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن تُعرف في زمن الصحابة ولا التابعين،وإنما حدث عملها بعد الأربعمئة من سنّي الهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، فبنيت بها المدرسة البيهقية ". ولم تكن هناك مدارس في العصر العباسي الأول، وكان التعليم يتم في الكتّاب، أو المسجد ومجالس المناظرة. وسرق وعي الناس عندما انصرف الفقهاء عن الدفاع عن الملة وأفتوا بالباطل وارتزقوا بالدين، وعندما غرق الناس في بحور الأمية فجهلوا دينهم، وبمرور الوقت لم يتبق لهم من هذا الدين غير بعضه. والعوام والدهماء إذا جهلوا لا يرون بالبصر أو البصيرة وإنما بعيون المصلحة التي تحدد لهم معايير الحق والباطل، ولا يجمعهم مثل الدينار ولا يفرقهم مثل العصا.

ولم تتغير كثيرا نظرة العرب في صدر الإسلام إلى الأمور، إذ لم يمر وقت كاف لتغيير طريقتهم في التفكير، فما زالوا أسرى لميراثهم العقلي وثقافتهم السابقة بما فيها من عادات وتقاليد ورثوها عن آبائهم الأولين. "وكانت مظاهر الحياة العقلية في الجاهلية هي اللغة والشعر والأمثال والقصص وهي-فقط- مظاهر عقلهم. أما العلم والفلسفة فلا أثر لهما عندهم لأن طورهم الاجتماعي لا يسمح لهم بعلم ولا فلسفة. نعم

كانت عندهم معرفة بالأنساب والأنواء والسماء وبشـيء مـن الأخبـار والطب، ولكن الخطأ البين أن تسمي هذه الأشياء علما، فهـي لا تتعـدى معلومات أولية لا يصح أن تسمى علما، فلا عهـد للعـرب الجـاهلين به"**٦٤٣**. لذا لم يكن من الصعب - في ظل هذا التكوين العقلي- حدوث التحريف في ذلك الوقت المبكر أيام عثمان وعلي ، وهي الجهـود التـي استهلها عبد ا بن سبأ اليهودي اليمني بتدبير شيطاني من يد خفية دبرت بليل وكادت للإسلام وأهله على نحو ما ما جاء في الكتاب.

ولم تكن عقلية العربي المسلم آنذاك قد تخلصت بعد من بعض ما كان بها من أدران الجاهلية،فمثلا استمرت الخلافات العصبية بين القبائل فـي خراسان والشام واليمن والعراق وكان كثير من شبان بني أمية،وبعض شبان بني هاشم يعيشون عيشة هي إلى الجاهليـة أقـرب منهـا إلـى الإسلام،شراب وصيد وغَزَل.

وسلوك الفرد محصلة تكوينه العقلي وتكوينه النفسي معا.وهذا ما ينبغي وضعه موضع النظر عند رصد وتحليل السلوك الجماعي للشعوب.فالبنية العقلية وحدها لا تكفي لتفسير سلوكياتها، فالبنية النفسية أيضا فاعلة، وهـي

---

٦٤٣ - أحمد أمين – فجر الإسلام

تتأثر بالخرافات والأساطير والمأثورات والأعراف والتـراث الثقـافي والاجتماعي والديني الموروث.

ومن سمات العقل الشعبي السذاجة والجهل وندرة البضاعة من العلـم والوعي، أو على الأقل هذا ما كان من أمر العقل الشعبي في بلاد الإسلام في القرون الخوالي، وهي صفات يبحث عنها ويرسخها كل ساع الى بث الدعاوى السياسية أو الدينية.

ولما كان الناس قوة يحسب حسابها، لذا حـرص كـل أصـحاب الدعوات على تهيئة عقول الجماهير لتقبل ما ستسفر عنه الأحداث التـي يدبرون لها، ولاستنفارهم للمضي في الاتجاه الذي يريـده مـن يحـرك الأحداث. إذ لا تتحول الأفكار إلى قوة دافعة مؤثرة إلا بعد ضخها فـي العقل الشعبي، لذا فإن الأفكار – الصحيح منها والخطأ - تبقى بـلا أثـر حقيقي إذا بقيت في عقول وضمائر الخاصة فقط، وإنما تتحول إلى قـوة فاعلة فور انتقالها الى عقول العامة. فالأديان – مثلا- ما كـان لهـا أن تكون مؤثرة لو بقيت حبيسة عقول الأنبياء، وإنما كان التبليغ هو مهمتهم الأساسية التي كلفهم ا به. وما كان أهل الباطل ليتمكنوا من بث بـاطلهم والترويج له ما لم ينقلوه إلى عقول العامة. واذكـر الجهـود الدعائيـة والدعوية الجبارة للإسماعيلية والفاطميين والقرامطـة لنشـر المـذاهب الشيعية،حتى أن كبير الدعاة في الدولة الفاطمية كان يتبع الخليفة مباشـرة

ويحتل المكان الثاني بعده في الدولة، ومقامه فوق مقام قاضـي القضـاة. وانكر الشعراء والقصاصين الذين تولوا الأعباء الدعائية والترويج للـنظم السياسية والدينية أيام الأمويين والعباسيين وغيرهم.

وقد كانت المنظومة الدعائية للشيعة الإسـماعيلية شـديدة الإحكـام وهرمية الشكل. فقد أدركوا أن ما يصح لمخاطبـة العامـة، لا يجـوز لمخاطبة الخاصة، فالعقول تختلف من حيث حصيلتها الثقافية والعلمية،كما تتباين قدرلتها من حيث لستطاعة التفكير والتأمل والانتقـاد والتمحـيص. والناس يتعصبون لأفكار كثيرة ليست بالضرورة صحيحة.وتعصب الناس لفكرة ما ليس دليلا على صحتها،وإنما دليل على قوة غرس هذه الفكرة في العقل وطمرها بالعديد من التعلات والمعانير غير العقلية - في العـادة - وإنما العاطفية منها.

وإذا كانت دعوة الفرق المنحرفة عن الإسلام هي فعلا دعوة إلـى الدين الحق، فما بالهم يدعون سرا وبشكل لنتقـائي، إذ يتوجهـون إلـي ضعاف العقول والجهلة ولأصحاب البداوة وممن يعمـدون إلـى اللـذات القريبة وممن لا طاقة لهم بتحمل أعباء العبادة. وتفسير سرية هذه الدعوات يقع بين كونها ذات توجهات سياسية ومرلمي للاستحواذ علـى السـلطة والملك،وبين لنها دعوات للانحراف وطلب الباطل وتشويه عقيدة الإسلام فيبتعد عنه العقلاء بعد تصويره في شكل خرافات لا يقتنع بها عاقل.وذلك

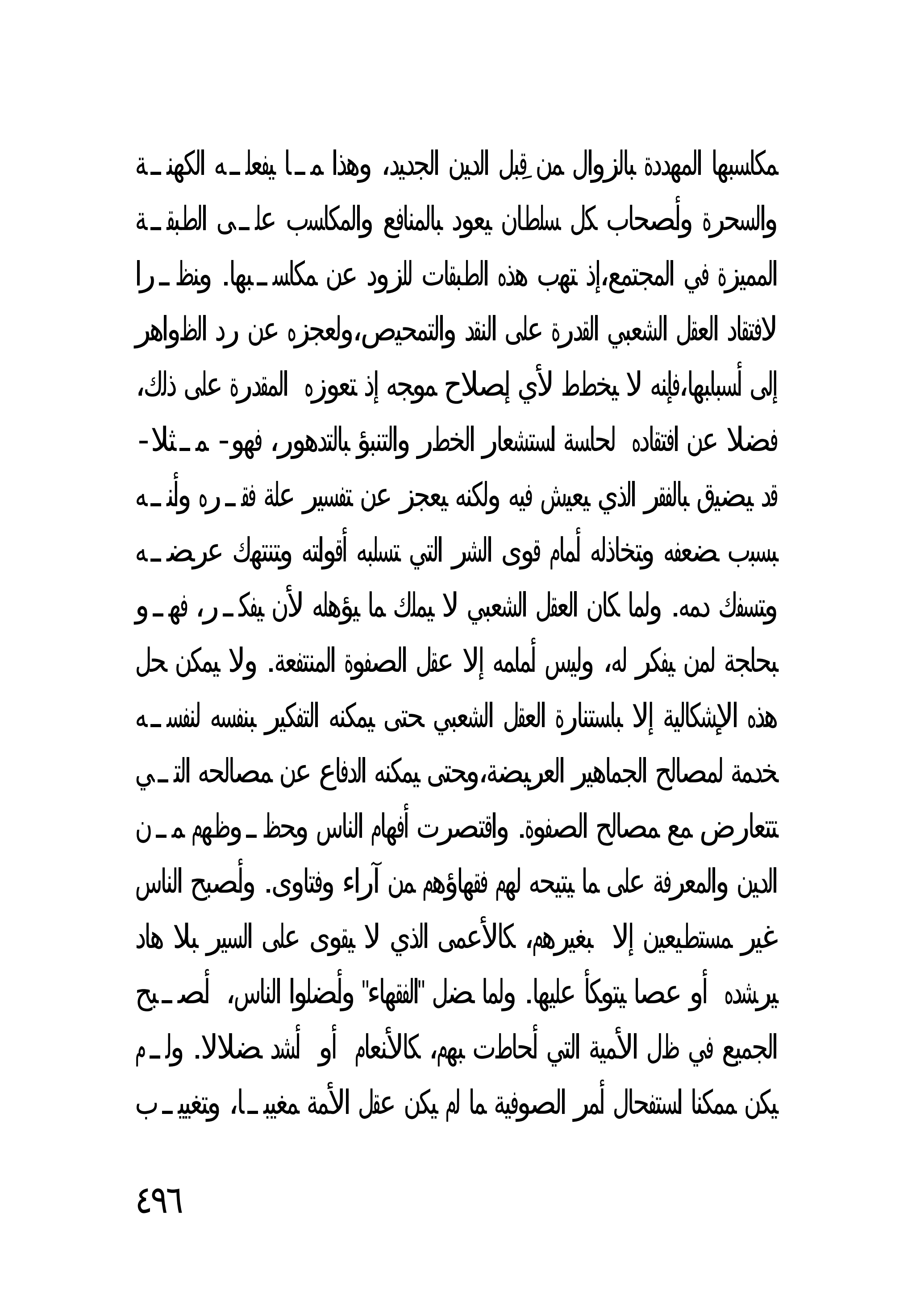
ينطبق عليها جميعا تقريبا، أي أن لستتار وتخفي هذه الدعوات يعود إلـى طلب الملـك والنفـوذ والسـلطة والـدينار، والحيلولـة دون انتشـار الإسلام.والإنسان يميل إلى التمسك بما يعتقده حتى وإن ثبت لـه بالـدليل الدامغ بطلان ما يعتقد.فتغيير المعتقد أو حتى إعادة النظر فيه عملية عقلية جريئة تضاد ما يميل إليه الإنسان من الإبقاء على ما هو عليه من حـال. ففي سنة ١٩٤٦ صدم اليابانيون لما أعلن إمبراطورهم أنه غير مقـدس وأنه ليس سليل ابن الشمس كما كانت أجيال اليابانيين تعتقد. وفي الدستور الذي وضعه الأمريكان لليابانيين بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الثانيـة، نُص على أن الإمبراطور مجرد رمز للدولة وسلطاته تشريفية فقط.

والعقل الشعبي هو منتِج الرأي العام وهو مؤشر لتجاهـات التفكيـر وصنع المواقف، و هو الذي يحث أو يثبط العقل الديني والسياسي، وهـو الوعاء الذي يحتوي على التراكم الجمعي للأفكار والخبرات والمـؤثرات التراثية والعادات والتقاليد والأعراف، وهو - أي العقل الشعبي- الهـدف المنشود لدعايات النظم السياسية والدينية. و تستفيد الدول والحكـام مـن توجيه العقل الشعبي لحشد الجماهير لتأييد مواقف حكومية ما قد لا تخدم بالضرورة مصالح هؤلاء الناس.

وعبر تاريخ المسلمين تم تشكيل الإطار الفكري لهذا العقل الشـعبي بفعل الجهود الدعوية للنظم الشيعية والصوفية دعاة الشيعة، وفلاسـفة

الصوفية ومشايخهم، والطرق الصوفية، وفقهاء السلاطين، وغيـرهم ، تم توجيهه - أي العقل الشعبي - في اتجاه مهادنة الظلم وقبوله، كما تم ترويضه في ظل ظروف الأمية والجهل، لكي يقبل التحريف الذي ألحقه أعداء الإسلام بالإسلام، فالعامة إذا جهلت باتت كالأنعام أو أضل سبيلا، فتستمع إلى كل ناعق. والعقل الشعبي هو الوعاء الذي يسـع الأفكـار السانحة إذ لا يملك هذا العقل أية حوافظ من المنطق أو الفطنة أو العلم،لذا فهو الوعاء الذي تحتفظ فيه الشعوب البدائيـة أو الأميـة، بأسـاطيرها وأوهامها وأفكارها وآمالها ومعتقداتها. وهو المحرك شـبه الأساسـي للجماهير والعامة. والأفكار السائدة في العقل الشعبي هي الأفكار التي تجد من يغذيها باستمرار ويدفعها دفعا إلى هذا العقل، وكل من يريد كسـب مساحة داخل هذا العقل عليه أن يصوب إليه ما يريد دسه مـن أفكـار بالإلحاح والمثابرة والتكرار وذلك كله في غياب التوعية والعلم. وهذا العقل البدائي وسِع أساطير الشعوب حول الخلق والإله والكون، وله سذاجات تثير الضحك من جانب والاشمئزاز والاندهاش من جانب آخر. وترسخ الأفكار السائدة في العقول تحول دون تكوين أفكار بديلة وتعطل قدرة هذه العقول على النظر إلى الأشياء بطريقة مختلفة، فأنصار اتّباع " مـا ألفينـا عليه آباءنا " غير قادرين على النظر إلى الأشياء بطريقة مختلفـة، وإن استطاعوا ذلك، فهم لا يرغبون فيه. ولا يمكن اكتشـاف آفـاق جديـدة

بمواصلة النظر في نفس الاتجاه القديم، وإنما لابد من تجول العقل وتنقـل الفكر من جهة لأخرى. ولا تكتمل حرية العقل ما لم يمكنه النظر بطـرق مختلفة جديدة لنفس الأشياء والأفكار القديمة، فقد يقنع العقل الكسول بفكرة ما من باب العجز عن البحث عن فكرة أخرى مغايرة. والتاريخ وحوادثه يصنعه عقلان: العقل الشعبي، وعقل الصفوة. وعقل الصفوة هو إجمالي عقول الحكام ولأصحاب المنفعة وجماعات المصالح والمؤسسة الدينيـة. وعقل الصفوة هو الذي يصنع الأفكار الموجهة وإن لم يؤمن بها، وإنمـا يرى أنها وسيلة إلى السيطرة على العقل الشعبي، وبالتالي تسيير الجماهير والدهماء في لتجاه خدمة مصالح الصفوة. والكهان والمؤسسة الدينية هـم الذين يزينون هذه الأفكار و المعتقدات الباطلة والتافهة ويضـفون عليهـا الشرعية ويضخونها في عقول الدهماء كوقود يحـركهم فـي الاتجـاه المطلوب.لما العقل الشعبي فمهمته هي لختزان الأفكار التي يصنعها غيره، إذ ليس من مهمته صنع الأفكار فهو أعجز من ذلك، والحركة الدائرة بين عقل الصفوة والعقل الشعبي بين فعل ولنفعال هي التي تصـنع التـاريخ وحوادثه. وعقل الصفوة هو الذي يدفع بالطبقـة صـاحبة الامتيـازات والمكاسب في كل مجتمع في كل زمان،بأن تتصدى لأي تغييرات دينيـة أو سياسية أو غيرها، يكون من شأنها القضاء على ما لها من لمتيازات أو حتى لنتقاصها.وهذا التصدي هو بالضبط ما فعلته قريش للمنافحـة عـن

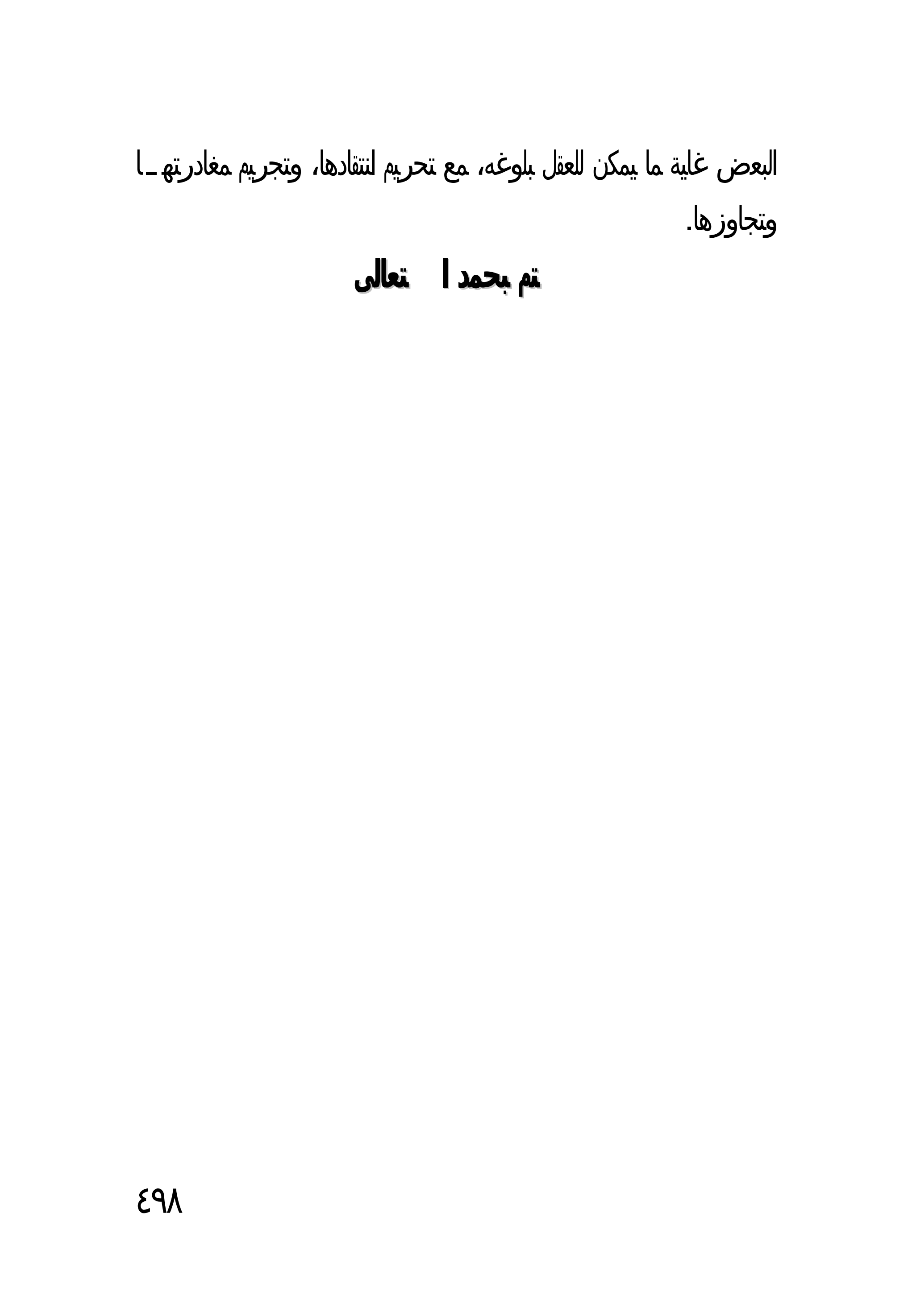

مكاسبها المهددة بالزوال من قِبل الدين الجديد، وهذا مـا يفعلـه الكهنـة والسحرة وأصحاب كل سلطان يعود بالمنافع والمكاسب علـى الطبقـة المميزة في المجتمع،إذ تهب هذه الطبقات للزود عن مكاسـبها. ونظـرا لافتقاد العقل الشعبي القدرة على النقد والتمحيص،ولعجزه عن رد الظواهر إلى أسبابها،فإنه لا يخطط لأي إصلاح موجه إذ تعوزه المقدرة على ذلك، فضلا عن افتقاده لحاسة لستشعار الخطر والتنبؤ بالتدهور، فهو- مـثلا- قد يضيق بالفقر الذي يعيش فيه ولكنه يعجز عن تفسير علة فقـره وأنـه بسبب ضعفه وتخاذله أمام قوى الشر التي تسلبه أقواته وتنتهك عرضـه وتسفك دمه. ولما كان العقل الشعبي لا يملك ما يؤهله لأن يفكـر، فهـو بحاجة لمن يفكر له، وليس أمامه إلا عقل الصفوة المنتفعة. ولا يمكن حل هذه الإشكالية إلا باستثارة العقل الشعبي حتى يمكنه التفكير بنفسه لنفسـه خدمة لمصالح الجماهير العريضة،وحتى يمكنه الدفاع عن مصالحه التـي تتعارض مع مصالح الصفوة. واقتصرت أفهام الناس وحظـوظهم مـن الدين والمعرفة على ما يتيحه لهم فقهاؤهم من آراء وفتاوى. وأصبح الناس غير مستطيعين إلا بغيرهم، كالأعمى الذي لا يقوى على السير بلا هاد يرشده أو عصا يتوكأ عليها. ولما ضل "الفقهاء" وأضلوا الناس، أصـبح الجميع في ظل الأمية التي أحاطت بهم، كالأنعام أو أشد ضلالا. ولـم يكن ممكنا لستفحال أمر الصوفية ما لم يكن عقل الأمة مغيبـا، وتغييـب

العقل هنا سبب ونتيجة في آن واحد، إذ استفحل ظهورها بمجرد تعطيل العقل، ومع تضرر العقل الشعبي استشرى الورم الصوفي في عقل وجسد الأمة، وعجز هذا العقل عن تفنيد مزاعم المبطلين: فصدق الناس –مثلا- أن " الصوفي عبد الوهاب الشعراني مكث سـنين لا يضـطجع علـى الأرض لا ليلا ولا نهارا، بل اتخذ له حبلا بسقف خلوته يجعله في عنقه ليلا حتى لا يسقط، وأكل التراب مدة شهرين ولكن عناية ا جعلته يسبغ التراب فيجد فيه طعم لحم المرق ٦٤٤.

وثقافة الإنسان وحصيلته العلمية هي التي تمكنه من التفكيـر السـليم وتمنحه القدرة الحقيقية على تفسير الظواهر واستكناه الواقع، فإذا تردت هذه القدرات بفعل الأمية والجهل عجز بالضرورة عن تفسير واقعه واكتشاف صحيحه من باطله.

وهنالك صدع ضخم في واقعنا الثقافي، ترتـب عليـه بالضـرورة وجود فجوة مماثلة في العقل المسلم . انظر إلى الإنتاج الثقافي في عالمنا الإسلامي، واستدل مثلا بمحتويات مكتباتنا، فما تجد فيها غير كتب التراث الصفراء التي تقف عند حدود ما كتبه السابقون قبل ألف سنة، ويعتبرهـا

٦٤٤- أبو صالح محمد المليجي الشافعي- المناقب الكبرى- نقلا عن كتاب عبد الوهاب الشعراني



البعض غاية ما يمكن للعقل بلوغه، مع تحريم انتقادها، وتجريم مغادرتهـا وتجاوزها.

تم بحمد ا تعالى

فتوى الأزهر للتقريب بين الشيعة والسنة

نص الفتوى التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية:

١. إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، بل نقول: إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة. ولمن قلد مذهبا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أي مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢. إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الاثني عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة.فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين ا وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند

ا تعالى يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات٦٤٥.

٦٤٥- نص هذه الفتوى في كتاب : دعوة للتقريب تاريخ ووثائق ، والكتاب صادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ص٢٢٥

قائمة ببعض مراجع الشيعة التي تناولت موضوع تحريف القرآن

١. أصول الكافي ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني- دار التعارف - بيروت.

٢. فروع الكافي ,, ,, ,, ,, ,, ,, - دار الأضواء - ,,

٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة محمد بن الحسن الحر العاملي.

٤. من لا يحضره الفقيه محمد بن علي الحسين بن بابويه القمي الصدوق .

٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار- محمد باقر المجلسي - دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

٦. مستدرك الوسائل حسين النوري الطبرسي.

٧. الوافي محسن الفيض الكاشاني.
٨. بصائر الدرجات الكبرى في فضل آل محمد محمد بن الحسن الصفار
٩. تفسير الصافي محمد بن الفيض الكاشاني - الأعلمي - بيروت.
١٠. تفسير العياشي محمد بن مسعود العياشي - مؤسسة الاعلمي - بيروت.
١١. تفسير القمي على بن إبراهيم القمي - دار السرور - بيروت.
١٢. تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة الحاج سلطان محمد الجنابذي - الأعلمي - بيروت.
١٣. البرهان في تفسير القرآن السيد هاشم البحراني - دار الهادي - بيروت.
١٤. التبيان في تفسير القرآن أبي جعفر الطوسي - مكتب الإعلام الإسلامي - إيران.

١٥.مجمع البيان في تفسير القرآن أبو علي الفضل الطبرسي - مكتبة الحياة - بيروت.

١٦.مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار أو مقدمة البرهان في تفسير القرآن أبي الحسن الشريف النباطي الفتوني - إيران.

١٧.البيان في تفسير القرآن أبو القاسم الخوئي - مؤسسة الاعلمي - بيروت.

١٨.رجال الكشي لأبي عمرو محمد الكشي- تقديم أحمد الحسيني.

١٩.رجال النجاشي لأبي العباس أحمد بن علي النجاشي- دار الأضواء- بيروت.

٢٠.لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث - يوسف البحراني - الأضواء - بيروت.

٢١.رجال العلامة الحلي - الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي - دار الذخائر - قم - إيران.

٢٢.روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات - محمد باقر الخوانساري - الدار الإسلامية - بيروت.

٢٣.تنقيح المقال - للمامقاني.

٢٤.جامع الرواة - محمد بن علي الأردبيلي - دار الأضواء - بيروت.

٢٥.رجال الطوسي - محمد بن الحسن الطوسي - دار الذخائر - قم - إيران.

٢٦. الكني والألقاب عباس القمي.

٢٧.الفهرست - للطوسي.

٢٨.نقباء البشر في القرن الرابع عشر - أغا بزرك الطهراني.

٢٩.أعيان الشيعة - محسن الأمين.

٣٠.طبقات أعلام الشيعة - أغابزرك الطهراني.

٣١.الذريعة إلى تصانيف الشيعة - أغا بزرك الطهراني.

٣٢.٣٢- أمل الآمل - محمد بن الحسن الحر العاملي - دار الكتاب الإسلامي - قم - إيران.

٣٣.منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - ميرزا حبيب ا الهاشمي الخوئي مؤسسة الوفاء - بيروت.

٣٤.شرح نهج البلاغة - ميثم البحراني - ط إيران.

٣٥.أكذوبة التحريف أو القرآن ودعاوى التحريف- رسول جعفريان- قم - إيران.

٣٦.آراء حول القرآن - السيد علي الفاني الأصفهاني - دار الهادي - بيروت.

٣٧.لمحات في تاريخ القرآن - محمد علي - منشورات الاعلمي.

٣٨.عقائد الأمامية - محمد رضا مظفر - دار الصفوة - بيروت.

٣٩.عقائد الاثنى عشرية - إبراهيم الموسوي الزنجاني - الأعلمي - بيروت

٤٠.الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم - زين الدين أبي محمد علي النباطي - البياضي - المكتبة المرتضوية - إيران.

٤١.الأنوار النعمانية - السيد نعمة ا الجزائري - مؤسسة الأعلمي - بيروت.

٤٢.أوائل المقالات في المذاهب المختارات - محمد بن النعمان المفيد - دار الكتاب الإسلامي - بيروت.

٤٣.الاختصاص - للمفيد.

٤٤.علل الشرائع - أبي جعفر محمد بن علي الصدوق - الأعلمي - بيروت.

٤٥.المراجعات – عبد الحسين شرف الدين الموسوي – الدار الإسلامية - بيروت.

٤٦.الاحتجاج - أبى منصور احمد بن علي الطبرسي - مؤسسة الأعلمي - بيروت.

٤٧.مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول - محمد باقر المجلسي - إيران

٤٨.النجم الثاقب في أحوال الأمام الحجة الغائب - حسين النوري الطبرسي - أنوار الهدى - قم - إيران.

٤٩.تذكرة الأئمة - محمد باقر المجلسي - فارسي - منشورات مولانا - إيران

٥٠.الشيعة - محمد صادق الصدر.

٥١.تحفة العوام مقبول - منظور حسين. أردو.

٥٢.أصل الشيعة وأصولها - محمد حسـين آل كاشـف الغطاء - الاعلمي - بيروت.

٥٣. الألفين - ابن مطهر الحلي - الاعلمي - بيروت.

٥٤.الحكومة الإسلامية - الخميني - المكتبة الإسلامية الكبرى.

٥٥.كشف الأسرار - الخميني.

٥٦.مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية - الخميني.

٥٧.فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب - حسين النوري الطبرسي.

٥٨.مشارق الشموس الدرية - عدنان البحراني - المكتبة العدنانية - البحرين.

٥٩.الدرر النجفية - يوسف البحراني - مؤسسة آل البيت - إيران.

٦٠.المصباح - تقي الدين إبراهيم الكفعمي - مؤسسة الاعلمي - بيروت.

٦١.المسائل السروية للمفيد - المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

٦٢.السبعة من السلف - مرتضى السيد محمد الحسيني - المكتبة الثقافية.

٦٣.الناسخ والمنسوخ - كمال الدين العتائقي الحلي-مؤسسة آل البيت

الملحق الثالث

كتاب الخطة السرية لآيات الشيعة في إيران

نشرت رابطة أهل السنة في إيران - مكتـب لندن - هذه الرسـالة السرية للغاية الموجهة من شورى الثورة الثقافية الإيرانية إلى المحـافظين

في الولايـات الإيرانية . وهذه الخطة البروتوكول موجهـة إلـى المناطق السنية في إيران، من جهة، وموجهة إلى دول الجوار من جهـة أخرى، وهي بقلم الدكتور/ عبد الرحيم البلوشي في سنة ١٤١٩ هجرية، ونصها كما يلي:

" إذا لم نكن قادرين على تصدير ثورتنا إلى البلاد الإسلامية المجاورة فلا شك أن ثقافة تلك البلاد الممزوجة بثقافة الغـرب سـوف تهاجمنـا وتنتصر علينا، وقد قامت الآن بفضل ا وتضحية أمة الإمام الباسلة دولة الاثني عشرية في إيران بعد قرون عديدة، ولذلك فنحن – وبنـاء علـى إرشادات الزعماء الشيعة المجلين – نحمل واجبا خطيرا وثقـيلا وهـو تصدير الثورة، ولهذا فإننا خلال ثلاث جلسات وبآراء شبه إجماعية من المشاركين وأعضاء اللجان وضعنا خطة خمسية تشمل خمس مراحـل، ومدة كل مرحلة عشر سنوات، لنقوم بتصدير الثورة الإسلامية إلى جميع الدول المجاورة فنوحد الإسلام أولا ، لأن الخطر الذي يواجهنا من الحكام الوهابيين وذوي الأصول السنية أكبر بكثير من الخطر الذي يواجهنا من الشرق والغرب، لأن هؤلاء الوهابيين وأهل السنة يناهضون حركتنا وهم الأعداء الأصوليون لولاية الفقيه والأئمة المعصومين، وحتى إنهـم يعدون اعتماد المذهب الشيعي كمذهب رسمي دستورا للبلد أمرا مخالفـا للشرع والعرف، وهـم بذلك قد شقوا الإسلام إلى فرعين متضـادين ...

وبناء على هذا: يجب علينا أن نزيد نفوذنا في المناطق السنية داخل إيران، وبخاصة المدن الحدودية، ونزيد من عـدد مسـاجدنا و الحسـينيات ونقيم الاحتفالات المذهبية أكثر من ذي قبل، وبجدية أكثر، ويجب أن نهيئ الجو في المدن التي يسكنها ٩٠ إلى ١٠٠بالمائة من السـنة حتـى يـتم ترحيل أعداد كبيرة من الشيعة من المدن والقرى الداخلية.

و نحن نعلم أن تثبيت أركان كل دولة والحفاظ على كل أمة أو شعب ينبني على أسس ثلاثة:

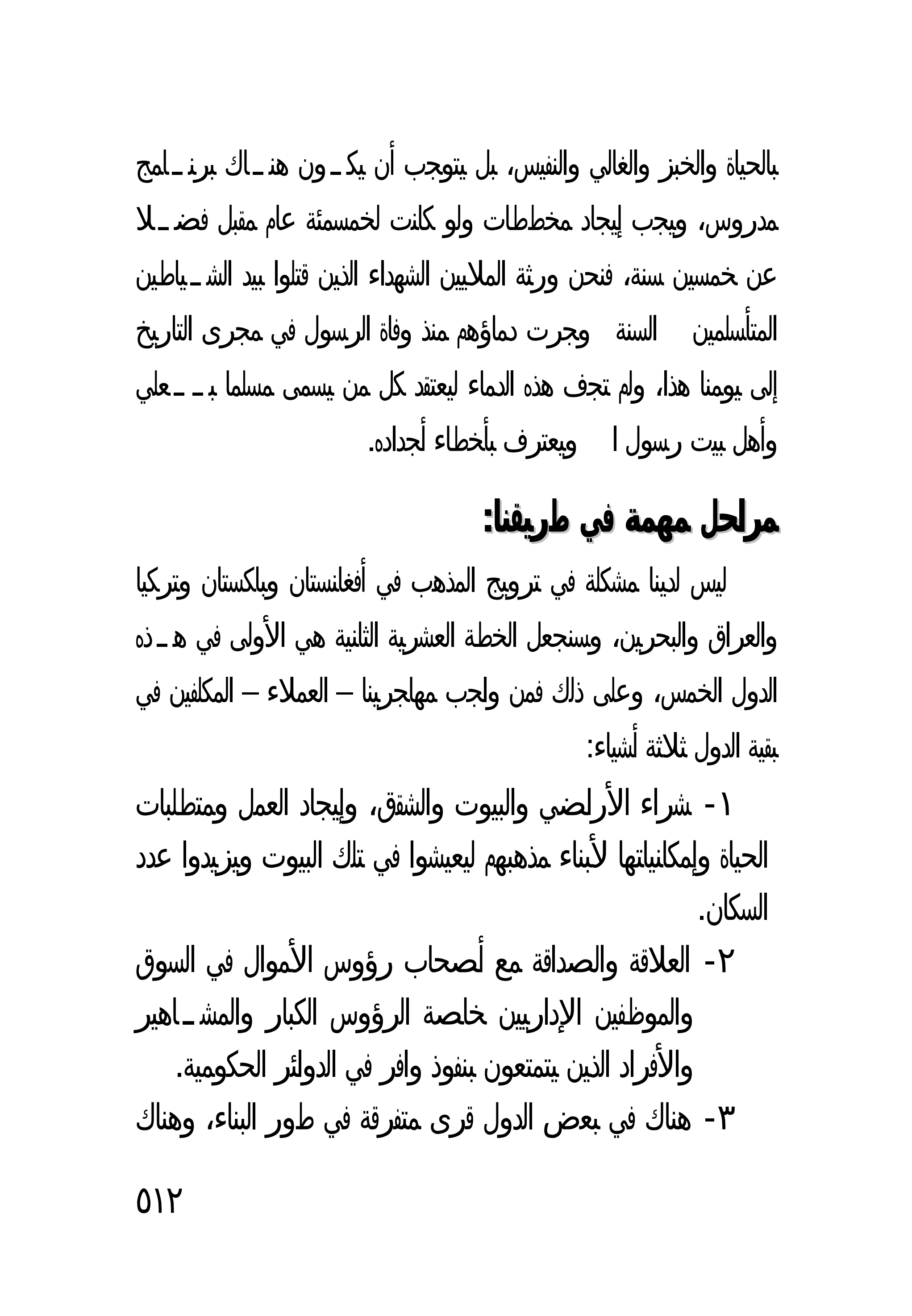
- الأول: القوة التي تملكها السلطة الحاكمة.
- الثاني: العلم والمعرفة عند العلماء والباحثين.
- الثالث: الاقتصاد المتمركز فـي أيـدي أصـحاب رؤوس الأموال.

وإذا استطعنا أن نزلزل كيان تلك الحكومات بإيجاد الخلاف بين الحكام والعلماء، ونشتت أصحاب رؤوس الأموال في تلك البلاد ونجذبها إلـى بلادنا، أو إلى بلاد أخرى في العالم، نكون بلا ريب قد حققنا نجاحا باهرا ولافتا للنظر، لأننا أفقدناهم تلك الأركان الثلاثة.

وأما بقية الشعوب التي تشكل ٧٠ إلى ٨٠ % من سكان كل بلد فهم أتباع القوة والحكم ومنهمكون في أمور معيشتهم وتحصيل رزقهـم مـن

الخبز والمأوى، ولذا فهم يدافعون عمن يملك القوة ....وجيراننا من أهـل السنة والوهابية هم: تركيا والعراق وأفغانستان وباكسـتان وعـدد مـن الإمارات في الحاشية الجنوبية ومدخل الخليج الفارسي ...

أسلوب تنفيذ الخطة المعدة: ولإجراء هذه الخطة الخمسينية يجب علينا بادئ ذي بدء أن نحسن علاقتنا مع دول الجوار ويجب أن يكون هنـاك احترام متبادل وعلاقة وثيقة وصداقة بيننا وبينهم حتى إننا سوف نحسـن علاقتنا مـع العراق بعد الحرب وسقوط صدام حسين، ذلك أن إسـقاط ألف صديق أهون من إسقاط عدو واحد. وفي حال وجود علاقات ثقافية وسياسـية واقتصادية بيننا وبينهم فسوف يهاجر بلا ريب عـــدد مـن الإيرانيين إلى هذه الدول، ويمكننا مـن خلالهـم إرسـال عـدد مــن العمـلاء كمهاجرين ظاهراً ويكونون في الحقيقة من العاملين في النظام، وسوف تحدد وظائفهم حين الخدمة والإرسال.لا تفكروا أن خمسين سـنة تعد عمراً طويلاً، فقد احتاج نجاح ثورتنا خطة دامت عشرين سنة...... حتى فرق الوهابية والشافعية الحنفية والمالكية والحنبلية كانت تعتبرنا مـن المرتدين وقد قام أتباع هذه المذاهب بالقتل العام للشيعة مـرارا وتكـرارا، صحيح أننا لم نكن في تلك الأيام، لكن أجدادنا قد كانوا، وحياتنا اليوم ثمرة لأفكارهم وآرائهم ومساعـيهم وربما لن نكون نحن أنفسنا في المسـتقبل لكن ثورتنا ومذهبنا باقيان. ولكن يكفي لأداء هذا الواجب المذهبي التضحية



بالحياة والخبز والغالي والنفيس، بل يتوجب أن يكـون هنـاك برنـامج مدروس، ويجب إيجاد مخططات ولو كانت لخمسمئة عام مقبل فضـلا عن خمسين سنة، فنحن ورثة الملايين الشهداء الذين قتلوا بيد الشـياطين المتأسلمين السنة وجرت دماؤهم منذ وفاة الرسول في مجرى التاريخ إلى يومنا هذا، ولم تجف هذه الدماء ليعتقد كل من يسمى مسلما بـ ـعلي وأهل بيت رسول ا ويعترف بأخطاء أجداده.

مراحل مهمة في طريقنا:

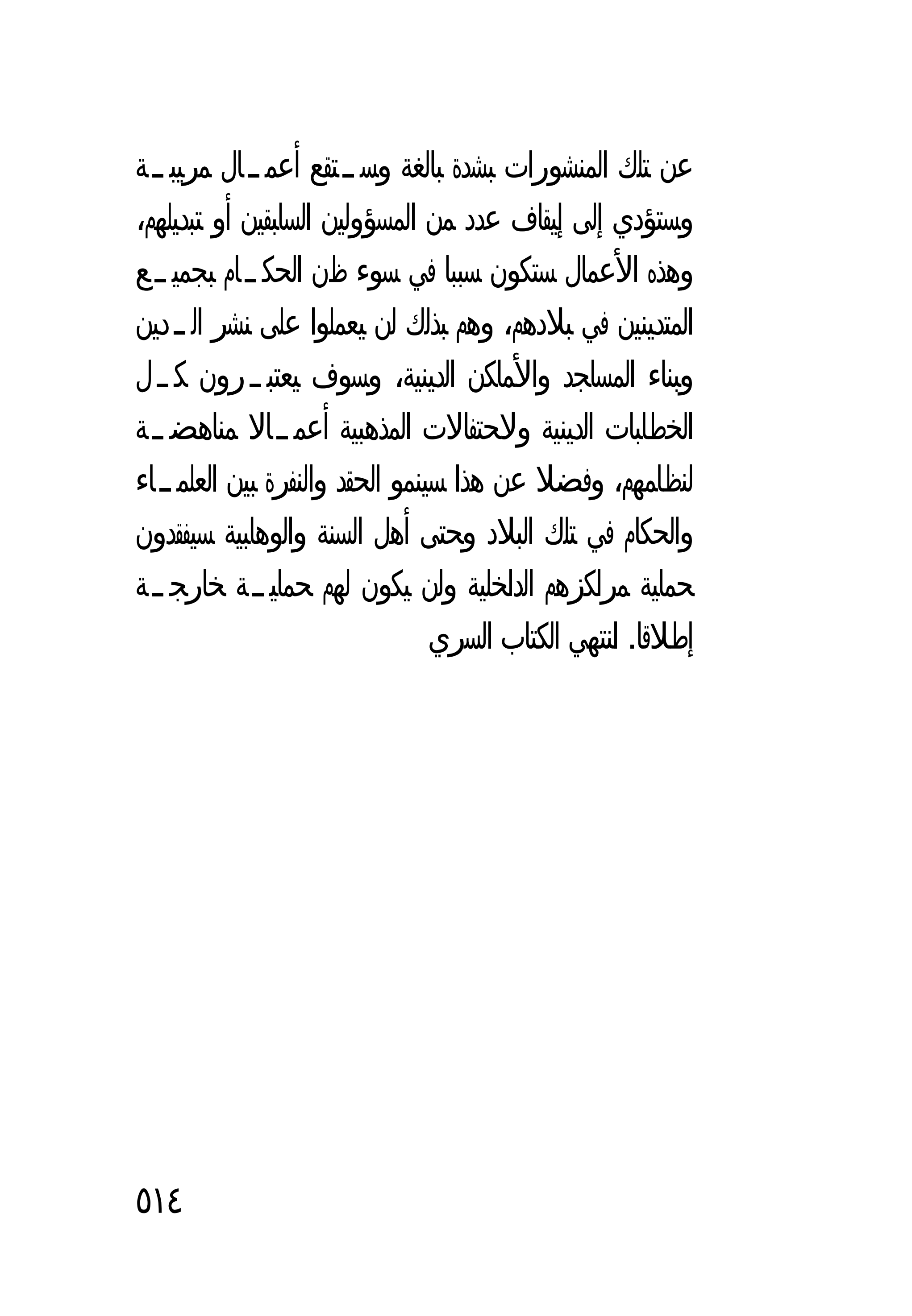
ليس لدينا مشكلة في ترويج المذهب في أفغانستان وباكستان وتركيا والعراق والبحرين، وسنجعل الخطة العشرية الثانية هي الأولى في هـذه الدول الخمس، وعلى ذلك فمن واجب مهاجرينا – العملاء – المكلفين في بقية الدول ثلاثة أشياء:

١- شراء الأراضي والبيوت والشقق، وإيجاد العمل ومتطلبات الحياة وإمكانياتها لأبناء مذهبهم ليعيشوا في تلك البيوت ويزيدوا عدد السكان.

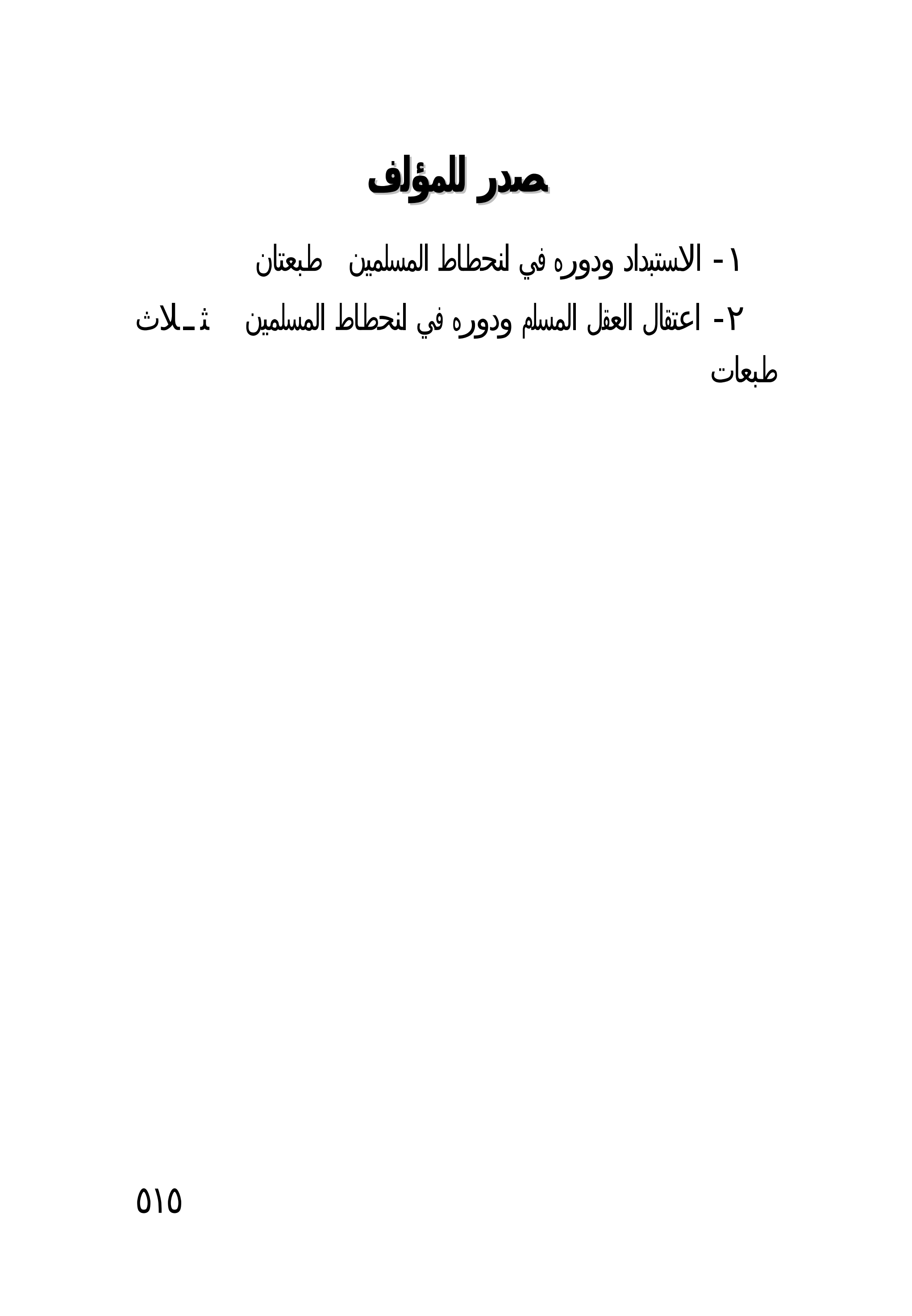
٢- العلاقة والصداقة مع أصحاب رؤوس الأموال في السوق والموظفين الإداريين خاصة الرؤوس الكبار والمشـاهير والأفراد الذين يتمتعون بنفوذ وافر في الدوائر الحكومية.

٣- هناك في بعض الدول قرى متفرقة في طور البناء، وهناك

خطط لبناء عشرات القرى والنواحي والمـدن الصـغيرة الأخرى، فيجب أن يشتري هؤلاء المهـاجرين العمـلاء الذين أرسلناهم أكبر عدد ممكن من البيوت في تلك القـرى ويبيعوا ذلك بسعر مناسب للأفراد والأشخاص الذين باعوا ممتلكاتهم في مراكز المدن، وبهذه الخطة تكون المدن ذات الكثافة السكانية قد أخرجت من أيـديهم - ويجـب علـى الأفراد في هاتين المرحلتين أن يسعوا للحصـول علـى جنسية البلاد التي يقيمونه فيها باستغلال الأصدقاء وتقـديم الهدلية الثمينة، وعليهم أن يرغّبوا الشـباب بالعمـل فـي الوظائف الحكومية والانخراط خاصة في سلك الجنديـة. وفي النصف الثاني من هذه الخطـة العشـرية يجـب – بطريقة سرية وغير مباشرة – لسـتثارة علمـاء السـنة والوهابية ضد الفساد الاجتماعي والأعمال المخالفة للإسلام الموجودة بكثرة في تلك البلاد، وذلك بتوزيع منشـورات لنتقادية باسم بعض السلطات الدينية والشخصيات المذهبيـة من البلاد الأخرى، ولا ريب أن هذا يسكون سببا في إثارة أعداد كبيرة من تلك الشعوب، وفي النهاية إمـا أن يلقـوا القبض على تلك القيادات الدينية أو الشخصيات المذهبية أو أنهم سيكذبون كل ما ننشر بأسمائهم وسوف يدافع المتدينون



عن تلك المنشورات بشدة بالغة وستقع أعمال مريبة وستؤدي إلى إيقاف عدد من المسؤولين السابقين أو تبديلهم، وهذه الأعمال ستكون سببا في سوء ظن الحكام بجميع المتدينين في بلادهم، وهم بذلك لن يعملوا على نشر الدين وبناء المساجد والأماكن الدينية، وسوف يعتبرون كل الخطابات الدينية ولاحتفالات المذهبية أعمالا مناهضة لنظامهم، وفضلا عن هذا سينمو الحقد والنفرة بين العلماء والحكام في تلك البلاد وحتى أهل السنة والوهابية سيفقدون حماية مراكزهم الداخلية ولن يكون لهم حماية خارجة إطلاقا. انتهي الكتاب السري



صدر للمؤلف

١- الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين طبعتان

٢- اعتقال العقل المسلم ودوره في انحطاط المسلمين ثـلاث طبعات